


Princeton University Library
32101 072538356

الإمامة الكبرى

و

الخلافة العظمى

تأليف

سماحة آية الله العلامة

السيد محمد حسن القزويني الحائري

الطباطبائي الشهير بالحاج آغا مير

الجزء الاول

عنى بنشره وتنقيحه والتعليق عليه
فضيلة الاستاذ
السيد مرتضى القزويني

اشرف على طبعه وتصحيحه وتدقيقه
فضيلة العلامة
السيد عباس الميلاني

مطبعة النعمان – النجف

١٣٧٨ هـ – ١٩٥٨ م

al-Hā'irī, Muḥammad Ḥasan al-Qazwīnī

الامامة الكبرى

و

الخلافة العظمى

al-Imāmah al-kubrā

تأليف

سماحة آية الله العلامة

السيد محمد حسن القزويني الحائري

الجزء الاول

عني بنشره وتنقيحه والتعليق عليه

فضيلة الاستاذ

السيد مرتضى القزويني

مطبعة النعمان - النجف

١٣٧٧ هـ -- ١٩٥٨

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر عن الكتاب

وترجمة حياة المؤلف

نسبه :

هو العلامة المفضال آية الله الحجة السيد محمد حسن الموسوي القزويني الحائري نجل العلامة الجليل الكبير أبي المعالي السيد محمد باقر الشهير (بالحاج أغا مير) ، ابن العالم النحرير السيد ميرزا مهدي ، أخي الامام المجتهد الكبير ، المرجع الديني في عصره الاستاذ الاكبر : السيد ابراهيم القزويني (١) الحائري صاحب كتاب « الضوابط » في اصول الفقه .

ويتصل نسبه من جهة آبائه الى الامام الطاهر موسى بن جعفر عليهما السلام .

---

(١) قال العلامة الامين في (اعيان الشيعة) ج ٥ ص ٣٤١ : توفي في كربلاء سنة ١١٦٤هـ عن عمر ناهز الستين ، ودفن في مقبرة بجانب داره ، قريبا من المشهد الحسيني الشريف . قرأ أولا على السيد علي صاحب (الرياض) ، ثم على شريف العلماء ، ثم هاجر الى النجف فقرأ على الشيخ علي والشيخ موسى ولدي الشيخ جعفر الكبير صاحب (كشف الغطاء) ، ثم رجع الى كربلاء ، واشتغل بالتدريس في حياة استاذه ، وأستقل بذلك بعد وفاة استاذه ، وكان يدرس في مسجد مدرسة (سردار حسن خان) ويجتمع في حلقة تدريسه ٧٠٠ الى ٨٠٠ الى ١٠٠٠ طالب وفيهم فحول العلماء .

ومن مؤلفاته : (ضوابط الاصول) ، و (نتائج الافكار) و (دلائل الاحكام) ورسائل اخرى متعددة في الفقه وغيره ، انتهى ملخصاً .

ووالدته العلوية كريمة المبرور المقدس العلامة السيد محمد المجاهد ابن العلامة الامام السيد علي الطباطبائي ، صاحب « الرياض » في الفقه .

وينتسب من جهة الامّ الى الامام السبط الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام .

مولده ونشأته :

ولد في مدينة كربلاء المقدسة سنة ١٢٩٦ ﻫ يوم عرفة ، ونشأ بها نشأة دينية صحيحة ، بين أحضان العلم والفضل . واسرته « القزوينية » من أشهر الأُسَر العريقة في المجد والشرف ، انجبت كثيراً من فطاحل العلماء العاملين ، وجهابذة العلم والدين .

منهم الامام المجتهد الزعيم الديني (صاحب الضوابط) المار ذكره .

ومنهم الامام الهمام العلامة الفهامة آية الله السيد محمد هاشم القزويني الموسوي الحائري (١) .

ومنهم الأخوان الكريمان المجتهدان العلامتان الورعان التقيان الحاج السيد محمد رضا (٢) والسيد محمد ابراهيم (٣) ولدي السيد محمد هاشم .

ومنهم العالم الجليل النحرير السيد حسين القزويني حفيد صاحب (الضوابط)

---

(١) كان (قدس سره) من اساطين العلم والتقى ، واعلام الدين والهدى ، ومن تلامذة الاستاذ الاعظم شيخنا الانصاري (اعلا الله مقامه) أخذ عنه اجازة الاجتهاد ، بخطه الكريم وختمه الشريف ، لاتزال موجودة لدى اسرته . توفي في كربلا سنة ١٣٢٩ ﻫ ودفن في مقبرة « صاحب الضوابط » .

(٢) قرأ على والده حتى حصلت له الاجازه عنه توفي في كربلا سنة ١٣٤٩ ﻫ

(٣) قال في « نقباء البشر » : عالم فاضل تلمذ على والده العلامة حتى حصلت له الاجازة عنه ، و « تلمذ على المولى المحقق الخراساني صاحب "الكفاية" » توفي في كربلاء في ٧ - ع ٢ - ١٣٦٠ ﻫ انتهى بتصرف .

توفي سنة ١٣٦٧ ، وكثيرون غيرهم . ولكل ممن ذكرنا أسماءهم من اعلام هذه الاسرة الكريمة مؤلفات ، ورسائل عديدة ، أكثرها مخطوطة ، تبحث عن الفقه والاصول ، وسائر علوم الدين . وكانوا في عصرهم اعلام الهدى ، ومصابيح الدجى ، تزدان بهم حلقات التدريس في كربلاء المقدسة ، وترد الناس مناهلهم ، وتصدر عنها بأنفس الكنوز العلمية .

تلقى المترجَم له مبادىء العلوم في كربلاء كالصرف ، والنحو ، والمنطق ، وسائر فنون العربية ، والكلام على اساتذة قديرين ، وأتقنها غاية الاتقان ، حتى أصبح بين أقرانه علَمَا يشار اليه بالبنان . ثم اشتغل بما تيسر له تحصيله من الفقه والاصول .

هجرته العلمية الى النجف الاشرف :

ولما بلغ الثانية والعشرين من عمره ، هاجر الى النجف ، سنة ١٣١٩ ﻫ لأكمال دراسته العالية ، ولبلوغ رتبة الاجتهاد .

وكانت النجف يومئذ معقلا لأوتاد الارض ، وأركان الدين ، وأساطين الفقهاء ، وفحول اعلام الأمة الاسلامية ، وكانت الرئاسة الدينية ، والزعامة الروحية في ذلك العصر ، ترجع الى طائفة من العلماء الربانيين . منهم : المغفور له العلامة الأكبر ، والاستاذ الاعظم ، المولى المحقق الشيخ محمد كاظم الخراساني (١) صاحب (الكفاية) . ومنهم فقيه عصره . واوحدي دهره ، الحجة العلامة الفهامة آية الله السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي ، صاحب كتاب (العروة الوثقى) وغيره من

(١) قال الامام العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين (قدس سره) في ترجمته : أما الامام الخراساني فلم أجد أدق منه نظراً ، ولا اعدل فهماً ، ولا أحضر ذهناً ، ولا الحن منه بحجة ، يثبت رأيه بالبينات القاطعة ، والحجج الملزمة ، مستظهراً بدليل العقل والنقل ، توفي في النجف الاشرف صبح الثلاثاء الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة ١٣٢٩ ﻫ .

المؤلفات النفيسة .

ألقى المؤلف رحله في جوار أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ، وعكف على تحصيل العلوم الدينية ، منكبّاً عليها ، جاداً في اقتنائها ، مستفرغاً وسعه فى تلقى نفائسها . وجعل يرتاد حلقات الدروس الشهيرة ، ويستمريء رُضابها ، ويرتشف معينها الفياض .

واختص بعدد من المشائخ العظام ، حتى عد من اصحابهم البارزين .

مشائخه :

١ — العلامة المولى المحقق الآخوند الخراساني السابق الذكر . وقد صحبه المؤلف عشرة أعوام كاملة ، ولم يفارقه حتى توفي أعلا الله درجته . وقد قرأ عليه خلال هذه المدة ، الفقه والأصول ، وكتب جميع محاضراته التي ألقاها على طلابه فى حلقة التدريس ، في كلا الموضوعين ، ولم يفته شيء من ذلك ، وسوف نلمح الى ذلك عند ذكر مؤلفاته باذن الله تعالى .

٢ — ومن مشائخه العلامة آية الله الفقيه النحرير السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي طاب ثراه . الآنف الذكر . فقد حضر عليه المؤلف في حلقة تدريسه الفقه الاسلامي ، وأخذ عنه فصولا مهمة في هذا الموضوع مايقارب خمس سنوات .

٣ — ومنهم العالم النحرير الرباني ، والعلامة الفاضل ، المحقق الصمداني ، الحاج الشيخ هادي الطهراني (١) أخذ عنه في اصول الفقه ، من ابتداء مباحث الالفاظ الى مبحث معاني الحروف ، ثم توفى الأستاذ طاب ثراه .

٤ — ومنهم العلامة البحاثة آية الله الحجة الشيخ فتح الله (٢) الشهير : (شيخ

---

(١) توفي فى النجف الاشرف حوالي سنة ١٣٢٠ ه في شهر رمضان المبارك .

(٢) كان اعلا الله مقامه — كما يصفه الامام شرف الدين — من اعلام الفقه والاصول . فسيح الخطوة ، في المعقول والمنقول غزير المادة ، في ما يؤثر عن أهل بيت العصمة ، واسع —

الشريعة) الاصفهاني ، المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ في النجف الاشرف .

هجرته الى سامراء

ولما توفي استاذه الأكبر الآخوند سنة ١٣٢٩ ، هاجر المؤلف بعد ذلك بعام ، أي في سنة ١٣٣٠ من النجف الى مدينة سامراء المقدسة ، بجوار الامامين الطاهرين العسكريين عليهما السلام . على عهد المرحوم المبرور المقدس حجة الاسلام ، الميرزا محمد تقي الشيرازي (١) (قدس سره) وكانت سامراء يومئذ تتلو النجف الاشرف في ازدهارها بالعلوم ، وعمرانها باهل الفضل ، وأعلام الشريعة .

لبث المؤلف هناك ثلاث سنوات ، جمع خلالها قسما من تقريرات استاذه المحقق الآخوند (ره) بعد تنقيحها واخراجها . وكتب ايضا شرحاً مزجياً على متن « اللمعة الدمشقية » للشهيد الاول (قده) ، خرج منه كتاب الطهارة . وظل مشتغلا بمزاولة العلوم بين افادة واستفادة ، ودرس وتدريس ، وبحث ومذاكره ، حتى كانت سنة ١٣٣٣ هـ ، حيث ابتدأت الفتن والاضطرابات في سائر البلاد الاسلامية ، ومنها العراق . وذلك على أثر نشوب الحرب العالمية ، بين دول الحلفاء الغربيين ، وبين الدولة العثمانية ، وكانت النتيجة سقوط هذه الأخيرة ، فاحتلت جيوش الانكليز العراق ، وسقطت بغداد في أيديهم ، واتصل شرهم بسامراء ، فاضطرب حبل الأمن

— الرواية في ذلك ، طويل الباع في اخبار الماضين ... الخ .

(١) زعيم الثورة العراقية ، والمرجع الديني الكبير للشيعة في عصره ، سكن في كربلاء المشرفة ، وانقادت اليه ازمة الامور ، وكان له نفوذ روحي ، واسع النطاق في جميع نواحي العراق ، وخارج العراق . وله أياد بيضاء في تأسيس الحكومة العراقية الحاضرة ، وفي اعلان الثورة على الانكليز ، الذين كانوا في العراق يومئذ في احتلالهم ، حيث أصدر فتوى الجهاد قبالهم ، فأطاعته زعماء القبائل العراقية ، وحاربوا جيوش الاحتلال ، حتى اضطروها الى ترك العراق ، وتمكن الشعب من استحصال السيادة والاستقلال ، وانشاء حكومتهم الوطنية كل ذلك اتباعاً لفتواه قدس سره . توفي - اعلى الله مقامه - في كربلاء سنة ١٣٣٩ هـ ودفن في الصحن الحسيني الشريف في الزاوية الجنوبية الشرقية منه .

فيها ، وتبدلت أوضاعها ، واختل نظام الدراسة ، ولم يتسن بعد ذلك للمؤلف ، ولا لغيره من المشتغلين بالعلوم أن يزاولوا أعمالهم ، (وتفرقوا أيادي سبا) ، فاضطر المترجم له الى أن يرجع الى وطنه ، ومسقط رأسه (كربلاء) لاسيما بعدما اصيب بنبأ وفاة المبرور المقدس والده (قدس سره) سنة ١٣٣٠ هـ

رجوعه الى كربلاء :

رجع المؤلف بعد هذه الحادثة بسنتين تقريباً ، واستقر فيها ، واتخذ مسلك آبائه ، وسائر اعلام اسرته ، في نشر علوم الدين ، والجهاد في سبيل الهدى ، وكان يومئذ قد بلغ اعلا مرتبة الاجتهاد ، ونال منزلة رفيعة في العلم ، وبرع في الفقه الاسلامي ، وفي أصوله ، ومنذ ذلك الحين الى يومنا هذا قد شمّر عن ساعد الحزم والاجتهاد في تأليف هذا الكتاب ، وغيره من مصنفاته التي سيوافيك شرحها .

وكان سبب شروعه في تأليف هذا الكتاب باشارة من استاذه المولى المحقق الخراساني (قدس سره) وقد ظهر يومئذ كتاب (منهاج السنّة) لعبد الحليم بن تيمية الذي شحنه بما سولت له نفسه من هجمات قاسية ، شنها على شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم واتباعهم ووصمهم بكل شائنة ، افتراءاً عليهم ، وعداءاً صريحاً للأئمة الهداة من العترة الطاهرة عليهم السلام .

فتجرد سيدنا المؤلف من ذلك الحين ، لصد هجماته ، وردّ كيده في نحره ودحض شبهاته ، ومزاعمه ، وبدأ بتأليف هذا الكتاب . مضافاً الى سائر تصانيفه الأخرى القيمة . وهي : —

١ — هدى الملة إلى أن فدكاً نحلة ، طبع في النجف الاشرف سنة ١٣٥٢ هـ

٢ — البراهين الجلية ، في دفع تشكيكات الوهابية طبع في النجف الاشرف .

٣ — المناهج الحائرية ، في نقض كتاب (الهداية السنية) أو التحفة الامامية في دحض الحجج الوهابية . مخطوط .

٤ — وقد كتب فصولا رائعة من المحاضرات التي ألقاها استاذه الأكبر المحقق الخراساني صاحب (الكفاية) قدس سره ، في جميع مباحث اصول الفقه ، وهي دورة كاملة من مباحث الالفاظ الى آخر مباحث الاجتهاد والتقليد . وفقا لترتيب كتاب (الكفاية) .

٥ — معظم أبواب فقه الامامية ، وهو ايضا ضبط المحاضرات التي القاها المبرور المقدس الخراساني المذكور على تلامذته في حلقة تدريسه . وهي تحتوي على ابواب الطهارة ، الى الاغسال والدماء ، وكتاب الخمس ، وكتاب الرهن ، وكتاب الوقف ، وكتاب الطلاق ، وهو آخر ما ألقاه استاذه المعظم المذكور .

٦ — شرح مزجي على « اللمعة الدمشقية » المار ذكره .

كلمة حول موضوع الكتاب (الامامة) وتاريخها

لا يزال موضوع (الامامة والخلافة) منذ فجر الاسلام الى يومنا هذا ، يشكل مضماراً واسعاً لأقلام المفكرين ، وميدانا يغص بالحملات التي تشنها كل فرقة من فرق الاسلام على اخواتها في هذا السبيل . ولا عجب فانها الركيزة العظمى التي ارتكزت عليها دعائم الدول الاسلامية ، بعد وفاة الرسول الاعظم ﷺ الى هذا التاريخ ، وفي سبيلها قامت ثورات عظيمة خلال قرون متمادية من الزمن ، ونشبت حروب طاحنة ، ومعارك دامية هائلة ، وازهقت بسببها عشرات الملايين من الارواح ، وسفكت من أجلها دماء المسلمين . وشبت الفتن والاضطرابات التي تلاشت منها قوى هذه الأمة وصبت عليها صنوف البلاء ، وأخطر الويلات ، وفتكت بالاسلام والمسلمين الفتك الذريع ، ومزقت أوصالها ، وشتتت شملها ، فساءت أحوالها وانقلبت أوضاعها ، حتى انتهى أمرها الى ماهم عليه اليوم ، من محنة وبلاء . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقد كان لكل من الدول الاسلامية دعاة يدافعون عنها ، ويثبتون اركانها

ويقوون سلطانها ، يتذرعون بكل مافي وسعهم من دجل وتحريف ، وتزوير وتدليس للوصول الى غاياتهم ، وبلوغ أهدافهم .

حتى كتبوا في هذا الموضوع فأكثروا ، وأسرفوا غاية الاسراف .

والذي يخوض في كتبهم هذه ، ويسبر أغوارها تتجلى له بوضوح ، أن القوم لم يكن هدفهم بالذات ، من ذلك كله ، هو الوصول الى الحقيقة ، واتباع الدليل والتمسك بما يقتضيه البرهان ، أو يحكم به الكتاب والسنة ، يحاولون ـ ويا للأسف ـ تطبيق الادلة على ما يذهبون اليه ، بضروب التكلف والتأويل . فما وافق آراءهم حكموا بقوته وصحة سنده — وان كان ضعيفا — وما خالف طريقتهم انكروه أو ضعفوه ، وإن كان قويا .

وستجد في غضون هذا الكتاب امثلة كثيرة من ذلك مما نقله عنهم المؤلف الجليل . واستفرغ وسعه في التنقيب عنها من امهات المصادر المعتبرة الموثوقة ، خلال عشرات السنين .

وقد جزّأ المؤلف كتابه الى ثمانية أجزاء يتراوح كل جزء مابين ٤٠٠ الى ٤٨٠ صحيفة . أما المجلد الاول فيحتوى على مقدمة الكتاب التى تبلغ حوالي ٣٦٠ صحيفة حسب ترتيب مؤلفه ، ويمكن اعتبارها كتابا مستقلا بالذات ، تضم فوائد جليلة ، من بيان كيفية الجدل ، والمقاييس المقرر اتباعها عند أرباب المناظرة .

ثم يستطرد في ذكر طائفة كثيرة من موارد الاختلاف بين الفرق الاسلامية — والتي لم يتبّع الخصوم فيها الاصول المعتبرة في المناظرة ، وانما ألقوا القول على عواهنه . ثم يتصدى — على سبيل الايجاز — الى كشف اتضاع عن تدليساتهم وردّ مزاعمهم ، وتمحيص الحقائق الراهنة ، وتحليلها على ضوء الكتاب والسنة ، والمنطق الصحيح . ثم شرع في بحث الامامة العامة ، وتفسيرها ، وبيان مفهومها الصحيح

مستظهراً على ذلك بالبرهان الواضح .

والمجلد الثاني من الكتاب يبحث فيه عن اشتراط افضلية الامام ، واعتبارها في الامامة ، واثبات ذلك لامير المؤمنين عليه السلام عن الطرق المعتبرة .

والمجلد الثالث : في نصوص خلافة أمير المؤمنين (ع) بلا فصل .

والمجلد الرابع : في خلافة أهل البيت عليهم السلام ، وطرق اثباتها .

والمجلد الخامس : في ذكر استخلاف المشائخ من أبي بكر وعمر وعثمان وبيان جهة من سيرتهم في الخلافة ، والمناقشة حول ذلك ، وبيان حالهم من مناقب وغيرها ، ونقد ذلك من جميع الوجوه .

والمجلد السادس : في بيان احوال الصحابة ، وتمييز اشخاصهم ، وما يجب على المسلمين اتجاههم ، ونقد ما أوردوه في شأنهم .

والمجلد السابع : في ذكر الفئات الباغية من الناكثة والقاسطة والمارقة وبيان كون « علي (ع) مع الحق والحق معه » وان الباغين عليه من زمرة المرتدين .

والمجلد الثامن : يضم فصولا متعددة وأبواباً متنوعة ، من موارد النزاع والخصومة بين فرق المسلمين .

والكتاب — بعد هذا كله — وحيد في بابه ، فريد في موضوعه ، وفيه مباحث لم يسبقه اليها أحد بالكيفية التي ستقف عليها . ويظهر للمطالع فيه أن مؤلفه لاقى مصاعب جمة في الوقوف على المصادر ، والبحث عنها ، رغم انفراده بذلك ، وحرمانه من مساعدة غيره .

وقد فرغ من تسويد الكتاب منذ عدة سنين ، قبل أن يطلع على اكثر المؤلفات التي صدرت حديثاً في هذا الموضوع ، ولذلك تجده يشاركها في بعض الابحاث وينفرد عنها في بعض آخر .

وقد رأينا — بعونه تعالى — ان نقوم بنشر هذا الكتاب لما فيه من فوائد جليلة ، واحاطة واسعة ، و منافع عامة ، ومباحث عميقة ، مما يتعلق بالمبادىء الإسلامية الصحيحة ، والعقائد الدينية ، المقتبسة عن مناهل العترة الطاهرة عليهم السلام.

وقد أمرني سيدنا المؤلف — دام بقاؤه — بمراجعة مصادر الكتاب مراجعة عامة لأجل إعداده للطبع ، واضافة اسماء المصادر الأخرى على الهوامش . وربما اضفنا بعض المباحث الى ذلك أيضا .

ومن الله نستمد التوفيق ، وعليه التوكل وبه الاستعانة .

كربلاء المشرفة في ٩ / شوال / ١٣٧٧ السيد مرتضى القزويني

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

وبه نستعين

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على محمد وآله الذين اصطفى.

أما بعد، فان كتابنا هذا المسمى بـ «الامامة الكبرى والخلافة العظمى» حاوٍ لأعظم المسائل الأصولية الاعتقادية بعد التوحيد والنبوة، وهي مسألة الأمامة التي هي الولاية المطلقة، والرئاسة العامة الالهية على البرية، أوردنا فيها ماهو صريح المعقول والمنقول من محكم القرآن والسنة، واجماع الصحابة والسلف الصالح، واجتنبنا عن كل تأويل لم يقم عليه دليل، وذلك تثبيتاً للحجة «ولئلا يكون للناس على الله حجة».

ويتم ذلك في مقاصد: —

---

(١) بسم الله الرحمن الرحيم، نضيف في هذه التعليقة على الهامش ماتيسر لنا ذكره من بيان مواضع الآيات الكريمة، وذكر اسماء بعض المصادر الاخرى لمواضيع الكتاب، وتفسير ماغمض من الكلمات والجمل، ونحوها مما أذن لنا سيدنا العلامة المؤلف دام بقاه. أما الهوامش التي وضعها المؤلف نفسه فنرمز لها بهذه العلامة (م). الناشر.

المقصد الاول

مقدمة الكتاب

في تقديم أمور يلزم التنبيه عليها ، وعطف النظر اليها ، قبل الشروع في المطلوب .

كيفية التبليغ والدعوة الى الحق

وهي إنما تكون بالحكمة والموعظة الحسنة ، على ما نطق به القرآن ، من قوله تعالى: « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » (١) وقوله : « إدفع بالتي هي أحسن ، فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » (٢) والمعنى : أن الدعوة الى الحق والدفاع عن الدين بالوجه الحسن ، مما يترتب عليه المقصود ، ويورث المودة والمحبة بين المتخاصمين ، فترتفع به الخصومة والبغضاء من الطرفين . وهذا تعليم إلهي، وتهذيب ديني ، يمنع عن النصب والتعدي، وإعمال العصبية ، واستعمال العاطفة والاهواء النفسية ، واتخاذ سيرة الفتك والجبروت في المناظرات وطرق الدعوة ، التي كانت ترزح تحتها هذه الأمة ، من عهد بني أمية وبني مروان كما عليه كثير من هؤلاء الدعاة ، أمثال : ابن حزم الاندلسي ، وابن تيمية الحراني ، وابن كثير الدمشقي ، ويوسف الواسطي ، والملا نصر الله الكابلي ، وفضل بن روزبهان القاساني ، والمولوي عبدالعزيز الدهلوي ، ومن قبلهم : مسلم ابن الحجاج ، والبخاري . حسب ماهو صريح مصنفاتهم ، خروجاً بذلك عن أمره تعالى : « وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن ، إن الشيطان ينزغ بينهم » (٣) ألزم الله عباده بإيراد الحجة على من يخاصمهم على النحو الأحسن ، معللا بان الشيطان

---

(١) النحل : ١٢٥ . (٢) حم ـ السجدة : ٣٤ ، والمراد بالحميم القريب في النسب . م
(٣) أسرى : ٥٣ .

ينزغ بينهم ، أي يفسد بينهم ، ويهيج بعضهم على بعض ، إذا لم تكن المحاجة بالكيفية الحسنة .

التحاكم الى الكتاب والسنة

إن من حسن الدعوة ، التحاكم الى القرآن الذي هو الحكم العدل ، والقول الفصل ، والذكر الحكيم والصراط المستقيم ، لدى الامة الاسلامية جمعاء . قال تعالى : « إن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » (١) وقال: « إتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء » (٢) وقال : « الله الذي انزل الكتاب والميزان » (٣) وقال : « فاحكم بينهم بما انزل الله ، ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق » (٤) وقال : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » (٥) ، وقال : « أفحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ؟ » (٦) وقال : « وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله » (٧) وقال : « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » (٨) . جعل الله تعالى رّد الحكم المتنازع فيه اليه ، والى رسوله (ص) من لوازم الايمان بنحو القضية الشرطية الدالة على انتفاء الايمان عند الامتناع عن الرجوع اليه تعالى وإلى رسوله ﷺ .

القرآن يدعو الى التحاكم الى الرسول ﷺ

ومن الواجب في هذه الشريعة ، التحاكم الى الرسول ﷺ والى سنته الباقية لقوله تعالى : « ولكم في رسول الله اسوة حسنة »(٩) ، وقوله تعالى: « فلا وربك

---

(١) انعام : ١٥٣ . (٢) أعراف : ٢ . (٣) الشورى : ١٧ .
(٤) المائدة : ٥١ . (٥) المائدة : ٤٧ . (٦) المائدة : ٥٣ .
(٧) الشورى : ١٠ . (٨) النساء : ٥٨ . (٩) الاحزاب : ٢١ .

لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم... الآية» (١)، وقوله : «كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه » (٢) ، وقوله : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » (٣) ، وقوله : « وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى » (٤) ، ففي هذه الآيات دلالة واضحة على ايجاب الرجوع الى النبي ﷺ ، فيما قاله ، أو حكم به ، وانه كسائر الرسل لذين بعثوا لحفظ الأمة عن الغواية ، وجمع شملهم ، وتوحيد كلمتهم . « سنة الله في الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » (٥)

إذن لايجوز التحاكم الى غير محكمات الكتاب والسنة ، وليس الرجوع الى غيرهما إلا إعراضاً عن الحق ، وايقاعاً للنفس في الضلال ، والاضلال . قال تعالى : « ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك ، يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت ، وقد أمروا أن يكفروا به » (٦) ، والمراد بالطاغوت : كل ذي رأي سخيف ، تجاوز بأمره ونهيه عن حدود الله تعالى ، وما حكم به . وروى الشيخان في الصحيحين عن النبي ﷺ قال : « إن الله لا ينزع العلم عن الناس ، ولكن يقبض العلماء فيرفع العلم عنهم ، فتبقى في الناس رؤساء جهال يفتونهم بغير علم فيضلون و يضلون » انتهى .

أقول : بل يتشتتون حسب تشتت الآراء ، ويتمزقون ، ويتفرقون أيادي سبا ، كما هو الداء العضل في هذه الأمة التي غفلت عن أن نبيها (ص) واحد ؛ والقرآن المنزل من الله واحد ، والقبلة واحدة ، ثم لايميلون الى توحيد الكلمة لاعتذارهم كما في القرآن : « ربنا إنا اطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا » (١) وحجتهم في

---

(١) النساء : ٦٤ . (٢) البقرة : ٢١٣ . (٣) النساء : ٩٧ .
(٤) النجم : ٣ و ٤ . (٥) الاحزاب : ٦٢ . (٦) النساء : ٥٩ .
(٧) الاحزاب : ٢١ .

ذلك داحضة مردودة ، لأنهم مأمورون بالاعتصام بحبل الله ، ومنهيون عن التفرق بقوله عز وجل : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) (١) ، وقوله : (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) (٢) ، فعند اختلاف الأهواء ، وتفرق الآراء ، وتنافر الافئدة ، لاحظ من الدنيا ولا نصيب من الآخرة .

القرآن ينهى عن الجدل واتباع الهوى

قال الله تعالى : (وجعلنا لهم سمعا وأبصاراً وأفئدة ، فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء ، اذ كانوا يجحدون بأيات الله) (٣) . إن من الواجب على المرء السعي البليغ في الوصول الى الحق ، وترك التمذهب والتعصب لنصرة ماهو عليه كيفما كان ، فيقول من غير برهان ، اعتماداً على السلف ، وتقليداً أعمى مذموماً عقلا ونقلا ، لقوله تعالى : (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولاهدى ولا كتاب منير) (٤) ، وقوله (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ؟) (٥) ، وقوله تعالى مخاطباً لنبيه ﷺ : (يجادلونك في الحق بعدما تبين لهم) (٦) ، والمراد بالجدل : طلب الغلبة والدفاع عن الحق نصرة للنفس . قال تعالى شأنه : (وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق) (٧) ، أي ليبطلوه بما عندهم من الشبهات والتسويلات التي تورد على المخاطب ، فتشوش خاطره ، وقال : (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون) (٨) . والمراد من اللبس : التعمية والتغطية والاتيان بالدلائل المشوشة ، لاغواء الناس ، فصار ذلك التلبيس صارفاً عن الحق ،

---

(١) آل عمران - ١٠٣ .
(٢) آل عمران - ١٠٥ .
(٣) الاحقاف - ٢٦ .
(٤) الحج - ٨ .
(٥) الشورى - ٢١ .
(٦) الانفال - ٦ .
(٧) المؤمن - ٥ .
(٨) البقرة - ٤٢ .

وداعياً للخلق الى بقائهم على الباطل .

جاء في سنن ابن ماجة ج : ١ ص ١١ ، باب اجتناب البدع والجدل عن النبي (ص) : (إن خير الامور كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الامور محدثاتها) . وعنه (ص) في حديث آخر ، قال : (ألا إن قتال المؤمن كفر ، وسبابه فسوق ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ..) الحديث ، وفيه من الدلالة الواضحة على ان الحجة لاتقوم إلا بامرين ، وهما : الكتاب ، والسنة ، وبهما تقوم ايضا الوحدة الاسلامية التي حث عليها في قوله ﷺ : « ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه » .

ثم انه (ص) في ذيل هذا الحديث ، حذّر الناس عن الكذب ، قائلا : « ألا وإياكم والكذب ، فان الكذب لايصلح بالجد ولا بالهزل ، فان الكذب يهدي الى الفجور ...) الحديث فاذن أيّ كذب وخلاف اعظم من اتباع الهوى ، والخلاف على الله ، بدعوى ماليس بثابت في كلام الشارع ، أو دفع ماهو الثابت ، أو تضعيف الصحيح من الصحيح ، أو تقويم السقيم منه ، أو التأويل فيه ، أو في المحكم من التنزيل ؟

وفي سنن ابن ماجة ايضا ، ج ١ ، ص ١٣ ، عن أبي امامة ، قال : قال رسول الله ﷺ (ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه ، إلا أوتوا الجدل ، ثم تلا هذه الآية : بل هم قوم خصمون) (١) .

قال محمد معين الحنفي في كتابه دراسات اللبيب ، في الدراسة الثامنة : ومن أشنع ما يُخرجون كلام الشارع عن الحقيقة والمجاز ، ويفتحون فيه باب التأويل ، فهو فعلهم إذا حملتهم عليه ، ﴿ نصرة إمامهم على غيره من الأئمة ﴾ . فخفظ رأيهم عليهم ، أهم من إخراج كلام نبيهم ﷺ عن الحقيقة ، ولم يأذن الله تعالى ورسوله لاحد

(١) الزخرف - ٥٨ .

بهذا . إنتهى .

أقول : بل الله تعالى حذّرهم عن هذا النعت في قوله : « فلا تكن من الممترين » (١) ، وقوله تعالى في أمر أصحاب الكهف : (ولا تمار فيهم إلا مراءاً ظاهراً) (٢) ، أي لاتشكك ولا تجادل فيهم إلا مراءاً ظاهراً عليه الحجة والدلالة. وقال تعالى في ذم أهل البدع : (وما يتبع أكثرهم إلا ظناً ، إن الظن لايغني من الحق شيئاً) (٣) ، وقال : « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ..) الآية(٤) يعني الظنون التي لم يقم عليها برهان بدليل قوله تعالى : (إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الا نفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى) (٥) ، فان الله تعالى حذرهم عن اتباع الآراء والأهواء في قبال ما أقام الله لهم من الهدى ، ولله الحجة البالغة .

قال عبدالحليم ابن تيمية في كتابه « موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول » المطبوع في الهامش من كتابه « منهاج السنة » ج ١ ص ٤٠ و ٤١ : أما المختلفون في الكتاب المخالفون ، فتجعل كل طائفة ما أصلته من اصول دينها الذي ابتدعته ، هو الامام الذي يجب اتباعه ، وتجعل ما خالف ذلك من نصوص الكتاب والسنة من المجملات المتشابهات التي لا يجوز اتباعها ، بل يتعين حملها على ما وافق أصلهم الذي ابتدعوه ، فالله تعالى ذمهم في قوله : « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ، ثم يحرّفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون » (٦) وقوله تعالى : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون : هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا » (٧) ، وهذا متناول لمن حمل الكتاب والسنة على ما أصله من البدع الباطلة ، ومتناول لمن كتب كتابا مخالفاً لشرع الله ، لينال به دنياً ، ويقول : هذا هو الشرع

(١) آل عمران - ٦٠ .
(٢) الكهف - ٢٣ .
(٣) هود - ٣٦٠ .
(٤) الحجرات ١٢
(٥) النجم - ٢٨ .
(٦) البقرة - ٧٥ .
(٧) البقرة - ٧٩ .

وهذا معنى الكتاب والسنة . إنتهى

الجدل ، يلحق الجد بالمراء والهزل

لنضرب مثالا لذلك من قول ابن حجر المكي في الصواعق المحرقة ص ٢٠ ، والعاصمي في زين الفتى : من أن حديث : « أنا مدينة العلم وعلي بابها » غلوٌ في علم علي (ع) ومؤول بجعل علي وصفاً لا إسماً خاصا ، فيكون صفة للباب ، أي : عال باب المدينة ، أو معارض بحديث : أنا مدينة العلم ، وعلي بابها ، وأبو بكر محرابها . إنتهى . فانه لم يكد يتفطن إلى أن المصير الى المعارضة بجعل أبي بكر محرابها يخرج الحديث عن الغلو ، وينفي حمل لفظ علي على الوصف (١) مع انه معارض بما لو قال : معاند في « قل هو الله أحد » : انه تعالى إله الناس دون الجن ، أو ان « محمداً رسول الله » : أنه مبعوث الى اقليم خاص ، أو أنه مجمل يحتمل الاسمية والوصفية فالهزل من الجانبين سواء بسواء .

واغرب من هذه المهزلة ، قول يوسف الواسطي ، على مافي كتاب (توضيح الانور) (٢) : من أن قول النبي (ص) لعلي (ع) : « انت مني بمنزلة هارون بن موسى) قدح في علي (ع) ، لأن وجه الشبه قيام الفتنة ، وحصول الوهن فى الاسلام من خلافة علي (ع) ، كما حصلت فتنة عبادة العجل في بني إسرائيل من استخلاف هارون عليهم . انتهى . ولا يخفى أن العصبية حالت بينه وبين أن يذعن أن خلافة هارون (ع) كانت من الله تعالى فى صريح القرآن ، ومحال على الله أن يجعل في

---

(١) ولا يخفى على الفطن العارف أن الخصم الذي حمله حسده على معارضة حديث : (انا مدينة العلم وعلي بابها) بجعل أبي بكر محرابها ، لم يكن ماهراً في اختلاق اكذوبته هذه بل كان غافلا عن ان المدينة يتصور لها باب ، ولا يتصور لها محراب . وانما يناسب ذكر المحراب مع المسجد دون المدينة . الناشر .

(٢) توجد نسخته الوحيدة المخطوطة بخط مؤلفه فى المدرسة الهندية بكربلاء ، لدى متوليها سماحة العلامة الشيخ جعفر الرشتي .

الارض خليفة يوجب الفساد فيها ، فلو صحّ لله تعالى استخلاف هارون ، فقد صح نحوه لعلي (ع).

ويشبه هذه الخرافة ، مارواه الخطيب البغدادي في التاريخ (ج ٨ ص ٢٦٨) وابن حجر العسقلاني في « تهذيب التهذيب » في ترجمة حريز بن عثمان ، انه : روي أن النبي ﷺ قال لعلي : « انت مني بمنزلة قارون من موسى » فأخطأ السامع . إنتهى اه وروى المناوي في « كنوز الحقائق » عن النبي ﷺ انه قال لأبي بكر وعمر : « انتما مني بمنزلة هارون من موسى » . إنتهى . فلو صح الحديث هـذا ، فينفي ماتخرص به يوسف الواسطى زوراً وعناداً . إلا انه قال الذهبي في الميزان في ترجمة علي بن الحسن بن زكريا . ج ٢ ص ٢٢٢ أن حديث المناوي كذب وأنه منكر . وقال العسقلاني في (لسان الميزان) ج ٤ ص ٢١٩ : إن الحديث موضوع

ويشبه هذه المعاندة ، إنكارهم نزول آية التطهير من قوله تعالى : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ، ويطهركم تطهيرا » (١) في علي وفاطمة والسبطين « عليهم السلام » وادعاؤهم تارة اختصاصها بزوجات النبي ﷺ واخرى بتعميمها للزوجات . والحال أن عائشة عصت الله تعالى ورسوله ﷺ بتبرجها وخروجها على إمامها بغير وجه مشروع . مع العلم ان النبي ﷺ نهاها عن ذلك فلم تنزجر ، حتى نبحتها كلاب الحوأب (٢) ، ونزلت فيها وفي حفصة : « إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما ، وإن تظاهرا عليه فان الله مولاه وجبريل وصالح المؤمنين » الآية (٣) كما في تفسير الفخر الرازي ج ٨ ص ١٦٥ طبع مصر ، وفي تفسير البيضاوي والكشاف للزمخشري ، عند تفسير الآية المذكورة .

---

(١) الاحزاب - ٣٣ .

(٢) سيأتيك التفصيل في المجلد السابع من هذا الكتاب في ذكر الفئة الناكثة انشاء الله تعالى

(٣) التحريم - ٤

ومن الجدل المؤدي الى العناد ، قولهم في آية الولاية : « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، وهم راكعون » (١) : إن قوله : والذين آمنوا ، لا يختص بعلي (ع) بل يعم جميع المؤمنين ، والحال ان عمومه يقضي بالولاية العامة لكل من تصدق ، كما في الآية . واجماع المسلمين على خلافه ، بل ضرورة الشرع . هب أنه عام — كما زعموا — ولكن اين هذه الدعوى من دعوى : أن التصدق بالخاتم في الصلاة فعل كثير ، موجب لبطلانها ؟ أو دعوى ابن تيمية في « المنهاج » : لا ثناء على التصدق بالخاتم كما في الآية : إذ لا وجوب فيه ولا استحباب ، أو دعوى لزوم كون ايتاء الزكاة شرطاً في ولاية علي عليه السلام ، أو لزوم أن لا يكون ولي الأمر إلا هو دون غيره من أولاده الى غير ذلك من الدعاوي المتناقضة الراجعة الى معارضة القرآن في فضائل علي (ع) .

ومن الجدل المبني على التعصب ، والقول بخلاف الحق ، انكارهم على الشيعة دلالة أحاديث الغدير على خلافة علي (ع) مع قوتها سنداً ، ووضوحها دلالة ، وجعلهم حديث الخوخة — لو صح — من قول النبي ﷺ : (لا يبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر ، دليلا وبرهانا على خلافة أبي بكر . قال الملا علي القاري في (المرقاة ، شرح المشكاة) : إن الحديث تعريض بأن أبا بكر هو المستخلف بعده وهو المستحق دون الناس ، فقوله (ص) : (سدّوا كل خوخة ... الخ) دليل على حسم أطماع الناس كلهم من الخلافة إلا أبا بكر . إنتهى . ونحو ذلك ، كلام ابن حجر المكي في (الصواعق ص ١٣) ولله درّهم وذكاؤهم !! فاين الخوخة من الخلافة ؟ !

(١) المائدة - ٥٨ .

رعاية جانب الحجة

إن رعاية جانب الحجة ، واتباعها متوقف على أشياء لابد لنا من ذكرها :—

أحدها : وجوب ايراد الحجة بما يقبله الخصم — اذا كان منصفا — من ظواهر الكتاب والسنة أو يقيم كل مناظر من البرهان ما هو المقبول عند صاحبه . وهذا كمال الأدب من الطرفين . ومن هنا صرنا نحتج بما في الصحيحين ومسند أحمد ، وغيرها من الكتب المعتبرة عند الجماعة ، كبقية الصحاح الست ، وكتاب جمع الجوامع للسيوطي ، ومستدرك الحاكم ، والجمع بين الصحيحين ، وأمثالها لأن ذلك أتم في إلزام الخصم .

قال أبو محمد علي بن حزم في كتابه (الفصل في الملل والنحل ج ٤ ص ٧٨). لامعنى لاحتجاجنا عليهم برواياتنا فهم لا يصدقونا ، ولا معنى لاحتجاجهم علينا برواياتهم فنحن لانصدقها ، وإنما يجب أن يحتج الخصوم بعضهم على بعض بما يصدقه الذي تقام عليه الحجة به سواء صدقه المحتج أو لم يصدقه ، لأن من صدق بشي لزمه القول به ، أو بما أوجبه العلم الضروري ، فيصير الخصم يومئذ مكابراً منقطعاً إن ثبت على ما كان عليه انتهى .

أقول: هذا مضافاً الى قوله تعالى : (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن)(١) فاذن لايحسن من الجانبين مايرجع الى همجية في فعل أو قول ، وإنما الواجب ، في الاداء والتبليغ ، إيراد الحجة ، لقوله تعالى : (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) (٢) . فمن ذلك يظهر فساد ما تخرص به ابن تيمية الحراني في (منهاجه ج ١ ص ٧) من نسبة الكفر والزندقة الى الشيعة ، وذكر عنهم أشياء ، هم بريئون منها ، فتلحق تلك النسبة بالاغواء والاضلال ، واثارة الفتنة والقتل وإباحة

---

(١) الاسرى ـ ٥٣ .
(٢) البقرة ـ ٢٥٦ .

النفوس والأعراض والأموال. وفي الصحيحين: (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) وفيهما: (قتال المسلم كفر، وسبابه فسوق) وفي صحيح مسلم ج ٨ ص ٨ الى ص ١١ في باب النهي عن التحاسد والتباغض والتدابر في عدة أحاديث عن النبي ﷺ قال: (لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا، ولا تناجشوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، التقوى هاهنا — يشير الى صدره ثلاث مرات — بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه). انتهى.

إن الله حرم تجاسر مسلم على مسلم باليد واللسان، من غير فرق بين الاحياء والاموات فمن تعدى عن هذا، فقد دخل في قوله تعالى: (والذين يؤذون المؤمنين بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثماً مبيناً) (١).

وثانيها: أن الحجة تقوم بما هو الراجح من العقل والنقل، دون الوهم والتأويل والاجمال والاحتمال، لاجماع العقلاء بل ولاتفاق العلماء من جميع المذاهب على عدم صحة صرف الكلام عن جهته الراجحة الى جهة المرجوحة، فلا يؤول (الاسد) ب (الرجل الشجاع)، ولا (زيد) على ارادة (غلام زيد) إلا مع قيام قرينة لفظية أو معنوية مقترنة، تجعل هذا التأويل راجحاً. وعلى ذلك جرت المحاورات العقلائية دون الأقوال الهزلية، وبنى عليه العرف لدى التفهيم والتفاهم في دعاويهم ووصاياهم وأقاريرهم، وهذا واضح لا مرية فيه.

قال الغزالي في (احياء العلوم ج ١ ص ٢٧): ومن الطامات صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى أمور باطنة لا يسبق منها الى الأفهام شيء، فهذا حرام وضرره عظيم، فان الألفاظ إذا صُرفت عن ظواهرها بغير اعتصام من عقل أو نقل إقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ، وسقط به منفعة كلام الله وكلام رسوله، وهذا

(١) الاحزاب — ٥٨.

وهذا لاخلاف فيه وكان النبي (ص) قد تزوج ام حبيبة قبل ذلك بزمان طويل .
قال ابو عبيدة وخليفة بن الخياط وابن البرقي والجمهور : تزوجها سنة ست وقيل : سبع
قال القاضي عياض : وقال الجمهور : تزوجها بأرض الحبشة . والذي في مسلم هذا ، انه
زوجها ابو سفيان ، غريب جداً . وقال ابن حزم : هذا الحديث وهمٌ من بعض الرواة
لأنه لاخلاف من الناس ان النبي (ص) تزوج ام حبيبة قبل الفتح بدهر وهي بأرض
الحبشة ، وأبوها كافر . وفي رواية عن ابن حزم ايضا : انه موضوع وآفته عكرمة
بن عمار الى آخر كلام النووي .

وممن حكم بوضع الحديث عبدالقادر بن محمد بن محمد مصنف كتاب (الجواهر المضية في الطبقات الحنفية) قال في ج ٢ ص ٤٢٩ ، عند طعنه في كثير من أحاديث مسلم ، وأن مايقوله الناس ، إن من روى له الشيخان فقد جاز القنطرة . من التحنق قال : وقد روى مسلم عن أبي سفيان انه قال لابي ﷺ لما أسلم : يارسول الله اعطني ثلاثا : تزوج ابنتي ام حبيبة ، وابني معاوية اجعله كاتباً ، وأمرني ان اقاتل الكفار كما قاتلت المسلمين ، فأعطاه النبي (ص) ماسأله . والحديث مشهور ، وفيه من الوهم مالا يخفى .. إلى ان قال : وما حملهم على هذا كله إلا التعصب . وقد قال الحافظ الرشيد العطار : إن مسلماً لما وضع كتابه الصحيح ، عرضه على ابي زرعة الرازي فانكر عليه ، وقال : سميته الصحيح ، فجعلته سلما لأهل البدع وغيرهم ، فاذا روى لهم المخالف حديثاً يقولون : هذا ليس في صحيح مسلم ؟ ! فرحم الله ابا زرعة فقد نطق بالصواب ، فقد وقع هذا . إنتهى .

ومن مفتعلاتهم عناداً ما عن علي عليه السلام أنه قال : اول من يدخل من الامة الجنة أبوبكر وعمر . وإني لموقوف مع معاوية للحساب !! الخ وما عن ابي هريرة مرفوعا : الامناء عند الله ثلاث انا وجبرئيل ومعاوية !! ؟

تعصب البخاري ومسلم

قلت : ومن هنا انكرت الجماعة على الشيعة احاديث الغدير ، بحجة ان البخاري ومسلماً تركا احاديثه مع ان لها طرقاً كثيرة تتجاوز المئة (١) والشيعة بحمد الله منزهون عن الباطل والقول بغير الحق . ولذا تراهم يعتمدون في النص على امامة علي عليه السلام على المتواتر من احاديث المخالف . وهم ينقلون احاديث البكرية في امامة ابي بكر على سبيل المصادرة .

وقد استقصينا فرأينا أن المحدث من القوم كلما زاد في التعصب ورفض الحق زادت قدسيته تقربه عند أبناء الدنيا ، وكلما انصف واحد منهم في الحديث في فضائل أهل البيت عليهم السلام ، ازداد بعداً ورمياً بالرفض والتشيع . كالنسائي والحاكم النيشابوري ، وابن عقدة ، وأبي جعفر الطبري وأما البخاري فانما اثبتوا له عظيم المنزلة لتظاهره بمجانبة علي (ع) وسائر العترة الطاهرة ، ولانحرافه عنهم . ولذا كتم هو ومسلم بن الحجاج في صحيحيهما من مناقب امير المؤمنين (ع) ما هو المتواتر بين كافة اهل العلم ، وذكرا فيهما من السقطات في فضل غير علي (ع) ما قد عرفت حالها . وستعرف ايضا ما يأتيك من احاديثهما . فتركا ذكر احاديث الغدير ، وقد اخرجها الجم الغفير . وتركا ايضا من المتواتر أحاديث الاخاء ، واحاديث : (انا مدينة العلم وعلي بابها) واحاديث الطائر المشوي ، واحاديث الولاية ، واحاديث الانذار يوم الدار ، واحاديث الطهارة في علي (ع) واهل البيت ، واحاديث : (إني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي) واحاديث عزل ابي بكر عن تبليغ سورة البراءة ، واحاديث : (سدوا الابواب إلا باب علي) ، واحاديث (ستفترق امتي

---

(١) راجع الجزء الاول من كتاب « الغدير » للعلامة الاميني ، حتى تطلع على طرق هذا الحديث .

على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا فرقة واحدة) . كما استند ابن تيمية في منهاجه بعدم وجود الحديث في الصحيحين ، وإن أورده أهل السنن والمسانيد كأبي داود وابن ماجه وأحمد وغيرهم .

ولقد بلغ تعصب البخاري وانحرافه عن أهل البيت (ع) الى تركه الحديث عن الامام الطاهر جعفر بن محمد الصادق (ع) ، تبعاً لشيخه يحيى بن سعيد القطان . قال : الذهبي في (الكاشف والتذهيب) والعسقلاني في (التهذيب ج ٢ ص ١٠٣) انه قال يحيى القطان عن جعفر بن محمد . فقال : في نفسي منه شيء !! وقال الذهبي في (المغني) : جعفر بن محمد بن علي ثقة لم يخرج له البخاري . وقد وثقه ابن معين وابن عدى (١) . وأما القطان فقال : مجالدٌ احب إلي منه !

ومن افراط البخاري في التعصب روايته عن حريز بن عثمان الذي كان يلعن علياً (ع) كل يوم سبعين مرة ، وقد افترى على النبي ﷺ راوياً عنه انه قال لعلي : (أنت مني بمنزلة قارون من موسى) ! كما مر عليك من (تاريخ الخطيب ج ٨ ص ٢٦٨) . واعتماده في الرواية على عمران بن حطان الخارجي الذي مدح ابن ملجم قاتل أمير المؤمنين (ع) بقوله : (ياضربة من تقي ما اراد بها ... الى آخر الأبيات التي اشرنا اليها في ص ٢٧ من هذا الكتاب . ومع ذلك يرفض أن يروي عن الامام الصادق عليه السلام .

هذا ماعرفت من حال البخاري عن القطان . واما مجالد الذى هو احب فى نفس القطان من جعفر بن محمد (ع) ، فقال عنه الذهبي في (الميزان) : مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني مشهور صاحب حديث على لين فيه . قال ابن معين :

---

(١) اقول : ان الامام الصادق «ع» في غنى عن توثيق ابن معين وابن عدي واضرابهما بتوثيق الله ورسوله « ص » له قال تعالى : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) فأي توثيق أفضل من هذا ياأولى الالباب ؟

لايحتج به . وقال أحمد : يرفع كثيراً مما لا يرفعه الناس (يعني : يسند من الحديث الى النبي ﷺ مالا يسنده اليه غيره) ليس بشيء . وقال النسائي : ليس بالقوي وذكر الاشبح انه شيعي . وقال الدار قطني : ضعيف . وقال البخاري : كان يحيي ابن سعيد يضعفه ، وكان ابن مهدى لايروي عنه . وقال الفلاس : سمعت يحيى ابن سعيد يقول : لو شئت أن يجعلها لي مجالد كلها عن الشعبي عن مسروق عن عبدالله فعل . وقيل لخالد الطحان : دخلت فلم تكتب عن مجالد ؟ قال : لانه كان طويل اللحية . انتهى .

واشد من ذلك إفراطا ، تخريج البخاري ومسلم الحديث عن أبي هريره المقدوح على لسان عمر بن الخطاب ، وعائشة ، والزبير وغيرهم من الاصحاب وعن عمرو بن العاص ، وسمرة بن جندب ، ومغيرة بن شعبة ، وبسر بن أرطاة ، وعكرمة ، ونجدة الحروري ، وحريز بن عثمان ، وعمران بن حطان ففي (تهذيب التهذيب) للعسقلاني في ترجمة حريز ج ٢ ص ٢٣٨ ، انه روى عن النبي (ص) انه لما اراد أن يركب بغلته ، جاء علي بن أبي طالب فحل حزام البغلة ليقع النبي (ص)!!؟

البخاري وحديث « ماتركناه صدقة »

جاء في صحيحي البخاري ومسلم باسنادهما : أن فاطمة وعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما أرضه من فدك ، وسهمه من خيبر . فقال أبو بكر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لا نورث ماتركناه صدقة)

أقول : هذا خبر واحد ظني ولا يمكن أن يعارض به المتيقن من ضرورة الشرع في باب الأرث ومخالف لصريح القرآن في ارث البنت من عموم الآيات وخصوصها حتى في توريث الانبياء كما ستتلى عليك ، ولصريح كلام علي (ع) وفاطمة (ع) في كتابه الى عثمان بن حنيف الانصاري بقوله : (بلى كانت في أيدينا فدك . .

وفاطمة بنت رسول الله (ص) ليلة ، فقال : ألا تصليان ؟ فقلت : يارسول الله أنفسنا بيد الله ، فاذا شاء أن يبعثنا بعثنا . فانصرف رسول الله حين قلت له ذلك : ولم يرجع إلي شيئاً ، ثم سمعته يقول :— وهو مولّ يضرب فخذه — ﴿ وكان الانسان أكثر شيء جدلا ﴾ .

أقول : إن هذا الحديث مردود لوجهين :

أحدهما : من جهة المتن . لأن متنــه مناقض للقرآن ، فيطرح . لدلالة آية الولاية ، وآية المباهلة ، وآية التطهير ، مضافا الى السنه النبوية المتضمنة لكون علي (ع) نفس رسول الله (ص) وعدله وقرينه ونظيره وأخاه وظهيره ووزيره وانه الممتحن قلبه للايمان ، وكونه مع القرآن ، وعدل القرآن الى غير ذلك مما ستمر عليك أحاديثه بأوضح بيان ، وأقوى برهان ، اذ دلت على عصمة علي (ع) وفاطمة (ع) فساحتهما بريئة من هذه التهمة ، وان الكتاب والسنة ينزهانهما عن هذه التخرصات الشائنة .

ومن حــديث الشيخين في الصحيحين قال النبي (ص) : (تكثر لكم الاحاديث من بعدي ، فاذا روى لكم حديث فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافقه فاقبلوه ، وما خالفوه فردّوه) .. الحديث .

وثانيهما : الاختلال في سند الحديث ، فالذي رواه البخارى في باب قوله : (وكان الانسان اكثر شيء جـدلا) فى طريقـه : (عتاب بن بشير) . ففي (تهذيب التهـذيب) في الترجمة ج ٧ ص ٩١ ، انه روى بأخره أحاديث منكرة . وقال الآجري : عن أبي داوود ، سمعت أحمد يقول : تركه ابن مهدي بآخره . قال: رأيت أحمد كف عن حديثه . وقال الساجي : عنده منا كير . وقال النسائي : في كتاب (الجرح والتعديل) : ليس بالقوي .

القدح في اسماعيل بن اويس

والذي رواه في باب : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ (١) من أبواب المشيئة والارادة ، في طريقه (اسماعيل بن اويس) . ففي (تهذيب التهذيب ج ١ ص ٣١٠) وكذلك في (الميزان للذهبي) : انه ضعيف العقل ، لايحسن الحديث ، ولا يعرف أن يؤديه ، وأنه وأباه ضعيفان . وعن إبن معين : أن ابن اويس وأباه يسرقان الحديث .

وعن يحي : أنه مخلط ، يكذب ، ليس بشيء . وقال النسائي : ضعيف وانه غير ثقة . وقال ابن عدي : روى عن خاله أحاديث غرائب لايتابعه عليها أحد وقال الدولابي : في الضعفاء . سمعت النضر بن سلمة المروزى يقول : ابن اويس كذاب ، وعن يحي بن معين : أنه يسوى فلسين . وقال الدار قطني : لااختاره وذكره الاسماعيلي فى المدخل فقال : كان ينسب في الخفة والطيش إلى ما أكره ذكره . وقال ابن حزم في (المحلى) : قال أبو الفتح الأزري : حدثني سيف بن محمد أن ابن أبي اويس كان يضع الحديث . وعن سلمة بن شبيب : سمعت اسماعيل ابن أبي اويس يقول : ربما كنت اضع الحديث لأهل المدينة اذا اختلفوا في شيء فيما بينهم . وهذا هو الذي بان للنسائي منه حتى تجنب حديثه وأطلق القول فيه بأنه ليس بثقة . . الخ .

القدح فى الزهري راوي الخبر

تنطق كتب التراجم بأن الزهري كان من اتباع بني امية ، ومعتمديهم في سلطانهم .

قال ابن خلكان في (وفيات الاعيان ج ١ ص ٤٥١) : لم يزل الزهري

---

(١) البقرة ١٨٥ .

مع عبدالملك ، ثم مع هشام ، وكان يزيد بن عبدالملك قد استقضاه . الخ . وفي ﴿ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ج ٧ ص ٤٥١ ﴾ : أن الزهري كان يروي عن عمر بن سعد قاتل الحسين . وانه عنده ثقة . قال ابن معين : كيف يكون من قتل الحسين ثقة ؟ . وفيه ، في ترجمة الأعمش : أن الاعمش فقير صبور مجانب للسلطان ، ورع عالم بالقرآن . والزهري يرى العرض والاجازة ، ويعمل لبني امية . انتهى . فالحديث اذن من مختلقات عهد الامويين على لسان أحد صنائعهم ودعاتهم .

قال ابن أبي الحديد في ﴿ شرح النهج ج ١ ص ٣٧٠ ﴾ : كان الزهري من المنحرفين عن علي (ع) ، قال : وروى جرير بن عبدالحميد عن محمد بن شيبة قال : شهدت مسجد المدينة ، فاذا الزهري وعروة بن الزبير جالسان يذكران علياً فنالا منه (١) فبلغ ذلك علي بن الحسين فجاء حتى وقف عليهما فقال : أما انت ياعروة ، فان أبي حاكم أباك إلى الله فحكم لأبي على أبيك . وأما انت يازهري فلو كنت في مكة ، لأريتك بيت أبيك !! انتهى .

وقد اشتبه الامر علي القسطلاني فقال في (ارشاد الساري شرح البخاري) : إن حديث تحريض النبي ﷺ علياً وفاطمة (ع) للصلاة . الى زين العابدين من أصح الاسانيد واشرفها . انتهى .

أقول : انه كذلك الى زين العابدين . ولكن الآفة والبلاء فيمن بعد زين العابدين (ع) وهو الزهري الكاذب المعاند لعلي (ع) والمتملق لاعدائه كما هو الظاهر مما عرفناك به .

---

(١) يعني سباه وشتماه .

الزهري مدلس

قال الذهبي في ﴿ ميزان الاعتدال ﴾ في الترجمة : محمد بن مسلم الزهري الحافظ الحجة كان يدلس في النادر . انتهى . وقال الذهبي ايضا في ﴿ تذكرة الحفاظ ﴾ قال قدامة السرخسي :

قال يحيي بن سعيد : مُرسل الزهري شر من مرسل غيره ، لانه حافظ قدر أن يسمي سمّى ، وإنما يترك من لا يستجيز أن يسميه . انتهى . وعن سبط ابن العجمي الحلبي في كتاب ﴿ التبيين لاسماء المدلسين ﴾ قال : محمد بن شهاب الزهري الامام العلم المشهور ، مشهور به ،اي بالتدليس. وعن تاج الدين السبكي في (صدرطبقات الشافعية) عند ذكرحديث كل امرذي بال المروي عن الزهري قال : الزهري كان كثير الارسال ، بل ربما أرسل ثم أفصح باسناد لا يُقبل . من اجل ذلك أهدر الامام المطلبي — أي الشافعي — مرسلاته . انتهى . وعن عبدالعزيز ابن أحمد البخاري في كتابه ﴿ كشف الاسرار في شرح اصول البزودي ﴾ عند ذكره من يروي عن المجروحين ، قال : وأرسل الزهري ، فقيل له : من حدثك بهذا ؟ فقال : رجل على باب عبدالملك بن مروان . انتهى . وفي ﴿ تذكرة الحفاظ ﴾ للذهبي ، في ترجمة نافع بالاسناد الى يونس بن يزيدقال : قال نافع :من يعذرني من زهريكم ؟ياتيني فأحدثه عن ابن عمر ثم يذهب الى سالم ، فيقول : سمعت هذا من ابيك ؟ فيقول : نعم ، فيحدث به عن سالم ، ويدعي والسياق من عندي . انتهى . وفي ﴿ عمدة القاري، شرح البخاري ﴾ في كتاب العلم ، عن عبدالله بن عمر قال : كنت ارى الزهري ياتيه الرجل بالكتاب لم يقرأه ولم يقرأ عليه فيقول : أرويه عنك ؟ فيقول: نعم. انتهى . ونحوه عن الذهبي في ﴿ تذكرة الحفاظ ﴾ في ترجمة الزهري .

الجواب عن اعتراض ابن المهلب

قد علمت أنه ليس في الحديث — على فرض صحته — ما يدل على ان علياً (ع) لم يصل بعد أن أيقظه النبي (ص)، وانما اعتذر بغلبة النوم حسب ماصرح به شُرّاح البخاري . قال ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري شرح البخاري » في جواب اعتراض ابن المهلب على أمير المؤمنين (ع) حيث قال المعترض : لم يكن له أن يدفع مادعاه النبي ﷺ اليه من الصلاة .. الخ فأجابه : من اين لابن المهلب القول بأن علياً لم يمتثل مادعاه اليه رسول الله ﷺ ، وليس في القضية تصريح بذلك وإنما أجاب علي بما ذكر اعتذاراً عن ترك القيام بغلبة النوم . ولا يمتنع أنه صلى عقيب هذه المراجعة ، وليس في الخبر ماينفيه . انتهى . وقال القسطلاني فى (ارشاد السارى شرح البخارى ج ٣ ص ١٩٩) : إن قوله ﷺ : « وكان الانسان اكثر شيء جدلا » قاله تسليما لعذره ، وانه لا عتب عليه . وقال ابن بطال : ليس للإمام أن يشدد في النافلة ، فانه (ص) قنع بقوله : أنفسنا بيدالله ، فهو عذر في النافلة لا في الفريضة .

قلت : إن ذلك عذر في الفريضة ايضا ، ففي « البخاري وصحيح مسلم ج ٢ ص ٣٨ » من باب قضاء الصلاة الفائتة ، فى حديث عن ابن أبي هريرة ، وفي آخر عن أبي قتادة ، وفي ثالث عن عمران ابن حصين : أن رسول الله ﷺ سار باصحابه الليلة حتى اذا كان وجه الصبح عرّسوا (١) فنام رسول الله ﷺ واصحابه فلم يستيقظ النبي ﷺ ولا احد من اصحابه حتى ضربتهم الشمس ، ثم توضأ النبي ﷺ فصلى بهم الصبح ، فلما قضى الصلاة قال : « من نسي الصلاة فليصلها اذا ذكرها » . انتهى .

---

(١) اي نزلوا من السفر للاستراحة ثم يرتحلون .

ومن حديث علي المتقي في ﴿ منتخب كنز العمال ﴾ المطبوع على هامش « مسند أحمد ج ٣ ص ٢٢٦ » عن أبي قتادة : سرنا مع رسول الله ﷺ ونحن فى سفر ذات ليلة ، فقلنا : يارسول الله لو عرست بنا . فقال : إني أخاف أن تناموا عن الصلاة ، فمن يوقظنا ؟ فقال بلال : أنا يارسول الله ، فعرّس القوم واضطجعوا ، واستند بلال الى راحلته فغلبته عيناه (١) ، واستيقظ رسول الله ﷺ — وقد طلع حاجب الشمس — فقال : يا بلال اين ماقلت لنا ؟ فقال : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق ، ما القيت علي نومة مثلها قط . فقال (ص) : إن الله قبض أرواحكم حيث شاء ، وردها اليكم حين شاء . ثم أمرهم فانتشروا لحاجتهم وتوضأوا وارتفعت الشمس فصلى بهم الفجر . ش . وأبو الشيخ في الأذان . إنتهى .

ومن حديث الدولابي في « الكنى والقاب ج ٢ ص ٤٥ » عن الشعبي عن أنس بن مالك قال : كنت مع رسول الله (ص) ، فقال : من يكلؤنا(٢) فقلت : أنا . فنام ، ونام الناس ، ونمت . فلم استيقظ إلا بحر الشمس . فقال رسول الله (ص) : ﴿ يا أيها الناس ، إن هذه الارواح عارية في أجساد العباد فيقبضها اذا شاء ، ويرسلها إذا شاء . فاقضوا حوائجكم على رسلكم ﴾ . فقضينا حوائجنا على رسلنا وتوضأنا وتوضأ النبي (ص) ثم صلى ركعتي الفجر قبل الصلاة ثم صلى بنا . انتهى .

قوله (ص) : ﴿ إن هذه الارواح عارية .. الخ ﴾ نظير قول أمير المؤمنين (ع) إنما انفسنا بيد الله تعالى . في الحديث السابق . وفيه دلالة واضحة على انه لاعتب على علي (ع) ولا على النبي (ص) ولا على الاصحاب فى ترك الصلاة وتأخيرها عن وقتها لغلبة

(١) اي نام .
(٢) أي : يحرسنا .

النوم . فذاك عذر شرعي مسموع في ترك الفريضة فضلا عن النافلة .

انكارهم الولاية لآل أبي طالب (ع)

ومن مفتعلات البخاري ومسلم ، ما في « شرح النهج لابن أبي الحديد المعتزلي ج ١ ص ٢٥٨ » عن الصحيحين عن عمرو بن العاص قائد الفئة الباغية ، ومؤسس كل فتنة ، قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : « إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء ، إنما وليي الله وصالح المؤمنين » انتهى .

وقال ايضا في « ج ٣ ص ١٥ من الشرح » : إن عمرو بن العاص رواه تقربا الى قلب معاوية . وقال « فيه في ص ١١٨ » نقلا عن النقيب أبي جعفر : أن الحديث افتعله واختلقه عمرو بن العاص على رسول الله (ص) فجعلوا ذلك كالناسخ لقوله (ص) : (من كنت مولاه فهذا علي مولاه) قال : قلت للنقيب : أيصح النسخ في مثل هذا ؟ أليس هذا نسخا للشيء قبل تقضي وقته ؟ فقال : سبحان الله ! من اين تعرف العرب هذا ؟ وأنى لها أن تتصوره فضلا عن أن يحكم بعدم جوازه ؟ فهل يفهم حذّق الأصوليين هذه المسألة ، فضلا عن حمقى العرب ؟ هؤلاء قوم ينخدعون بأدنى شبهة ، ويستمالون بأدنى سبب ... وهم أصحاب جهل وتقليد ، لا أصحاب تفصيل ونظر . انتهى .

قلت : مضافا الى ذلك ، اليس جعفر الطيار (ع) من صالح المؤمنين ؟ وكذلك علي أمير المؤمنين (ع) وكذلك السبطان الحسن والحسين (ع) ؟ فكيف ينسب الى رسول الله صلى الله عليه وآله نفي ولاية هؤلاء ؟ فالحديث مفتعل لامحالة . وليس ذلك بأعظم من إكراه بني أمية الناس على لعن علي (ع) وشتمه والبراءة منه ، وعقد الولاء لهم حتى صار ذلك من العقائد فمن لم يوالهم كان ضالا .

ومما يؤيد اختلاق هذا الحديث ، هو تصريح المولوي الشاه عبدالعزيز الدهلوي

في حاشية كتاب (التحفة الاثنى عشرية) عند مبحث حديث : (من كنت مولاه فهذا علي مولاه) قائلا : قال النواصب خذلهم الله : هذا الخبر على فرض صحته منسوخ بما صح في الصحاح أن رسول الله ﷺ قال : (إن آل أبي طالب ليسوالي بأولياء ، إنما ولي الله وصالح المؤمنين) . انتهى .

فرية خطبة علي « ع » ابنة أبي جهل

في (البخاري) في كتاب النكاح ، باب ذب الرجل عن ابنته في الغيرة وفي كتاب الطلاق باب الشقاق من حديث استيذان بني المغيرة أن ينكحوا إبنتهم علياً بن أبي طالب ، وقول النبي ﷺ : (لا آذن ، ثم لا آذن . فانما فاطمة بضعة مني ، يريبني مارابها ويؤذيني ما آذاها) إنتهى .

أقول : إن هذا الخبر كذب وافتراء ، اريد بها إدخال النقص على علي (ع) كما اعتمد عليها ابن تيمية في (منهاجه) في القدح في علي (ع) . وكيف يتوهم وقوع الشقاق بينه (ع) وبين فاطمة (ع) في أمر التزويج حتى يقدم النبي ﷺ على الاصلاح بينهما بالنهي عن تزويج ابنة عدو الله ؟ وعلي (ع) هو العارف بالأحكام لقوله (ص) : (انا مدينة العلم وعلي بابها) كما مر . ومعلوم عنده أن الاقدام على امر ينجر الى الشقاق والبغضاء بينه وبين ابنة رسول الله ﷺ حرام شرعاً . وهو عليه السلام مجتنب عما يوجب ذلك . لأنه معصوم عن كل رجس ، وكذلك فاطمة (ع) معصومة فلا تشكوا علياً عند أبيها . ولا يحدث منها ما يوجب البغضاء . فكل منهما من آيات ربها الكبرى . ولأجل ما ذكرنا ذهب العسقلاني في (فتح الباري شرح البخاري) قائلا : ولا أزال أتعجب من مسور بن مخرمة ، الذي هو راوي الحديث عن النبي ﷺ كيف بالغ في تعصبه ، ولم يراع خاطره في أن ظاهر سياق الحديث غضاضة على علي بن أبي طالب . حيث اقدم على خطبة بنت ابي جهل على فاطمة (ع)

حتى اقتضى من النبي (ص) في ذلك من الانكار ماوقع . انتهى .

قلت : إن حديث اقدام علي (ع) على نكاح ابنة أبي جهل حتى أوجب — بزعمهم — توجه العتاب عليه ، موضوع خارج عن معتقد الامامية . وإن في الحديث من همزات الشياطين . قال امير المؤمنين (ع) في خطبته كما في (النهج) (١) « ولقد كذب على رسول الله (ص) على عهده حتى قام خطيباً فقال : « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » ، وانما اتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس : رجل منافق مظهر للايمان ، متصنع بالاسلام ، لايتأثم ولا يتحرج (٢) ، يكذب على رسول الله (ص) . فلو علم الناس انه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدقوا قوله ، ولكنهم قالوا : صاحب رسول الله (ص) رءآه وسمع منه ، ولقف عنه فيأخذون بقوله . وقد اخبرك الله عن المنافقين بما اخبرك ، ووصفهم بما وصفهم به لك ، ثم بقوا بعده — عليه وآله السلام — فتقربوا الى أئمة الضلالة ، والدعاة الى النار بالزور والبهتان . فولوهم الاعمال ، وجعلوهم حكاماً على رقاب الناس ، فأكلوا بهم الدنيا . وإنما الناس مع الملوك والدنيا ، إلا من عصم الله . . الخ

ثم انه لاغضاضة على علي (ع) في ظاهر الأمر بعد تجويز الكتاب والسنة تعدد الزوجات ، وإنما كان تحريم الجمع بين فاطمة (ع) وبين غيرها حكما خاصاً جاء به رسول الله (ص) ، ولم يعرفه علي (ع) الى ذلك الحين . وبعد ما اطلع عليه ، إمتثل أمره ، وخرج عن عهدته فلا عتاب عليه أصلا بالضرورة من الشريعة . وإنما الغضاضة والعتب واللوم ، على من عرف الحكم العام من قول النبي (ص) : (فاطمة بضعة مني ، يريبني مارابها ، ويؤذيني ما آذاها) ومع ذلك ظلمها وآذاها حتى ماتت

---

(١) الجزء الثاني ، ص ٢١٤ .

(٢) لايتأثم : اي لايخاف ، ولا يتحرج : اي لايخشى الوقوع في الحرج .

وهي واجدة عليه (١) كما في الصحيحين ، فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت .

أحاديث غير صحاح في «الصحيحين» (٢)

منها : مافي كتاب النكاح ، باب تزويج الصغار من الكبائر ، ماروواه عروة قال : إن النبي (ص) خطب عائشة الى أبي بكر ، فقال له أبو بكر : إنما انا أخوك . فقال : أنت أخي في دين الله وكتابه ، وهي لي حلال .

قال العسقلاني في « فتح الباري ، حاكياً عن مغلطاوي بن فليح الحنفي شارح البخاري » : في صحة هذا الحديث نظر . لأن الخلة لأبي بكر إنما كانت بالمدينة ، وخطبة عائشة كانت بمكة ، فكيف يلتئم قوله : إنما أنا أخوك ؟

أقول : وتفصيل هذا الاجمال ، هو أن الموجب للحرمة بضرورة الشرع إنما هي الأخوة النسبية والرضاعية ، وهي منتفية . والأخوة العامة المدلول عليها بقوله تعالى : « إنما المؤمنون اخوة » إنما وقعت بالمدينة ، وخطبة عائشة وقعت بمكة . فكيف يعتذر أبو بكر بقوله : أنا أخوك ؟ مضافا إلى أن هذه الاخوة ليست مانعة عن المزاوجة . ألم يسبق أبا بكر نكاح رسول الله (ص) خديجة ، ونكاح المسلمين من المسلمات بعضهم بعضاً ؟ أو لم يكف إقدام النبي (ص) لنكاح عائشة دليلا على الجواز وقاطعاً لعذر أبي بكر . إذن هذا من موارد الخطأ لأبي بكر ، أو أن المفتعل

(١) راجع (ارشاد الساري في شرح البخاري) ج ٨ ص ١٥٧ ، تجد حديث غضب فاطمة (ع) على أبي بكر حتى ماتت .

(٢) تسالم الجمهور من اهل السنة على ان جميع الاحاديث الواردة في كتب الصحاح الستة كلها صحيحة من حيث السند « في اصطلاح المحدثين » ولا يوجد فيها ماهو ضعيف او مجهول ، أو غير صحيح ، ولا سيما في صحيحي البخاري ومسلم . ولكن المتتبع الباحث فيها ، يجد الأكثرية الساحقة منها ساقطة عن الاعتبار ، لانها من منتحلات الكذابين والوضاعين ، حسب ماصرح بذلك علماء التراجم في شأن رواتها . وستقف في غضون هذا الكتاب « في مختلف اجزائه » على امثلة كثيرة من ذلك .

للحديث لم يدر كيف يفتعل فاراد المدح باثبات الاخوة التي لاتخص بأحد من المسلمين وقد انكر ابن تيمية في ﴿ منهاجه ج ٤ ص ٩٧ ﴾ الأخوة بين شخص وعدله .

وقال : إن الصحيحين بمعزل عنها . وعليه فمن اراد اثبات الاخوة الدينية الخاصة بين اشخاص الاصحاب فلا محيص له : إما عن تصديق الصحيحين في نفي الاخوة الخاصة ، كما قاله ابن تيمية . وإما تصديق بقية الأحاديث المعتبرة المتضمنة لكيفية عقد الاخاء بين أفراد المهاجرين والانصار . فالناظر فيها يرى أن هذه الطائفة من الاحاديث صريحة في عقد الاخوة بين النبي (ص) وبين أمير المؤمنين (ع) خاصة .

حديث خوخة أبي بكر (١)

ومنها : مافي (البخاري ، في كتاب الصلاة ، باب الخوخة والمر في المسجد ﴾ عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) : ليس في الناس أحد آمن عليّ في نفسه وماله من أبي بكر ، ولو كنت متخذاً من الناس خليلا ، لأتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن خلة الاسلام أفضل . سدوا عني كل خوخة إلا خوخة أبي بكر .

وفي حديث آخر من كتاب المناقب من البخاري عن النبي (ص) : سدوا الابواب إلا باب أبي بكر . ابن عباس عن النبي (ص) .

قلت : إن حديث الخوخة — لو صح — فهو خبر واحد ظني لايقاوم المتواتر القطعي من أحاديث : « سدوا الأبواب إلا باب علي (ع) التي رواها الفريقان من العلماء ، بل ومن الصحابة بما يوجب القطع واليقين بكلام النبي (ص) في حق علي (ع) فمن الأصحاب : —

(١) الخوخة : كوة تؤدي الضوء الى البيت .

١ — زيد بن أرقم ، روى عنه أحمد في (مسنده ج ٤ ص ٢٦٩)، النسائي في « الكبرى » ، والحاكم في « مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٢٥ » وقال : إن الحديث صحيح على شرط الشيخين . والضياء المقدسي في (المختارة)، وابن حجر الهيتمي في « الصواعق ص ٧٦ » .

٢ — وعبدالله بن عمر ، روى عنه أحمد في « المسند ج ٢ ص ٢٦ » ، وابن المغازلي في « المناقب » ، والنسائي بسند صحيح صرح به السيوطي في ﴿ اللآلي المصنوعة ج ١ ص ١٨١ ﴾ ، وأخرجه الكلاباذي في « معاني الأخبار » ، والمحب الطبري في ﴿ الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٢ ﴾ ، وابن حجر العسقلاني في ﴿ فتح الباري ج ٧ ص ١٢ ﴾ ، وعلي المتقي في ﴿ كنز العمال ج ٦ ص ٣٩١ ﴾ ، وابو نعيم في ﴿ حلية الأولياء ﴾ .

٣ — وعمر بن الخطاب ، روى عنه الحاكم فى ﴿ المستدرك ج ٣ ص ١٢٥ ﴾ والسيوطي في ﴿ الخصائص الكبرى ج ٢ ص ٢٤٣ ﴾ والخوارزمي فى ﴿ المناقب ص ٢٦١ ﴾.

٤ — وعلي بن أبي طالب ، أخرج حديثه الحلبي في ﴿السيرة ج ٣ ص ٣٧٤﴾ والمتقى الهندي فى ﴿ كنز العمال ج ٦ ص ٤٠٨ ﴾ .

٥ — وسعد بن أبي وقاص ، روى عنه النسائى فى ﴿ الخصائص ص ١٣ ﴾ والطبرانى فى ﴿ الاوسط ﴾ ، وأبو نعيم فى ﴿ فضائل الصحابة ﴾ ، وابن مردويه والترمذي ، والبيهقى فى ﴿ السنن ﴾ ، والعسقلانى فى ﴿ فتح الباري ج ٧ ص ١١ ﴾ والقسطلانى فى ﴿ ارشاد الساري ج ٧ ص ٣٢٧ ﴾ ، والعيني فى ﴿ عمدة القاري ج ٧ ص ٥٩٢ ﴾ ، وابن كثير فى ﴿ البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٤٢ ﴾ . قال القسطلانى : وقد وقع فى حديث سعد بن أبي وقاص عند أحمد والنسائى باسناد قوي ، أمر رسول

الله ﷺ بسد الأبواب الشارعة فى المسجد ، وترك باب علي . وفى رواية الطبرانى فى الاوسط برجال ثقات ، من الزيادة : فقالوا يارسول الله ، سددت أبوابها ؟ فقال ما أنا سددتها ولكن الله سدها . ونحوه عند أحمد والنسائى والحاكم ، ورجاله ثقات عن زيد بن أرقم .

٦ — وابن عباس ، وزاد : فكان يدخل وهو جنب وليس له طريق غيره رواه أحمد والنسائي ورجاله ثقات ، ونحوه من حديث :

٧ — جابر بن سمرة ، عند الطبراني . وبالجملة ، فهي - كما قال ابن حجر - أحاديث يقوي بعضها بعضاً ، وكل طريق منها صالح للاحتجاج فضلا عن مجموعها . إنتهى ، وقال ابن أبي الحديد في « الشرح ج ٣ ص ١٧ » : إن حديث سد الابواب كان لعلي (ع) فقلبته البكرية إلى أبي بكر .. الخ

أقول : ومن الشواهد على هذا التحريف والقلب الذي صرح به ابن أبي الحديد ، أن عمر بن الخطاب وابنه عبدالله جعلا سد الابواب وفتح باب علي (ع) من خصائصه (ع) كما عرفت ، فلو كان مثله ثابتا لأبي بكر لشهدا به ، لاسيما مع توفر الدواعي عليه في العصر الاول ، ولقد عرفت نهوض الصحابة بالشهادة لعلي(ع) دون غيره .

ومن حديث ابن عباس ما أخرجه عنه الطبراني والترمذي في « صحيحه ج ٢ ص ٢١٤ » والنسائي في « الخصائص ص ١٣ » والكلاباذى ، واحمد وأبو نعيم ، وابن المغازلي .

٨ — ومن حديث جابر بن عبدالله الانصاري ، ما أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد ج ٧ ص ٢٥٠ » وأخطب الخوارزمي في (المناقب) ، وعلي المتقي في « كنز العمال ج ٦ ص ٢٩٨ » ، والكنجى الشافعي في « كفاية الطالب ص ٨٧ » وابن منيع في مسنده ، صرح بالأخير السيوطي في « اللآلي ج ١ ص ١٨٢ »

٩ — ومن حديث أبي سعيد الخدري ، أخرجه عنه الترمذي في « جامعه ج ٢ ص ٢١٤ » وابن مردويه ، والحاكم في « المستدرك ج ٣ ص ١١٣ » .

١٠ — ومن حديث سعد بن مالك ، روى عنه أحمد في (المسند) ، وأبو نعيم في « فضائل الصحابة » كما في « اللآلي المصنوعة للسيوطي ج ١ ص ١٨٢ » .

١١ — ومن حديث أنس بن مالك ، ما أخرجه عنه العقيلي ، كما قاله السيوطي في « اللآلي ج ١ ص ١٨٢ » ولم يعقبه بشيء ولا غيره .

١٢ — ومن حديث البراء بن عازب ، أخرجه عنه ابن كثير الدمشقي في « البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٤٢ » ، وأخرج حديثه وحديث — ١٣ — حذيفة ابن أسيد ، ابن المغازلي الشافعي في (المناقب) .

١٤ — ومن حديث علي بن الحسين عليهما السلام ، عن أبيه (١) عن جده (ع) أخرجه البزاز وأبو نعيم في «الفضائل» حسبما صرح به السيوطي في « اللئالي المصنوعة ج ١ ص ١٨١ » .

١٥ — ومن حديث بريدة الاسلمي ، ما أخرجه عنه الحمويني في « فرائد السمطين فى الباب ٢١ » وابو نعيم في « الفضائل » .

١٦ — ومن حديث عبدالله بن مسعود ، ما أخرجه عنه الحمويني في (الفرائد) وأبو نعيم في (فضائل الصحابة) مصرحاً به السيوطي في (اللآلي ج ١ ص ١٨٢) .

١٧ و ١٨ — ومن حديث عائشة ، وأم سلمة ، على ما في (اللئالي ج ١ ص ١٨٣) ، أخرجه الحافظ عبدالغني بن سعيد في « ايضاح الاشكال » ، وابن أبي شيبة في (مسنده) والبيهقي في (سننه) ، وكذلك الحمويني في (فرائد السمطين).

فهؤلاء الصحابة ، مع اتفاق أهل العلم والمعرفة بالحديث ، وصحة طرقه عندهم ،

(١) يهمنا من ذكر هذا الحديث استناده الى احد افراد الصحابة ، وهو مولانا الحسين ابن علي (ع) اما حديث علي (ع) فقد مر عليك برقم (٤) .

رووا عن النبي صلى الله عليه وآله أنه أمر بسد الأبواب إلا باب علي (ع) (١) إذن فما في حديث البخاري من الامر بسد الأبواب إلا باب أبي بكر، مختلق مكذوب على على رسول الله صلى الله عليه وآله، يشهد بذلك تصريح الخطيب بأن الحديث عن أنس وَهْمٌ حكى ذلك عنه السيوطي في اللآلي ج ١ ص ١٨٢.

ثم إن هذا الحديث فيه تحريف، اعني تبديل (الخوخة) بـ «الباب» والخوخة: هي الكوة التي تؤدي الضوء إلى البيت كما في الصحاح والقاموس. ومع هذا التحريف والتبديل المنافي لصحة الحديث، ففي اسناده — حسب ما أخرجه البخاري في باب مناقب أبي بكر — فليح بن سليمان.

قال النسائي في كتاب «الضعفاء»: إنه ليس بالقوي. وقال الذهبي في «الميزان» في ترجمة فليح بن سليمان المدني: أحد العلماء الكبار، وقد قال ابن معين وأبو حاتم والنسائي: ليس بالقوي. وقال أبو حاتم: سمعت معاوية بن صالح: سمعت يحيى بن معين يقول: فليح بن سليمان ليس بثقة ولا ابنه. ثم قال أبو حاتم كان ابن معين يحمل على محمد بن فليح. وروى عثمان بن سعيد عن يحيى: فليح ضعيف. وروى عباس عن يحيى: لايحتج به. وقال عبدالله بن أحمد: سمعت ابن معين يقول: ثلاثة يتقى حديثهم: محمد بن طلحة بن مصرف، وأيوب بن عتبة، وفليح بن سليمان. وقال الساجي: وأصعب مارمي به، ما ذكر عن ابن معين عن أبي كامل قال: كنا نتهمه لانه كان يتناول من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ..الخ

وقال ابن حجر في (تهذيب التهذيب) في الترجمة: قال عثمان الدارمي: ما أقرب فليحا من أبي أويس! وقال الدوري عن ابن معين: ليس بالقوي ولا يحتج بحديثه. وقال ابو حاتم: ليس بقوي، وقال الآجري: قلت لأبي داود:

---

(١) والاستثناء يدل على العموم - كما في اصطلاح الاصوليين - فلو كان باب أبي بكر ايضا مستثنى لما صح عموم الامر بسد الابواب، وترك باب علي (ع) وحده.

أبلغك أن يحيى بن سعيد كان يقشعر من أحاديث فليح ؟ قال : بلغني عن يحيى بن معين قال : كان أبو كامل مظفر بن مدرك يتكلم في فليح . قال أبو كامل : كانوا يرون أنه يتناول رجال الزهري . وقال الآجري : قال ابن معين : عاصم بن عبيدالله ، وابن عقيل ، وفليح لا يحتج بحديثهم . وقال الحاكم أبو أحمد : ليس بالمتين عندهم . وقال ابن أبي شيبة : قال علي بن المديني : كان وأخوه عبدالحميد ضعيفين . وقال البرقي عن ابن معين : ضعيف وهم يكتبون حديثه ويشتهونه . وقال الرملي عن داود : ليس بشيء . وقال الطبري : ولاه المنصور على الصدقات ، لأنه كان أشار عليهم بحسن بن حسن لما طلب محمد بن عبدالله بن الحسن . وقال ابن القطان أصعب ما رُمي به ما روي عن يحيى بن معين عن أبي كامل قال : كنا نتهمه لأنه كان يتناول أصحاب النبي ﷺ الخ .

القدح في سند حديث الخوخة

ثم ان الحديث الأول للبخاري المتضمن للفظ الخوخة في سنده : عكرمة ، وهو ممن طعن فيه بالكذب والزندقة ، اذ كان يرى رأي الاباضية والحرورية . صرح بذلك ابن خلكان في « وفيات الاعيان ج ١ ص ٥٧٤ » والذهبي في (الميزان في ترجمته ج ٢ ص ٢٠٨) ، وفي (تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٠) ففي الميزان : قال يحيى بن سعيد الانصاري : إن عكرمة كذاب ، وإن علي بن عبدالله بن عباس جعل عكرمة موثوقاً بباب الكنيف . فقيل له : أتفعل هذا بمولاك ؟ قال : إن هذا الخبيث يكذب على أبي وعن المسيب أنه كذب عكرمة . وعن محمد بن سيرين ، في عكرمه قال : مايسوؤني أن يكون من أهل الجنة ، ولكنه كذاب . وقال مطرف بن عبدالله: سمعت مالكاً يكره أن يذكر عكرمة ولا يرى أن يروى عنه . وعن خالد بن عمران قال : كنا بالمغرب وعندنا عكرمة في وقت الموسم ، فقال : وددت أن بيدي حربة

فاء.ترض بها من شهد الموسم يميناً وشمالا . وقال الذهبي فى (المغنى) فى الترجمة : إن عكرمة أتهم برأى الخوارج. كذبه مجاهد وابن سيرين ومالك. وفى (تذكرة الحفاظ) وقد تكلم في عكرمة بأنه على رأي الخوارج ، ومن ثم أعرض عنه الامام مالك ومسلم وفي (الميزان) : أنه وقف عكرمة بباب المسجد وقال : مافيه إلا كافر . وكان يرى رأى الأباضية . وإن الخوارج الذين هم بالمغرب عنه أخذوا . وقال مصعب الزبيرى: كان عكرمة يرى رأي الخوارج ، فطلبه متولي المدينة ، فتغيب بالمدينة عند داود بن الحصين حتى مات عنده .. الخ

وقال ابن حجر في (تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٢٦٣) في ترجمة عكرمة ، قال ابن لهيعة عن أبي الأسود : كان عكرمة قليل العقل خفيفاً ، قال : وكان يحدث برأي نجدة ، وكان أول من أحدث في اهل المغرب رأي الصفرية ، وان الخوارج الذين بالمغرب عنه أخذوا . وقال عطا : كان أباضياً . وعن سعيد بن المسيب أنه كان يقول لغلامه برد : يابرد لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس . وعن عثمان بن مرة : قلت للقاسم : إن عكرمة مولى ابن عباس قال : كذا وكذا . فقال: يا ابن أخي إن عكرمة كذاب ، يحدث غداة حديثا يخالفه عشية . ونقل الاسماعيلي في « المدخل » ان عكرمة ذُكر عند أيوب وأنه لايحسن الصلاة ، قال أيوب : أو كان يصلي ؟! ومن طريق هشام بن عبدالله المخزومي : سمعت ابن أبي ذيب يقول : كان عكرمة غير ثقة . . الخ

ثم إن في طريق حديث الحوخة ، جرير بن حازم . قال الذهبي في ﴿ الميزان ﴾ في ترجمته : إن لجرير عن قتادة أحاديث منكرة . وأنه قال البخاري ربما يهم في الشيء وقال عبدالله بن أحمد : سألت يحيي عن جرير بن حازم . قال : ليس به بأس . فقلت : إنه يحدث عن قتادة عن أنس بمنا كير . فقال : هو عن قتادة ضعيف .

وفي ﴿ تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٧٠ ﴾ في الترجمة ، قال مهنا عن احمد :

جرير كثير الغلط . وقال ابن حبان في ﴿ الثقات ﴾ : كان يخطىء لأن أكثر ما كان يحدث من حفظه. وقال الساجي : حدث بأحاديث وَهَم فيها وهي مقلوبة. قال: قال أحمد: جرير بن حازم حدث بالوهم بمصر ولم يكن يحفظ . وقال الأزدى : جرير صدوق خرج عنه أحاديث مقلوبة ، ولم يكن بالحافظ . قال ابن حجر : ونسبه يحيي الحماني الى التدليس . إنتهى .

ثم إن البخاري أخرج حديث الخوخة من وجه آخر في صحيحه من الجزء الخامس من باب هجرة النبي ﷺ واصحابه الى المدينة ، وفي اسناده ، اسماعيل بن عبدالله بن أويس بن مالك . وقد اعلمناك سابقاً مافيه من القدح والجرح حسب ماأفاده الذهبي في ميزان الاعتدال ، وابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب في ترجمته ، وأنه محدث مكثر فيه لين . وان ابن معين قال : إنه وأباه يسرقان الحديث . وان النضر بن سلمة قال : إنه كذاب . وقال الدار قطنى : لا أختاره . وفي ﴿التهذيب﴾ : إن اسماعيل إرتشى من تاجر عشرين ديناراً حتى باع له على الأمير ثوبا يساوي خمسين بمئة . . الخ

وقال العيني في ﴿ عمدة القاري شرح البخاري ﴾ في صدر كتابه في الفائدة السابعة : وأما اسماعيل ابن أبي أويس فأنه أقر على نفسه بالوضع . وقال ابن معين : لايساوي فلسين . هو وأبوه يسرقان الحديث ، وقال النضر بن سلمة : إنه كذاب .

معاوية وجرائمه على الاسلام

إن من أعظم ما اصيب به الاسلام ، استيلاء اعدائه عليه . لاسيما بنو أمية الذين كانوا أول من حارب هذا الدين ، وخاصة أبو سفيان رئيس الأحزاب ، وابنه معاوية ، حيث كانا من أول المكذبين لرسول الله ﷺ والجاحدين بنبوته والمكافحين لدعوته . وما اسلموا إلا فى فتح مكة خوفاً من السيف بعد مايئسوا من

الدعوة الى الوثنية ، ومن نعرات الجاهلية . فكانوا من الطلقاء الذين دخلوا فى الدين كرهاً لاطوعاً . وكان المسلمون يعرفون دخائلهم وجرائمهم على الاسلام .

فلما انتقل اليهم الحكم وسلمت لهم الزعامة ، وجهوا طرفاً من سياستهم ، الى تغطية نقائصهم وعيوبهم ، وتمويه الحقائق على العوام ، وبث الدعاية الكاذبة لأنفسهم . تثبيتا لعروشهم ، وتقويماً لسلطانهم . وبذلوا في ذلك اقصى الجهود ، وانفقوا أموالا طائلة في سبيل اختلاق الروايات المكذوبة على لسان الرسول ﷺ ولعبوا في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كيف ما يشتهون .

وقد عظم البلاء على عهد معاوية ابن ابي سفيان . واليك امثلة من تسويلاته وعبثه بالدين .

ففي ﴿ صحيح مسلم باب فضائل أبي سفيان ج ٧ ص ١٧١ ﴾ عن عكرمة بن عمار عن ابي زميل ، عن ابن عباس قال : كان المسلمون لاينظرون الى ابي سفيان ولا يقاعدونه فقال : يانبي الله ، ثلاث أعطنيهن . قال : نعم . قال : احسن العرب واجمله ام حبيبة ازوجكها . قال : نعم . قال : ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك . قال : نعم . قال : وتأمرني اقاتل الكفار كما كنت اقاتل المسلمين . قال : نعم . قال ابو زميل : ولولا انه طلب ذلك من النبي (ص) ما أعطاه ذلك لانه لم يكن يسأل شيئاً إلا قال : نعم . إنتهى .

أقول : لم يرد الوضاعون بالحديث إلا رضاء النبي ﷺ بصيرورة معاوية كاتبا لما يوحى اليه (ص) ولا يخفى أن الحديث مطعون فيه سنداً ومتناً . وقد كذبه الاعلام من اهل العلم وأئمة الحديث . فمنهم الذهبي في ﴿ الميزان ﴾ في ترجمة عكرمة ابن عمار . قال يحيي القطان : احاديثه عن يحيي بن ابي كثير ضعيفه .

وقال احمد بن حنبل : ضعيف الحديث . وقال البخاري : لم يكن له كتاب ، فاضطرب حديثه عن يحيي . وقال احمد : احاديثه عن يحيي ضعاف ليس بصحاح .

وايضا في (الميزان) في الترجمه قال : وفى صحيح مسلم قد ساق له أصلا منكراً عن سماك الحنفي عن ابن عباس في الثلاث التي طلبها ابو سفيان ! وفي (تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٦١) : عكرمة بن عمار عن أبي زميل . قال عبدالله بن أحمد بن حنبل عن ابيه : مضطرب الحديث ، وكان يحيي بن سعيد يضعفه .

وقال البخاري: مضطرب في حديث يحيي بن أبي كثير ، ولم يكن عنده كتاب وقال أبو حاتم : كان صدوقاً وربما وهم في حديثه وربما داس . وقال اسحاق بن احمد بن خلف : كان عكرمة كثير الغلط ينفرد عن أياس باشياء ..الخ

وقال ابن القيم فى (زاد المعاد في هدى العباد) : إن حديث عكرمة في الثلاث التي طلبها ابو سفيان من النبي (ص) غلط ظاهر لاخفاء به . قال ابو محمد بن حزم : هو موضوع بلا شك ، كذبه عكرمة بن عمار . قال ابن الجوزي : هذا الحديث وهمٌ من بعض الرواة لاشك فيه ولا تردد ، وقد اتهموا به عكرمة بن عمار لأن أهل التواريخ أجمعوا على أن أم حبيبة كانت تحت عبيدالله بن جحش ولدت له وهاجر بها الى ارض الحبشة ثم تنصرّ وثبتت ام حبيبة على إسلامها ، فبعث رسول الله ﷺ الى النجاشي يخطبها فزوجه إياها ، وأصدقها عن رسول الله (ص) صداقا ، وذلك فى سنة سبع من الهجرة . وجاء ابو سفيان في زمن الهدنة ودخل عليها فثنت فراش رسول الله ﷺ حتى لايجلس عليه . ولا خلاف أن أبا سفيان ومعاوية أسلما فى فتح مكة سنة ثمان . وايضا فى الحديث انه قال : وتأمرني حتى اقاتل الكفار كما كنت اقاتل المسلمين فقال : نعم . ولا يعرف انه (ص) امر ابا سفيان ألبته . انتهى .

وقال النووي فى (شرح صحيح مسلم المطبوع في هامش كتاب ارشاد الساري للقسطلاني ج ١١ ص ٣٦٠) : إعلم أن هذا الحديث من الاحاديث المشهورة بالاشكال . ووجه الاشكال أن أبا سفيان إنما أسلم يوم فتح مكة سنة ثمان من الهجرة

إن ابن عمر لا يرضى أن يفضل علياً على عثمان ولا على بقية الاصحاب ، وهذا اجتهاد منه ، يناقضه وينفيه اجماع الصحابة والتابعين على خلافه ، إذ أجمعوا بعد مقتل عثمان على بيعته ، وبايعوه على انه أفضلهم واحقهم بالامامة ، وفيهم بقية العشرة المبشرة ، والبدريين ، وأهل بيعة الشجرة ، وفرضوا على انفسهم وجوب طاعة علي (ع) وفدوا نفوسهم دونه في حرب الجمل وصفين والنهروان ، وكانوا مستمرين في الذب عنه في حياته وبعد شهادته (ع) .

وممن طعن فى حديث ابن عمر ، ابن عبد البر القرطبي فى كتاب (الاستيعاب) قال : من قال بحديث ابن عمر : (كنا نقول في عهد رسول الله (ص) : ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ، ثم نترك فلا نفاضل) هو الذي انكره ابن معين وتكلم فيه بكلام غليظ ، لان القائل بذلك قد قال بخلاف ما اجتمع عليه أهل السنة من الخلف والسلف من أهل الفقه والاثر : أن علياً (رض) أفضل الناس بعد عثمان . هذا مما لم يختلفوا فيه وانما اختلفوا في تفاضل علي وعثمان ، واختلف السلف أيضاً في تفضيل علي وأبي بكر وفي اجماع الجميع الذي وصفناه دليل على أن حديث ابن عمر وَهمٌ وغلط .. الخ

وفي ﴿ الاستيعاب ﴾ ايضا : أنه روى عن سلمان وأبي ذر والمقداد وعمار وحذيفة ، وخباب وابي سعيد الخدري وزيد بن أسلم أن هؤلاء فضلوا علياً على غيره انتهى .

فرية مجادلة علي ((ع)) للنبي ﷺ في أمر الصلاة

أورد البخاري ، في تحريض النبي (ص) على صلاة الليل والنوافل ، وفي باب قوله : ﴿ وكان الانسان اكثر شيء جدلا ﴾ من كتاب التفسير ، وفى باب الاعتصام بالكتاب والسنة . من الحديث عن الزهري قال : أخبرني علي بن الحسين أن حسين بن علي أخبره أن علي بن ابي طالب قال : إن رسول الله ﷺ طرقه

رحم امه . وذلك قوله تعالى : ﴿ وشاركهم في الاموال والاولاد ﴾ (١) انتهى .

مفتعلات البخاري في قدح أمير المؤمنين ((ع))

إن البخاري ممن اشتهر بانحرافه عن أمير المؤمنين (ع) وسائر أهل البيت عليهم السلام (٢) ومن يتتبع كتابه ، يجد لذلك أمثلة كثيرة ، من ذكره لروايات أورد فيها الغمز والطعن على علي (ع) . أما عند ذكر فضائله ومناقبه (ع) فتراه ملجماً محجماً ، متعمداً تركها أو ذكر النادر اليسير منها ، ومع ذلك يبتر قسماً منها ، أو يحورها ويحرفها كيفما يشاء .

فمن مفتعلاته في قدح علي (ع) مارواه في ﴿ صحيحه ، باب مناقب عثمان ﴾ عن ابن عمر أنه قال : كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً ثم عمر ثم عثمان ، ثم نترك أصحاب النبي لا نفاضل بينهم ... الحديث .

أقول : وسيأتيك إنشاء الله ذكر انحراف ابن عمر عن علي والحسن والحسين عليهم السلام ، وأنه ترك بيعة علي (ع) لاعن عذر ، ثم بادر الى بيعة يزيد بن معاوية وأمر أولاده وغلمانه ببيعته كما في ﴿ صحيح البخاري ، باب كيف يبايع الامام الناس ﴾ وفي الصحيح من الخبر : ﴿ أن من رضي بامام باطل فقد كفر ﴾ أما علم ابن عمر من قوله تعالى : ﴿ ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ﴾ (٣) وقوله تعالى : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ (٤) وقوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ (٥) عدم جواز عقد البيعة ليزيد رأس الفجور ؟

---

(١) أسرى - ٦٤ .

(٢) ولعل ذلك هو السبب في اعتماد القوم على كتابه ، وتمسكهم برواياته الى حد الاسراف

(٣) هود - ١٠٤ .

(٤) البقرة - ١٢٤ .

(٥) التوبة - ١٢٠ .

وقومه آية الجنة ﴾ ... الحديث وأخرج الخطيب البغدادي في ﴿ التاريخ ج ١٠ ص ٣٥١ ﴾ ، والمحب الطبري في ﴿ الرياض النضرة ج ٢ ص ١٧٧ ﴾ وابن حجر الهيتمي في ﴿ الصواعق ص ٧١ ﴾ عن أبي بكر انه قال لعلي (ع) : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ﴿ إن على الصراط لعقبة لا يجوزها أحد إلا بجواز من علي بن أبي طالب ﴾ انتهى .

٣ — وما رواه الجزري في ﴿ أسنى المطالب ص ٨ ﴾ عن الخدري قال : كنا معشر الانصار نبور (١) أولادنا بحبهم علياً ، فاذا ولد فينا مولود فلم يحبه عرفنا انه ليس منا . وروى ابن أبي الحديد في ﴿ الشرح ج ١ ص ٣٧٣ ﴾ عن أبي مريم الانصاري عن علي (ع) قال : لايحبنى كافر ، ولا ولد زنا . وفي ﴿ فرائد السمطين للحموبين ﴾ عن أنس عن النبي (ص) قال : ﴿ لايبغض علياً من العرب إلا دعي ﴾ ومن حديث الشيخ عبدالرحمن الصفورى الشافعي في ﴿ نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٠٨ ﴾ عن أنس ، أن النبي (ص) أمر أصحابه يوم خيبر أن يمتحنوا أولادهم بحب علي بن أبي طالب . قال أنس بن مالك : فكان الرجل بعد ذلك يقف على طريق علي (رض) ويقول : يابني أتحب هذا ؟ فان قال : نعم ، قبله . وإن قال : لا ، طلق أمه وتركه معها . وفي ﴿ الرياض النضرة ج ٢ ص ١٨٩ ﴾ عن النبي (ص) قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين : ﴿ لايحبكم إلا سعيد الجد طيب المولد ، ولا يبغضكم إلا شقي الجد رديء المولد ﴾ .

وأخرج الخطيب في ﴿ التاريخ ج ٣ ص ٢٩٠ ﴾ حديثين مشتملين على إراءة ابليس نفسه للنبي (ص) حال الصلاة كالفيلة ، ونهوض علي (ع) ليقتله ، فقال ابليس : مالي ولك يابن أبي طالب ؟ والله ما أبغضك أحد إلا وقد شاركت أباه في

(١) أي نمتحنهم .

كنت عند النبي (ص) إذ أقبل علي (ع) والعباس فقال : (يا عائشة ، هذان يموتان على غير ملتي) !!

وفي رواية اخرى عن عائشة قالت : كنت عند رسول الله ﷺ إذ أقبل العباس وعلي فقال : ياعائشة ، إن سرك أن تنظري إلى رجلين من اهل النار ، فانظري الى هذين قد طلعا . فنظرت فاذا العباس وعلي بن أبي طالب !! انتهى .

وسيأتيك ماينبئك على مخالفة هذه الرواية المختلقة للواقع ، لما اجمع الفريقان على إكبارهم عليا والعباس .

علي «ع» آية الحق وآية الجنة وآية طيب الولادة

١ — عن أبي سعيد الخدري قال النبي ﷺ : « الحق مع ذا ، الحق مع ذا » يعني علياً (ع) ، رواه علي المتقي الهندي في (الكنز ج ٦ ص ٣٦٠) ، وأبو يعلى والضياء المقدسي .

ومن حديث الترمذي في « جامعه ج ١٣ ص ١٦٦ » وابن كثير الشامي في « البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٦٠ » والحاكم في (المستدرك) ، والذهبي في « التلخيص ج ٣ ص ١٢٥ » والسيوطي في « الجامع الصغير ج ٢ ص ١٩ » ، عن النبي ﷺ قال : « رحم الله علياً ، اللهم أدر الحق معه حيثما دار » ، وفي « مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٥ » من قول النبي ﷺ : « علي مع القرآن والقرآن معه ، لايفترقان حتى يردا علي الحوض » . وهو ايضا من حديث السيوطي في (تاريخ الخلفاء ص ٦٣) .

٢ — الحديث المروي في « منتخب الكنز ط ، ع ، ه ، ند لأحمد ، ج ٥ ص ٢٤٩ » : أن النبي ﷺ قال لعمرو بن الحمق الخزاعي : « ياعمرو أتحب أن اريك آية الجنة ؟ » قال : نعم يارسول الله . فمر علي (ع) ، فقال (ص) : « هذا

وفي « شرح ابن ابي الحديد ج ١ ص ٣٦١ » : ان معاوية بذل لسمرة بن جندب مئة الف درهم كي يروي عن النبي « ص » انه نزل في علي « ع » قوله تعالى: « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على مافي قلبه وهو ألد الخصام ، واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد » (١) وانه نزل في ابن ملجم قوله تعالى : « ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد » (٢) فلم يقبل منه ، فبذل له مئتي الف فلم يقبل ، فبذل له ثلاث مئة فلم يقبل ، فبذل له اربع مئة فقبل وروى ذلك .

اقول : سمرة بن جندب ممن لعنه عمر بن الخطاب فيما اخرجه الامام احمد في « المسند ج ١ص ٢٥ » واخبر النبي «ص» جماعة من الصحابة « فيهم سمرة بن جندب» ان آخرهم موتاً في النار ، فكان سمرة آخرهم موتاً ، رواه ابن كثير الدمشقي في « البداية والنهاية ج ٦ ص ٢٢٦ » والجلال السيوطي في « الخصائص الكبرى ج ٢ ص ١٤٤ » ، وفي « الطبري ج ٥ ص ١٣٢ » : ان سمرة استخلفه زياد على البصرة فقتل ثمانية آلاف ، وفيه عن ابن سواد العدوي قال : قتل سمرة بن جندب في غداة سبعة واربعين رجلا جمعوا القرآن ، وفي « شرح المعتزلي ج ١ ص ٣٦٣ » : إن سمرة شهد مقتل الحسين (ع) وانه كان على شرطة ابن زياد في الكوفة ، وكان يحرض الناس على الخروج الى قتال الحسين (ع) . . . الخ وذكر الشيخ عبد الحق الدهلوى في « رجال المشكاة » في الترجمة : سمرة بن جندب صحابي مشهور كان على رأي الحرورية والخوارج ومن قاربهم في مذهبهم . الخ

ومن تلك المفتعلات الكاشفة عن النصب والعناد ، مافي (الشرح المعتزلي ج ١ ص ٣٥٨) : انه روى الزهري عن عروة بن الزبير قال : حدثني عائشة قالت:

(١) البقرة : ٢٠٤ و ٢٠٥ .
(٢) البقرة : ٢٠٧ .

تنقيصهم شأن علي (ع) بالكذب

في الشرح لابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٥٩ : أنه روى الاعمش أنه لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة ، جاء الى مسجد الكوفة ، فلما رأى كثرة من أستقبله من الناس ، جثا على ركبتيه ، ثم ضرب صلعته مراراً ، وقال : يا أهل العراق ، أتزعمون أني اكذب على الله وعلى رسوله وأحرق نفسي بالنار ؟ والله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن لكل نبي حرما ، وإن حرمي بالمدينة مابين عير إلى ثور فمن أحدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) . واشهد بالله ان علياً أحدث فيها . فلما بلغ معاوية قوله أجازه واكرمه وولاه إمارة المدينة . انتهى .

اقول : وفي الحديث الصحيح عن النبي « ص » : (من اعان ظالماً ليدحض بباطله حقاً ، فقد بريء من ذمة الله وذمةرسوله) رواه ابو نعيم في « حلية الأولياء ج ٥ ص ٢٤٨ » . وفي « كنز العال » للمتقى الهندي الحنفي ، في كتاب العلم « ج ٥ ص ٢٣٩ » : ان عمر بن الخطاب كان يقول لابي هريرة : لتتركن الحديث عن رسول الله « ص » اولألحقنك بارض دوس . ونحوه الحديث عن عمر في منتخب الكنز المطبوع في الهامش من « المسند لأحمد ج ٤ ص ٦١ » ، وذكر ابن قتيبة في كتاب « تأويل مختلف الحديث » ص ٥٢ : ان ابا هريرة كان يكذبه عمر وعثمان وعلي وعائشة ، وكانت عائشة اشدهم انكاراً عليه وفي « تاريخ ابن كثير الدمشقي » عند ذكره وفاة ابي هريرة عن الزبير بن العوام ، انه إذا كان ابو هريرة يحدث ، كان يقول : كذب . وقال لابنه عروة : يابني إن ابا هريرة يضع الحديث .. انتهى (١)

(١) وان اردت المزيد فعليك بمراجعة كتاب « ابو هريرة » لآية الله شرف الدين تجد فيه ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين .

وسيد الفصحاء من الأولين والآخرين .

ومثل هذه الدعاوى في الغرابة ، ومخالفة الضرورة ، إنكاره في (ص ١٦٣) كون علي (ع) اشجع البرية ، وقال في (ص ١٦٤) : لاريب أن أبا بكر أشجع من عمر ، وعمر أشجع من علي ، وعثمان وأبو بكر باشرا الأهوال . . الخ

أقول : بل عمر أشجع من أبي بكر ، لأنه قهر علياً الذي قاتل الابطال في الوقائع كلها ، يوم هجومه بأصحابه على داره (ع) بعد وفاة النبي (ص) لأخذ البيعة منه لابي بكر ، مهدداً إياه باحراق داره عليه وعلى زوجته فاطمة (ع) إن لم يبايع (١) فأخرج علياً الى بيعة أبي بكر قهراً ، وأخذ السيف من يد الزبير وضرب به الحجر فانكسر . فأنى لأبي بكر مثل هذه الشجاعة الباهرة ؟ !

ولكن الرجل — بالرغم من شجاعته هذه — فرّ هو وصاحبه يوم أحد ، ويوم خيبر ، ويوم حنين ولم يفر أمير المؤمنين (ع) ، وقد أحجما عن مبارزة عتبة وشيبة والوليد يوم بدر ، اذ طلبوا البراز ، وكذلك يوم الخندق ، اذ لم يبرز الى عمرو بن عبد ودّ غير علي « ع » فقتله وأتى برأسه الى رسول الله ﷺ وماذكرناه مجملا إنما هو لبيان أن الخصم قد يلجئه العجز الى مصادمة الوجدان ، والدعوى بلا برهان .

---

(١) وقد نظم ذلك شاعر النيل حافظ ابراهيم المصري بقوله :

وقولة لعلي قالها عمر … أكرم بسامعها ، أعظم بملقيها
أحرقت دارك لا ابقي بها احد … ان لم تبايع — وبنت المصطفى فيها —
ماكان غير أبي حفص يفوه بها … أمام فارس عدنان وحاميها

وان أردت التفصيل فراجع كتاب « الامامة والسياسة » لابن قتيبة ، ص ١٥ وما بعدها .

والخصم لايقنع بزعمة عارية عن الدليل ، سيما مع انهما توقفا في المراد بالكلالة من الآية (١) .

وأغرب من الكل دعواه في (ص ١٣٧) أن علياً تعلم من أبي بكر بعض السنة ، وأبو بكر لم يتعلم من علي ... الخ ، وهذا الكلام اشبه بالخيال منه الى الحقيقة . نعم ، إن الثابت المحقق متواتراً ، أن علياً وفاطمة (ع) والعباس ، لم يصدقوا أبا بكر في روايته : « نحن معاشر الانبياء لانورث ، ماتركناه صدقة » .

ومن غرائبه انكاره في (ج ٤ ص ١٥٨) كون علي أفصح الناس وأخطب الناس ، وادعاؤه أن عمر أخطب الناس ، وأبو بكر اخطب منه ، وكانت عائشة من أخطب الناس ، وكان زياد بن أبيه من اخطب الناس !!

أقول :

إذا وصف الطائي بالبخل مادر ... وعير قساً بالفهاهة باقل
فيا موت زر إن الحياة ذميمة ... ويانفس جدي إن سبقك هازل

أفي مثل علي (ع) يقال هذا ، وهو سيد البلغاء بعد الرسول ﷺ ؟ وقدوة الفصحاء في تاريخ المسلمين ؟ أم أي خطابة لهؤلاء الذين ذكرهم ، حتى يقال : إنهم خطباء ؟ ! أم أي دعوى تسمع من غير حجة أو برهان ؟ وخطابات علي (ع) وكلماته في النصائح والحكم والمواعظ ، مع اشتمالها على أقصى مراتب الفصاحة والبلاغة — بعد القرآن — مشهورة مشهودة .

دونك كتاب (نهج البلاغة) ومستدركاته ، حيث تراه « القرآن الثاني » — إن صح التعبير — او كما قيل فيه : (هو فوق كلام المخلوق ، ودون كلام الخالق) ، وحسبه دليلا قاطعاً على كونه صلوات الله عليه ، أخطب الصحابة اجمعين ،

---

(١) راجع المجلد السادس والسابع من كتاب الغدير لعلامة الحجة المجاهد الاميني لاسيما فصل (نوادر الاثر في علم عمر) تجد فيهما بلغتك من هذا الموضوع .

اكل علي (ع) مع النبي ﷺ ليس فيه شأن عظيم فان إطعام الطعام مشروع للبر والفاجر (١).

وانكر كون علي (ع) اعلم الناس بعد رسول الله (ص) وانكر ايضا قوله (ع) (سلوني قبل ان تفقدوني) وان الصحابة كانت ترجع اليه. فقال في (المنهاج ج ٤ ص ١٣٥): إن اعلم الناس بعد رسول الله ﷺ ابو بكر وعمر وقال في (ص ١٥٩) إن علياً لم يقل: سلوني، في المدينة بين اظهر الصحابة، وانكر في (ص ١٦١) رجوع الصحابة الى علي (ع)، وقال: إن عمر لم يقل: لولا علي لهلك عمر.

وستعلم عن حجج وافية قاطعة، ان علياً (ع) اعلم الصحابة وافضلهم لما ثبت متواتراً من قول النبي ﷺ: (انا مدينة العلم وعلي بابها، فمن اراد المدينة فليأت الباب).

ومن غرائب ماجاء به ابن تيمية، احتجاجه لعلم ابي بكر بما لا يكاد يحتج به عاقل على خصمه، قال في (ص ١٦٣ من الجزء الرابع من منهاجه): إن الصديق قام بامور من العلم والفقه عجز عنها عمر .. الخ

ولم يبين من علم ابي بكر غير هذه الدعوى، وهي لاتدل على البراعة في العلم، لقول الشاعر:

ألم تر أن السيف يزرى بحقه　　إذا قيل: هذا السيف خير من العصى

واغرب منه احتجاجه لعلم عمر برواية: (لو لم ابعث فيكم لبعث عمر)؟! وانت ترى ان مثله يطالب بالحجة على صدق الحديث — ودون اثباته خرط القتاد —

---

(١) غفل الرجل عن انه لم يدع أحد أن محض «الاكل» وحده فيه فضيلة لعلي (ع) انما الفضيلة العظمى تثبت من دعائه (ص): (اللهم ائتني بأحب الخلق اليك يأكل معي من هذا الطير) فأكل معه علي (ع) واصبح بذلك أحب الخلق الى الله. فلا تغفل.

وانكر ايضا في (منهاجه ج ٤ ص ٢٨) كون آية المودة دالة على وجوب مودة ذي القربى من أهل بيت رسول الله ﷺ، قل : وإنما تدل على وجوب رعاية القرابة التي بين النبي ﷺ وبين قريش .

وهذا خلاف ما أجمعوا عليه من نزول الآية في علي وفاطمة والحسنين عليهم السلام كما روى ذلك ابن حجر الهيتمي في (الصواعق ص ١٠٤) عن احمد ، والطبراني ، وابن أبي حاتم والحاكم ، ورواه المحب الطبري في (ذخائر العقبى ص ٢٥) ، والشبلنجى فى (نور الابصار ص ١٠١) ، قال : رواه الامام ابو الحسن البغوي في تفسيره عن ابن عباس ، ورواه الفخر الرازي فى (التفسير الكبير ج ٧ ص ٣٨٩) عن الكلبي عن ابن عباس ، ورواه الزمخشري فى (الكشاف) عند تفسيره الآية . وممن روى الحديث فى نزول الآية فى أقرباء النبي ﷺ محمد بن طلحة الشافعي فى (مطالب السؤل ص ٨) وابن الصباغ المالكي فى (الفصول المهمة ص ١٢) والكنجى الشافعي فى (كفاية الطالب ص ٣١) . والغرض من الاطالة إعلام ان ابن تيمية انكر فى منهاجه فضيلة ثابتة لأمير المؤمنين (ع) مع بذل الجهد فى ذلك بما لا يرجع الى محصل فى مثل هذا العصر .

وانكر ايضا فى (منهاجه ج ٤ ص ٧٥) احاديث الاخاء . قائلا : إن احاديث المؤاخاة بين المهاجرين بعضهم مع بعض وكذلك الانصار كذب !! والنبي لم يؤاخ عليا ولا آخى بين ابى بكر وعمر ، ولا بين مهاجري .. الخ وستعرف بطلان كلامه ، محض إنكار ومكابرة ، جحود وعناد . (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم) (١) وان احاديث المؤاخاة متواترة فى كتب الفريقين .

وانكر ايضا فضل علي (ع) في باب احاديث الطير المشوى . زاعما ان

(١) النمل : ١٤ .

سواه. مضافا الى لزوم لغوية الاستثناء بإلا ، وإخراج النبوة من عموم المنزلة ، مع العلم أن حرف الاستثناء يستعمل لاخراج مالولاه لدخل.

وكذلك مثل انكار ابن حزم ايضاً القصاص من قاتل أمير المؤمنين (ع) كما عرفت من كتاب (المحلى) ، وكذلك إنكاره كون ابن ملجم أشقى الأولين والآخرين ، مع أن النصوص بذلك مستفيضة ، كما ستعرفها انشاء الله.

وانكر القوم دلالة قول النبي ﷺ يوم الغدير في علي (ع) : (من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه) على خلافته (ع) بعده. وحملوه — بعد قبوله — تارة على مابعد زمان عثمان ! وأخرى جعلوه من الاحاديث المجملة ، لكثرة معاني المولى من غير قرينة. ولم يعلموا أن قبول الحديث يناقضه حمله على ولاية العهد بعد عثمان ، إذ لا وجه في خلافة من تقدم على علي بعد النص عليه (ع). وأما كونه من الاحاديث المجملة فمستحيل ، للزوم اللغو على رسول الله ﷺ في ذلك المشهد التاريخي العظيم المنقطع النظير. فذلك طعن على النبي ﷺ إذ أتى بلفظ مجمل لم يفهمه اصحابه ، بل يسرى الطعن على الاصحاب ايضا حيث سمعوا من النبي ﷺ ما اعترفوا به ، ولم يفهموا معناه ، ولم يسألوا عنه والنبي معهم يحدثهم ويحدثونه ، ويخاطبهم ويخاطبونه.

منكرات ابن تيمية

وقد انكر ابن تيمية في (منهاجه ج ٤ ص ٢٠) دلالة آية التطهير (١) على طهارة اهل البيت (ع) عن الرجس ، مدعياً أن ارادة الله تعالى لاتتضمن وقوع المراد فالآية آمرة بالتطهير عن كل رجس .. الخ. لكنك ستقف على بطلانه.

---

(١) وهي قوله تعالى : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » الاحزاب ٣٣٦.

من هو أجل ، ويتوصلوا بالاعتراض عليه إلى الأعلم الافضل . فتساهلوا فيها سداً لهذا الباب ، وجعلوها جنة وإن كانت من أخشاب ، ومزجوا السقيم مع الصحيح من غير تتبع ولا تصحيح . . إلى أن قال : الانسان — بمقتضى الطبع البشري — مجبول على أن ينصر نفسه في مقام الجدال ، ويذب ما يرد عليه من خصمه في ميدان النضال . لاسيما إذا كان يفضي الى انحلال عقائد الجهال . فتراه مع وفور علمه ، ومسلم تقواه ، اذا اورد عليه خصمه ماتدفع دعواه ، من الحجج والبراهين ، لابد وأن يميل بها في الغالب عصبيته الى التوهين . واذا روي له رواية مؤيدة لدعوى خصمه وهي محتملة للتصحيح ، لايذهب أولا إلا إلى تضعيفها وتأويلها بوجه غير صحيح ، وهو إذا اراد أن يدفع دعوى خصمه ، تراه يأتي بما يعلم ضعفه وتأويله ، مدعياً تصحيحه وتعديله .. إلى أن قال : وهذا شيء رأيناه في تأليفات بعض العلماء المتبحرين ، والمجادلين المتأخرين . فتراهم -مع سعة إطلاعهم- يلتزمون تصحيح الضعيف، وتضعيف الصحيح . ويجعلون في كلام خصمهم ، الحسن شاذاً ، والغريب موضوعا والموصول مقطوعاً ، والنص مؤولا ، والمقطوع به محتملا ، وما يقصدون بذلك إلا الغلبة ، ونصرة الحق ، ودرأ الباطل بمقتضى اجتهادهم ... الى آخر كلامه .

أقول : ولذلك شواهد ، قولا ورواية . أما الاقوال فمثل ماجاء به ابن حزم الأندلسي في كتابه (الفصل فى الملل والنحل ج ٤ ص ٧٨) من انكاره دلالة قول النبي ﷺ لعلي : (أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا انه لانبي بعدي) على ثبوت الفضيلة لعلي (ع) . قال : لان علياً نزل منزلة النبي ﷺ في القرابة ... الخ .

وقد عزب عنه أن القرابة لم تكن تخص علياً (ع) ، بل يشاركه فيها غير من أقربائه ﷺ فلا يكون حينئذ معنى لكلامه (ص) وتخصيصه علياً بهذه المنزلة دون

وفي (تذكرة خواص الأمة) للسبط ابن الجوزي ، عن الشعبي — وهو من أعاظم التابعين — باسناده إلى أمير المؤمنين (ع) — وقد سئل عن سبب اختلاف الناس فى الحديث — فقال : الناس أربعة : منافق مظهر للايمان لايتأثم ولا يتحرج كذب على النبي ﷺ متعمدا ، فلو علم الناس لما أخذوا منه ، ولكنهم قالوا : صاحب رسول الله ﷺ فأخذوا بقوله ، ثم إنهم عاشوا بعده فتقربوا الى أئمة الضلال والدعاة الى النار بالزور والبهتان ، فولّوهم الاعمال ، وجعلوهم على رقاب الناس ، فأكلوا بهم الدنيا .. الحديث .

أقول : ومن أشنع ما اختلقوه في ذلك ، في مدح معاوية قولهم — افتراءاً على الله وعلى رسوله ﷺ — : (الامناء عندالله ثلاثة : أنا ، وجبرئيل ، ومعاوية)! فقرنوا رسول الله ﷺ وجبرئيل بمعاوية ، زعيم الفئة الباغية ، سود الله وجوههم في الدارين . راجع كتاب (اللآلي المصنوعة ، في الاحاديث الموضوعة ، لجلال الدين السيوطي ج ١ ص ٢١٧) عند ذكره هذا الحديث المختلق ورفضه بجميع رجال سنده ، وكذلك راجع (الميزان) للذهبي ج ١ ص ٢٣٣ .

اسباب وضع الحديث

قال السيد نعمان الآلوسى في (صادق الفجرين) في الفصل الثاني عشر ، المعقود لبيان السبب فى وضع الحديث ، ماهذا نصه : إن العلماء الذين ألفوا في الذب عن الصحابة الكرام (رض) ولا سيما عن معاوية بن أبي سفيان لما رأوا الشبه التي تعرض في القدح بالاصحاب للعامة ولكثير ممن ليس له تضلع بالعلوم ، أكثروا من نقل الاحاديث التي ذكرت في الكتب ، وتضمنت مناقبهم ، من غير تحر وتتبع لصحتها والطعن في رواتها ، إعتماداً على تخريج مؤلفيها ، وحسن الظن بمخرجيها ، وسداً لباب الطعن في الصحابة ، ولا سيما معاوية ، خوفاً من أن يسري الأمر الى

مفتعلاتهم في علي (ع) بغضا وعنادا

إنك اذا راجعت كتب الجماعة في الحديث وفي الامامة ، رأيت إكثارهم في المكابرات بلا حجة ، بل تراهم ذاهبين إما إلى وضع الحديث ، او الى تضعيف الصحيح بالتأويل فيه ، أو في رفضه وعدم قبوله ، والموجب له التعصب المذهبي ، ونصرة النفس ، أو طلب المال أو الجاه ، ولذلك وضعوا الحديث معارضة لما صح عن النبي ﷺ في علي (ع) بل أضافوا على ذلك واختلقوا أحاديث تدل ـ بزعمهم ـ على خلافة المشايخ الثلاثة بالنص .

ثم إن المروانية من الجماعة ، ودعاة الدولة الأموية غالوا في بغض علي (ع) ورووا أحاديث في تنقيصه . قال المعتزلي في (شرح النهج) (١) أنه روى المدايني في كتاب (الاحداث) انه كتب معاوية بن أبي سفيان الى عماله بعد عام الجماعة ، وكان من كتابه اليهم : أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل بيته ، والذين يروون فضائله ومناقبه فأدنوا مجالسهم ، وأكرموهم وأكتبوا إليّ بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته . ففعلوا ذلك حتى اكثروا في فضائل عثمان ، لما يبعثه اليهم معاوية من الصلاه والقطائع ، فليس يجيء أحد بخبر منرور إلا صار عاملا من عمال معاوية ، ولا يروي في عثمان فضيلة إلا كتب اسمه وقربه فلبثوا بذلك حيناً . ثم كتب إلى عماله : إن الحديث في عثمان قد كثر ، فادعوا الناس الى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء ، ولا يتركوا خبراً يرويه احد من المسلمين في أبي تراب إلا وأتوني بمناقض له في الصحابة . فرويت اخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لاحقيقة لها ، وجد الناس في رواية مايجري هذا المجرى ، حتى اشادوا بذلك على المنابر . انتهى .

(١) ورواه ايضا السيد محمد بن عقيل في كتابه (النصائح الكافية لمن يتولى معاوية ص ٧٢) .

ينالان من علي (ع) في مسجد رسول الله ﷺ كما سيأتي في ترجمة عروة في مطاعن الصحابة والتابعين .

حفيت أظافير فلان من تسلقه على ازواج النبي !؟

ذكر الذهبي في « ميزان الاعتدال » وابن حجر العسقلاني في « لسان الميزان ج ٣ ص ٢٩٣ » كلاهما في ترجمة عبدالله بن سليمان بن أشعث السجستاني أبي بكر بن أبي داود ، قال ابن عديّ : سمعت محمد بن الضحاك بن عمرو ابن أبي عاصم يقول : أشهد على محمد بن يحيي بن منده بين يدي الله سبحانه ، انه قال : أشهد على أبي بكر ابن أبي داود بين يدي الله تعالى قال : روى الزهري عن عروة : قال : (حفيت أظافير فلان من كثرة ما كان يتسلق على أزواج النبي ﷺ) ولقد كاد أن يضرب عنق عبدالله لكونه حكى عنه ، فشد متنه محمد بن عبدالله بن حفص الهمداني ، وخلصه من أمير إصبهان ، أبي ليلى ، وكان انتدب له بعض العلوية خصما ، ونسب الى عبدالله المقالة ، وأقام الشهادة عليه ابن منده المذكور ، ومحمد بن عباس الأخرم وأحمد بن علي الجارود . فأمر ابو ليلى بقتله ، فأتى الهمداني وجرح الشهود ، وأخذ بيد عبدالله ، وخرج من فكّ الأسد . انتهى .

والمراد : (فلان) في عيادة أبي بكر الراوي عن الزهري : هو أمير المؤمنين عليه السلام !! بدلالة خصومة بعض العلوية ، واقامته الشهود عليه عند أمير اصبهان مع التشديد والتأكيد فى ألفاظ الشهادة . وفى الكتابين : قال ابن عدي : إنه نسب الى ابن أبي داود شيء من النُصب فنفاه ابن الفرات من بغداد الى واسط .. الخ وفي الكتابين أيضا ، عن أبي داود قال : ابني عبدالله كذّاب . قال ابن صاعد : كفانا ماقاله أبوه فيه ، وقال ابراهيم الاصبهاني : ابو بكر بن أبي داود كذّاب ، وقال أبو القاسم البغوي : ابو بكر بن أبي داود — والله — عندي منسلخ من العلم .

اتخاذهم يوم عاشوراء عيدا

قال ابن حجر في ﴿ الصواعق ص ١١٢ ﴾ : إن من بدع الناصبة المتعصبين على أهل البيت ، أظهارهم غاية الفرح والسرور ، واتخاذهم يوم عاشوراء عيداً ، واظهار الزينة فيه ، كالخضاب ، والا كتحال ، ولبس جديد الثياب ، وتوسيع النفقات ، وطبخ الأطعمة ، واعتقادهم أن ذلك من السنة — والسنة ترك ذلك كله — فانه لم يرد فى ذلك شيء ، وقد صرح الحا كم بان الا كتحال يومه بدعة ، والحديث فيه منكر ، انتهى .

أقول : ذكر ابن الجوزي في كتاب « الموضوعات » حديث الا كتحال يوم عاشوراء عن جويبر بن سعيد البلخي ، وقال : قال الحا كم : أنا أبرأ الى الله من عهدة جويبر ، قال : والا كتحال يوم عاشوراء ، لم يرو عن رسول الله ﷺ فيه أثر ، وهو بدعة ابتدعها قتلة الحسين قال أحمد : لايشتغل بحديث جويبر ، وقال يحيي بن معين : ليس بشيء ، وقال النسائي والدار قطني ، متروك . وقال الذهبي في « الميزان » في الترجمة : قال ابن معين : ليس بشيء ، وقال النسائي والدار قطني وغيرهما : متروك الحديث . ويروى عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس حديث : (من ا كتحل بالإثمد يوم عاشوراء لم يرمد أبدا) . قال أبو قدامة السرخسي: قال يحيي القطان : تساهلوا في أخذ التفسير عن قوم لايوثقونهم في الحديث وعدّ منهم جويبر والضحاك ، وهؤلاء لايحمد حديثهم . إنتهى . وفي (الدّر المنثور للسيوطي ج ٦ ص ٣٤٥) : أن البيهقي ضعف حديث الا كتحال بالإثمد يوم عاشوراء .. الخ

أقول : وفي سنده عروة بن الزبير ، وله عداوة بارزة لأهل البيت (ع) إرثا من أبيه ، وفي « شرح النهج للمعتزلي » : أن الزهري وعروة بن الزبير كانا

قلت : وأعظم من ذلك ، رواية أبي اسحاق السبيعي عن شمر بن ذي الجوشن الذي باشر ذبح الحسين (ع) ، ففي ﴿ ميزان الاعتدال ﴾ للذهبي : شمر بن ذي الجوشن الضبابي عن أبيه ، وعنه ابو اسحاق السبيعي : ليس بأهل للرواية ، فانه أحد قتلة الحسين ، وقد قتله اعوان المختار ، روى أبو بكر بن عياش عن أبي اسحاق قال : كان شمر معنا يصلي ثم يقول : اللهم انك تعلم أني شريف ! فاغفرلي . قلت : كيف يغفر لك ؟ وقد أعنت على قتل ابن رسول الله ﷺ ، قال : ويحك ! فكيف نصنع إن هؤلاء أُمراءنا أمرونا . ! إنتهى .

قال ابن تيمية في ﴿ منهاج السنة ص ١٦٤ ﴾ : فلو أن النواصب مدحوا عمر بن سعد على قتل الحسين « ع » لكونه من شيعة عثمان ومن المنتصرين له ، وسبّوا أباه سعداً لكونه تخلف عن القتال مع معاوية والانتصار لعثمان كان ذلك منهم من جنس فعل الرافضة . . الخ

أقول : إن سعداً لم يكن منفرداً في تركه نصرة عثمان ، بل شاركه غيره ايضاً ، كعائشة وطلحة والزبير ، وبقية أصحاب بيعة الشجرة ، وأهل بيعة العقبة ومن البدريين من هو أشد سعياً في قتل عثمان ، من تقاعد سعد عن نصرته ، وأما ابنه عمر فلم يكن قتله للحسين (ع) مجازاة لما فعل بعثمان ، بل ولم يثبت أن ابن سعد كان من موالي عثمان ، وإلا لدافع عنه ، وإنما قتل الحسين (ع) طلباً للمال والجاه وكان ذلك أقصى جهده ، ولذا اعترف ابن تيمية عند كلامه المذكور ، بأن سعداً لما اعتزل الفتنة ، جاءه عمر ابنه ولامه على ذلك ، قائلا إن الناس في المدينة يتنازعون في الملك ، وأنت هاهنا ؟ !

وأما يزيد فلم يقتل الحسين « ع » إلا لأن يستقر له الملك ، لا لحبه لعثمان وانتصاره له . كيف وأبوه معاوية لم ينصر عثمان — وهو حي — فكيف بابنه يزيد وقد انقضى عن قتل عثمان سنون متطاولة .

صرح بلعنه الجلال السيوطي ، وفي « تاريخ ابن الوردي » ، وكتاب « الوافي بالوفيات » : أن السبي لما ورد من العراق على يزيد ، خرج فلقي الاطفال والنساء من ذرية علي والحسين « رض » ، والرؤوس على اطراف الرماح ، أنشأ يقول :

لما بدت تلك الحمول وأشرقت تلك الشموس على شفا جيرون
نعب الغراب، فقلت : قل أو لا تقل فقد اقتضيت من النبي ديوني

وهذا كفر صريح ، وقال السفاريني من الحنابلة : والمختار ما ذهب ابن الجوزي ... الى أن قال : وأنا أقول : الذي يغلب على ظني أن الخبيث لم يكن مصدقاً برسالة النبي ﷺ وأن مجموع ما فعله مع أهل حرم الله تعالى ، وحرم نبيه ﷺ ليس بأضعف دلالة على عدم تصديقه ، من القاء ورقة من المصحف الشريف في قذر . قال : وأنا اذهب إلى جواز لعن مثله ، ويلحق به ابن زياد وابن سعد ، فلعنة الله عز وجل عليهم أجمعين ، وعلى أنصارهم وأعوانهم وشيعتهم ، ومن مال اليهم الى يوم الدين ، مادمعت عين على أبي عبدالله الحسين . انتهى كلام الآلوسي .

توثيقهم عمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن

ومن عصبيتهم الحمقاء اعتمادهم في الرواية على عمر بن سعد بن أبي وقاص ، ففي « تهذيب الكمال وميزان الاعتدال » في الترجمة : عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري هو في نفسه غير متهم ! لكنه باشر القتال ، وفعل الافاعيل ، روى شعبة عن أبي اسحاق ، عن الفزار بن حريث ، عن عمر بن سعد ، فقام اليه رجل فقال : أما تخاف الله تروي عن عمر بن سعد ، فبكى وقال : لا أعود . وقال العجلي روى عنه الناس ، تابعي ثقة « كما في خلاصة التهذيب ، لصفي الدين الخزرجي ص ١٤٠ » ، وقال أحمد بن زهير سألت ابن معين : أعمر بن سعد ثقه ؟ فقال : كيف يكون من قتل الحسين ثقة ! قتله المختار سنة خمس وستين . إنتهى .

عليه ، عند التعرض لأحوال معاوية وابنه يزيد . لكن نكتفي الآن بذكر ماقاله السيد محمود الآلوسي في تفسيره « روح المعاني » عند قوله تعالى : (فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم واعمى أبصارهم) (١) قال : انه استدل بها على جواز لعن يزيد ، قال : وكيف لايلعن من لعنة الله في كتابه ؟ ان الله يقول : فهل عسيتم ان توليتم ... الآية ، واي فساد او قطيعة رحم اشد مما فعله يزيد ؟ انتهى .

وقال النعمان الآلوسي ابن السيد محمود الآلوسي في كتابه (صادق الفجرين) في الفصل الخامس عشر ، قال : نقل البرزنجي في « الاشاعة » والهيتمي في (الصواعق) ان الامام احمد لمّا سأله ولده عبدالله عن لعن يزيد ، قال : كيف لايلعن من لعنه الله في كتابه ؟ فقال عبدالله : قد قرأت كتاب الله عز وجل فلم أجد فيه لعن يزيد فقال الامام : ان الله يقول : فهل عسيتم ان توليتم .. الآية قال : وذهب شيخ الاسلام البلقيني الى جواز لعن العاصي المعيّن لحديث الصحيحين . قال : وعلى هذا لاتوقف في لعن يزيد لكثرة أوصافه الخبيثة ، وارتكابه الكبائر في جميع أيام تكليفه ، ويكفي مافعله أيام استيلائه بأهل المدينة ومكة ، وما فعله بأهل البيت ، ورضاه بقتل الحسين واستبشاره بذلك ، واهانته لأهل بيته مما تواتر ، وفي الحديث « ستة لعنتهم ولعنهم الله وكل نبي مجاب الدعوة : المحرف لكتاب الله ، والمكذب بقدر الله ، والمتسلط بالجبروت ليعز من أذل الله ويذل من أعز الله ، والمستحل من عترتي ، والتارك لسنتي » ، وقد جزم بكفره ، وصرح بلعنه جماعة من العلماء منهم الحافظ ناصر السنة ابن الجوزي ، وسبقه القاضي أبو يعلى ، وقال العلامة التفتازاني : لايتوقف في شأنه ، بل في ايمانه ، لعنة الله عليه وعلى أنصاره ، وممن

(١) محمد : ٢٢ .

ولا ملام على قتلة الحسين !! حكاه عنه ابن خلدون في « مقدمته ص ٢١٧ » من فصل ولاية العهد . انتهى .

وقال النعمان افندي الآلوسي البغدادي في كتابه « صادق الفجرين » (١) انه أفتى الغزالي في « الاحياء » بحرمة لعن يزيد ، وزعم ابن العربي المالكي أن الحسين قتل بسيف جده ﷺ . « كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا » (٢) ، قال : وقال ابن الجوزي في كتابه « السر المصون » : من الاعتقادات العامة التي غلبت على جماعة منتسبين الى السنة ، أن يقولوا إن يزيد كان على الصواب وأن الحسين « رضي الله عنه » أخطأ في الخروج عليه . ولو نظروا في السيَر ، لعلموا كيف عقدت له البيعة ، والزم الناس بها . ولقد فعل في ذلك كل قبيح ، ولو صحت البيعة فقد بدت منه بوادر توجب فسخ العقد . ولا يميل الى ذلك إلا كل جاهل عامي المذهب ، يظن أنه يغيظ بذلك الرافضة . انتهى .

قات : — وممن سلك سبيل العناد ، وأظهر في العالم الاسلامي الفساد ، ابن حجر الهيتمي في « صواعقه ص ١٣٦ » قائلا : انه لايجوز لعن فاسق مسلم معيّن ، فلا يجوز لعن يزيد ولو أنه أمر بقتل الحسين وسرّ به ، لأن ذلك لم يكن عن استحلال ، أو كان عنه لكن بتأويل فسق لا كفر ، على أن أمره بقتله وسروره به لم يثبت صدوره عنه عن وجه صحيح ... الى ان قال : وأما سب يزيد ولعنه ، فليس من شأن المؤمنين ، وان صح انه قتله ، وامر بقتله . وفي الحديث : (ان لعن المسلم كقتله) وقاتل الحسين لايكفر بذلك ... الخ .

الآلوسي يبطل كلام ابن حجر

انا وان استقصينا الكلام في الجواب عن هذه التخرصات الواهية على ماستقف

(١) الموجودة عندي نسخته المخطوطه بخط المؤلف . م .
(٢) الكهف : ٥ .

وقال ايضا ، في كتاب « الفصل ج ٤ ص ١٢٥ » في قاتل عمار : إن أبا الغادية قتل عماراً وهو متأول مجتهد مخطيء مأجور أجراً واحداً ، وليس هذا كقتلة عثمان ، لأنهم لامجال للاجتهاد لهم في قتله (١) ، وأبو الغادية شهد بيعة الرضوان فهو من شهداء الله له بانه علم مافي قلبه ، وانزل السكينة عليه ورضي عنه . انتهى .

قات : إن ذلك تجول في النصب ، وإفراط في العصبية ، دعاه اليه كونه من موالي يزيد بن أبي سفيان ، كما سيأتي في ترجمته عند ذكر الفئة الباغية ، فغالى في حبهم ، وحكم لخارجي ببراءة ذمته عن قتله الامام بالحق ، واحتج بأبيات خارجي آخر ، صح عن النبي ﷺ مروقهم عن الدين ، ثم يقول : مثل مقالته في قاتل عمار ثم يتكلم في قتلة الأئمة بالحق ، من حيث الاجتهاد والتأويل ، ومن المعلوم أنه لاسبيل لهم الى الاجتهاد في قبال النص ، بعد تمامية الحجة ، وانقطاع العذر .

دفاعهم عن يزيد بن معاوية

ومن تطورهم في العصبية والعناد ، إعتداؤهم على أهل بيت رسول الله ﷺ بل عليه ﷺ وعلى الله ، بمصيرهم الى براءة ذمة يزيد عما فعله من الموبقات في الشريعة فذهب الغزالي في كتاب « الاحياء ج ٣ ص ١٤١ » الى انكاره أن يزيد قتل الحسين « ع » وأهل بيته وأصحابه ، وانه لم يثبت من طريق صحيح انه قتله ولا أمره بقتله .. الخ . وكذلك زعم ابن العربي المالكي : أن الحسين قتل بشرع جده!

(١) لنعم ماقال ابن خالي العلامة السيد محمد باقر الطباطبائي في منظومته :

وأن تقل باجتهاد كانا | لم لاتقل في قاتلي عثمانا ؟

والمعنى انه : اذا قلت بمعذورية من حارب علياً (ع) لحديث الاجتهاد والتأويل ، فليكن قتلة عثمان والراضون به أعذر ، لان فيهم عماراً الذي ملىء ايماناً ، ومحمد بن أبي بكر ، وبقية العشرة المبشرة ، وام المؤمنين عائشة ، وأهل بيت العصمة ، واهل الحل والعقد من الحرمين ، وأنى لمعاوية صحة الاجتهاد ؟ وهو أقلهم عدداً ، وأكثرهم خطأ ، ولم يؤمن برسول الله (ص) هو وأبوه الا في فتح مكة ، وكان معدوداً في الطلقاء . م .

لهم عذر إلا التعصب والعناد (١) .

قال ابن حزم الاندلسي الظاهري في كتابه « الفصل ج ٣ ص ١٤٤ » : فمن تأول من أهل الاسلام ، وكان قد قامت عليه الحجة ، وتبين له الحق ، فعَنَدَ عن الحق غير معارض له تعالى ولا لرسوله (ص) فهو فاسق ، لجرأته على الله تعالى باصراره على الأمر الحرام ، فان عَنَدَ عن الحق معارضا له تعالى ولرسوله ﷺ فهو كافر مرتد حلال الدم والمال . لافرق في هذه الأحكام بين الخطأ في الاعتقاد في اي شيء كان من الشريعة : وبين الخطأ في الفتيا في أي شيء كان على مابينا . انتهى .

تسويلاتهم في أهل الحق

منها : — ماعن ابن حزم في كتابه (المحلى في مسألة مقتول كان في أوليائه غائب أو صغير أو مجنون ج ١٠ ص ٤٨٣) : إنه قال أبو حنيفة : إذا كان للمقتول بنون ، وفيهم واحد كبير ، له أن يقتل ولا ينتظر بلوغ الصغار ؛ وقد قتل الحسن ابن علي « رضي الله عنه » ابن ملجم ، قاتل علي ، ولعلي بنون صغار ، وهم بحضرة الصحابة ، من دون مخالف يعرف . قال ابن حزم : ان الحنفيين والمالكيين لا يختلفون في أن من قتل آخر علي التأويل ، فلا قود في ذلك ، ولا خلاف بين أحد من الأمة في أن عبدالرحمن ابن ملجم لم يقتل علياً إلا متأولا مجتهداً ، مقدراً على انه الصواب وفي ذلك يقول عمران ابن حطان ، شاعر الصفرية : —

يا ضربة من تقي ما أراد بها … إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأذكره حيناً فأحسبه … أوفى البرية عندالله ميزانا (٢) انتهى.

(١) سيأتيك تفصيل هذا كله في هذا الجزء وما يتلوه من الاجزاء الثمانية انشاء الله .

(٢) ولنعم من قال في جوابه : —

ياضربة من شقي ما أراد بها … الا ليبلغ من العرش نيرانا

اني لاذكره حينا فألعنه … وألعن الرجس عمران بن حطا

الذي أراق دم عمار بن ياسر وأصحابه غير التأويل ؟ وما الذي سفك دم ابن الزبير وحجر بن عدي ، وسعيد بن جبير وغيرهم من سادات الامة غير التأويل ... الخ .

فساد الاجتهاد في مقابل النص الشرعي

ثالثها : — أن ضرورة الشرع على بطلان الاجتهاد والتأويل ، في قبال النص من الكتاب والسنة . وماعده ابن القيم من التأويل الباطل قليل في جنب كثير ، ولقد ترك ذكر المهم من وجوه الفساد الناشيء عن الاجتهاد والتأويل ، كقولهم للنبي (ص) في مرضه : إن الرجل يهجر — على مافي أحاديث القرطاس — وكتخلفهم عن جيش اسامة ، والنبي (ص) يحثهم على تجهيز الجيش واللحوق بهم ، وكمنعهم فاطمة (ع) بنت رسول الله ﷺ عن فدك ، ومثل إخراجهم علياً (ع) الى البيعة قهراً ، وكحمل النار الى باب دار فاطمة لاحراق من فيها ، ومثل ترتيب الشورى والأمر بضرب رقاب من تخلف ، وكقول عائشة : اقتلوا نعثلا — تريد به عثمان — وكطردهم أبا ذر عن حرم الله وحرم رسوله (ص) الى الربذة ، وضربهم عماراً وابن مسعود وايجابهم عزل الخليفة ان ترك الطاعة ، وحرقهم المصاحف ، وكخروجهم على أمير المؤمنين (ع) ونقضهم عهده ، وكخلاف عائشة على الله وعلى رسوله (ص) ، وكقتل ابن جرموز زبيراً غيلة ، وقتل مروان طلحة — وهن من العشرة المبشرة — وكغدر طلحة والزبير بعلي (ع) من غير عذر ، وكذلك غدرهما بعثمان من قبل ، وكتسويلهم القتل في الفتنة ، وكرفضهم قول النبي ﷺ : (إهتدوا بهدى عمار) وقوله (ص) في عمار : « ويح عمار ، تقتله الفئة الباغية يدعوهم الى الجنة ، ويدعونه الى النار » ، وكقولهم بخلافة معاوية — وهو زعيم الفئة الباغية ، وقاتل خيار الصحابة ، ونحوه الزبير وطلحة ، وابن العاص ، ومعاوية ابن خديج ، وبسر بن أرطاة ، وأضرابهم من الذين شنوا الغارات على البلاد ، وأباحوا دماء العباد ، ولم يكن

معنى قوله (ص) : « من فسر القرآن برأيه ، فليتبوأ مقعده من النار .. الخ » .

ابن القيم وحكمه بفساد التأويل

قال ابن القيم الجوزية ، تلميذ عبد الحليم بن تيمية في كتابه (اعلام الموقعين): اذا سئل عن تفسير آية في كتاب الله وسنة رسوله (ص) ، ليس أن يخرجها عن ظاهرها بوجوه التأويلات الفاسدة الموافقة لنحلته وهواه ، ومن فعل ذلك استحق المنع من الافتاء ، والحجر عليه . وهذا الذي ذكرناه ، هو الذي صرح به أئمة الكلام قديماً وحديثاً ، قال : وكيف لا يخشى الكذب على الله وعلى رسوله (ص) ، من يحمل كلامه على التأويل ؟ ! وهل يأمن أن يتناوله قوله تعالى : (وكذلك نجزي المفترين) (١) . ويكفي المتأولين أنهم قالوا برأيهم على الله تعالى وقدموا آراءهم على نصوص الوحي ، ولو علموا أي باب شر فتحوا على الامة بالتأويلات الفاسدة ؟ وأي بناء الاسلام هدموا بها ؟ فكل صاحب باطل قد جعل ماتأوله المتأولون عذراً له فيما تأوله هو . . . وقال : ما الذي جزم على التأويل وأباحه لكم ؟ وكيف نعاقب على تأويلنا ، وتؤجرون على تأويلكم ؟ . . قال : وهل وقعت في الامة فتنة كبيرة أو صغيرة إلا بالتأويل ؟ وهل أُريقت دماء المسلمين في الفتن إلا بالتأويل ؟ فافتراق الامة الى ثلاث وسبعين فرقة إنما أوجبه التأويل ، وإنما أُريقت دماء المسلمين يوم الجمل وصفين والحرة بالتأويل ، وهل الذي أراق دماء بني جذيمة ـ وقد أسلموا ـ غير التأويل ؟ حتى رفع النبي (ص) يديه الى السماء من فعل المتأول لقتلهم وأخذ أموالهم ، وما الذي أوجب تأخر الصحابة يوم الحديبية عن موافقة النبي (ص) غير التأويل ؟ حتى اشتد غضبه (ص) لتأخرهم عن طاعته ، وما الذي سفك دم أمير المؤمنين عثمان ظلماً ، وأوقع الأمة فيما أوقعها فيه حتى الآن غير التأويل ؟ وما

(١) الاعراف : ١٥١ .

فشحت عليها نفوس قوم .. الخ » (١) وقد إدعت فاطمة سيـدة نساء العالمين (ع) ان فدكا نحلة نحله إياها رسول الله (ص) ، وشهد لها بذلك أمير المؤمنين (ع) وام أيمن التي شهـــد لها الرسول (ص) بالجنة والحسنان سيدا شباب أهل الجنة ومن الضروري ان فاطمة (ع) صادقة صديقة ، طاهرة مطهرة ، وأن علياً (ع) مولى الامة ، والصديق الاكبر ، وانه مع القرآن ، ومع الحق ، وأخو النبي (ص) ... الخ

ثم كيف يجوز للمدعي ، مكافحة صاحب اليد ، المتصرف في الشيء ، وابتزاز ما في يده اذا لم يكن له شهود ؟ ومن المعلوم أن الزهراء (ع) كانت صاحبة اليد ، المتصرفة في فدك . وإن أبا بكر انتزعه من يدها قهراً من غير وجه مشروع . ثم طالبها بالبينة . وجرح شهودها ولا حول ولا قوة إلا بالله .

واصرح من ذلك في انكار علي (ع) وفاطمة (ع) والعباس على أبي بكر في حديثه : (لانورث ، ماتركناه صدقة) مافي صحيح مسلم ج ٥ ص ١٥٢ من كتاب الجهاد من كلام عمر لعلي (ع) والعباس : قال أبو بكر : قال رسول الله (ص) : لانورث ، ما تركناه صدقة . فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً ، والله يعلم انه لصادق بار راشد تابع للحق . ثم توفي أبو بكر وانا ولي رسول الله (ص) وولي أبي بكر فرأيتماني كاذباً آثماً غادراً خائناً .. الحديث . وأظهر من الجميع في الانكار على حديث : « لانورث .. الخ » مافي صحيح مسلم ايضا ج ٥ ص ١٥٣ ، عن عروة عن عائشة : انها قالت : إن ازواج النبي (ص) حين توفي رسول الله (ص) اردن أن يبعثن عثمان بن عفان الى أبي بكر فيسألنه ميراثهن من النبي (ص) قالت عائشة لهن : أليس قد قال رسول الله (ص) : لانورث ماتركناه ؟ إنتهى .

ويظهر من الحديث والذي قبله أن علياً « ع » وفاطمة والعباس وسائر بني

(١) نهج البلاغة : ج ٣ ص ٧٩ .

هاشم ، وازواج رسول الله ﷺ وعثمان ، هؤلاء جميعاً لم يصدقوا أبا بكر في حديثه « لا نورث .. الخ » . نعم وقع التصديق من عمر وعائشة فقط . لا سماعاً عن النبي ﷺ ، بل تقليداً لأبي بكر ودفاعاً عنه . وهذا لا يخرج الحديث عن كونه ظنياً مكذوبا على صاحبه .

تنقيصهم النبي ﷺ تكريما للشيخين

إن من نظر في صحيحي البخاري ومسلم ، يرى اشتمالها على أحاديث صريحة في انتقاص رسول الله ﷺ وتكريم أبي بكر وعمر ومعاوية ايضا . بل يمس بعضها كرامة الانبياء ، ويوجب لهم الخزي ، معاذ الله .

مثل مافي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال : لم يكذب ابراهيم النبي « ص » قط إلا ثلاث كذبات : ثنتين في ذات الله من قوله : « إني سقيم »(١) وقوله : « بل فعله كبيرهم هذا » (٢) وواحدة في شأن سارة وقوله : إنها اختي (٣) انتهى .

واعترض عليه الفخر الرازي في التفسير ج ٧ ص ١٤٥ ، قائلا : قال بعضهم : ذلك القول عن ابراهيم عليه السلام كذبة ، ورووا فيه حديثا عن النبي « ص » انه قال : ما كذب ابراهيم « ع » إلا ثلاث كذبات . . . قلت لبعضهم : هذا الحديث لا ينبغي أن يقبل ، لأن نسبة الكذب الى ابراهيم لا يجوز . فقال ذلك الرجل : فكيف يحكم بكذب الرواة العدول ؟ فقلت : لما وقع التعارض بين نسبة الكذب

(١) الصافات : ٨٩ .

(٢) الانبياء : ٦٣ .

(٣) ومثل مافي الصحيحين من لطم موسى (ع) عين ملك الموت ففقأها . رواه مسلم في ج ٢ ص ٣٠٩ « البخاري ج ٢ ص ١٦٣ » من صحيحه في كتاب الفضائل باب فضائل موسى ومثل فرار الحجر بثياب موسى وعدو موسى خلفه ونظر بنى اسرائيل اليه مكشوفا. كما في البخاري ج ٢ ص ١٦٢ ومسلم ج ٢ ص ٣٠٨ .

الى الراوي وبين نسبته الى الخليل «ع» كان من المعلوم بالضرورة أن نسبته الى الراوي أولى . ثم نقول : لم لايجوز أن يكون المراد بكونه كذبا خبراً شبيهاً بالكذب انتهى .

الصحيحان واستماع النبي (ص) للغناء

جاء في الصحيحين ، في كتاب العيدين من أبواب الصلاة ، بالاسناد الى عائشة قالت : دخل عليَّ رسول الله «ص» وعندي جاريتان تتغنيان بغناء بُعاث ، فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه ، فدخل أبو بكر فانتهرني وقال : مزمارة الشيطان عند رسول الله (ص) ؟! فأقبل عليه رسول الله (ص) فقال : دعهما . فلما غفل ـ أي أبو بكر ـ غمزتهما فخرجتا . وفي بعض أحاديث مسلم : وعندي جاريتان تلعبان بدف .. الحديث ، فانظر كيف جوزوا على النبي «ص» حضور اللهو واستماع الغناء المحرم ، ونزهوا أبا بكر عن ذلك .

قال القسطلاني في ارشاد الساري ج ٣ ص ٦٥ : الاصل التنزه عن اللعب واللهو فيقتصر على ماورد فيه النص وقتاً وكيفية .

قلت : هذا اعتراف بحرمة اصل العمل في الشرع . كما فهمها أبو بكر ايضا اذ قال : مزمارة الشيطان عند رسول الله «ص» ! إلا انه صار عندهم حلالا بالعرض لانه في يوم عيد ! لكن البحث عن صحة النص وجواز الخروج به عما دلّ من الكتاب والسنة على حرمة اللعب واللهو والغناء . قال تعالى في وصف قوم لوط «وتأتون في ناديكم المنكر» (١) وقال تعالى : «واجتنبوا قول الزور» (٢) ، وقد فسر ذلك بالغناء ومن ذلك ايضا مافي صحيح مسلم في كتاب العيدين ج ٣ ص ٢٣ أن الحبشة

(١) العنكبوت ـ ٢٩ .

(٢) الحج - ٣٠ .

كانت تلعب عند رسول الله ﷺ بحرابهم ، اذ دخل عمر فأهوى الى الحصباء يحصبهم بها . فقال له رسول الله « ص » : دعهم ياعمر . ومن ذلك ما أخرجه الحافظ أبو نعيم في الجزء الاول من « حلية الاولياء » في سيرة عمر . من رواية انشاد الشاعر مدح الرسول بحضرته « ص » باشعاره ، اذ دخل عمر . فقال النبي « ص » للمادح : أمسك . حتى إذا خرج فقال النبي « ص » : هات . الى ثلاث مرات فكلما يدخل عمر ، يقول : أمسك وكلما يخرج يقول « ص » : هات . فسأل الشاعر عن الرجل الداخل الخارج الذي كان النبي « ص » ينهاه عن مدحه اذا دخل . فقال له رسول الله « ص » هذا عمر بن الخطاب ، وهو رجل لا يحب الباطل ... الحديث !

انظر هذا وتعجب من القوم يجوزون على النبي « ص » أن يحب الباطل ، وينزهون عمر عن حب الباطل على لسان رسول الله « ص » . ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ (١) !!

النبي «ص» وعائشة ولعب السودان

ومن ذلك مافي الصحيحين ، البخاري ومسلم ، في كتاب العيدين من حديث حمل النبي « ص » زوجته عائشة لتنظر الى لعب الحبشة في المسجد وتتفرج عليهم !! ومن المعلوم أن اللعب محرم في الشرع ، ومثله التفرج عليه . فكيف يصدر ذلك من النبي « ص » المبعوث لمكارم الأخلاق ! ؟ — مع مافيه من القبح والاستهجان — أم كيف جاز لرسول الله ﷺ أن يعرض زوجته للنظر الى الرجال الأجانب !؟

فان قالوا : إن الواقعة كانت قبل نزول آية الحجاب ، قلنا لهم : إن ذلك باطل ايضا لتصريح عائشة — كما في الصحيحين ، في كتاب العيدين — بقولها :

(١) البقرة — ٧٩ .

رأيت رسول الله (ص) يسترني بردائه وانا أنظر الى الحبشة يلعبون في المسجد .

وفي صحيح مسلم ، قالت عائشة : والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي ، والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله « ص » ، يسترني بردائه كي أنظر الى لعبهم . ثم يقوم من أجلي فاكون انا التي أنصرف ، فاقدر وأقدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو . وفي حديث آخر قالت : وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب . فاما سألت رسول الله (ص) ، وإما قال : تشتهين تنظرين فقلت : نعم . فأقامني وراءه ، خدي على خده ! وهو يقول : دونكم يابني أرفدة ، حتى اذا مللت قال : حسبك ؟ قلت : نعم . قال : فاذهبي ! إنتهى .

أقول: إن هذا من الاحاديث المنكرة الفظيعة التي تمس كرامة رسول الله ﷺ وهي مردودة مطروحة من عدة وجوه فيها مخالفة صريحة للشرع وللاخلاق : —

فمنها : تمكين النبي « ص » زوجته من النظر الى الرجال الأجانب .

ومنها : تمكينه اياها من التفرج على اللعب واللهو حيث انها كانت تحب اللهو في حداثة سنها كما في ألفاظ الحديث .

ومنها : تمكين الأحباش من اللعب في المسجد الذي بناه النبي « ص » على التقوى . وهو من بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه .

ومنها : تحدث عائشة للأجانب وتعبيرها المزري بأن خد النبي كان على خدها فان قولها ذلك مخالف لمكارم الاخلاق التي يجب أن تتحلى بها ازواجه « ص » وكم لها مثل هذا، كحديثها عن أن النبي «ص» كان يباشرها حال الحيض من فوق الازار .

وعلى أي حال ، فان قولها : يسترني بردائه ، صريح في أن الحادثة كانت بعد نزول آية الحجاب . ومن هنا وقع شراح الحديث كالقسطلاني والنووي وأهل الحديث في ضيق شديد ، حيث أرادوا توجيه الخبر وتأويله ، وتغطية عيوبه ، ودفع مافيه من وجوه الاشكال .

وأما الشيعة فهم في فسحة بعد أن وجدوا الاحاديث مختلفة مضطربة في كلام عائشة ، وضعتها لطلب الجاه ورفع المنزلة . وإلا فحمل المسلم زوجته لتلك العرضة القبيحة ، مما تأباه الغيرة والحمية ، فكيف بنبي الاسلام « ص » المبعوث لتتميم مكارم الاخلاق ؟ !

مدافعة صاحب التحفة عن الحديث

لقد بالغ المولوي عبدالعزيز الدهلوي في كتابه « التحفة الاثنى عشرية ص ٨٩ » في الدفاع عن وجوه الاشكال الواردة على هذا الحديث ، بالنقض بقوله تعالى: « وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق .. الآية » (١) قائلا: كيف جاز لابراهيم عليه السلام عرض زوجته على أضيافه ، وهو لا يعلم انهم رسل الله تعالى ؟ وكيف جاز للوط (ع) أن يقول لفساق قومه : «هؤلاء بناتي هن أطهر لكم إن كنتم فاعلين» (٢) فيعرض بناته على الأوباش والفجار ، وهذا شيء لا يليق بأهل المروءة فكيف بأكابر الانبياء ؟ قال : ثم إن صنع ابراهيم ﴿ع﴾ جرى على عادة العرب من قيام ازواجهم بين ايديهم لخدمة أضيافهم وهم جلوس على المائدة . إنتهى .

أقول : إن هذا الكلام هو اعتراف بورود الاشكال على الحديث ، لقبوله أنه متضمن لاعمال ركيكة مستهجنة مخالفة للأخلاق واظاهر الشريعة ، ولذا تمثل بما تمثل ، ثم دافع عنه بأن صنع ابراهيم ﴿ع﴾ جرى على عادة العرب .

ونحن لا يهمنا الجواب عن صنع ابراهيم ﴿ع﴾ ، وإنما يهمنا أن نعرف أولا أن حمل النبي (ص) زوجته الشابة ، وعرضها للتفرج على الاجانب هل كان جاريا على عادة العرب أيضا ؟ ! ، وهل يمضي الاسلام هذه العادة الشنيعة — إن صحت — مع

(١) هود : ٧١ .
(٢) الحجر : ٧١ .

انه الدين الذي ظهر لابطال أمثال هذه العادات المنكرة ، والافعال الذميمة . فكيف يجوز لنبي « ص » المبعوث لمحو المبادىء الجاهلية ، اتباع آثارها ، وعرض زوجته على الأوباش باسم التفرج الذي هو عين التبرج المنهي بقوله تعالى (.. ولا تبرجن تبرج الجاهلية) (١) ؟؟

وثانياً : هل كان في شرع ابراهيم ﴿ع﴾ جواز التبرج وقيام النسوة لخدمة الرجال ، أو الخروج للتفرج على عادة الرجال ؟ فاذا جاز ذلك ، لامانع من قيام زوجة ابراهيم ﴿ع﴾ لخدمة أضيافه وهي لا تعلم انهم رسل الله . وأما على تقدير وجوب الحجاب في شرع ابراهيم ﴿ع﴾ فالجواب أنه عليه السلام كان يعلم أن ضيوفه هم رسل الله من الملائكة وليسوا بشراً لدلالة قوله تعالى : « فاوجس منهم خيفة ، قالوا لاتخف وبشروه بغلام عليم ، فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت : عجوز عقيم » (٢) فان الفاء في ﴿ فأقبلت ﴾ الدالة على التعقيب ، تدل على ان امرأة ابراهيم ﴿ع﴾ لما سمعت بشارتهم ، أبرزت نفسها وهي تعلم أن المبشرين هم رسل الله تعالى .

قال أبو السعود في تفسير الآية المطبوع على هامش تفسير الفخر الرازي : فأقبلت امرأته سارة ، لما سمعت بشارتهم الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم .. الخ وكلامه هذا يدل على انها كانت متسترة في زاوية البيت ولم تخرج الى أن فهمت أن المبشرين هم الرسل . وقال الفخر الرازي في تفسير سورة هود عند قوله تعالى : « وامرأته قائمة .. الخ » (٣) انها كانت قائمة من وراء الستر تسمع الرسل .. الخ

وثالثاً : أن عرض لوط ﴿ع﴾ بناته على قومه ليس فيه ماينافي العار والمروءة

---

(١) الاحزاب : ٣٣ .

(٢) الذاريات : ٢٨ و ٢٩ .

(٣) هود : ٧١ .

لأنه أراد بذلك الزواج المشروع كما دل عليه قوله تعالى : ﴿ هن أطهر لكم ﴾ فلا يكون الطهر إلا في النكاح الشرعي لا في الزنا وكذلك قولهم في الجواب : ﴿ لقد علمت مالنا في بناتك من حق وانك لتعلم مانريد ﴾ (١) يعني من اتيان الرجال دون النساء كما في التفسير .

صلاة النبي (ص) على جنازة ابن أبي

جاء في البخاري ، في كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ استغفر لهم أولا تستغفر لهم ﴾ (٢) عن نافع عن ابن عمر قال : لما توفي عبدالله بن أُبي جاءه ابنه عبدالله بن عبدالله الى رسول الله ﴿ ص ﴾ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه ، فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله ﴿ ص ﴾ ليصلي ، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﴿ ص ﴾ فقال : يارسول الله أتصلي عليه ، وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله ﴿ ص ﴾ : إنما خيرني الله فقال : ﴿ استغفر لهم إن أولا تستغفر لهم تستغفر لهم سبعين مرة .. الآية ﴾ (٣) وسأزيده على السبعين . قال : إنه منافق ! قال : فصلى عليه رسول الله (ص) فانزل الله : ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره ﴾ (٤) إنتهى .

قال الفخر الرازي في تفسيره ج ٤ ص ٤٨٣ : واعلم أن هذا يدل على منقبة عظيمة من مناقب عمر وذلك لأن الوحي نزل على وفق قوله .

قلت : وذلك لو صح الحديث . وإلا فهو على تفصيله كذب مختلق ، وتقيص للنبي (ص) لا يوافقه العقل ولا النقل . قال الغزالي في كتاب (المنخول) : إن

(١) الحجر : ٧٢ .
(٢) التوبة : ٨٠ .
(٣) التوبة : ٨١ .
(٤) التوبة : ٨٤ .

مانقل في آية الاستغفار كذب قطعاً إذ الغرض منه التناهي في تحقيق اليأس عن المغفرة فلا يظن برسول الله (ص) ذهول عنه . انتهى .

وتفصيل ما أجمله ببيان أوضح ، هو أن المراد بالآية المبالغة في اليأس عن المغفرة بأنه لو طلبها أو تركها لكان ذلك عند الله تعالى سواءاً في أن الله لايفعلها .

والوجه في تعليق الاستغفار بسبعين مرة ، المبالغة لا العدد المخصوص ، فكيف يقول النبي (ص) سأزيده على السبعين مع التفاته الى قوله تعالى : (.. فلن يغفر الله لهم)(١) حيث نفى عنهم المغفرة مؤبداً ، مؤكدا ذلك بقوله : ﴿ ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله ﴾ (٢) مبينا أن حرمانهم عن المغفرة بسبب كفرهم .

قال الفخر الرازي في تفسيره ج ٤ ص ٤٨٠ : إن هذا الدعاء لو كان مقبولا من الرسول (ص) لكان قليله مثل كثيره فى حصول الاجابة ، فثبت أن المقصود من هذا الكلام ، أن القوم لما طلبوا منه أن يستغفر لهم منعه الله منه ، وليس المقصود من ذكر هذا العدد تحديد المنع ، بل هو كما يقول القائل لمن سأله لحاجة : لو سألتني سبعين مرة لم أقضها لك . ولا يريد بذلك أنه اذا زاد قضاها فكذا ههنا ... الخ

قلت : ومن هنا اعترض الزمخشري في (الكشاف) فى تفسير الآية بأنه كيف خفي علي رسول الله (ص) أن السبعين مثل في التكثير ، وهو افصح العرب وأخبرهم بأساليب الكلام وتمثيلاته حتى قال : خيرني ، وسأزيد على السبعين . ثم أجاب بأنه لم يخف عليه ذلك ، وإنما خيل بما قال إظهاراً لغاية رحمته ورأفته على من بعث اليه .. الخ

قال القسطلاني في (ارشاد الساري ج ٨ ص ٤٤١) عند ذكر الحديث والاشكال عليه : وتعقب بعضهم ذلك (يعني : جواب الزمخشري) بأنه يجب عليه

---

(١) محمد : ٣٤ .

(٢) التوبة : ٨٠ .

ﷺ إظهار ماء لم من الله في أمر الكفر وما يترتب عليه من العقاب للزجر ، وبانه يستلزم جواز الاستغفار للكافر مع العلم بانه لايجوز .. الخ

وقال ايضا في ج ٨ ص ٤٤٢ : وقد اشكل فهم التخيير من الآية على كثير وقد سبق جواب الزمخشري عن ذلك . وقال صاحب (الانتصاف) : مفهوم الآية قد زلت فيه الأقدام حتى انكر القاضي أبو بكر الباقلاني صحة الحديث ، وقال : لايجوز أن يقبل هذا ولايصح أن الرسول ﷺ قاله . وقال امام الحرمين في(مختصره) هذا الحديث غير مخرج في الصحيح ، وقال في (البرهان) : لايصححه أهل الحديث . وقال الغزالي في ﴿ المستصفى ﴾ : الأظهر أن هذا الخبر غير صحيح . وقال الداودي الشارح : هذا الحديث غير محفوظ . وهذا عجيب من هؤلاء الأئمة . .

وقال ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري شرح البخارى):قال ابن المنير: مفهوم الآية زلت فيه الاقدام حتى انكر القاضي أبو بكر الباقلاني صحة الحديث . وقال : لايجوز أن يقبل هذا ، ولا يصح أن الرسول ﷺ قاله . انتهى . وهذا لفظ القاضي أبي بكر الباقلاني في (التقريب) : هذا الحديث من أخبار الآحاد التي لا يعلم ثبوتها . وقال امام الحرمين في (مختصره) : هذا الحديث غير مخرج في الصحيح وقال في (البرهان) : لايصححه أهل الحديث . وقال الغزالي في (المستصفى) : الأظهر ان هذا الخبر غير صحيح وقال الداودي الشارح : هذا الحديث غير محفوظ .

تنزيه من سبه النبي ((ص)) أو لعنه

أخرج البخاري عن أبي هريرة في باب قول النبي (ص) : « من آذيته فاجعل ذلك له قربة اليك » من كتاب الدعوات . حديثه عن النبي (ص) : اللهم إنما انا محمد بشر يغضب كما يغضب البشر ، وانى قد اتخذت عندك عهداً لم تخلفينه فايما مؤمن آذيته أو سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها اليك . . الحديث

أقول : إن هذا الحديث مردود إذ أنه صريح في جواز ايذاء النبي (ص)

الناس من غير استحقاق وكذلك لعنه أو ضربه، ومن المعلوم انه (ص) معصوم بحكم العقل وصريح النقل. فهل ورد التخصيص لذلك ؟ أو قام الدليل على أن من خصائصه (ص) جواز إيذاء الخلق من غير حق تخصيصاً لقوله تعالى: (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا) (١)؟ وكيف يجوز في شرع الرسول (ص) التجري بالسب واللعن والفحش وقد قال تعالى: ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ (٢)، وقال : ﴿ واجتنبوا قول الزور ﴾ (٣) وقال : ﴿ ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين ﴾ (٤)، نعم ان النبي (ص) لعن جماعة من الجبابرة والمنافقين من أصحابه كبني أمية، وبني الحكم بن العاص، تبعاً للقرآن في قوله تعالى فى سورة الاسرى : (والشجرة الملعونة في القرآن) (٥) المفسرة بالاسرة الاموية في تفاسير أهل السنة كتفسير الفخر الرازي، وتفسير الخازن ج ٣ ص١٧٧، وتفسير الطبري ج ١٥ ص ٧٧، والقرطبي ج ١٠ ص ٢٨٣، والدر المنثور للسيوطي ج ٤ ص ١٩١، ومن كتب الحديث : فتح الباري في شرح البخاري ج ٨ ص ٣٠٢، ومستدرك الحاكم، وتلخيص الذهبي ج ٤ ص ٤٨٠ والخصائص الكبرى للسيوطي ج ٢ ص ١١٨.

إذن فحديث البخاري مختلق مكذوب وضع لكرامة بني امية وبني الحكم ابن العاص الملعونين على لسان الرسول (ص) حيث لعنهم كي يبعدهم عن الرحمة بأمر الله تعالى ونصحا للأمة : ﴿وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى﴾ (٦) وإلا فبالضرورة من الشريعة عدم جواز سب المسلم أو لعنه فكيف بضربه وايذائه وجلده وفي صحيح البخاري : لم يكن النبي ﴿ ص ﴾ فاحشا ولا متفحشا (٧)، وفيه : لم يكن

(١) الاحزاب : ٥٨ .
(٢) الاعراف : ١٩٨ .
(٣) الحج : ٣٠ .
(٤) البقرة : ١٩٠ .
(٥) الاسراء : ٦٠ .
(٦) النجم : ٣ و ٤ .
(٧) ج ٤ ص ٣٨ من صحيحه، باب حسن الخلق .

رسول الله فاحشاً ولا لعاناً ولا سباباً (١)

فالحديث مما وضعه أبو هريرة تزلفاً الى بني امية والى زعيم الفئة الباغية معاوية ابن أبي سفيان دفعاً لما ورد فيه من النبي ﷺ من قوله : لا اشبع الله بطنه ، ويشهد ذلك أن مسلم رواه في صحيحه في باب : من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه وهو ليس أهلا لذلك ، كان له زكاة وأجراً ورحمة ، وذلك في ﴿ ج ٨ ص ٢٤ ﴾ . وقال النووي في شرحه : انه قد فهم مسلم من هذا الحديث أن معاوية لم يكن مستحقاً للدعاء عليه فلهذا أدخله في هذا الباب ، وجعله من مناقب معاوية ، لانه في الحقيقة يصير دعاءاً له !!

أكل النبي ﷺ ماذبح لغير الله

جاء في البخاري ، في كتاب الذبائح ، باب ما ذبح على النصب والاصنام عن رسول الله (ص) انه لقى زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح ، وذلك قبل أن ينزل على رسول الله ﷺ الوحى ، فقدم اليه رسول الله ﷺ سفرة فيها لحم ، فأبى أن يأكل منها ثم قال : إني لا آكل مما تذبحون على أنصابكم ولا آكل إلا مما ذكر اسم الله عليه . انتهى ورواه ايضا احمد بن حنبل في مسنده ج ١ ص ١٨٩ و ج ٢ ص ٨٩ و ص ١٢٧ .

قلت : وهذا كما ترى يدل على أن رسول الله ﷺ كان يأكل مايذبح على الانصاب على خلاف دين جده ابراهيم (ع) ، وان زيد بن عمرو كان ازكى واتقى لله وأحفظ لنفسه من النبي ﷺ اذ عرف من دين الخليل ﴿ع﴾ حرمة مايذبح لغير الله ، ولم يعرفه النبي ﷺ وكيف لايعرفه وهو المخاطب بقوله تعالى : ﴿ ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفاً ﴾ (٢) وقوله : ﴿ ملة أبيكم ابراهيم هو

(١) ج ٤ ص ٣٩ ، باب ماينهى عنه من السباب واللعن .
(٢) النحل : ١٢٣ .

سماكم المسلمين من قبل ﴾ (١) ؟

قال القسطلاني في ﴿ارشادالساري ج١٠ص٩٤﴾: قال السهيلي: إنما قال زيد ذلك برأي منه لابشرع بلغه، فان الذي في شرع ابراهيم (ع) تحريم ماذبح لغيرالله وقد كان عدو الاصنام. وفي حديث زيد بن حارثة عند أبي يعلى والبزار وغيرهما قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ يوماً من مكة، وهو مُردفي فذبحنا شاة على بعض الانصاب فانضجناها فلقينا زيد بن عمرو . . . فذكرا الحديث مطولا. وفيه: فقال زيد: إني لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه الخ.

وفي ﴿ فتح الباري شرح البخاري ﴾ : قد وقع في حديث سعيد بن زيد الذي قدمته: فكان زيد يقول: عذت بما عاذ به ابراهيم ﴿ع﴾ ثم يخر ساجداً للكعبة فمر بالنبي (ص) وزيد بن حارثة وهما يأكلان من سفرة لهما فدعياه الى الغداء، فقال زيد: يابن أخي إني لا آكل مما ذبح على النصب. قال: فما رؤي النبي (ص) يأكل مما ذبح على النصب من يومه ذلك. وفي حديث زيد بن حارثة عند أبي يعلى والبزار وغيرهما قال: خرجت مع رسول الله ﷺ يوماً من مكة وهو مُردفي فذبحنا شاة على بعض الانصاب فانضجناها فلقيا زيد بن عمرو. فذكر الحديث مطولا وفيه: فقال زيد: إني لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه. انتهى.

ولا يخفى أن هذه العبارات صريحة في أن النبي ﷺ كان قبل البعثة يأكل ذبائح الانصاب، ومما لم يذكر عليه اسم الله كعادات أهل الجاهلية، ولا يأبى عن ذلك، على خلاف دين ابراهيم (ع).

وفي ﴿ فتح الباري ﴾ قال الداودى: كان النبي ﷺ قبل البعث يجانب المشركين في عباداتهم، ولكن لم يعلم مايتعلق بامر الذبائح، وكان زيد قد علم ذلك من أهل الكتاب الذين لقيهم. انتهى.

(١) الحج : ٧٨ .

فما يقال لقوم هذا معتقدهم في رسول الله ﷺ حيث يجعلون زيداً عالماً عارفاً موفقاً لترك ماذبح على النصب ، ولا يجعلون ذلك لرسول الله ﷺ مع انه منصوب من الله تعالى ، ومعصوم عن الخطأ ، وله من العقل والذكاء مايفضل به على الخلق اجمعين ؟! وفي كتاب (الشفا) للقاضي عياض ماحاصله : ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى الانقضاء من العقل والفهم والدراية وحسن السياسة في جنب ما أعطاه لرسول الله (ص) إلا كحبة رمل من رمال الدنيا .. الخ

قصة الغرانيق

ومما نقض به القوم كرامة رسول الله (ص) وقدسه ، وافتعلوه افتراءاً عليه هو ما اتفقوا على روايته في كتبهم جميعا من الحديث والتفسير عند قوله تعالى في سورة الحج : (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى القى الشيطان في أمنيته فينسخ الله مايلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته .. الآية) (١) فذكروا ان النبي ﷺ لما قرأ سورة والنجم وقرأ: ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الاخرى ﴾ (٢) قرأ بعده : تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لترتجى !! فلما سمعت قريش ذلك فرحت به ، فمضى النبي (ص) في قراءته فقرأ السورة وسجد في آخرها ، وسجد المسلمون بسجوده لله ، وكذا المشركون لمعبودهم فرحين بما سمعوا من النبي (ص) ففي بعض أخبارهم أن الشيطان ألقاها على لسان النبي (ص) .

قال القسطلاني في (ارشاد الساري شرح البخاري ج ٩ ص ١٥٣) باب : ﴿ فاسجدوا لله واعبدوا ﴾ من كتاب التفسير للبخاري عن ابن عباس قال : قرأ رسول الله بمكة : والنجم .. فلما بلغ : ﴿ افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ﴾(٣)

(١) الحج : ٥٢ .
(٢) النجم : ١٩ و ٢٠ .
(٣) النجم : ١٩ و ٢٠ .

ألقى الشيطان في أمنيته اى تلاوته : تلك الغرانيق العلا ، وان شفاعتهن لترتجي .

فقال المشركون : ماذكر آلهتنا بخير قبل اليوم ، فسجد وسجدوا ـ فنزلت آية : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي .. الآية ﴾ (١)

قال أبو السعود في ﴿تفسيره المطبوع على هامش الجزء السابع ص ١٣٥ من تفسير الرازي ﴾ : إن في هذه الآية دلالة على جواز السهو من الانبياء عليهم السلام وتطارق الوسوسة اليهم . انتهى .

قلت : إن هـذه إلا الطامة الكبرى أوجب القول بها من أهل السنة توجه الاعتراض من اليهود والنصارى على رسول الله (ص) والإخلال بقدسه وعصمته ، وتمكن الشيطان منه (ص) حتى القى في خاطره مايوجب ضلالة أمته ، سيما مايرجع الى الوحي الالهي الذى لايأتيه الباطل . والعجب ممن جزم بالواقعة كالمولوى عبدالعزيز الدهلوي في ﴿ التحفة الاثناعشرية ص ٣٧ ﴾ نافياً عنها أي شناعة بعد تحكيم الله آياته وجعله تعالى مايلقيه الشيطان فتنة وامتحانا لمن في قلبه شقاق و نفاق فوقع ذلك موافقاً للحكمة . انتهى .

أقول : إن هذه الحكاية تخالف المعقول والمنقول من دين الرسول ﷺ ، وذلك كما قال الفخر الرازي في تفسيره (ج ٦ ص ١٦٨) ولقد أجاد فيما أفاد قائلا : أما أهل التحقيق فقد قالوا : هذه الرواية باطلة موضوعة ، واحتجوا عليه بالقرآن والسنة والمعقول : أما القرآن فبمثل قوله تعالى : ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ (٢) وقوله : ﴿ وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ﴾ (٣) فلو انه قرأ عقيب هذه الآية : تلك الغرانيق العلا ، لكان قد ظهر كذب الله تعالى في الحال ، وذلك لايقوله مسلم ، وقوله تعالى :

---

(١) الحج : ٥٢ .
(٢) الحاقة : ٤٩ .
(٣) النجم : ٣ و ٤ .

﴿ كذلك لنثبت به فؤادك ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك لتفتري علينا غيره ﴾ (٢) وقوله : ﴿ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلا ﴾ (٣) وقوله : ﴿ سنقرؤك فلا تنسى ﴾ (٤) . وأما السنة فهي ماروي عن محمد بن اسحاق بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة فقال : إنها من وضع الزنادقة وقال الامام أبو بكر البيهقي : هذه القصة غير ثابته من جهة النقل ، ثم أخذ يتكلم في أن رواة هذه القصة مطعون فيهم ، وايضا فقدروى البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قرأ سورة والنجم ، وسجد فيها المسلمون والمشركون والانس والجن وليس فيه حديث الغرانيق ، وأما المعقول فمن وجوه . . . ثم عدها قائلا : إن من جوز تعظيم الرسول للاوثان فقد كفر ، وإن منعه تعالى للشيطان عما يليقه أقوى فى رفع الالتباس واشتباه ماليس بقرآن قرآناً ، من نسخه بعد إلقائه لبقاء الشبهة. فاذا أراد الله إحكام آياته لئلا يلتبس ، فبأن يمنع الشيطان من ذلك أصلا أولى ، وبأنا لو جوزنا ذلك ارتفع الامان عن شرعه وجوزنا في كل من الاحكام والشرائع أن يكون كذلك ، ويبطل قوله : ﴿ يأأيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾ (٥) فانه لافرق فى العقل بين الزيادة والنقصان عن الوحي . فبهذه الوجوه عرفنا أن هذه القصة موضوعة . ولو ذكرها جمع من المفسرين ، لكنها خبر واحد لايعارض الدلائل العقلية والنقلية المتواترة . إنتهى كلام الفخر الرازي .

وقال القاضي عياض في كتابه ﴿ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ٢ ص ١١٨ ﴾ بعد طعنه في سند الحكاية قال : قد قامت الحجة وأجمعت الامة على عصمته (ص) ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة النقيصة ، إما من تمنيه أن ينزل عليه من مدح آلهة

(١) الفرقان : ٣٢ .
(٢) أسرى : ٧٣ .
(٣) أسرى : ٧٤ .
(٤) الاعلى : ٦ .
(٥) المائدة : ٧٠ .

غير الله فهو كفر . أوأن يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ماليس منه ، ويعتقد النبي ﷺ أن من القرآن ماليس منه حتى ينبه جبرئيل (ع) وذلك ممتنع في حقه (ص) أو يقول ذلك النبي ﷺ من قبل نفسه عمداً ، وذلك كفر أو سهواً وهو معصوم من هذا كله .

وقدقررنا بالبراهين والاجماع عصمته (ص) من جريان الكفر على قلبه او لسانه لاعمداً ولاسهواً أو أن يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقيه الشيطان، أو يكون للشيطان عليه سبيل وأن يتقول على الله لاعمداً ولا سهواً مالم ينزل عليه . وقد قال الله تعالى : (ولو تقول علينا بعض الاقاويل . . . الآية ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف المماة ﴾ (٢) إلى أن قال في ص ١٢٠ : ولم يحك أحد في هذه القصة شيئاً سوى هذه الرواية الضعيفة الأصل . ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة ، ولأقامت بها اليهود عليهم الحجة ، ولا فتنة أعظم من هذه البلية ، ولاتشغيب المعادي حينئذ أشد من هذه الحادثة . ولا شك في إدخال بعض شياطين الانس والجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين .. الخ

أقول : إن لنا في توجيه الآية الكريمة على مذهب الامامية من أتباع آل محمد ﷺ طريقين :

أحدها : ان المراد من التمني هو تمني ظهور الحق وقمع الباطل كما هو دأب كل نبي مرسل، ﴿ ألقى الشيطان في أمنيته ﴾ يعني : نازعه بباطله وغوايته ومعارضته مع الحق الذي أبداه النبي ﷺ ومن الضرورة أن المعارضات الشيطانية تكون فتنة للذين في قلوبهم مرض ، إذ يقول سبحانه : « إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين » (٣) وقال : ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك

(١) الحاقة : ٤٩ . (٢) الاسراء : ٧٥ .
(٣) الحجر : ٤٢ .

منهم المخلصين ﴾(١) . ومن هنا ألقى الشيطان فتنة عبادة العجل في بني إسرائيل ، وألقى فتنة تعدد الآلهة في النصارى ، وألقى فتنة قيام العرب ضد النبي (ص) فاشعلوا نيران الفتن من بدء رسالته (ص) الى وفاته . بل وأوقد الشيطان نار الفتنة بين الأمة من مبدأ قول النبي (ص) في مرضه : ﴿ آتوني بدواة وكتف ، لا كتب لكم كتابا لن تضلوا أبدا ﴾ فامتنع الحاضرون عن امتثال أمره ، فأجرى الشيطان على لسانهم قول : (الرجل ليهجر) أو (استفهموه أهجر ؟) أو غير ذلك مما يؤدي هذا المعنى . فكان هذا الالقاء يخالف أمنية رسول الله ﷺ فانه كان يرى لهم الهداية والشيطان أوقعهم فى الضلالة حيث افترقت الأمة الى ثلاث وسبعين فرقة حسب ما أخبر به النبي الصادق المصدق فلأمثال هذه المكائد والحيل المقترنة بالشيطنة ومساعدة النفس الامارة ، صارت تنسب الى الشيطان . وكان النبي ﷺ يعتريه الحزن والضيق من ذلك ، ولكن الله تعالى قال تطيباً لخاطره : ﴿ وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته . الآية ﴾ (٢) وقال : (ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون) (٣) فعلى هذا لا أصل لزيادة لفظ : تلك الغرانيق العلى ... لا من الانس ولا من الشيطان .

وثانيها : أنه بناء على هذه الزيادة على أصول الجماعة وأحاديثهم نقول : إن الزيادة لم تكن من النبي (ص) ولا القيت على لسانه لا عمداً ولا سهواً لا في القرآن ولا في غيره . وإنما وقعت من الكفار والمشركين الذين هم شياطين الانس على لسانهم عند قراءة النبي (ص) : ﴿ أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الاخرى ﴾(٤) فألقت في قراءته لغوهم حذو قولهم : ﴿ لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم

(١) الحجر : ٣٩ .
(٢) الانبياء : ٢٥ .
(٣) الحجر : ٨٨ .
(٤) النجم : ١٩ و ٢٠ .

تغلبون ﴾ (١) ولا ضير فى نسبة هذه المكيدة الى الشيطان لأنها بوسوسته وأنه حملهم ان يزجوا بقراءة النبي (ص) مدح آلهتهم ، ولكن الله تعالى غالب على أمره فهذه المكيدة نظير مكيدة صنع السامري العجل وهتافه في بنى اسرائيل بأن « هذا إلهكم وإله موسى » (٢) لكنه في الموردين لم يكن تصرف في الحجج والبراهين ، ولم يشتبه الامر على المؤمنين لما اظهر الله تعالى بلطفه على لسان نبيه (ص) ما أوجب نسخ قول المشركين بلا فصل بقوله تعالى : « ألكم الذكر وله الانثى ، تلك اذن قسمة ضيزى » (٣) وقوله : « إن هي إلا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان » (٤) وقوله : « وكم من ملك في السماوات والارض لاتغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله ويرضى » (٥).

نسبتهم شرب الخمر الى أمير المؤمنين (ع)

قال ابن تيمية في « منهاجه ج ٤ ص ٦٥ » : وقد انزل الله تعالى في علي : ﴿ يا ايها الذين آمنو لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون .. ﴾ (٦) لما صلى فقرأوخلط ، مشيراً بكلامه هذا إلى مارواه الترمذي في (جامعه) قال : حدثنا عبد بن حميد، حدثنا عبدالرحمن بن سعد عن أبي جعفر الرازي عن عطاء عن أبي عبدالرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب قال : صنع لنا عبدالرحمن بن عوف طعاماً فدعانا وسقانا من الخمر ، فاخذت الخمر منا وحضرت الصلاة فقدموني ، فقرأت : « قل يا ايها الكافرون ، لا اعبد ماتعبدون ، ونحن نعبد ما تعبدون » (٧) فانزل الله :

(١) حم : ٢٦ .
(٢) طه : ٨٨ .
(٣) النجم : ٢١ .
(٤) النجم : ٢٣ .
(٥) النجم : ٢٦ .
(٦) النساء : ٤٣ .
(٧) الكافرون : ١ و ٢ و ٣ .

« يا ايها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » (٣) . انتهى .

وفي (الدر المنثور للسيوطي ج ٢ ص ١٦٥) في تفسير الآية ، انه اخرج ابن المنذر عن عكرمة في قوله تعالى : (لاتقربوا الصلاة .. الآية) انها نزلت في أبي بكر وعمر وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد ، صنع لهم علي طعاماً وشراباً فأكلوا وشربوا ، ثم صلى بهم المغرب علي ، فقرأ : ﴿ قل أيها الكافرون ﴾ حتى خاتمتها فقال : ليس لي دين ، وليس لكم دين !!! فنزلت : « لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى » انتهى .

تزييف الخبر سندا ومتنا

أقول : أما رواية السيوطي في (الدر المنثور) فعن عكرمة ، وقد اعلمناك فيما سبق أن عكرمة مقدوح في اعتقاده ، وانه على رأي الخوارج والحرورية وأنه كذاب في حديثه . نص على ذلك : يحيى بن سعيد الانصاري ، ويحيى بن بكير ، وعلي بن عبدالله بن عباس ، وعبدالله بن عمر ، وسعيد بن المسيب ، وعطاء بن أبي رباح ، وأيوب السجستاني ، ومحمد بن سيرين ، والامام مالك بن أنس ، وابن المديني ، ومصعب الزبيري ، والقاسم . وغيرهم كما يظهر لك من مراجعة (الميزان) للذهبي ، و (تهذيب التهذيب) للعسقلاني ، و (معجم الأدباء) لياقوت الحموي ، ومحمد ابن سعد في «الطبقات» وابن قتيبة الدنيوري في كتاب (المعارف) كلهم في ترجمة عكرمة . فاذن كيف يعتمد على حديث مثل هذا الشخص المبغض لعلي (ع) فيما نسبه اليه ، والى أبي بكر وعمر وابن عوف وسعد الذين هم من العشرة المبشرة (عندهم) من شرب الخمر الذي هو من عمل الشيطان بنص القرآن ، وذلك مكذوب في صحيح

---

(١) النساء : ٤٣ .

النص بالوجدان . وما أجرأهم على الله وعلى رسوله (ص) وعلى خلفائه وأمنائه في اختلاق الأكاذيب ونسبتها الى هؤلاء !!

ثم إن مازعمه ابن تيمية من تفسير الآية يرده مافي تفسير « الدر المنثور ج ٢ ص ١٦٥ » للسيوطي من أن المراد من السكر هو سكر النوم دون الخمر ، قال: واخرج الفاريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الضحاك في الآية قال : لم يعن بها الخمر انما عنى بها سكر النوم . وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس في قوله تعالى : (وانتم سكارى) قال : النعاس . وأخرج البخاري عن أنس قال : قال رسول الله (ص) : إذا نعس أحدكم وهو يصلي فلينصرف فلينم حتى يعلم مايقول إنتهى .

هـذا فما اختلقوه في تفسير الآية ونسبوه الى امير المؤمنين (ع) فهو مما دسته أيدي حاسديه ومبغضيه من النواصب والمعاندين ، أرادوا بذلك الحط من منزلته ، والوهن في عظيم رتبته ، ومناقضة ماجاء في القرآن الكريم من آيات فضله . وولايته وعصمته وطهارته (ع) ، كآية الولاية ، وكآية الطهارة وغيرهما من الآيات الناطقة بنزاهته عن هذه الارجاس . ومن الضروري أن الخمر هو رجس من عمل الشيطان لقوله تعالى : (إنما الخمر والميسر و ... رجس من عمل الشيطان ...) (١) وقد أذهب الله الرجس بجميع وجوهه عن أمير المؤمنين (ع) وسائر أهل البيت ومنهم فاطمة والحسنان(ع) بقوله : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » (٢) .

واما استناد ابن تيميـة الى حـديث الترمذي فباطل لانه هو الذي ضعف (جامع) الترمذي بقوله في « منهاجه ج ٣ ص ١٢٨ » (٣) قال : والترمذي قد

(١) المائدة : ٩٣ .

(٢) الاحزاب : ٣٣ .

(٣) عند احتجاج آية الله العلامة الحلي طاب ثراه بحديث البيهقي عن النبي (ص) : (من -

ذكر أحاديث متعددة في فضل علي (ع) ومنها ماهو ضعيف بل هو موضوع.

قلت: ومن المقطوع به، ان حديث الترمذي في شرب علي (ع) الخمر مفتعل مكذوب كسائر اكاذيبه. كيف لا. وفي اسناده: عطاء. ففي ﴿الميزان﴾ ت، عطاء بن عجلان الحنفي البصري عن انس، قال ابن معين: ليس بشيء، كذاب وقال مرة: كان يضع الحديث فيحدث به. وقال الفلاس: كذاب. وقال البخاري منكر الحديث. وقال ابو حاتم والنسائي: متروك. وقال الدار قطني: ضعيف لايعتبر به. وقال مرة: متروك .. الخ

وقال ابن حجر في (تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٠٨): قال عباس الدورى عن ابن معين: ليس بثقة. وقال في موضع آخر: كذاب. وقال في موضع: لم يكن بشيء، وقال عمرو بن علي: كذاب. وقال ابو زرعة الواسطي: ضعيف. وقال ابو حاتم: ضعيف الحديث، منكر الحديث جداً، وقال البخارى: منكر الحديث. وقال الآجري: ليس بشيء. وقال النسائي: ليس بثقة ولا يكتب حديثه. وقال ابن عدى: عامة روايته غير محفوظة، وقال الجورجاني: كذاب. وقال علي بن الجنيد: متروك. وقال الازدي والدار قطني وقال ابن معين: ليس بثقة ولا مأمون. وقال الطبراني: ضعيف في روايته تفرد بأشياء. وقال يعقوب ابن سفيان: لايسوى حديثه شيئاً. وقال الساجي: منكر الحديث. وقال ابن حبان صار يروى الموضوعات عن الثقات، لايحل كتب حديثه. انتهى.

ثم إن من المحتمل كون راوي الحديث عطاء بن السائب عن ابي عبدالرحمن السلمي، ولكن قال العسقلاني في ﴿تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٢٠٤﴾: قال ابن علّية: قال لي شعبة: ماحدثك عطاء بن السائب عن رجال زاذان ومسيرة وابي البختري

اراد أن ينظر الى آدم (ع) في علمه، والى نوح (ع) في فهمه، والى ابراهيم في حلمه، والى يحيي في زهده، والى موسى (ع) في بطشه، فلينظر الى علي بن أبي طالب).

فلا تكتبه . وقال أبو طالب عن أحمد : من سمع منه قديماً فسماعه صحيح ، ومن سمع منه حديثا لم يكن بشيء ، كان يرفع عن سعيد بن جبير أشياء لم يكن يرفعها . قال: قال وهب : لما قدم عطاء البصرة قال : كتبت عند عبيدة ثلاثين حديثا ، ولم يسمع من عبيدة شيئاً ، وهذا اختلاط شديد . وقال أبو داود وقال شعبة : حدثنا عطاء بن السائب وكان نسياً . وقال ابن معين : عطاء بن السائب اختلط ، وما سمع منه جرير وذووه ليس من صحيح حديثه ، وقد سمع منه أبوعوانة في الصحيح والاختلاط جميعاً ، ولا يحتج بحديثه . وقال أحمد بن أبي نجيح عن ابن معين : ليث بن أبي سليم ضعيف مثل عطاء السائب ، وجميع من سمع من عطاء سمع منه في الاختلاط . وقال ابن عدي : من سمع منه بعد الاختلاط في أحاديثه بعض النكرة ، وقال العجلي : وأما من سمع منه بآخره فهو مضطرب الحديث ، وقال أبو حاتم : كان محله الصدق قبل أن يختلط،صالح مستقيم الحديث ، ثم بآخره تغير حفظه ، في حفظه تخاليط كثيرة ، وفي حديث البصريين عنه تخاليط كثيرة،وماروى عنه ابن فضيل ففيه غلط واضطراب رفع اشياء كان يرويها عن التابعين . وقال النسائي : في حديثه القديم ثقة إلا إذا تغير وقال الحميدي عن ابن عيينة : سمعت عن عطاء بن السائب قديماً ثم قدم علينا قدمة ، فسمعته يحدث ببعض ما كنت سمعت فخلط فيه فانقيته واعتزلته . وفي (التهذيب ج ٧ ص ٢٠٦) : قال الحاكم : تغير بآخره . وقال في السؤالات : تركوه . إنتهى .

واما نسبة الرواية الى عبد بن حميد ففرية وعناد ، لان عبد بن حميد ممن صح عنه نزول قوله تعالى: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) (١) في علي بن أبي طالب (ع) أخرج الحديث عنه جلال الدين السيوطي في تفسيره (الدر المنثور ج ٢ ص ٢٩٣) عند ذكر الآية من

---

(١) المائدة : ٥٨ .

سورة المائدة . فكيف يعزى اليه رواية شرب علي (ع) الخمر وانه سكر ثم كفر ؟ ! ! ولكن للنواصب اكثر من هذا واعظم، إذ نسبوا الكفر الى من لم يكفر بالله طرفة عين أبداً ، وكان أول القوم ايمانا . فنعم الحكم الله والزعيم محمد ، والموعد القيامة .

وايضا فان رواية الترمذي وأبي داود والحاكم في طريقها : ابو عبدالرحمن السلمي . وهو من اعداء أمير المؤمنين (ع) ففي « تهذيب التهذيب » عن الواقدي: ان أبا عبدالرحمن السلمي ، عبدالله بن حبيب شهد مع علي صفين ، ثم صار عثمانياً اى معادياً لعلي وموالياً لمعاوية ، وجرى اصطلاحهم على أن مثل هذا في عداوة علي وموالاة معاوية يسمى عثمانياً . ومما يدل على معاداته لعلي (ع) ما أخرجه أحمد في مسند علي برجال الصحة عندهم عن سعد بن عبيدة قال : تنازع أبو عبدالرحمن وحبان ابن عطية ، فقال أبو عبدالرحمن : قد علمت ما جرأ صاحبك — يعني علياً (ع) — قال حبان : فما هو ؟ لا أبالك ! . قال وذكر عن علي (ع) حديث طلبه للمرأة التي كتب معها حاطب بن بلتعة إلى قريش يخبرهم بأن رسول الله يريد أن يغزوهم ، فأراد عمر أن يضرب عنق حاطب ، فقال له رسول الله (ص) : لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : (اعملوا ماشئتم فقد وجبت لكم الجنة . الحديث) . فانه لا يفد على هذه الجرأة على أمير المؤمنين (ع) إلا من كان معادياً له يقول في شأنه (ع) : إنه يجترىء على الكبائر اغتراراً بكونه بدرياً (١) .

ومما يدل على ان حديث الترمذي هذا ، مكذوب موضوع ، ما أخرجه الحاكم في « مستدرك الصحيحين ج ٢ ص ٣٧ » والذهبي في « التلخيص » عن احمد ابن حنبل باسناده الى علي (ع) قال : دعانا رجل من الانصار قبل أن تحرم الخمر ، فتقدم رجل فصلى بهم المغرب فقرأ : « قل يا أيها الكافرون » (٢) فالتبس عليه فيها

(١) آلاء الرحمن للبلاغي ج ٢ ص ١١٧ .
(٢) الكافرون : ١ .

فنزلت : « لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى » (١) ، قال الحاكم : هذا الحديث صحيح الاسناد . انتهى . وقال الحاكم والذهبي كلاهما : في هذا الحديث فوائد كثيرة وهي ان الخوارج تنسب هذا السكر وهذه الصلاة الى امير المؤمنين علي بن أبي طالب دون غيره ، وقد برأه الله منها فانه روى هذا الحديث : انتهى .

أقول : يعني إن أمير المؤمنين (ع) هو الذي روى الحديث بقوله : فتقدم رجل فصلى بهم المغرب فقرأ .. فالتبس عليه .. فنزلت الآية . فهو صريح في انه (ع) لم يشاركهم في تلك الصلاة ، ولا كان إمامهم فيها ولو كان (ع) هو إمامهم فيها لكان عليه أن يقول : فتقدمتهم فصليت بهم ... الخ أو يقول : فصلى بنا ، فهو صريح في أن امام القوم الذي صلى بهم حينئذ حال السكر واختلط عليه كان غير علي (ع) وليس الحديث متعرضا لشرب بقية من حضر ، فضلا عن علي (ع) .

وممن اتبع الخوارج في ضلالتهم هو ابن تيمية في (منهاجه) كما مر عليك ، والسيد محمود الآلوسي في تفسيره (روح المعاني ج ١ ص ٤١١) عند قوله تعالى : (يسألونك عن الخمر والميسر ...) (٢) فانه هاج به النصب ، وخرج عن مقتضى ادعائه النسب العلوي فقال : إن عليا كرم الله وجهه هو الذي صلى بالقوم وهم سكارى فقرأ : « قل يا أيها الكافرون » بحذف لا ، فأنزل الله تعالى : « لا تقربوا الصلاة .. الآية » ولم يعتمد في كلامه هذا إلى مستند بل أرسله إرسالا ، إتباعا لأشياخه من معاندي الحق و ناشري الباطل ! « ما هكذا تورد ياسعد الأبل .! » .

وقد مر عليك أن الخبر مفتعل موضوع ، وعلى فرض صحته فان علياً (ع) لم يكن معهم ، وفي ﴿ الاصابة لابن حجر العسقلاني ج ٦ ص ١٥٤ ﴾ أن محمد بن عبدالرحمن بن عوف دعا قوما فأطعمهم وسقاهم ، فحضرت صلاة المغرب ، فقدموا

(١) النساء : ٤٣ .
(٢) البقرة : ٢١٩ .

رجلا يقال له ابن جعونة ، فصلى بهم فقرأ : « قل يا ايها الكافرون » . . الى آخر الحديث في شأن نزول قوله تعالى : « لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى » . قال ابن حجر : وهذا من تخليط عبدالله ، فان القضية معروفة لعبد الرحمن بن عوف فاملها وقعت من رواية محمد بن عبدالرحمن عن أبيه ، فسقط قوله : عن أبيه ، انتهى .

وذكر ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ١٠ ص ٣٠) حديث تحريم الخمر من كتاب (الاشربة) عن انس بن مالك قال : كنت أسقي أبا عبيدة وأبا طلحة وأبي بن كعب من فضيخ زهو وتمر ، فجاءهم آت فقال : إن الخمر قد حرمت . فقال أبو طلحة : قم يا أنس فأهرقها . فأهرقتها . قال : كذا اقتصر في هذه الرواية على هؤلاء الثلاثة ، وسمى فى رواية مسلم أبا أيوب ومن رواية هشام عن قتادة عن أنس : إني لأسقي أبا طلحة وأبا دجانة وسهيل بن بيضا ولمسلم من طريق سعد عن قتادة نحوه ، وسمى فيهم معاذ بن جبل ، ووقع عند عبدالرزاق عن معمر عن ثابت وقتادة وغيرهما عن أنس ان القوم كانوا أحد عشر رجلا وقد حصل من الطرق التي أوردتها تسمية سبعة منهم . ومن المستغربات ما أورده ابن مردويه فى تفسيره عن طريق عيسى بن طهمان عن أنس : أن أبا بكر وعمر كانا فيهم . وهو منكر مع نظافة سنده . وما أظنه إلا غلطا . قال : ويحتمل أن كان محفوظا : أن يكون أبو بكر وعمر زارا أبا طلحة في ذلك اليوم ولم يشربا معهم . قال : ثم وجدت عند البزار من وجه آخر عن أنس قال : كنت ساقي القوم وكان في القوم رجل يقال له أبو بكر فلما شرب قال : —

تحيي بالسلامة أم بكر وهل لك بعد رهطك من سلام
كأني بالطوي طوي بدر من الفتيان والخيل الكرام

الى آخر الابيات. وأبوبكر هذا يقال له ابن شعوب ، فظن بعضهم أنه أبو بكر الصديق ، وليس كذلك . لكن قرينة ذكر عمر تدل على عدم الغلط في وصف

الصديق . قال : وفي كتاب (مكة) للفاكهي من طريق مرسل ما يشهد ذلك . فحصلنا على تسمية عشرة ، وقدمت في غزوة بدر من المغازي ترجمة أبي بكر ابن شعوب المذكور . انتهى .

معاقرة الخمر لغير واحد من الصحابة

قال الحكيم الترمذي في ﴿ نوادر الأصول ص ٦٦ ﴾ : الحديث الذي تنكره القلوب مارووه عن عوف عن ابن القموص قال : شرب أبو بكر الخمر يعني من قبل نزول تحريمها فقعد ينوح على قتلى بدر وهو يقول : —

تحيي بالسلامة ام بكر وهل لك بعد رهطك من سلام
ذريني أصطبح يا أم بكر رأيت الموت نقب عن هشام
فنقب عن أبيك وكان قرماً من الأشراف شراب المدام
كأني بالطوي طوى بدر من الفتيان والحيل الكرام

فبلغ ذلك رسول الله (ص) فخرج يجر ثوبه من الفزع حتى أتاه فدفع شيئا في يده ، فقال أبو بكر : أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله (ص) فانزلت : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه .. » (١) وزاد غيره في الابيات : —

ويخبرنا الرسول بأن سنحيي فكيف حياة أصداء وهام ؟

فهذا منكر من القول والفعل ، وقد اعاذنا الله والصديقين من قول الخناء . انتهى . وذكره ابن حجر في الاصابة ج ٤ ص ٢٢ (٢) .

أقول : ظاهر الحديث يدل على أن أبا بكر شرب الخمر بعد نزول آية تحريمها

(١) المائدة : ٩٣ .

(٢) وذكره الفاكهي في كتاب مكة ، والطبري في تفسيره ج ٢ ص ٢٠٣ أو ٢١١ في طبعة اخرى .

فلو كان شربها قبل زمان الحرمة فلا وجه لغضب رسول الله (ص) على شاربها . فالحديث ينفي كون الشرب قبل التحريم . ولو فرضنا انه شربها قبل التحريم ، فليس ماجرى على لسانه من قول الخنا — كما قال الترمذي — لانه لم يكن يعقل ما يقوله في حالة السكر . نعم على هذا الفرض ، أو على كلا الفرضين فان قول الخنا ثابت لامحالة ، بل الخزي والعار لانه يدل على أن قائل الابيات والمتمثل بها هو مضمر الكفر والنفاق ، لأن السكران يصرح بكل ما أضمره في نفسه حالة الصحو ، ويظهر ما أخفاه في قلبه ، ولذلك جلس ينوح على قتلى بدر من المشركين ، وإلا فلم لم ينح على شهداء بدر وشهداء احد من المسلمين ؟؟ فاذا كان أبو بكر عندهم بعيداً عن قول الخنا ، فان علياً (ع) أبعد عنه بمراتب ودرجات ، لانه (ع) الصديق الاكبر الذي لم يسجد لصنم أبداً ، ولم يشرك بالله طرفة عين . ففي « الدر المنثور للسيوطي ج ٥ ص ٢٦٢ » أخرج ابن عدي وابن عساكر : ثلاثة ما كفروا بالله قط : مؤمن آل يس ، وعلي بن أبي طالب ، وآسية امرأة فرعون (١) الخ . وفى كتاب (المستطرف للشيخ شهاب الدين أحمد ج ١ ص ١٥٦) عن نافع بن أبي نعيم قال : كان أبوطالب يعطي علياً (ع) قدحاً من اللبن يصبه على اللات ، فكان علي يشرب اللبن و يبول على اللات . انتهى .

قلت : فمن كانت غريزته هكذا فضميره ضمير ايمان وتوحيد ، فلا يظهر إلا ما أضمره إذن فلا يقول في صلاته : (قل ياأيها الكافرون ، انا أعبد ماتعبدون) كما يزعم الحاسدون والمعاندون .

معاقرة الخمر لغير واحد من الصحابة

قال جار الله الزمخشري في كتابه « ربيع الابرار » (٢) في الباب السادس

(١) اورده في السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٥٧ .

(٢) توجد نسخته المخطوطة النادرة في مكتبة المدرسة الهندية بكربلاء .

والسبعين : أنزل الله سبحانه وتعالى في الخمر ثلاث آيات : « يسألونك عن الخمر والميسر ... » (١) فكان المسلمون بين شارب وتارك الى أن شربها رجل ودخل في صلاته فهجر فنزلت : « يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى » فشربها من شربها من المسلمين حتى شربها عمر بن الخطاب فأخذ بلحى بعير فشج رأس عبدالرحمن بن عوف ثم قعد ينوح على قتلى بدر بشعر أسود بن يعفر : —

وكائن بالقليب قليب بدر | من الشبان والشيب الكرام
أيوعدنا ابن كبشة أن سنحيي | وكيف حياة اصداء وهام
أيعجز أن يرد الموت عني | وينشرني إذا بليت عظامي ؟؟
ألا من مبلغ الرحمن عني | بأني تارك شهر الصيام ؟
فقل لله : يمنعني شرابي | وقل لله : يمنعني طعامي

فبلغ ذلك رسول (ص) فخرج يجرّ رداءه فرفع شيئاً كان في يده ليضربه فقال : اعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فأنزل الله : « إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة و . . الى قوله فهل انتم منتهون » (٢) فقال عمر : إنتهينا ، إنتهينا إنتهى .

واورد الحكاية ابن الخطيب في كتاب (المستطرف) ج ٢ ص ٢٦٠ ، في الباب الرابع والسبعين في ذم الخمر وتحريمها قال : قد انزل الله تعالى في الخمر ثلاث آيات : الاولى ، قوله تعالى : « يسألونك عن الخمر والميسر قل : فيهما اثم كبير ومنافع للناس — الآية » فكان من المسلمين من شارب ومن تارك إلى ان شرب رجل فدخل في الصلاة فهجر فنزل قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها عمر

(١) البقرة : ٢١٩ .
(٢) المائدة : ٩٤ .

رضي الله تعالى عنه فأخذ بلحى بعير وشج به رأس عبدالرحمن بن عوف ، ثم قعد بنوح على قتلى بدر بشعر الاسود بن يعفر يقول :

وكائن بالقليب قليب بدر ... من الفتيان والعرب الكرام
ايوعدني ابن كبشة أن سنحيي ... وكيف حياة اصداء وهام ؟
ايعجز ان يرد الموت عني ... وينشرني اذا بليت عظامي ؟
الا من مبلغ الرحمن عني ... بأني تارك شهر الصيام ؟
فقل لله : يمنعني شرابي ... وقل لله : يمنعني طعامي

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مغضبا يجرّ رداءه ، فرفع شيئا كان في يده فضربه ، فقال : اعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله ، فانزل الله تعالى : « إنما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة . فهل انتم منتهون ؟ » فقال عمر رضي الله تعالى عنه : انتهينا انتهينا . إنتهى .

أقول : المستفاد من روايتي الزمخشري وابن الخطيب أن عمر كان متأملا في تحريم الخمر بعد نزول قوله تعالى : (يسألونك عن الخمر ... الخ) مع انها صريحة في الحرمة المغلظة لقوله : « قل : فيهما إثم كبير » (١) ومع ذلك شربها وأخذت منه مأخذها حتى أوقعته في رجس الشيطان ، من كسره رأس عبدالرحمن ، وقوله الهجر والهذيان ، بما يرجع إلى انكار البعث والمعاد ، والطعن في رسالة الرسول (ص) ، والمجاهرة بالتحدي معرب الارباب بقوله : فقل لله يمنعني .. الخ (كبرت كلمة تخرج من أفواههم) (٢) وليس العجب هيهنا ، لأن الرجل قد أظهر — والحمد لله رب العالمين — كل ما كان في نفسه كصاحبه ، إنما العجب كل العجب من قوم ينسبون الى

(١) البقرة : ٢١٩ .
(٢) الكهف : ٥ .

رسول الله (ص) قوله : لو لم ابعث فيكم لبعث عمر ! وقوله : لو كان بعدي نبي لكان عمر : وقوله : الحق يجري على لسان عمر ، وان مع عمر ملكين يسددانه (١) ألمثل هذه القريحة الفتاكة والاعمال الهمجية استحق عمر أن يكون مبعوثاً للنبوة ، وخليفة الله في ارضه على البرية ؟! وأن يكون معصوماً عن الخطيئة ! ؟

حكمهم بكفر الشيعة ووجوب قتلهم

جاء في ﴿الصواعق المحرقة﴾ لابن حجر الهيتمي ص ١٥٢ عن ابن عمر مرفوعاً يكون في آخر أمتي الرافضة ينتحلون حب أهل بيتي وهم كاذبون ، علامة كذبهم شتمهم أبا بكر وعمر ، من أدركهم منكم فليقتلهم فانهم مشركون .

وفي ﴿لسان الميزان﴾ لابن حجر العسقلاني ج ٤ ص ٣٧٦ في ترجمة عمرو بن مخزوم البصري ، عده ابن عدي بالبواطيل ، فمن ذلك عن يزيد عن خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً : يكون في آخر أمتي الرافضة ينتحلون حب أهل بيتي وهم كاذبون .. إلى آخر الحديث لكن انفرد به احمد بن محمد بن عمر اليمامي ، وهو هالك . إنتهى كلام العسقلاني . وعكرمة — كما اسمعناك — كذاب خبيث متجاهر ببغض علي (ع) وأهل البيت ، وهوعلى مذهب الخوارج .. وأما خالد الحذاء ففي (تهذيب التهذيب ج ٣ ص ١٢٢) في الترجمة انه : حكى العقيلي عن طريق أحمد ابن حنبل : قيل لابن علية في حديث كان خالد يرويه ، فلم يلتفت اليه ابن علية وضعف أمر خالد . وفيه : قال أبو حاتم : يكتب حديث خالد ولا يحتج به ، وعاب عليه بعضهم لأجل دخوله في عمل السلطان ، واشار حماد بن زيد الى ان حفظه قد تغير ، وكان خالد قد استعمل على العشور في البصرة . إنتهى .

---

(١) سيأتي في الجزء الخامس والسادس من هذا الكتاب البحث حول ذلك انشاء الله .

مختلقاتهم في قتل من سب الشيخين

ومن مختلقات هؤلاء الجماعة روايتهم عن أنس عن النبي (ص) : من افترى على الله كذباً قتل ولا يستتاب ، ومن سبني قتل ولا يستتاب ، ومن سب أبا بكر وعمر قتل ولا يستتاب ، ومن سب عثمان أو علياً جلد الحد ! قيل : يارسول الله ولِمَ ذلك ؟ قال : لأن الله خلقني وخلق أبا بكر وعمر من تربة واحده وفيها ندفن ! إنتهى (١) .

أقول : قال الذهبي في (الميزان ج ٣ ص ٣٢٣) ، وابن حجر في (لسان الميزان ج ٦ ص ٣٠٦) في ترجمة يعقوب بن الجهم الحمصي : ان الحديث موضوع . وقال ابن عدي : البلاء فيه من يعقوب بن الجهم الحمصي . انتهى .

وقال السيوطي في « اللئالي المصنوعة ج ١ ص ١٦٠ » : الحديث موضوع . وأخرجه من طريق آخر فيه محمد بن يوسف الاصفهاني عن أحمد بن سعيد بن فرضح الأخميمي وقال : لايصح ، محمد واحمد مطعون فيهما وفيه مجاهيل منهم أبو اليسع . انتهى .

وفي «اللئالي ج ١ ص ١٥٩» عن أبي هريرة مرفوعاً : إن لله تعالى في السماء سبعين الف ملك يلعنون من شتم ابا بكر وعمر . قال الخطيب : سهل بن صقير يضع الحديث . انتهى وبنحوه قال الذهبي في (الميزان ج ١ ص ٤٣٠) .

أقول : لاوجه لكون من سب ابابكر وعمر مستحقاً للقتل ، فالحديث موضوع يخالف متنه الكتاب والسنة وسيرة الصحابة والتابعين لهم باحسان ، لاطباق الجميع على معذورية الجاهل المخطيء ، وكذلك المجتهد إن أصاب فله اجران وإن أخطأ فله اجر

---

(١) ان هذا الحديث قد اختلق بعد دفن عمر ، فلو كان صادراً قبل ذلك لما بعث عمر يستأذن عائشة في أن يدفن في حجرتها لما طعنوه كما ذكر المؤرخون .

واحد كما في الصحيحين . قال ابن تيمية في (منهاج السنة ج ٣ ص ٦٠) : إن المتأول لا يكفر ولا يفسق اذا اجتهد فأخطأ ، وتكفير المخطئين في مسائل العقائد لا يعرف من أحد من الصحابة والتابعين ولا يعرف من احد من أئمة المسلمين وانما هو في الأصل من أقوال أهل البدع الذين يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم . الخ وقال ايضا في ج ٢ ص ٢٢٠ : ومما ينبغي أن يعلم أن الأمة يقع فيها امور بالتأويل في دمائها وأموالها وأعراضها كالقتال والامن والتكفير . قال : فقد ثبت أن هؤلاء قتلوا قوماً مسلمين لا يحل قتلهم ، ومع هذا لم يضمن بقود ولا دية ولا كفارة لان القاتل كان متأولا وهذا قول اكثر العلماء كالشافعي واحمد وغيرهما . قال : إن جماهير العلماء كمالك وأبي حنيفة وأحمد في ظاهر مذهبه والشافعي في أحد قوليه يقولون : إن أهل العدل والبغاة اذا اقتتلوا بالتأويل لم يضمن هؤلاء ما أتلفوا لهؤلاء من النفوس والاموال ، قال : والمتأول المخطيء مغفور له بالكتاب والسنة من قوله : (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو اخطأنا الخ) (١)

وقال ابن حزم الاندلسي في كتاب ﴿الفصل في الملل والنحل ج ٣ ص ١٣٨﴾: لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد او فتيا وان كل من اجتهد في ذلك فدان بما رأى انه الحق فانه مأجور على كل حال إن أصاب فأجران وان أخطأ فأجر واحد قال : وهذا قول ابن أبي ليلى وأبي حنيفة والشافعي ، وسفيان الثوري وداود بن علي وقول كل ماعرفنا له قولا في المسألة من الصحابة لا نعلم في ذلك خلافاً أصلا . الخ وقال القاضي عياض في كتاب ﴿ الشفاء ج ٢ ص ٢٦٣ ﴾ : المحققون على أن الواجب الاحتراز عن التكفير في أهل التأويل فان استباحة دماء المصلين خطر عظيم ، والاحاديث المتضمنة لكفر القدرية والخوارج معرضة للتأويل بارادة التغليظ وقد

(١) البقرة : ٢٨٦ .

ورد مثله في الرياء والربا والزنا وعقوق الوالدين والزور . وقال في ص ٢٦٢ في الخوارج والقدرية وأصحاب البدع المتأولين : إن القول بترك تكفيرهم مروي عن علي بن أبي طالب وابن عمر والحسن البصري وهو رأى جماعة من الفقهاء النظار والمتكلمين . واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين ورثة أهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم ، ودفنهم في مقابر المسلمين وجرى احكام الاسلام عليهم . وقال في ص ٢٦٥ : وقال : ﴿فاذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد﴾ . وظاهر هذا الكفر لاسيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الآخر : إنما ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم بدليله من الحديث نفسه : (يقتلون أهل الاسلام) فقتلهم هنا حد لا كفر ، وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره .

قلت : صريح كلام القاضي ان قتال أمير المؤمنين (ع) للخوارج ومن قبلهم من أهل الجمل وصفين إنما هو لدخولهم في حزب الباغين وجملة المحاربين وذلك لقوله تعالى : (وإن نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون) (١) وقوله تعالى : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً أن يقتلوا أويصلبوا) (٢) دات على ان الباعث على قتلهم بغيهم وحربهم لامامهم وذلك لتعليق الحكم في الآيتين على نكث العهد ودخولهم فيمن حارب الله ورسوله (ص) .

فالكلام إذن ، في المسلم الموحد الذي حكم القرآن بعصمة دمه هل يقتل بسبه لأبي بكر وعمر أولا ؟ بل يكون محقون الدم وإن عصى كسائر ما يعصي العبد به الله تعالى كما هو الظاهر من النصوص .

ففي (صحيح مسلم ج ٥ ص ١٠٦) باب مايباح به دم المسلم ، عن مسروق

(١) التوبة : ١٣ .

(٢) المائدة : ٣٦ .

عن عبدالله قال : قال رسول الله (ص) : لا يحل دم امرىء مسلم يشهد ألا إله إلا الله وأني رسول الله الا باحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة .

وفي (صحيح البخارى) عن أنس قال : قال رسول الله (ص) : من صلى صلاتنا وأسلم واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا في ذمته .

وأما حديث السب والشتم فمع ماعرفت من وضعه ومخالفة متنه للكتاب والصحيح من السنة فهو منقوض بالحديث المروي عن أبي بردة الاسلمي كما في كتاب (المحلى) لابن حزم الأندلسي ج ١١ ص ٤١٠ : إنه اغلظ رجل لأبي بكر الصديق . قلت : ألا أقتله ؟ فقال أبو بكر : ليس هذا إلا لمن شتم النبي (ص) . انتهى . ونحوه رواية القاضي عياض المالكي في « الشفا » ج ٢ ص ٢١٤ عن أبي بردة : أن الرجل سب أبا بكر ، فقلت : ياخليفة رسول الله دعني أضرب عنقه . فقال : إجلس فليس ذلك لأحد إلا لرسول الله (ص) . قال القاضي ابو محمد بن نصر : ولم يخالف فيه أحد ، قال : ومن ذلك كتاب عمر بن عبدالعزيز إلى عامله بالكوفة — وقد استشاره فى قتل رجل سب عمر (رض) — فكتب اليه عمر : إنه لايحل قتل امرىء مسلم بسب أحد من الناس إلا رجلا سب رسول الله (ص) فمن سبه فقد حل دمه . إنتهى . فالحديث صريح في ان شتم غير النبي (ص) لايوجب القتل ، وعليه عمل أبي بكر والخلفاء من بعده ، وعليه عمل الصحابة فمن خرج عن ذلك فقد أفتى بغير علم ولا هدى من الله تعالى ، فليس تكفير أحد من المسلمين ولا حلية دمه من هدى الرسول (ص) .

تكفيرهم المنكر لخلافة الشيخين

ففي الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٥٧ ، قال : المنقول من العلماء فمذهب أبي حنيفة أن من أنكر خلافة الصديق وعمر فهو كافر . الخ

قلت : اولا : ـ اللازم عليه بيان المدرك لهذه الفتوى الظالة الظالمة ، والا فهو حكم بغير ما أنزل الله ولأبي حنيفة كثير من امثال هذه الفتاوى البشعة لحد النهاية ، مثل تجويزه الصلاة في جلد كلب مدبوغ ملطخ بالنجاسة ، والوضوء بالنبيذ ، والتكبير بالفارسية ، ثم الخروج عن الصلاة بضرطة ، ذكرها ابن تيمية في (المنهاج ج ٢ ص ٩٦) مثل ماحكى ابن حزم عن أبي حنيفة في (المحلى ج ١١ ص ٢٥٢) قال : من وطيء امرأة أبيه أو حريمته بعقد زواج او بملك يمين فعل محرما وعليه الحد . وقال ابو حنيفة: لاحد على من تزوج امه التي ولدته وابنته واخته وجدته وعمته وخالته وبنت أخيه وبنت اخته عالما بقرابتهن منه عالما بتحريمهن عليه ووطيء كلهن فالولد لاحق به والمهر واجب لهن عليه ولا حد في ذلك . ومثل ماحكاه ايضا في (المحلى ج ١١ ص ٢٥٠) من أن أبا حنيفة لم ير الزنا إلا ما كان مطارفا ، واما ما كان فيه عطاء أو استيجار فليس زنا ، ولا حد فيه . قال ابن حزم : إن هـذا هو الطريق الى الزنا وإباحة الفروج المحرمة والاقدام على الزنا علانية في أمن وأمان . قال : ونحن نتبرأ الى الله من هذه الاقوال الملعونة . انتهى .

وذكر العلامة الزمخشري في كتابه (ربيع الابرار) في الباب الستين ، : انه قال يوسف بن أسباط : رد ابو حنيفة على رسول الله (ص) أربع مئة حديث او اكثر قال : قال رسول الله (ص) : سهمان للفارس وللراجل سهم ، قال ابو حنيفة لا أجعل سهم بهيمة اكثر من سهم المؤمن . واشعر رسول الله (ص) واصحابه البدن . وقال أبو حنيفة : الاشعار مثلة . وقال (ص) : البيعان بالخيار مالم يفترقا .

وقال ابو حنيفة : إذا وجب البيع فلا خيار . وكان النبي (ص) يقرع بين نسائه إذا اراد السفر ، وقال ابو حنيفة : القرعة قمار . الخ

وثانياً : — انه معارض بمثله عند الشيعة حيث يرون خلافة علي امير المؤمنين عليه السلام بلا فصل بالنص من الله ورسوله ، ومنكر النص على علي (ع) كافر لأنه رد على الله وعلى رسوله « ص » في أمر ضروري حصل لأمير المؤمنين (ع) بحضر جمهور المسلمين يوم الغدير ، ونزلت بشأنه آيات بينات من القرآن كما سيأتي التفصيل عند بيان النصوص على امير المؤمنين (ع) واما خلافة ابي بكر فليست منصوصاً عليها باجماع المسلمين كافة فانها بنيت على الفلتة (١) من غير روية ولا مؤامرة كل ذلك مضافا الى مارواه اخطب خوارزم بالاسناد الى ابي ذر الغفاري قال : قال النبي ﷺ : من ناصب علياً الخلافة فهو كافر وقد حارب الله ورسوله ومن شك في علي فهو كافر وعن أنس بن مالك قال : كنت عند رسول الله (ص) فرأى عليا (ع) مقبلا فقال : أنا وهذا حجة الله على امتي يوم القيامة . وعن معاوية بن حيدة القشيرى قال : سمعت رسول الله يقول لعلي : من مات وهو يبغضك مات يهودياً او نصرانياً انتهى .

ومع ذلك فنحن لا نقول بكفر من انكر خلافة علي « ع » بلا فصل ، كما ان اهل السنة لا يقولون بارتداد الزبير وطلحة وعائشة ، ومعاوية وابن العاص وابي الغادية قاتل عمار وبسر بن ارطاة ومعاوية بن خديج قاتل محمد بن أبي بكر ، وغيرهم من الناكثين والقاسطين بل ولا بكفر يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم قاتل طلحة وهو عندهم من حواري النبي ﷺ مع وضوح النص على ان : « من تخلف عن امام زمانه فمات مات ميتة الكفر » (٢) فلو كان التأويل والقول بالاجتهاد والعمل بالرأي

(١) سيأتي الكلام على ذلك فى الجزء الخامس من هذا الكتاب انشاء الله تعالى .

(٢) سيأتيك تفصيله عند بحث الامامة من هذا المجلد .

دافعاً للكفر والارتداد عن المتأولين فليكن دافعاً عمن انكر خلافة ابي بكر وعمر ايضاً ، وإلا فالقول بالفصل قول بالهزل !

وثالثاً : — لو حكمنا بكفر من انكر خلافة ابي بكر ، وجب الحكم بكفر من تخلف عن بيعته في الصدر الاول ولم يبايعه بتاتاً كسعد بن عبادة سيد الخزرج ، والحباب بن المنذر ، وقيس بن سعد ومتابعيهم من الخزرج ، وخالد بن سعيد الاموي والصحابة الذين امتنعوا عن البيعة الى ان بايع علي (ع) من بعد ستة أشهر ، وكذلك العباس عم النبي ﷺ واشدهم على أبي بكر سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص) فانها توفيت وهي ساخطة غاضبة عليه كما في الصحيحين . وهجرته ولم تكلمه مادامت في الحياة (١)

ورابعاً : — بالنقض بخلافة عثمان الذي قام الاجماع على خلافته بصورة اعم من قيامه على خلافة صاحبيه أبي بكر وعمر ، ولم يعارض فيها احد كالمعارضة التي حدثت على خلافة ابي بكر ، ومع هذا فقد خرجوا عليه حتى خلعوه فقتلوه ، ولم يكن في المدينة من الصحابة من أهل الحل والعقد ، والمهاجرين والانصار ومن البدريين والاحديين واهل بيعة الرضوان إلا وهم ساعون اومساعدون في خلعه او قتله واشدهم عليه عائشة وطلحة والزبير . ثم لم يخرجوا بذلك عن دينهم ولم يحكم احد بكفرهم وارتدادهم .

وخامساً : — بالنقض بخلافة امير المؤمنين عليه السلام في عهده فانه « ع » كان امام زمانه بالضرورة من الدين واجماع اهل الحل والعقد من الصحابة والتابعين ، ومع ذلك فقد خالفته الفئات الباغية من اهل الجمل وصفين ، ولم يكونوا بكافرين ، ولم يعامل امير المؤمنين « ع » نساء اهل البصرة وذراريهم بعد الفتح معاملة رسول الله ﷺ مع نساء الكفار والمشركين وذراريهم .

---

(١) راجع ماقاله شارحا البخاري ، القسطلاني في « ارشاده » والانصاري في « تحفته » ج ٨ ص ١٥٧ من كل منهما .

وسادساً : — نقول : أي حجة قامت من الله أو من رسوله ﷺ على خلافة أبي بكر ؟ ام اى نص دل على ذلك حتى يكون منكره كافراً عند القوم ؟! بل الضرورة قامت عندهم على ان النبي ﷺ توفي ولم يستخلف (١) حتى انه بادر الخزرج من الانصار الى السقيفة لنصب الأمير ، فعند ذلك بادر أبو بكر وعمر الى السقيفة لنقض الأمر على الانصار فتضاربت الآراء ، وكادت ان تنشب الفتن وتراق الدماء لولا أن غلب المهاجرون بانضمام الأوس اليهم من الانصار فبايعوا أبا بكر فهل تعد مثل هذه البيعة على مافيها ، ضرورية إلهية حتى يكون منكرها كافراً ؟

وأما ضرورة المذهب فلا تجدي نفعاً بعد افتراق الأمة الى ثلاث وسبعين مذهباً وفرقة ، فمثل هذه الضرورة لايعد خلافها كفراً نظير ما كان ضرورياً عند أبي حنيفة ويرى الشافعي خلافه وبالعكس فضروريات المذاهب الاسلامية المختلفة لاتكاد توجب الكفر على من خالفها مالم يرجع ذلك الى انكار التوحيد والنبوة والمعاد .

ثم ان القول بتكفير الشيعة القائلين بخلافة أمير المؤمنين (ع) بلا فصل المعتقدين بالتوحيد والنبوة والمعاد والمصدقين بما جاء به النبي (ص) من عندالله ، ان تكفيرهم والاعتداء عليهم وتوجيه الافتراء عليهم لايثمر إلا شق عصا المسلمين ، وبث التفرقه في صفوف الاسلام ، وتفرق الكلمة وانصداع شمل الأمة ، وهذا كله يعود على الجميع بالذل والصغار ، والهلاك والدمار ، وانا لله وانا اليه راجعون .

صور من تعصبهم البغيض

ومن مظاهر تعصب القوم في الباطل ماجاء به المولوي حيدر على الهندي في كتابه « منتهى الكلام » طاعناً على الشيعة قائلا عنهم : إن مقتضى مذهبهم حسب

(١) عدم استخلافه أبا بكر من المسلمات عند المسلمين قاطبة ، واستخلافه (ص) علياً (ع) من المسلمات لدى العترة الطاهرة وشيعتهم وكل من تتبع وانصف من سائر المسلمين .

ماصرح به فقهاؤهم في كتبهم فساد نكاح الناصبي بالمؤمنة واسماء بنت عميس الخثعمية عند الشيعة مؤمنة ومحبة لعلي وفاطمة عليها السلام . وابو بكر عند الشيعة ناصبي غاصب لحق علي وفاطمة (ع) وعليه فلا طيب لولادة محمد بن أبي بكر . ومعتقد الشيعة هو كفر ولد الزنا وانه شر الثلاثة . انتهى .

أقول : إن مذهب الشيعة وإن كان على بطلان النكاح بين الناصبي والمؤمنه ، ولكن نكاح أبي بكر من اسماء بنت عميس كان في حياة رسول الله (ص) بعد مقتل جعفر الطيار (ع) بمؤته ولم يكن أبو بكر حينئذ ناصباً ولم تكن بينه وبين علي (ع) معاداة ، وإنما بدأت بعد وفاة رسول الله (ص) واستيلاء أبي بكر على حق أمير المؤمنين «ع» ومنعه حق الزهراء «ع» ومحمد بن أبي بكر كان حينذاك موجوداً (١)

مضافاً الى أن الناصبي عندنا — اي الذي يبطل تزويجه من المؤمنة — هو من أظهر العداوة وكان معتقده البراءة من أمير المؤمنين وسائر أهل البيت عليهم السلام ولم يظهر ذلك من أبي بكر ولا عمر ولذلك زوّج أمير المؤمنين (ع) ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب حيث كان يظهر له الموالاة . وبالجملة فان الظلم والبغي شيء ، واعتقاد البراءة شيء آخر ، والنصب المبطل للنكاح هو الثاني دون الاول .

ومن مظاهر تعصبهم ماقاله ابن تيمية في منهاجه ج ٣ ص ١٨٩ : إن ثبت أن عثمان أمر بقتل محمد بن أبي بكر حين ولاه مصر ، فلم يطعن على عثمان بل عثمان أولى بالطاعة ممن طلب قتل مروان . لأن عثمان امام هدى يجب عليه سياسة قتل من لا يدفع شره إلا بالقتل . والذين طلبوا قتل مروان قوم خوارج ليس لهم قتل ولا حد وليس مروان أولى بالفتنة من محمد بن أبي بكر ، ولا هو اشهر بالعلم والدين منه بل أخرج

(١) ابن تيمية في منهاجه ج ٣ ص ١٨٩ .

أهل الصحاح عدة أحاديث عن مروان ، وله قول مع أهل الفتيا ، ومحمد بن أبي بكر ليس بهذه المنزلة ولم يدرك من حياة النبي (ص) إلا اشهراً ومروان ادرك حياة النبي (ص) انتهى .

قلت : اما قوله في عثمان انه امام هدى فحسبك في الطعن فيه كلام امير المؤمنين عليه السلام في خطبته الشقشقية : « ... الى أن قام ثالث القوم — اي عثمان — نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الربيع الى أن انتكث فتله واجهز عليه عمله وكبت به بطنته .. » الخ

ومن ذلك انكار عائشة على عثمان — وهي صديقة عند القوم — وأمرها بقتله وقولها : اقتلوا نعثلا فقد كفر . كما في تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٧٢ ، وابن الاثير ج ٣ ص ٩٠ ، والامامة والسياسة ص ٤٧ ، وستأتيك أنباء عثمان وفضائعه ومنكراته والمناقشة حول كونه امام هدى» ...

وأما حكمه بقتل محمد بن أبي بكر فلم يكن له موجب ولا مبرر حينذاك ، ولكن عثمان هو وأهل مصر وبقية الصحابة اتفقوا على ان يكون والياً من قبله على مصر ، وكتب هو بذلك العهد الى محمد بن ابي بكر ، فان بدا بعد ذلك لعثمان فيه رأى كان اللازم عليه أن يعزله دون أن يأمر بقتله وقتل أصحابه قبل تصديه لشيء . وهل هذا إلا صورة فظيعة من الغدر والفتك بالمؤمن من غير عذر ولا سبب يليق به إمام الهدى ؟!

هذا وقد كان محمد بن أبي بكر من عباد قريش ونساكهم ، وقد اثنى عليه أمير المؤمنين (ع) . ففي « الاصابة » لابن حجر العسقلاني في الترجمة : قال ابن عبد البر : كان علي « رض » يثني عليه ويفضله وكانت له عبادة واجتهاد ، ولما بلغ عائشة قتله حزنت عليه . انتهى وذكر سبط ابن الجوزي في « تذكرة خواص الأمة » انه لما بلغ ام حبيبة اخت معاوية بن ابي سفيان قتل محمد وحرقه شوت كبداً وبعثت

به الى عائشة تشفياً بقتل محمد بطالب دم عثمان فقالت عائشة : قاتل الله ابنة العاهرة . والله لا أكلت شواءاً أبداً . وبلغ علياً قتل محمد فبكى بكاءاً شديداً وتأسف عليه ولعن قاتله .

وأما مروان وابو الحكم فمضافاً الى انهما من الشجرة الاموية الملعونة في القرآن والسنة كما في مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٨٠ ، وتاريخ الخطيب البغدادي ج ٦ ص ٢٧١ و ج ٨ ص ٢٨٠ ، والدر المنثور للسيوطي ج ٤ ص ١٩١ ، وتفسير الفخر الرازي في سورة الاسراء عند قوله تعالى : « وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن » ونحوه في تفسير الخازن . وفي تاريخ ابي الفداء ج ٣ ص ١١٥ انه اجمع المفسرون انه اريد بها بنو امية ، فمضافا الى ذلك كله ، ورد لعنه ولعن ابيه خاصة على لسان النبي ﷺ كما في حديث المستدرك ج ٤ ص ٤٨٠ ، ومسند احمد بن حنبل ج ٢ ص ٣٨٥ ومنتخب كنز العمال المطبوع في هامش المسند ج ٥ ص ٤٥٣ و ص ٤٠١ .

قال المقريزي في « النزاع والتخاصم ص ٢٦ » : كان مروان أول من شق عصى الاسلام بغير تأويل . انتهى . وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء ص ٨٢ : انه قال الذهبي : إن مروان باغ خارج على ابن الزبير . انتهى .

وقال الذهبي في «الميزان» في الترجمة: مروان بن الحكم الاموي أبو عبدالملك قال البخاري : لم يرو عن النبي (ص) وله اعمال موبقة ، رمى طلحة بسهم وفعل مافعل . انتهى . وقال السيد نعمان افندي الآلوسي في آخر الفصل الثاني والعشرين من كتابه (صادق الفجرين) : ومروان هو الذي زوّر الكتاب عن لسان عثمان وختمه بختمه وارسل الى عامل مصر ليقتل المصريين . انتهى وقال القرطبي في كتابه « الاستيعاب » في ترجمة مروان : كان يقال له : خيط باطل . وضرب يوم الدار على قفاه فخرّ لفيه .. الخ

ومن جميع ذلك ظهر فساد دعاوى ابن تيمية في تمجيد مروان على خلاف ماعن الله وعن رسوله (ص) .

علي سيف الله أم خالد ؟

إنك ترى القوم قد نحلوا خالداً لقب « سيف الله » مع سوابقه في الشرك والاسلام التي سنوقفك عليها ، ولم يسموا بذلك أمير المؤمنين (ع) الذي لم يقم اساس الاسلام إلا بسيفه وبمواقفه الحاسمة الجريئة في نصرة الدين يوم كان خالد واضرابه في صفوف المشركين يحاربون الاسلام ، ولقد شهد عمر بمحضر أبي بكر قائلا : إن في سيف خالد رهقا فاقتص منه . وعلي (ع) هو الذي نوّه الملك باسمه في السماء اذ نادى يوم بدر : « لاسيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي » أخرج الحديث المحب الطبرى في (ذخائر العقبى) و « الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٠ » ، وأخرجه السمعاني في « فضائل الصحابة » وابن المغازلي في (المناقب) ، وابن أبي الحديد في الشرح ج ٢ ص ٢٣٦ قال : وفي الحديث انه سمع يوم أحد صوت من الهواء من جهة السماء يقول : ﴿ لاسيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي ﴾ ، ومن حديث المولوي الشاه ولي الله الدهلوي في كتابه « إزالة الخفاء » في فضائل أمير المؤمنين « ع » قال : قال ابن هشام حدثني أهل العلم ان ابن نجيح قال : نادى مناد يوم احد : (لاسيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي) انتهى ، واخرج الحديث السيوطي في اللئالي ج ١ ص ١٨٩ عن ابن عدى بالاسناد الى أبي رافع قال : كانت راية رسول الله ﷺ يوم احد مع علي (ع) وراية المشركين مع طلحة ابن أبي طلحة ومن بعده الى سبعة نفر قتلهم علي (ع) فقال جبرئيل : يا محمد ماهذه المواساة ؟ فقال النبي (ص) : أنا منه وهو مني ثم سمعنا صائحا في السماء يقول : (لاسيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي) قال : وروى يحي بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن عكرمة

عن ابن عباس قال : صاح صائح يوم احد : « لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي » قال : وروى عماد عن طريف الحنظلي عن أبي جعفر محمد بن علي قال : نادي مناد من السماء يوم بدر يقال له رضوان : « لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى الا علي » .
قال السيوطي في تأييد هذا الحديث وتقويته : وعماد هذا ثقة ثبت حجة من رجال مسلم وأحد الابدال . انتهى .

قلت : إن تكرر الحديث في يومين يكشف عن وقوع النداء مرتين يوم بدر ويوم احد . وروى المحب الطبري في « الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٢٤ » عن سمرة بن جندب : ان الناس لما خرجوا الى واقعة خيبر فما سل فيها سيف إلا سيف علي و نزل فيه : « ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله »(١) انتهى .

فحسبك مما ذكرناه دليلا قاطعا على أن علياً (ع) هو سيف الله وانه المخصوص بهذا الاسم دون غيره ، ويؤيد ذلك قول رسول الله (ص) يوم خيبر : « لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، كراراً غير فرار يفتح الله على يديه » فأعطاها علياً (ع) وخالد بن الوليد هو الذي حمل الراية يوم مؤته بعد مقتل عبدالله بن رواحة ، غير انه بحملها تحمل العار حيث انه قدم الفرار على القرار والهزيمة على ثبات العزيمة ، كما صرح بذلك المقريزي في « امتاع الأسماع » ويكفيه هذا قدحاً فيه وفي سيفه . ونحوه في القدح قتله لبني جذيمة غدراً واغتيالا خلافاً على الله وعلى رسوله ﷺ فلما بلغ النبي الخبر رفع يديه الى السماء وقال ثلاثا : « اللهم اني أبرأ اليك من صنع خالد » ثم بعث رسول الله ﷺ علياً (ع) الى اولياء المقتولين للفداء والاسترضاء (٢) .

هذا حال خالد وسيفه في حياة النبي ﷺ حيث أصبح مبغوضا عند رسول الله ﷺ وأما بعد وفاته (ص) فكم سفك من دماء المسلمين والمؤمنين غدراً

(١) البقرة : ٢٠٧ . (٢) الاصابه : ج ١ ص ٢٢٧ .

و ظلما وعدوانا ، وكم هتك من اعراضهم . فكان له سيف مسلول على بني حنيفة في أيام أبي بكر بتهمة ارتدادهم عن الدين ، خلافاً للبينة الشرعية التي قامت على اثبات إيمانهم وشهادة عمر وابنه عبدالله وأبي قتادة الانصاري لهم بالاسلام . وهنا قال عمر : إن في سيف خالد رهقاً ، اي ظلماً وطغياناً ولئن وليت الامر لأقيدن خالداً به . وقال له : والله لأرجمنك باحجارك ، قتلت امرءاً مسلماً ثم نزوت على امرأته؟! فهل بهذين السيفين المشؤمين صار خالد سيف الله أم بسيف آخر لم يكن لأحد مثله ؟! أم بسيفه الذي حمل به يوم احد على المسلمين — وكان هو في صفوف المشركين — فقتل به عدداً كبيراً من الشهداء الأبرار وأوقع الطامة الكبرى بالمسلمين وبرسول الله ﷺ ؟! (١) .

وفي تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٥٤ عن محمد بن اسحاق : إن خالداً قال لمجاعة زوجني ابنتك . فقال مهلا ، إنك قاطع ظهري وظهرك معي عند صاحبك . فقال : ايها الرجل زوجني ابنتك ، فزوجه فبلغ ذلك أبا بكر فكتب اليه كتابا يقطر الدم : (.. لعمري يابن ام خالد انك لفارغ تنكح النساء و بفناء بيتك دم الف ومأتي رجل من المسلمين لم يجفف بعد) فلما نظر خالد في الكتاب جعل يقول : هذا الكتاب ليس من عمل أبي بكر ، هذا عمل الاعيسر ، يعني عمر بن الخطاب . انتهى وأورد هذه الحكاية ايضا ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ١ ص ٦٠ . وسيأتيك التفصيل فيما بعد انشاء الله .

مخاريق ابن تيمية

ذكر عبد الحليم بن تيمية في « منهاج السنة ج ١ ص ٧ » امورا فظيعة نسبها

(١) الطبري : ٣ ـ ٢٤١ ، ابن الاثير ٣ ـ ١٤٩ ، أسد الغابة ٤ ـ ٢٩٥ تاريخ ابن عساكر ٥ ـ ١٠٥ و ١١٢ ، خزانة الادب ١ ـ ٢٣٧ ، ابن كثير ٦ ـ ٣٢١ ، تاريخ الخميس ٢ ـ ٢٣٣ ، الاصابة ١ ـ ٤١٤ .

الى الشيعة افتراءاً عليهم ، قاصداً بذلك إثارة الفتنة والشحناء ، والتمويه على الجهال وشق عصى الامة والافساد بين المسلمين .

١ — فمنها: نسبة الغلو الى الشيعة . فهل يكون القول بامامــة أمير المؤمنين(ع) بلا فصل أخذاً بالنصوص الصحيحة الصريحة المعتبرة لدى الفريقين ، غلواً في الاعتقاد؟! أفلم يدر ابن تيمة أن الفرقة الغالية من المسلمين ارتدوا عن الدين على عهــده (ع) نظير الخوارج والنواصب المروانيين الذين اعتقدوا بغض علي (ع) وسائر اهل البيت (ع) واستحلوا دماءهم ؟ فالطائفتان من الغالين والمعادين من اهل النار بنص الرسول ﷺ فاين الفرقة الاولى من الشيعة ؟ واين الثانية من أهل السنة المعتقدين بالعمل بالكتاب والسنة الشريفة . بل واين الكاملية من الغالية أصحاب أبي كامل من فرق الشيعة ، وهم الذين حكموا بكفر الصحابة بتركهم بيعة أمير المؤمنين وطعنهم فيه (ع) ايضا لتركه حقه الذي جعله الله له وجوباً ، فلا يكون عندهم معذوراً في القعود عنه بل كان عليه أن يخرج ويظهر الحق . قاله عنهم الشهرستاني الاشعري في « الملل والنحل » فراجع .

وأما نسبة ابن تيمية في « منهاجه ج ١ ص ٧ » ان ابن سبا من الشيعة فهي باطلة بعدأن اعترف بأن أمير المؤمنين «ع» أحرقه واصحابه بالنار اذقالوا له: أنت ربنا . قال : وقال علي رضي الله عنه .

لما رأيت الامر أمراً منكرا أججت ناري ودعوت قنبرا

فعلى ذلك ، إن ابن سبأ ملعون عند الشيعة وهم ينكرونه ، ويظهر حاله لمن راجع رجال الشيعة وكتبهم في التراجم فهل يصح أن يزعم أحد من غير حجة : ان الشيعة اليوم على مذهب عبدالله بن سبأ ؟! « إن هذا إلا بهتان عظيم » وهل أحرق أمير المؤمنين (ع) غير هؤلاء أحداً من شيعته ومواليه الذين بايعوه على انه دون غيره هو الحق المبين وانه وصي رسول رب العالمين في المبدأ والمنتهى ؟ ونحوهم الشيعة الامامية

اليوم وفي جميع الاعصار والامصار متمسكون بالعترة الطاهرة النبوة مثل تمسكهم بالكتاب والسنة المقدسة عملا بسنة رسول الله « ص » وحديثه المتواتر عنه ﷺ : « إني مخلف فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا » (١) فالشيعة خلفاً عن سلف جميعاً على مذهب واحد في أصول العقائد وفروعها .

ثم انه كما لايشك احد في كفر الخوارج المارقين عن الدين ، فكذلك لاشك في كفر الفرقة الغالية القائلين بالوهية علي او نبوته من غير ارتباط بالشيعة ولا بأهل السنة . وخلاصة القول : ان عبدالله بن سبا واتباعه طائفة من الغلاة الخارجين عن الدين والشيعة يبرئون منهم اشد البراءة كما يبرؤون من الخوارج المارقين عن الدين وقد احرق أمير المؤمنين « ع » ابن سبا واصحابه فقتلهم بالنار جميعا ، كما حارب الخوارج فقتلهم بالسيف ايضا . فالطائفتان كلتاهما ليسوا من الاسلام في شيء . فهل قالت الشيعة : إن اهل السنة هم من الخوارج وانهم على مذهبهم ؟ كلا لا يقولون ذلك فكما يبرأ أهل السنة من الخوارج فكذلك يبرأ الشيعة من عبدالله بن سبأ واتباعه وغيرهم من فرق الغلاة والخوارج .

٢ — ومن فظائع ابن تيمية ماقاله في منهاجه ص ٦ من ج ١ عند بيانه وجوه مشابهات الشيعة لليهود بنظره ، غشا للجهلة ، وتشويها للحقائق وحنقا على أئمة العترة النبوية ﷺ واتباعهم . فذكر : أن اليهود قالوا : لايصلح الملك إلا في آل داود وقالت الرفضة : لاتصلح الامامة إلا في ولد علي انتهى .

أقول أولا : اننا ننكر على ابن تيمية صحة مانقله عن اليهود ، وانهم لو قالوا ذلك لم يكن عن اعتقاد منهم .

وثانيا : ان الشيعة لا تضرهم هذه المقالة في دينهم بعد ان قامت الحجة الإلهية

---

(١) سيأتيك في المستقبل القريب مصادر هذا الحديث والبحث حول مفاده انشاء الله .

والأدلة القاطعة على أن الامامة محصورة في بني هاشم وفى ولد رسول الله (ص) من أمير المؤمنين « ع » كحصرها فى اثنى عشر إماما عدد نقباء بني اسرائيل حسب ماتظافرت نصوص الطرفين على الحصر في العدد . وستقف على دلالة الكتاب والسنة بأن خلفاء الله في ارضه من بعد النبي « ص » هم علي ﴿ ع ﴾ وأحد عشر إماماً من ولده من نسل فاطمة (ع) ولا يقدح ذلك بمعتقدهم (١) نعم يقدح ذلك بمعتقد الجماعة ذهابهم الى خلافة بني امية ﴿ الشجرة الملعونة في القرآن ﴾ وإخوان القردة الملعونين على لسان رسول الله ﴿ ص ﴾ سيما مثل يزيد بن معاوية السكير الخمير ، هادم الكعبة ومبيح المدينة وقاتل ابناء الرسول ﴿ ص ﴾ وأضرابه من عبدالملك المرواني وولده قاتلي ذرية العترة الطاهرة . فهم أشبه باليهود الذين قتلوا النبيين بنص القرآن ، ولقد صح عن النبي « ص » فيما رواه ابن حجر في (صواعقه ص ١١١) إذ قال (ص) : إن أهل بيتي سيلقون من بعدي من امتي قتلا وتشريداً ، وأشد قوم لنا بغضاً بنو امية وبنو المغيرة وبنو مخزوم . قال : صححه الحاكم إنتهى . واخرج الحاكم في ﴿ المستدرك ج ٤ ص ٤٧٩ ﴾ والذهبي في ﴿ تلخيص المستدرك ﴾ حديث أبي ذر الغفاري قال : سمعت النبي ﷺ يقول : اذا بلغت بنو امية أربعين اتخذوا عباد الله خولا ، ومال الله نحلا ، وكتاب الله دغلا . وحديثه الآخر قال : سمعت النبي ﷺ يقول : إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله دولا ، وعباد الله خولا ، ودين الله دغلا .

٣ — ومن أشنع ماتعصب به ابن تيمية قوله في ﴿ منهاجه ج ١ ص ١٦٣ ﴾ إن الرافضة تعجز عن اثبات إيمان علي وعدالته فان احتجوا بما تواتر من اسلامه

(١) وثالثا : اننا ننقض قول ابن تيمية بقولنا : ان أهل السنة والجماعة قد اشبهوا المشركين وعبدة الاوثان؛لان هؤلاء يقولون: ان اضافة اثنين الى اثنين تنتج أربعة.وكذلك يقوله أهل السنة ؟! فهل يصح هذا القول فى شرح العقلاء ؟!

وهجرته وجهاده فقد تواتر اسلام معاوية ويزيدوخلفاء بني امية وبني العباس وصلاتهم وصيامهم وجهادهم للكفار . انتهى ملخصاً .

قلت : إن التصدي لاثبات ايمان علي « ع » لمثل هؤلاء النواصب والمعادين كالتصدي لاثبات إيمان رسول الله ﴿ ص ﴾ المنافقين ومردة أهل الكتاب ، فلاوجه لاتعاب النفس في ذلك . وأما اسلام معاوية فهو من مسلمي الفتح ومن الطلقاء الذين أسلموا كرها . قال المقريزي في ﴿ امتاع الاسماع ج ١ص ٤٠٥ ﴾ فيما يتعلق بغزاة حنين: وكان قد خرج رجال من مكة على غيردين ينظرون على من تكون الدائرة فيصيبون من الغنائم ، منهم أبو سفيان بن حرب ومعه ابنه معاوية بن أبي سفيان خرج ومعه الأزلام وكان يسير في أثر العسكر كلما مر بترس ساقط أو رمح أومتاع حمله حتى أوقر حمله .. الخ

هذا في مبدأ إسلام معاوية وأما في منتهاه فالذي ينبؤك عن أن إسلامه كان على نفاق الحديث المشهور عن النبي ﴿ ص ﴾ : ﴿ إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما كنت اقاتل المشركين على تنزيله وانه خاصف النعل ﴾ وكان علي (ع) يخصف نعل رسول الله ﷺ أخرجه احمد بن حنبل في المسند ج ٣ ص ٣٣ و ص ٨٢ ، والحاكم في مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٢٢ ، والذهبي في التلخيص والملا علي المتقي الحنفي في كنز العمال ج ٦ ص ١٥٥ ، وابن كثير الشامي في ﴿ البداية والنهاية ج ٧ص ٣٦٠ ﴾ . وأحاديث : ﴿ حرب علي حربي وسلمه سلمي وطاعته طاعتي ومن فارقه فارقني ﴾ أخرجها أحمد في المسند ج ٣ ص ٤٤٢ والحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٢٤ وابن حجر المكي فى الصواعق ص ١١٤ وأخرج ايضا في صواعقه ص ١٠٦ عن النبي ﷺ : ﴿ من آذى علياً فقد آذاني ومن أبغض علياً فقد ابغضني ومن آذاني فقد آذى الله ﴾ . انتهى .

وحديث : « ولاية علي هو الايمان وبغضه النفاق » أخرجه مسلم في صحيحه ج ١ ص ٦١ وأحمد في مسنده ج ١ ص ٨٤ و ٩٥ و ١٣٨ ، والترمذي في صحيحه ج ١٣ ص ١٦٨ والنسائي في خصائص علي (ع) ص ٢٧ ، وابن حجر في الصواعق ص ٧٣ ، وابو نعيم الحافظ في الحليـــة ج ٤ ص ١٨٥ وابن عبد البر القرطبي في الاستيعاب ج ٣ ص ٢٧ .

وحديث : « عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب » أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ج ١ ص ٧٦ ، والخطيب في « تاريخ بغداد ج ٤ ص ٤١٠ » ، وابن عساكر في تاريخه ج ١ ص ٤٥٤ وهو الحديث الثاني والثلاثون من أحاديث ابن حجر في الصواعق ص ٧٧ .

وحديث: «علي باب حطة من دخل منه كان مؤمناً ومن خرج عنه كان كافراً» رواه السيوطي في الجامع الصغير في حرف العين عن الدار قطني في الافراد عن ابن عباس وهو الحـديث الرابع والثلاثون من أحاديث ابن حجر في صواعقه ص ٧٧ ، وحسبك هذا المقدار مما يدل على نفاق معاوية وسيأتيك التفصيل ، وأما ابنه يزيد فقد أسمعناك وستسمع فيما يتعلق بأحواله ماهو صريح في نفاقه .

٤ — ومن موبقات ابن تيمية ما قاله في منهاجه ج ١ ص ١٣٠ : إن الرفضة أشبهت النصارى في الغلو بأئمتهم وجعلهم أرباباً من دون الله ، فخرجوا عن التوحيد ، وصاروا يعطلون المساجد التي أمر الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، ويعظمون المشاهد المبنيـة على القبور ويعكفون عليها ويحجون اليهـا ، فبدلوا دين الله ، وعمروا المشاهد وعطلوا المساجد . والنبي ﷺ شرع تعمير المساجد بالصلاة فيها ولم يشرع تعمير مشهد على قبر ! .. الى آخر كلامه .

قلت : لا نعلم وجهاً فيما نسبه هـــذا الظالم الى الشيعة غير النصب والبغضاء ،

والضغينة والشحناء ، وإلا فلا وجه لنسبة الغلو الى الشيعة الأمامية فانهم بريئون عن التأله في أمير المؤمنين (ع) فضلا عن سائر الأئمة عليهم السلام ، فهذه كتبهم في العقائد ، مطبوعة منتشرة في انحاء العالم بحمد الله مشتملة على عقائدهم وفتاواهم في الفروع والاصول . ولا ندري أن الظالم اعتمد على أي واحد منها في توجيه فريته هذه .

نعم هناك فرق غالية غير معروفة الآن ولا يعلم لها وجود ، وهم بمجنب من ظواهر الشريعة من الصلاة والصوم والحج ، وهؤلاء غير مرتبطين بالشيعة ، ونحن بريئون منهم كبراءتنا من ابن سبأ واتباعه ، وكبراءة اهل السنة من الخوارج المارقين عن الدين .

وأما ما افتراه على الشيعة من عكوفهم على المشاهد المبنية على قبور الأولياء فليس ذلك مما اختصت به الشيعة بل سبقهم أهل السنة الى ذلك ايضا ، فقد بنوا المشاهد والمزارات والتكايا على قبور أوليائهم وأقطابهم وأئمتهم في مراكزهم وبلادهم وهم عاكفون عليها وعلى أماكن ذكرهم وأورادهم وهي عندهم ايضا من البيوت التي اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، وإن القرآن الكريم لم يخصص التمجيد ببيوت معينة ، بل البيوت أعم من المساجد والمشاهد وكل بيت يذكر فيه اسم الله تعالى ، فأهل السنة كذلك يعظمون المشاهد والمساجد وبيوتات أورادهم فيمكفون عليها ليلا ونهاراً ويجعلون لها صدقات جارية ، وموقوفات وتبرعات كما هو معلوم لدى الجميع وقد بنوا مقامات لرأس سيدنا الحسين ابن بنت رسول الله في دمشق الشام وفي القاهرة بمصر وفي عسقلان ، وكذلك بنوا منذ القرون الأولى القبور والمشاهد للعترة الطاهرة ، وابرزوا لها علائم يقصدها من يزورهم ، ففي بغداد والشام والمدينة المنورة حيث مرقد الرسول ﷺ وأبي بكر وعمر والديار المصرية ، والبلاد الافغانية وغيرها

من مراكز أهل السنة توجد كثير من المشاهد والمقامات للاولياء ، وفي ايران حينما كانوا على مذهب الشافعي وأبي حنيفة كانت ولا تزال مقابر كثيرة معمورة حول أجساد آل الرسول ﷺ وغيرهم مأمونة عن الاندراس . ومع هذا لم يحكم أحد من علمائهم — على اختلاف مذاهبهم — بأن ذلك بدعة أو شرك ، بل ولم ينكر احد منهم على زيارة قبر عبدالقادر الكيلاني ، وأبي حنيفة والشافعي ، بل وعلى زيارة مراقد أهل البيت (ع) أو الخلفاء أو شهداء احد أو غيرهم من الأولياء منذ زمن وفاتهم في خير قرن وفي خير بلدة ، الى أن ظهرت طريقة الوهابية فعمدت الى مخالفة الشرع في هدم مراقد الأئمة الطاهرين (ع) الذين هم خلفاء الله في أرضه ، وأعدال القرآن ، وسفن النجاة . وقد قال رسول الله (ص) : « إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا ... » وقال (ص) : « النجوم امان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي » أخرجه ابن حجر في الصواعق وقال (ص) : « مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح ، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق » وسيأتي تفصيل ذلك انشاء الله تعالى في أبواب امامة أهل البيت (ع).

ولقد تصدينا لدفع شبهة ابن تيمية وسائر شبهات الوهابية في باب الزيارة وتعمير قبور الأئمة في كتابنا : « البراهين الجلية في دفع تشكيكات الوهابية » (١) وكتابنا المسمى (بتحفة الامامية في دحض حجج الوهابية) (٢)

وأما نسبة ابن تيمية الى الشيعة تعطيل المساجد فما اعظمها من فرية . وما أقبحها من كذبة !! أفلم يشاهد بعينيه ؟ أو لم تبلغه كثرة ما انتشر من المساجد في بلاد الشيعة ومدنهم الصغيرة والكبيرة ؟ بل وفي قراهم مساجد عديدة ، يقصدها الناس آناء الليل وأطراف النهار لأقامة فروض الصلاة ونفلها وإحياء الشعائر الاسلامية

---

(١) مطبوع في النجف الاشرف .

(٢) مخطوط وقد اشرنا في تصدير الكتاب اليه والى سابقه .

واستماع المواعظ والنصائح ونشر الاحكام والفرائض الدينية التي يعتقدون بها ومنها حفظ المساجد عن دخول الجنب والحائض والنفساء، ودخول اليهود والمجوس والنصارى فيها. والمساجد عند الشيعة منازل رفيعة، ومراتب عالية مذكورة في كتبهم الفقهية ومن الأجر والمثوبة لمن يصلي فيها مايختلف باختلاف درجات المساجد وشرفها، واختلاف عدد من يصلي فيها من حيث القلة أو الكثرة. جماعة أوفرادى. فأعظمها المساجد الاربعة وهي: مسجد الحرام، ومسجد النبي (ص)، والمسجد الاقصى، والمسجد الاعظم بالكوفة مرتبة بينها في الفضل والمنزلة، ودونها ايضا مساجد اخرى كمسجد الخيف بمنى، ومسجد قبا الذي اسس على التقوى من اول يوم، ومسجد الغدير، ومسجد البصرة، ومسجد براثا في ناحية بغداد، ومسجد السهلة، ومسجد زيد، ومسجد صعصعة في ناحية الكوفة فانها جميعا من اماكن عبادة الشيعة، يذكرون اسم الله تعالى فيها ليلا ونهاراً، ويعبدونه فيها سراً وجهارا، قد عمروها بالاعتكاف والصلاة والدعاء والابتهال اليه تعالى، وطلب الحوائج منه عز وجل، ولها اعمال خاصة بنصوص من أئمة العترة الطاهرة (ع) تقيمها الشيعة، ويتقربون إلى الله في المواظبة عليها.

وهذا كله يكشف عن فساد مازعمه ابن تيمية، وتخرص به افتراءاً على الشيعة وسبب ذلك انقطاعه عن مراكزهم وانحرافه بجسمه وقلبه عنهم وعن أئمتهم (ع).

نعم، الشيعة كسائر المسلمين فى اقطار العالم يعظمون مشاهد أئمتهم (ع) ويزورونها ويتبركون بها، ولا يضرهم ذلك اذا وافقتهم النصوص الصحيحة، ولذلك بحث آخر قد تعرضنا له بالتفصيل عند نقضنا شبهات الوهابيين، من مشروعية زيارات المراقد المقدسة وطلب الحاجة عندهم من الله تعالى والاستشفاع بهم اليه عز وجل.

٥ — ومن مخاريق ابن تيمية وشنائعه تفضيله اليهود والنصارى على الشيعة

قال في المنهاج ج ١ ص ٦ : وفضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين : سألت اليهود : من خير أهل ملتكم ؟ قالوا : أصحاب موسى . وسألت النصارى : من خير أهل ملتكم ؟ قالوا : حواري عيسى . وسألت الرافضة : من شر أهل ملتكم ؟ قالوا اصحاب محمد (ص) امروا بالاستغفار لهم فسبوهم . انتهى .

قلت : إن في كلامه مواقع يلزمنا البحث عنها ومناقشتها والكلام عليها ، دحضاً لمزاعمه الزائفة ، وكشفا عن مخازيه التي تضمنها فريته الأثيمة .

الموقع الاول : قوله : (سألت اليهود : من خير أهل ملتكم ؟ قالوا : أصحاب موسى) . ومن المعلوم أن هذه المحاورة لا تبتني على أصل صحيح ، وإلا فلو سألت الزنادقة والملاحدة : من خير الناس ؟ لقالوا : أهل نحلتنا ونحو هذا لو سألت المعتزلة او الاشاعرة أو القائلين بالتشبيه والتجسيم والحلول والرؤية لله تعالى ، والقدرية لما تعدوا عن الملتزمين بطريقتهم . ومثل هذا السؤال والجواب لا تترتب عليه فائدة علمية ولا يصح أن يدون في كتب العلم في مقام الاحتجاج على الخصم .

ثم ان ما أجاب به اليهود من تفضيلهم أصحاب موسى (ع) — إن صحت مزعمة ابن تيمية — كذب ومخالف لكتبهم وكتابنا غير مبني على اصلهم الصحيح عندهم بعد علمهم من توراتهم أن اصحاب موسى (ع) عبدوا العجل وعكفوا على عبادته الى أن رجع اليهم موسى بالألواح كما في ﴿ الاصحاح ٣٢ من سفر الخروج ﴾ وفيه : ﴿ فقال الرب لموسى : اذهب انزل لانه قد فسد شيعتك ﴾ وكذلك في (الاصحاح التاسع من سفر التثنية) وفيه من كلام موسى لقومه : (قد كنتم تعصون الرب منذ عرفتكم) انتهى . وكذلك تخلفهم عن موسى (ع) ومعصيتهم لله تعالى ولنبيهم في فتح ارض فلسطين حتى عذبهم الله في التيه ، راجع في ذلك الاصحاح الاول من سفر التثنية .

وبما أن الخصم هو من المسلمين فلا محالة نحتج عليه في اثبات كذب اليهود بالقرآن الكريم الذي يعترف الخصم بصدقه ، اذ يقول تعالى بشأن نفاق اصحاب موسى (ع): « وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون » (١) وهذا يدل على ان ايمانهم لم يكن عن حقيقة ، لان جميع الانبياء بعثوا على التوحيد ونفي الشرك والنهي عن عبادة الأوثان فلولا انطواء ضمائرهم على الشرك لما أظهروه بعدخلاصهم من كيد فرعون . فايمانهم بموسى (ع) لم يكن إلا لكي ينجيهم من عذاب فرعون، وآل فرعون فلما أنجاهم منه ترقبوا أن يتخذوا لهم معبوداً من دون الله تعالى كما قال تعالى : (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسداً له خوار ...) الاية (٢) ومعلوم أن عبدة العجل كانوا منافقين ضالين مضلين ومع هذا فكيف يجيب اليهود بقولهم : خير الملة هم اصحاب موسى ؟ ثم يصدقهم ابن تيمية ألا يعلم أن تصديقه لليهود تكذيب للقرآن ؟

ومن صريح القرآن في اضمارهم الشرك قوله تعالى : ﴿ واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة ﴾ (٣) دلت الآية على انهم انكروا ايمانهم بموسى (ع) وان هؤلاء هم السبعون الذين اختارهم موسى (ع) لميقات الله سبحانه ، فوقع اختياره على المفسد المنافق دون المؤمن المصلح ومن هنا قالت الشيعة : إن الاختيار في النبوة والامامة بيد الله سبحانه وليس بيد الناس لأن موسى (ع) المبعوث لاصلاح الناس ، والمتصل بالوحي الالهي ، ثم لم يفرق بين المفسد والمصلح والمؤمن والمنافق ولم يكن اختياره لهم صحيحاً ، فكيف بسائر البشر

---

(١) الاعراف : ١٣٧ وما بعدها الى آية ١٧٧ .

(٢) الاعراف : ١٤٧ .

(٣) البقرة : ٥٥ .

وكذلك ائتمن يعقوب (ع) اولاده على ولده يوسف (ع) ولم يعرف انطواء ضمائرهم على الفساد، وكذلك إئتمن رسول الله (ص) أبا بكر على تبليغ سورة «براءة» الى المشركين حتى اذا نزل عليه جبرئيل بوحي الله تعالى وعرفه عدم صلاحيته لهذه المهمة وقال: «لا يؤدي عنك إلا أنت او رجل منك» فعزله رسول الله (ص) ونصب علياً «ع» مكانه وبعثه بسورة براءة.

ومما يدل على سوء سريرة قوم موسى (ع) واصحابه قوله تعالى لما دعاهم موسى الى فتح بلاد العمالقة: «قالوا ياموسى إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، قال رب إني لا املك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين، قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلا تأس على القوم الفاسقين» (١).

ومن القرائن على ضلالة أصحاب موسى (ع) قوله تعالى: «واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين، فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون» (٢) والآيات في هذا الباب كثيرة.

وأما أصحاب عيسى (ع) الذين زعم ابن تيمية أنهم خير أهل ملتهم فان أراد بهم الحواريين فانهم هم الذين أسسوا الكفر والزندقة والالحاد في النصارى فاختلقوا لهم القول بالتثليث في حياة عيسى (ع) كما يقول تعالى: «اذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ..» الآية. ولم تكن هذه الفتنة إلا من أصحاب عيسى «ع»، ثبتوا على ذلك حسب ماتنطق به أناجيلهم الرائجة

(١) المائدة: ٢٣ و ٢٤ و ٢٥.
(٢) البقرة: ٥٧ و ٥٨.

فهي صريحة في التثليث كما في الاصحاح ٢٨ من انجيل متى من كلام عيسى افتراءاً عليه « فاذهبوا وتلمـذوا جميع الامم باسم الأب والابن والروح القدس » هذا فمن راجع الاناجيل الخمسة من متى ولوقا ومرقس ويوحنا وبرنابا ، الذين هم أصحاب عيسى يرى أنها متضمنة لكيفية وقوعه (ع) في ايدي اليهود بسعي من التلاميذ وخيانتهم وأخذهم الرشوة ودلالتهم سلطان الوقت الى مكان عيسى (ع) الذي اختفى فيه ، غير أنه وقعت الشبهة على التلميذ الخائن الساعي ، فصلب مكان عيسى (ع) كما في القرآن الكريم : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » (١) وهـذا يوافقه انجيل برنابا ايضا .

ومن الشواهد على نفاق الحواريين من القرآن قوله تعالى : « اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين » (٢) قال الفخر الرازي في تفسيرها من سورة المائدة : وهذا القول لا يصدر عمن كان كاملا في الايمان ، وكذلك قول عيسى لهم : « اتقوا الله إن كنتم مؤمنين » يدل على انهم ما كانوا كاملين في الايمان .

الموقع الثاني : في قول ابن تيمية : (أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم . الخ) فنقول : إن أول من سن سب الصحابة ولعنهم هم زعماء أهل السنة من طغاة بني امية وأولهم معاوية بن أبي سفيان ومعلوم أن البادىء أظلم ، وهو الذي سن سب أمير المؤمنين (ع) وهو أفضل الصحابة وأعلمهم فكان معاوية وابن العاص والمغيرة بن شعبة ومروان بن الحكم والوليد بن عقبة وزياد بن أبيه يلعنون علياً على المنابر ويأمرون الناس بسبه والبراءة منه . ففي شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٥٥ عن ابن أبي سيف قال : خطب مروان والحسن بن علي (ع) جالس فنال من علي (ع)

---

(١) النساء : ١٥٦ .

(٢) المائدة : ١١٥ .

فقال الحسن (ع) : ويلك يامروان أهذا الذي تشتم شر الناس ؟ قال : لا ولكنه خير الناس . وفيه ايضا : أنه كان دعي لبني امية يقال له خالد بن عبدالله لا يزال يشتم عليا (ع)؛فلما كان يوم الجمعة وهو يخطب الناس قال : والله إن كان رسول الله صلى الله عليه وآله ليستعمله وانه ليعلم ماهو وكان ختنه . وكان سعيد بن المسيب قد نعس ففتح عينيه ثم قال: ويحكم ماقال هذا الخبيث ؟ رأيت القبر إنصدع ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول : (كذبت ياعدو الله) .

وفي العقد الفريد لابن عبد ربه ج ١ ص ١٣١ : أن معاوية أتى المدينة وعزم أن يسب عليا على منبر النبي (ص) فخوفه أصحابه لمكان سعد بن أبي وقاص ، فأرسل اليه وذكر له ذلك فقال : لان فعلت لأخرجن من المسجد ثم لاأعود اليه . وفيه ايضا: أنه كتبت ام سلمة زوجة النبي (ص) إلى معاوية : إنكم تلعنون الله ورسوله على منابركم وذلك أنكم تلعنون علي بن أبي طالب ومن أحبه ، وانا اشهد أن الله أحبه ورسوله (ص) فلم يلتفت معاوية إلى كلامها . انتهى

وذكر السيوطي في « تاريخ الخلفاء » أنه كان في أيام بني امية سبعون الف منبر يلعن عليها علي (ع) ، وفيه ايضا ص ٩٤ كان بنو امية يسبون علي بن أبي طالب (ع) في الخطبة الى أن ولي عمر بن عبدالعزيز . انتهى

قلت : أفلا ينطبق قول ابن حجر على هؤلاء الذين سبوا عليا (ع) وشتموه؟ قال في صواعقه ص ١٢٩ :

قال امام عصره أبو زرعة الرازي : إذا رأيت الرجل ينقص أحداً من اصحاب رسول الله (ص) فاعلم أنه زنديق وذلك أن الرسول (ص) حق والقرآن حق وما جاء به حق وإنما ادى الينا ذلك كله الصحابة فمن جرحهم إنما أراد أبطال الكتاب والسنة فيكون الجرح به ألصق ، والحكم عليه بالزندقة والضلالة والكذب والفساد هو الاقوم الأحق . إنتهى

قلت : وأعظم من ذلك تأسيسهم الخروج على الامام ووصي الرسول (ص) ونقض بيعته . واولهم الزبير وطلحة وعائشة ومن تابعهم فأباحوا دماء الصحابة ودم الامام بالحق ودماء العترة الطاهرة النبوية في واقعة البصرة فهؤلاء هم شر الخليقة لا شيعة آل محمد (ص) واتباعهم .

الموقع الثالث ، في قوله : وسألت الرفضة : من شر اهل ملتكم ؟ قالوا اصحاب محمد (ص) إنتهى

قلت : بالنظر لما لهذا البحث من أهمية بالغة فاننا نبذل قصارى جهودنا في كشف حقائقه وبيان وجوهه وما اختلفت عليه الامة في ذلك في الفصل الآتي ان شاء الله .

الصحابة في الكتاب والسنة

من الواضح الضروري ان اصحاب رسول الله (ص) كأصحاب سائر الانبياء (ع) كان فيهم المؤمن والمنافق ، وثابت الايمان ، والمشاق للرسول (ص) في حياته والمنقلب على عقبيه بعد وفاته ، كل ذلك مقتضى صريح الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والشيعة لايقولون إلا بما قاله الكتاب والسنة ، ومن راجع كتب الشيعة يرى أنهم لايذكرون المطيع من الصحابة إلا بخير وبذلك يفرقون بين المطيع والعاصي والمؤمن والمنافق فلا يحكمون للاصحاب جميعا بالايمان لمخالفته القرآن الذي ينطق بنفاق عدد منهم او فسقهم او بغيهم ، وذلك كآيات المنافقين كقوله تعالى : « ان المنافقين في الدرك الأسفل ... الخ » (١) فالقدح في البعض يرجع الى الجرح وانه ليس ممن يوثق به في روايته الحديث . ومن اجل ذلك عقد النووى في شرحه لصحيح مسلم بابا سماه « باب بيان أن الاسناد من الدين وان الحديث لايكون

(١) النساء : ١٤٤ .

إلا عن الثقات وان جرح الرواة بما هو فيهم جائز بل واجب وانه ليس من الغيبة المحرمة بل من الذب عن الشريعة المكرمة » ثم ذكر حديث مسلم في ذلك .

ويظهر من ذلك أن الشيعة اذا ذكروا شيئا من القدح او الجرح في صحابي او تابعي فان ذلك لا يكون خلافاً لطريقتهم بل ولا قادحا في طريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة الدين إذ لا يقولون إلا عن سند وثيق . كقوله تعالى : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم »(١) وقوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه.. » الآية(٢).

وفي احاديث الحوض من البخاري عن انس عن النبي (ص) قال : « ليردن علي ناس من اصحابي الحوض حتى اذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول : اصحابي ؟ فيقول : لاتدري ماأحدثوا بعدك » وفي صحيح مسلم في باب الحوض ج ٧ ص ٦٦ : « ... فيقول : إنك لاعلم لك بما احدثوا بعدك . انهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى »

وهذه الأحاديث الصريحة في ارتداد ثلة من الصحابة بعد النبي (ص) متواترة اخرجها البخاري ومسلم في باب الحوض ومسلم في باب : « وكنت عليهم شهيداً » واحمد في مسنده ج ١ ص ٢٣٣ و ص ٢٣٥ وفي ج ٥ ص ٣٤٣ و ص ٤٠٠ و ج ٢ ص ٣٠٠ و ٤٠٨ و ج ٣ ص ٢٨ و ص ٢٨١ و ص ٣٥٤ و ج ٦ ص ٢٩٧ و ص ٣١٧ .

ومن الآيات النازلة في ذم الصحابة والطعن فيهم آية الافك حول عائشة في سورة النور من قوله تعالى : « إن الذين جاؤوا بالأفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الأثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم.. » الآيات(٣) فمن راجع تفاسير أهل السنة والكتب المعتبرة عندهم يرى

(١) آل عمران : ١٤٤ . (٢) المائدة : ٥٤ . (٣) النور : ١١ .

أن الأفاكين المفترين كانوا جماعة من الصحابة . فدعوى ابن تيمية كون الصحابة موثقين مأمونين عن كل شين فرية بينة على القرآن الكريم .

ونحو إفكهم وافترائهم على عائشة وتصريح القرآن بذمهم ووعيدهم قولهم لانبي (ص) : الرجل يهجر . ففي صحيح البخاري في باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد عن ابن عباس قال : اشتد برسول الله (ص) وجعه يوم الخميس فقال : « إئتوني بكتاب اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا » فتنازعوا — ولا ينبغي عند نبي تنازع — فقالوا : هجر رسول الله ؟ ومن حديث البخاري في باب اخراج اليهود من جزيرة العرب عن ابن عباس : فقالوا : أهجر إستفهموه .

والحديث اخرجه مسلم ايضا في صحيحه في كتاب الوصية ج ٥ ص ٧٥ وأحمد فى المسند ج ١ ص ٢٢٢ وفيه : فقالوا : ماشأنه اهجر ؟ ؟ وفى ص ٣٥٥ : فقالوا : رسول الله يهجر . وفي تاريخ ابي الفداء ج ١ ص ١٥٩ ، وتاريخ الطبري ج ٣ ص ١٩٣ : فتنازعوا فقالوا إن رسول الله يهجر فذهبوا يعيدون عليه . انتهى .

أفليست هذه طامة كبرى جاءت به صحابة رسول الله (ص) حيث أوقعت امته فى الضلالة وفرقتهم الى ثلاث وسبعين فرقة مختلفة في الاصول والعقايد ؟ ؟

ومن الموبقات التي ارتكبها كثير من الصحابة اتباعهم لعائشة في خروجها بين احلاف بني امية واجلاف اهل البصرة وتبرجها تبرج الجاهلية ، وقد قال النبي (ص) لعلي (ع) : « إن الأمة ستغدر بك بعدي » ، وقال (ص) لزوجاته : « أيتكن صاحبة الجمل الادبب تنبحها كلاب الحوأب ؟ إياك أن تكونيها يا عائشة » ، وقال (ص) : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم إمرأة » .

رواه البخاري في كتاب الفتن من صحيحه ، وقوله (ص) للزبير : « تحارب عليا وانت له ظالم » ، ونزل في طلحة قوله تعالى : « وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله

ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده أبدا » (١)

وروى البخاري في صحيحه في باب ماجاء في بيوتات ازواج النبي (ص) قال: قام النبي (ص) خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال : هاهنا الفتنة ثلاثا من حيث يطلع قرن الشيطان ، ومن حديث مسلم في صحيحه ج ٨ ص ١٨١ واحمد في المسند ج ٢ ص ٢٣ و ص ٢٦ في مسند ابن عمر عنه قال خرج رسول الله (ص) من بيت عائشة فقال : رأس الكفر من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان . انتهى .

وروى ابن أبي الحديد فى الشرح ج ٣ ص ٢٩٢ أن علياً لما نزل بذي قار كتبت عائشة الى حفصة تخبرها ان عليا صار مرعوباً من عدتنا فهو بمنزلة الاشقر ، إن تقدم عقر وإن تأخر نحر . فدعت حفصة جواري يتغنين لها ويضربن بالدفوف وأن يقلن :

ما الخبر ما الخبر . علي في السفر . كالفرس الاشقر . إن تقدم عقر . وإن تأخر نحر : وجعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصة ويجتمعن لسماع ذاك الغناء . الخ .

أقول : بأي تفسير نفسر هذه الأعمال ؟ أم كيف نحملها على الصحة وقد تظاهرت حفصة وعائشة على امير المؤمنين (ع) وهو إمامها بالحق وذلك كتظاهرها على رسول الله من قبل حتى نزل فيها قوله تعالى : ﴿ إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ﴾ (٢)

ومن حديث البخاري باب لم تحرم ما احل الله لك من كتاب الطلاق : إن تتوبا الى الله خطاب لعائشة وحفصة وإن تظاهرا عليه إن تتعاونا على النبي (ص) بايذائه والخروج عن طاعته . الخ

واخرج السيوطي في الدر المنثور ج ٦ ص ٢٤٢ قال : اخرج ابن مردويه

(١) الاحزاب : ٥٣ .

(٢) التحريم : ٤ ، راجع تفسير الفخر الرازي في تفسير هذه الاية .

وابن عساكر عن ابن عباس قال : وصالح المؤمنين هو علي بن ابي طالب واخرج ابن مردويه عن اسماء بنت عميس قالت: سمعت رسول الله (ص) يقول: وصالح المؤمنين هو علي بن ابي طالب.

ورأينا أن نذكر هاهنا ابياتاً من منظومة العلامة الطباطبائي ، حيث يمثل الشيعة في بيان موقفهم ومعتقدهم من اصحاب رسول الله (ص) ، قال قدس سره : —

يا عمرو لا تستبعد انحراف من ادرك صحبة النبي المؤتمن
اليس اصحاب الكليم من فدوا انفسهم في الدين بعدما اهتدوا؟
واتبعوا موسى على برهانه وخاصموا فرعون في سلطانه
للسامري اتبعوا بعد الهدى واتخذوا العجل إلها صمدا
واستضعفوا من قد تولى امره ومن به شد الاله أزره
اخاه هارون وكادوا مذ امر بأمره ان يقتلوه فاصطبر
وكم هم من ذينك النورين رأوا من الآيات رأى العين
وجاء في الحديث ان ماوقع في الأمم الماضين طرأ سيقع
في امة النبي حذو النعل بالنعل فأت مثل هذا الفعل
وكيف ذو القلب السليم يطمئن بهم ، واوحى الله فيهم : (افان) (١)
(وان رأوا تجارة اولهوا) وغيرها وكم حديث يروى
وفي حديث الحوض اقوى شاهد دل على ارتداد غير واحد (٢)
يانفس كفي عن مثالب الاول لا ناقة فيها لك ولا جمل
من بعدما بان الهدى واتضحا مثل اتضاح الشمس في راد الضحى

(١) يعني قوله تعالى : « افإن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم .. »

(٢) مر عليك حديث الحوض عن البخاري ومسلم .

وقال تغمده الله برحمته في معتقد الشيعة في السب واللعن :

إياك ان تسب غير من ظلم ... آل النبي الغر شافع الامم
فهو حرام باتفاق العلماء ... وجائز سبك من قد ظلما
فلا تسب عمرا كلا ولا ... عثمان والذي تولى اولا
ومن تعاطى سبهم ففاسق ... حكم قضى به الامام الصادق
وفي البخاري سباب المسلم ... فسق ، ووجه الكفر لما يعلم
وعند من كفر من سب فلا ... يكفر من لا يتعاطى العملا
وإن يكن ممن لديه السب حل ... فالاعتقاد لا يلازم العمل
وعندنا فلا يحل السب ... نحن وايم الله لا نسب
وسب من صاحبه فلا تجز ... مادام مؤمنا وإلا فأجز
وليس في اللعن على من قد خرج ... على ولي الامر مطلقا حرج

* * *

حكمهم بكفر أبي طالب

جاء في البخاري ، باب قصة أبي طالب ، مسدد عن يحيي بن سعيد عن عبدالملك عن عبدالله بن الحارث عن العباس بن عبدالمطلب قال للنبي (ص) : ماأغنيت عن عمك فانه كان يحوطك ويغضب لك .

قال : هو فى ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الاسفل من النار ، وفيه عن محمود عن عبدالرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي (ص) وعنده أبو جهل فقال : أي عم قل : لا إله إلا الله ، كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي امية : يا أبا طالب ، ترغب عن ملة عبدالمطلب ؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال ، آخر

شيء كلمهم به : على ملة عبدالمطلب . فقال النبي (ص) : لأستغفرن لك مالم انه عنه فنزلت : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم اصحاب الجحيم » (١) ونزلت : ﴿ انك لاتهدي من أحببت .. ﴾ الآية ، انتهى.

أقول : إن حديث البخاري في موت أبي طالب على الكفر من الموضوعات اختلقوه إرضاءاً لبني امية فروع الشجرة الملعونة الذين أباحوا دماء العلويين من سادات اهل الجنة ، وجهروا بالعداء والبغضاء مع آل ابي طالب ، وليس هذا بأعظم من اختلاقهم الحديث في قدح علي اميرالمؤمنين (ع) وقولهم : نزل فيه (ع) قوله : « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا .. » الآية (٢) واختلافهم الحديث على لسان النبي (ص) : « ياعلي انت مني بمنزلة قارون من موسى » وحسبك في اختلاق الحديث وكذبه انه من مرويات الزهري ، وقد مر عليك بيان حاله، وأعلمناك انه مبغض لأمير المؤمنين (ع) وكان ينال منه كما في شرح ابن ابي الحديد ج ١ ص ٣٥٨ ، وقال الشيخ عبد الحق الدهلوي في كتابه (تحصيل الكمال) : إن الزهري قد ابتلي بصحبة الامراء لقلة الديانة لضرورات عرضت له وكان اقرانه من العلماء والزهاد يأخذون عليه وينكرون ذلك منه ، وكان يقول : انا شريك في خيرهم دون شرهم ، فيقولون : ألا ترى ماهم فيه وتسكت ؟ انتهى.

وذكر الغزالي في كتاب ﴿ احياء العلوم ﴾ (٣) في باب الحلال والحرام ، أنه لما خالط الزهري السلطان كتب أخ له في الدين اليه : ﴿ .. واعلم ان أيسر ما ارتكبت واخف ما احتملت ، أنك آنست وحشة الظالم ، وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم

---

(١) التوبة : ١١٤.

(٢) البقرة : ٢٠٤ .

(٣) ج ٢ ص ١٤٣ طبع مطبعة الاستقامة بمصر .

يؤد حقا ولم يترك باطلا ، حين أدناك اتخذوك قطباً تدور عليه رحى ظلمهم ، وجسراً يعبرون عليك الى بلائهم ، وسلماً يصعدون فيه الى ضلالتهم ، يدخلون بك الشك على العلماء ، ويقتادون بك قلوب الجهلاء . فما أيسر ماعمروا لك في جنب ما أخربوا عليك ! وما اكثر ما أخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك ! فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم : فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة . الآية فانك تعامل من لايجهل ، ويحفظ عليك من لايغفل . فداو دينك فقد دخله سقم ، وهيء زادك فقد حضر سفر بعيد . وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء والسلام » . انتهى.

وقد تعرض لهذا الكتاب الزمخشري في الكشاف في تفسير قوله تعالى : «ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار » (١) والطيبي في الكاشف شرح المشكوة عند شرحه لحديث : « إذا مدح الفاسق غضب الرب تعالى واهتز له العرش » ، وكذلك ذكر هذه الكتابة المشتملة على نصيحة الزهري الزبيدي الحسيني في شرح إحياء العلوم ثم قال : وهذه القصة قد أوردها أبو نعيم في كتاب حلية الاولياء في ترجمة أبي حازم بأطول مما هنا ، حيث ذكرها بتمامها وتفصيلها وما فيها من الاحتجاج بالايات على لزهري وإرتكابه الغير المشروع من الاتصال بالظلمة ، طلباً للجاه والمنزلة فهي ممن ذكرنا أسمائهم صريحة في القدح والجرح منهم في الزهري سيما من أبي حازم وهو المرسل للكتاب والناصح له .

وهذا (٢) ممن نال اقصى مرتبة المدح والثناء ، إذ أثنى عليه الذهبي في الكاشف وتذكرة الحفاظ ، والعسقلاني في تهذيب التهذيب في الترجمة ، والشيخ عبد الحق الدهلوي في رجال المشكوة في حرف الحاء ، وأخرج الحديث عنه كل من

(١) هود : ١١٤ .
(٢) أي ابو حازم .

اصحاب الصحاح الستة .

وايضا في طريق حديث البخاري ، عبدالرزاق بن همام التميمي ، ففي الميزان في الترجمة أبو زرعة ، قال : ودعت ابن عيينه فقلت : أريد عبدالرزاق ، قال : اخاف ان تكون من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، محمد بن عثمان الثقفي البصري قال : لما قدم العباس بن عبدالعظيم من صنعاء من عند عبدالرزاق ، اتيناه فقال لنا ونحن جماعة : ألست قد تجشمت الخروج إلى عبدالرزاق ودخلت اليه واقمت عنده والذي لا إله إلا هو ، ان عبدالرزاق كذاب .

وفي تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٦ ص ٣١٤ في الترجمة ، قال العباس العنبري : لقد تجشمت الى عبدالرزاق وانه لكذاب والواقدي أصدق منه ، وذكر الاسماعيلي في المدخل عن الفرهباني ، قال : حدثنا عباس العنبرى عن زيد بن المبارك قال : كان عبدالرزاق كذابا يسرق الحديث وعن زيد قال : لم يخرج أحد من هؤلاء الكبار من هاهنا إلا وهو مجمع أن لا يحدث عنه ، وقوله : والواقدي اصدق منه .. الخ ، هذا أقصى درجة القدح في عبدالرزاق وغاية تكذيبه في الحديث لان الواقدي ممن رمي بالكذب ، ففي ميزان الاعتدال في الترجمة ، قال ابو غالب : سمعت ابن المديني يقول : الواقدي يضع الحديث ، وقال ابن راهويه : هو عندي ممن يضع الحديث ، انتهى . وعن الخوارزمي في مسند أبي حنيفة ، عند ذكره حديث إعطاء النبي (ص) في غزوة بدر سهمين لمقداد قال ، فقد ذكره الواقدي كذلك في المغازي ، وقد طعنوا فيه فقال يحيي بن معين : وضع الواقدي على رسول الله (ص) عشر بن الف حديث ، وقال احمد بن حنبل : الواقدي يركب الاسانيد ، وقال ابن المديني : لايكتب حديثه ، وقال الشافعي : كتب الواقدي كذب ، انتهى .

فاذا كان الواقدي الذى رمي بالكذب في الحديث على النبي (ص) فكيف بعبدالرزاق الذي يكون الواقدي أصدق منه .

ثم ان من شواهد كذب حديث البخاري قوله : قال النبي (ص) : لأستغفرن لك مالم انه عنه فنزلت ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا المشركين .. الآية ﴾ (١) وذلك لأجماع المفسرين انسورة التوبة التي فيها هذه الآية آخر مانزلت بالمدينة ، وان موت ابي طالب سلام الله عليه كان قبل الهجرة ، ولو قيل بنزول خصوص الآية في مكة قبل الهجرة كانت الآية مكية ولزم من ذلك خلاف الترتيب في نظم القرآن ، فينافي دعويهم الاجماع على ان هذا الترتيب من النبي (ص) كل ذلك مضافاً الى ان الخطاب في الآية ايضا متوجه الى الذين آمنوا ولم يكن ذلك الحين من المؤمنين من يخاطب بالنهي عن الاستغفار لابيه هذا .

ثم ان حديث البخاري في باب قوله : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا .. ﴾ عن اسحاق بن ابراهيم بن نصر عن عبدالرزاق عن معمر عن الزهرى عن سعيد بن مسيب عن ابيه ان ابا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي (ص) وعنده ابو جهل .. الحديث ،وفي اسناده مضافا الى عبدالرزاق بن همام و لزهري المقدوحين كما عرفت معمر ابن راشد ، ففي تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٢٤٥ ، قال ابو حاتم : ماحدث معمر ابن راشد بالبصرة فيه اغاليط ، وقال ابن ابي خيثمة : سمعت يحيي بن معين يقول : اذا حدثك معمر عن العراقيين فخالفه الاعن الزهرى وابن طاوس فان حديثه عنهما مستقيم وأما اهل الكوفة واهل البصرة فلا .

قال يحيي : حديث معمر عن ثابت وعاصم بن أبي الفجور وهشام بن عروة ، وهذا الضرب مضطرب كثير الاوهام انتهى .

قوله : ان حديث معمر عن الزهرى مستقيم فيه ، لكن الزهرى من موالي بني امية والجليس معهم ومن معادي علي (ع) ولعل الآفة منه ومن امثاله .

وأما سعيد بن المسيب فحسبك من تحامله على علي (ع) مافي منتخب كنز

---

(١) التوبة : ١١٤ .

العمال المطبوع في الهامش من المسند لاحمد بن حنبل ج ٥ ص ٢٩٢ عن سعيد بن المسيب قال : انما الخلافة ثلاثة وسائرهم ملوك ابو بكر وعمر وعمر ، اراد بعمر الثاني عمر بن عبدالعزيز . انتهى

ورواه عنه ايضا السيوطي في تاريخ الخلفاء في احوال عمر بن عبدالعزيز ص ٩٠ وهذا صريح في انكاره خلافة علي (ع) وعثمان وجعلهما من الملوك وهذا يرجع الى القدح في المعتقد المانع عن الاعتماد عليه في حديثه لاتهامه .

أقول : ان عبدالرزاق هذا منصوص عليه في التراجم بالتشيع نسبه اليه ابن الاثير في تاريخه ج ٦ ص ١٣٧ والمتقي الهندي في كنز العمال ج ٦ ص ٣٩١ والذهبي في ميزان الاعتدال في ترجمته ، والعسقلاني في تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٣١٨ في الترجمة ، وفيه قال محمد بن أبي بكر المقدمي : وجدت عبدالرزاق ما أفسد جعفر غيره يعني في التشيع ، وقال ابن أبي خيثمة : سمعت يحيى بن معين قيل له : قال احمد : ان عبيدالله بن موسى يرد حديثه للتشيع فقال : كان عبدالرزاق والله الذي لا إله الا هو أغلى في ذلك منه مائة ضعف ، وقال عبدالله بن احمد : سألت أبي ، هل كان عبدالرزاق يتشيع ويفرط في التشيع ؟ قال ابو داود : كان عبدالرزاق يعرض بمعاوية انتهى .

وفي الميزان ، حدثنا محمد بن اسحاق بن يزيد البصري سمعت مخلد الشعيري يقول : كنت عند عبدالرزاق فذكر رجل معاوية فقال : لا تقذر مجلسنا بذكر ولد ابي سفيان انتهى .

فعلي ذلك من صحة نسبة التشيع الى عبدالرزاق يلزم كذب نسبة البخاري اليه موت أبي طالب على الكفر لأن من ضروري مذهب الشيعة بلا خلاف في ايمان أبي طالب (ع) وذلك باجماع من العترة الطاهرة النبوية واجماعهم حجة لدخول المعصوم فيه . فان كان عبدالرزاق شيعياً متبعاً لعلي (ع) ولولده من بعده كان من المحال

ان يتفوه بشيء ينافي مذهبه ولقول إمامه وآفة الحديث ليست منه .

صحيح البخاري ، وحديث الضحضاح

ولا يخفى أن في اسناده ، عبدالملك بن عمير الذى روى الحديث عن عبدالله ابن الحارث ، ففي تهذيب التهذيب لابن حجر فى الترجمة ج ٦ ص ٤١١ قال علي بن الحسن الهسنجانى عن أحمد : عبدالملك مضطرب الحديث جداً مع قلة روايته ما ارى له خمسمائة حديث وقد غلط فى كثير منها .

وقال اسحاق بن منصور : ضعفه احمد جداً ، وقال عن ابن معين : مخلط ، قال ابن أبى حاتم عن أبيه : إن عبدالملك بن عمير لم يوصف بالحفظ ، وذكره ابن حيان فى الثقات ، كان مدلساً . انتهى .

وفى ميزان الاعتدال للذهبي ج ٢ ص ١٥١ ، قال أبو حاتم : ليس بحافظ ، تغير حفظه ، وقال احمد : يغلط ، وقال ابن معين مخلط ، وقال ابن خراش : كان شعبة لا يرضاه وذكر الكوسج عن احمد : أن ضعفه جداً .

وقد عرفت ان فى طريق حديث الضحضاح على مافى البخاري ، سفيان الثورى وهو مقدوح ومجروح بالرياء في العمل والعجب بالنفس والعداء لأهل البيت ـ عليهم السلام ـ والخدعة والتلبيس والتدليس في الحديث ، كل ذلك حسبما نطقت بها كتب القوم . ففي لواقح الأنوار للشعراني عندترجمة مولانا الصادق (ع) ، قال : دخل على جعفر الصادق (ع) سفيان الثوري ، فرأى عليه جبة من خز ، فقال : إنكم من بيت النبوة ، تلبسون هذا . فقال : ما تدري ! أدخل يدك ، فاذا تحته مسح من شعر خشن ، ثم قال : ياثوري !! أرني ماتحت جبتك ، فوجد تحتها قميصاً أرق من بياض البيض ، فخجل سفيان ، ثم قال : ياثوري !! لاتكثر الدخول علينا ، تضر نا ونضرك . انتهى .

وهـذا كما ترى صريح في أن سفيان كان مرائياً وخادعاً ومتعرضاً للامام من أهل البيت (ع) وسائلا متعنتاً لقوله (ع) : تضرنا ونضرك ، وأصرح من هذا حديث أبي نعيم الحافظ في حليـة الاولياء ج ٣ ص ١٩٢ و ص ١٩٣ بأسناده الى الثوري ، قال : دخلت على جعفر بن محمد وعليه جبة خز وكساء خز ، فجعلت أنظر اليه تعجباً فقال : ياثوري !! مالك تنظر الينا ، لعلك تعجبت مما ترى ، قال : قلت : يابن رسول الله ليس هذا من لباسك ولا لباس آبائك ، فقال لي : ياثورى . كان ذلك زماناً مقفراً مقتراً ، وكانوا يعملون على قدر أقفاره وأقتاره ، وهذا زمان قد أسبل كل شيء فيه عز اليه ، ثم حسر عن ردن جنبه ، فاذا تحتها جبة صوف بيضاء ، يقص الذيل عن الذيل والردن عن الردن ، فقال لي : ثوري !! لبسنا هذا لله وهـذا لـكم ، فما كان لله أخفيناه ، وما كان لـكم أبديناه . إنتهى .

وفي الحلية أيضا ، أنه دخل الثوري على الصادق (ع) وقال : لا أقوم حتى تحدثني ، قال جعفر (ع) : أما إني أحدثك وما كثرة الحديث لك بخير . . الخ . وفيها أيضا عن أبي حازم المدني ، قال : كنت عند جعفر بن محمد (ع) ، فجاءه سفيان الثوري ، فقال له جعفر : أنت رجل يطلبك السلطان وأنا أتقي السلطان . . . الحديث وأورده أيضا ابن الصباغ المالـكي في الفصول المهمة ، وزاد فيه من كلام الصادق ، يطلبك السلطان في أكثر الأحيان ، وتحضر عنده ، وأنا أتقي السلطان فاخرج عني غير مطرود . وهذا صريح في أن سفيان كان محاضراً للسلطان ومتداخلا معهم غير مجانب عنهم وهذه من الأوصاف المذمومة شرعاً . قال ابن الجوزى في كتابه تلبيس ابليس في الذم عن مخالطة الامراء والسلاطين : ومن تلبيس ابليس على الفقهاء مخالطتهم للامراء والسلاطين ومداهنتهم وترك الانكار عليهم مع القدرة على ذلك وربما رخصوا لهم مالا رخصة فيه لينالوا من دنياهم فيقع بذلك الفساد الخ . وفي حلية

الاولياء ج ٣ ص١٩٤ عن جعفر بن محمد قال : الفقهاء امناء الرسل فاذا رأيتم الفقهاء قد ركبوا الى السلاطين فاتهموهم . انتهى .

وقال الغزالي في الاحياء ، في علامات علماء الاخرة : ومنها ان يكون منقبضا عن السلاطين فلايدخل عليهم البتة مادام يجدالى الفرار عنهم سبيلا ، بل ينبغي ان يحترز عن مخالطتهم -- وان جاؤا اليه — فان الدنيا حلوة خضرة ، وزمامها بايدي السلاطين والمخالط لهم لايخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع انهم ظلمة . الخ .

قلت : ومن مساعدتهم فى انجاح مقاصدهم جعل العلماء لهم احاديث فيما يرجع الى تنقيص علي (ع) بتكفير والده أبي طالب (ع) وبايمان أبي سفيان تطيبياً لخواطر معاوية وسائر جبابرة بني امية .

سفيان الثوري من المدلسين

ففي الميزان للذهبي ج ١ ص ٣٩٦ في الترجمة ، سفيان بن سعيد الحجة الثبت المتفق عليه ، مع انه كان يدلس عن الضعفاء ، ولكن كان له نقد وذوق ، ولا عبرة بقول من قال : كان يدلس ، ويكتب عن الكذابين . انتهى .

وفي تهذيب التهذيب في الترجمة ، قل ابن المبارك : حدثت الثوري بحديث فجئته وهو يدلسه ، فلما رآني استحيا ، وقال : نرويه عنك ؟! الخ .

وفي كتاب التبيين لاسماء المدلسين لسبط ابن العجمي الحلبي : ان سفيان الثورى مشهور بالتدليس ، وذكر ابن الجوزى في كتابه تلبيس ابليس : ان من تلبيس ابليس على علماء المحدثين رواية حديث موضوع من غير ان يبينوا انه موضوع ، وهذه خيانة منهم على الشرع ، ومقصودهم تنفيق احاديثهم وكثرة رواياتهم ، وقدقال النبي (ص): من روى عني حديثاً يرى انه كذب فهو احد الكذابين . ومن هذا الفن تدليسهم في الرواية ، فتارة يقول احدهم فلان عن فلان ، أوقال فلان عن فلان يوهم انه سمع

منه ولم يسمع ، وهذا قبيح لانـــه يجعل المنقطع في مرتبة المتصل ، ومنهم من يروى عن الضعيف والـكذاب فيعمى اسمه ، فربما سماه ، ربما كناه ، وربما نسبه الى جده لئلا يعرف ، وهذه خيانة للشرع المطهر . انتهى .

وقال النووى في شرح صحيح مسلم ، المطبوع في الهامش ، من القسطلاني ج ١ ص ٦١ : فصل التدليس قسمان : احدهما ان يروى عمن عاصره مالم يسمع منه موهماً سماعه قائلاقال فلان أو عن فلان أونحوه ، وربما لم يسقط شيخه ، واسقطغيره لـكونه ضعيفاً ، أو صغيراً تحسيناً لصورة الحديث وهذا القسم مكروه جداً ذمه اكثر العلماء ، وكان شعبة من اشدهم ذماً له ، وظاهر كلامه انه حرام ، وتحريمه ظاهر فانه يوهم الاحتجاج بما لايجوز الاحتجاج به وفريق من العلماء من عرف منه هـذا التدليس صار مجروحاً عنده ، لايقبل رواية في شيء أبداً .

قال : وهـذا الحكم في المدلس جار فيمن دلس مرة واحدة ، ولا يشترط تكراره منه . انتهى ما اردنا نقله .

إن من جميع ماذكرنا تبين أن سفيان الثوري مقدوح عند جمع من العلماء ، مردود الرواية ، فكيف جاز للبخاري إسناد الحديث الموضوع : « إن أبا طالب في ضحضاح من نار» الى سفيان الثوري المقطوع به بالجرح ، والى عبدالملك بن عمير الذي هو مقدوح مثل الثوري ، وهو كالزهري من حيث التدليس والعداء لأهل البيت ـ عليهم السلام ـ ، ومن هنا يتوجه القدح والجرح الى أحاديث مسلم في أن أبا طالب في ضحضاح من نار ، كما في ج ١ ص ١٣٤ ، فان سندها ، عبدالملك بن عمـــير والثوري — وقد عرفت القدح فيهما — لأن القدح فى أبي طالب (ع) مبني على الأصل الأولى في القدح في سادات أهل البيت (ع) نظير ماصنعه ابن تيمية في منهاجه في تنقيص الامام الباقر (ع) قائلا : فالزهري أعلم بأحاديث النبي ﷺ وأحواله ،

وأقواله باتفاق أهل العلم من أبي جعفر محمد بن علي . انتهى .

ومراده من إتفاق أهل العلم ، إتفاق أقرانه ومن هو مثله في النصب والعداء

ومثل كلام ابن الهمام في فتح القدير ، في كتاب الطلاق ، في الطعن على الامام الحسن المجتبى (ع) ، حيث ذكر قوله (ص) : « لعن الله كل ذواق مطلاق » ثم قال : وأما ما فعله الحسن (رض) فرأى منه ، يعني من اكثاره الطلاق في قبال النص . الخ .

ونحو كلامه ايضاً في فتح القدير في باب الغنائم ، حيث تكلم على الباقر عليه السلام فيما اخبر به عن جده علي بن أبي طالب (ع) : انه كان يرى سهم ذى القربى لكن لم يعطهم مخافة ان يدعى عليه ، بخلاف سيرة أبي بكر وعمر بكلام حاصله كون خبر أبي جعفر (ع) عن ذلك خلاف الواقع فيكون ذلك اما من جهله أوسهوه أو نسيانه او كذبه على جده لترويج مذهبه ، ومذهب الأئمة من ولده . انتهى .

قال محمد معين بن محمد امين السندي في كتابه دراسات اللبيب : كل ذلك يعني من ابن الهمام ، تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، قال : فالفجيعة كل الفجيعة على الامة ان خلت كتب المذاهب الاربعة عن مذهب ائمة أهل البيت (رض) ونحو ماصدر عن الغزالي ج ٣ ص ١٢٣ ، في تمجيد يزيد بن معاوية اذ أطال في رد كثير مما نسب اليه ، كمقتل الحسين (ع) فقال : لم يثبت من طريق صحيح انه قتله ولا امر بقتله ثم انه بالغ في تحريم سبه ولعنه . وكابن العربي المالكي اذ قال : لم يقتل يزيد الحسين (ع) إلا بسيف جده يعني باعتقاد يزيد انه الامام بالحق ، وان الحسين عليه السلام باغ عليه ، والبيعة سبقت ليزيد الى غير ذلك من الهفوات في سادات اهل الجنة ومن أوجب الله تعالى على الناس لهم المودة واثبت لهم في محكم الكتاب والسنة العصمة ، والطهارة ، ومع ذلك خالف ، وتخلف الحزب المرواني ، فاثبتوا لهم

كل منقصة ، و نفوا عنهم كل فضيلة ، ففي ابن تيمية في منهاجه اعلمية علي (ع) وعصمته ، وتخرص بخطائه في مسائل الفقه ، وبابن ابى بكر اتقى واسخى وازهد واشجع من علي (ع) بل وان فضيلة الخلفاء الاربع على الترتيب وان عثمان أفضل من علي (ع) فلابن تيمية نظائر لا يضرهم اذا بنوا على كفر أبي طالب وايمان أبي سفيان وحزبه من الطلقاء وابناء الطلقاء ، وإنما الكلام مع من برئه الله تعالى واعطاه حسن الايمان وإلا فقد وقعت الشبهة من أهل السنة ايضا في ايمان آباء رسول الله (ص) وأجداده بل في ايمان أبويه مصرحين بانهما ماتا على الكفر ، كما عن ابن كثير الدمشقي في تفسيره عن قوله تعالى : « وما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى » (١) وحديثه من الامام احمد وعن علقمة ابن مرثد ومن ابن أبي حاتم وعن الطبراني من بكاء النبي (ص) عند قبر امه آمنة وترحمه لها ، ونزول جبرئيل بالآية ونهيه عن الاستغفار لها . الخ .

وكذلك قول ابن كثير في تاريخه ﴿ البداية والنهاية ﴾ باخبار النبي (ص) عن أبويه وجده عبدالمطلب بأنهم من أهل النار . وفي المواهب اللدنية عن أبي الخطاب ابن دحية ، قوله : ﴿ من مات كافراً ، لم ينفعه الايمان بعد الرجعة ﴾ ، وحكى عنه ان احياء النبي (ص) أبويه وايمانهما به موضوع يرده القرآن والاجماع انتهى . والغرض من التطويل بيان ان الجماعة بنوا على موت آباء النبي (ص) على الكفر فضلا عن أبي طالب حتى انهم نسبوا القول الى الشيعة .

قال العلامة القسطلاني في المواهب اللدنية : نقل الامام ابوحيان في البحر عند تفسير قوله تعالى : « وتقلبك في الساجدين » (٢) أن الرافضة هم القائلون ان آباء

---

(١) التوبة : ١١٤ .
(٢) الشعراء : ٢١٩ .

النبي (ص) كانوا مؤمنين ، مستدلين بقوله تعالى : (وتقلبك في الساجدين) و بقوله ﷺ : « لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين .. الخ »

قلت : وذلك من مفاخر الشيعة وانه مما وافق عليه الكتاب والسنة من قوله تعالى « وتقلبك في الساجدين » إذ معناه : « وتقلبك في اصلاب الموحدين من نبي الى نبي حتى اخرجه الله نبياً » وقيل معناه انه يراك حين تقوم الى الصلاة ويرى تقلبك بين المصلين الساجدين معك عندما صليت جماعة ويرده ان الآية في سورة الشعراء وهي مكية كما في التفاسير ، ولقوله تعالى : « وانذر عشيرتك الاقربين » (١) النازل في مكة باتفاق اهل الحديث من العامة والخاصة وهي قبل قوله تعالى : « وتقلبك في الساجدين » ومن البديهة انه عند نزول الآية ، لم يكن مصلى مع النبي (ص) حتى يصلي بهم جماعة ، ويدل عليه — أي على ايمان آباء رسول الله (ص) — ايضا من السنة قوله (ص) : « لم ازل انقل من أصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات » وحمله على الطهارة عن السفاح مردود بأن قوله (ص) عام ، يعم الطهارة من كل رجس ونجس ومنه الشرك لقوله تعالى : « انما المشركون نجس » (٢) فوجب أن لا يكون واحد من آباء رسول الله (ص) مشركاً غير موحد ، وهذا ليس من الخبر الواحد وإنما هو خبر متواتر اعتمد عليه كل من نفي الشرك عن آباء النبي (ص) من الشيعة وأئمة الشافعية ، والاشاعرة ، حسبما نص عليه ابن حجر المكي في « المنح المكية شرح القصيدة الهمزية » والشيخ على الشراملسي المصري في حاشيته على المواهب اللدنية المسماة بـ« تيسير المطالب السنية » قال : انهم المستدلون على نجاة آباء النبي (ص) بالآية والحديث .

---

(١) الشعراء : ٢١٤ .
(٢) التوبة : ٢٩ .

ثم إن لنا على ذلك زيادة كاشفة عن إيمان آباء النبي ﷺ وإيمان أبي طالب من الحديث الذي رواه أخطب خوارزم في « المناقب ص ٨٧ » ، والنطنزي في « الخصائص العلوية » ، والشيخ سليمان القندوزي في ﴿ ينابيع المودة ، في الباب الاول ﴾ قائلا : وأخرجه الديلمي في ﴿ مسند الفردوس ﴾ عن سلمان ، عن النبي (ص) قال : كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عزوجل ، يسبح الله ذلك النور ، ويقدسه قبل أن يخلق الله آدم باربعة عشر الف عام ، فلما خلق آدم (ع) ، أودع ذلك النور في صلبه ، فلم نزل أنا وعلي شيء واحد ، حتى افترقنا في صلب عبدالمطلب ، ففي النبوة وفي علي الامامة .

وفي حديث آخر من قوله (ص) : حتى أقرنا في صلب عبدالمطلب ، ثم قسمه قسمين ، فأخرج قسما في صلب أبي — عبد الله — وقسما في صلب عمي أبي طالب .. الحديث . ففي الحديث من الدلالة الواضحة على أن تلك الأصلاب هي الحاملة لنور النبوة والامامة ، فلا تصح أن تكون مشركة ساجدة تجاه الاصنام النجسة ، والأوثان الرجسة ، فالأنوار القدسية ، تلزمها أن تكون حاملها مقدسة مكرمة بكرامة الله تعالى فمن القبيح جداً أن يكون الشيء القذر يجعله الله تعالى وعاء للطاهر بالذات ، فأبو طالب هو الحامل لنور الامامة فلا محالة يكون طاهراً عن أرجاس الجاهلية ، وهي الشرك وعبادة الأوثان .

اثبات ايمان أبي طالب (ع)

ويكفي في إيمانه إجماع أهل البيت (ع) وإتفاق سادات أهل الجنة ، ونهوض أحاديثهم متواترة ، وبياناتهم في مقام الجواب مشافهة ، وإنكارهم على من حكم بانه مات كافراً ، ومن ضرورة الشرع وجوب إتباع سنة أهل البيت – عليهم

السلام – ، وإنها مما تقوم به الحجة ، لقول النبي (ص) متواتراً : « إني مخلف فيكم الثقلين – كتاب الله وعترتي أهل بيتي – ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً » وأورده ابن حجر في « الصواعق ص ٩١ » ، وأحمد بن حنبل في « المسند ج ٣ ص ١٧ و ص ٢٦ و ص ٥٩ ، و ج ٤ ص ٣٦٦ » ، والحديث : « مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق ، أخرجه ابن حجر في « الصواعق ص ٩٣ » والحاكم في « المستدرك ج ٣ ص ١٥١ » . فان الحديث ، وما قبله صريح في الحث والتأكيد على الأخذ بسنة أهل البيت ، ومن سنتهم إتفاقهم على إيمان جدهم أبي طالب (ع)

وحسبك من القرآن في إيمانه ، قوله تعالى : « إلا من اكره ، وقلبه مطمئن بالايمان .. » الآية (١) وقوله تعالى : « إلا أن تتقوا منهم تقاة .. » الآية (٢) التقاة : التكلم باللسان ، والقلب مطمئن بالايمان ، وأبو طالب في الاسلام حاله ، حال مؤمن آل فرعون في قومه ، يكتم إيمانه ويحفظ بذلك رسول الله (ص) . وفي « الشرح لابن أبي الحديد ، ج ٣ ص ٣١٢ » بأسناده الى أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) عن النبي (ص) ، قال : إن أصحاب الكهف أسروا الايمان ، وأظهروا الكفر ، فآتاهم الله أجرهم مرتين ، وان أبا طالب أسر الايمان ، وأظهر الشرك ، فآتاه أجره مرتين . انتهى .

وفيه أيضا ، بالاسناد الى السجاد – علي بن الحسين زين العابدين – (ع) ، انه سئل عن إيمان أبي طالب ، فقال : واعجبا !!! إن الله تعالى نهى رسوله (ص) أن تقر مسلمة على نكاح كافر ، وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات الى الاسلام ولم تزل تحت أبي طالب إلى أن مات ، وفيه ج ١ ص ٤٧ قال : واعلم أن علياً (ع)

---

(١) النحل : ١٠٦ . (٢) آل عمران : ٢٨ .

كان يدعي التقدم على الـكل ، والشرف على الكل ، والنعمة على الكل ، بابن عمه ﷺ وبنفسه ، وبأبيه أبي طالب (ع) ، فان من قرأعلوم السير ، عرف أن الاسلام لم يستقم إلا بوجود أبي طالب .

وليس لقائل أن يقول : كيف يقال هذا في دين تكفل الله تعالى باظهاره ، سواء كان أبو طالب موجوداً ، أو معدوماً . فالجواب ، أنه لاينبغي أن يمدح رسول الله (ص) ، على أنه هدى الناس ، وأنقذهم من الجهالة ، وأن لايمدح أبو بكر على أن له أثراً في الاسلام ، وأنه لولا عمر ، لما كانت الفتوحات ، فان قيل : إن هؤلاء يحمدون لأن الله اجرى تقوية الاسلام على ايديهم ، فكذلك يقال في شأن ابى طالب أيضاً .

وصية أبي طالب ولديه بحفظ رسول الله ﷺ

كيف لايؤمن ابو طالب بالنبي (ص) ، وقد اوصى ولديه ـ علياً (ع) ، وجعفراً ـ بحفظه ، والصلاة معه ، وعدم الأنفكاك عنه ، ولولا انه مصدق به في باطن الأمر لما امرهما بالسكون معه ، والصلاة ورائه . وقد صرح بذلك ، احمد بن زيني دحلان ، ـ وهو من اعاظم علماء الجماعة ـ في كتابه « اسنى المطالب ص ٧ » ، واخرج الحافظ ابن حجر العسقلاني في « الاصابة ج ٤ ص ١١٦ » ، عن ابى رافع ، قال : سمعت ابا طالب يقول : حدثني محمد (ص) ، ان ربه بعثه بصلة الرحم ، وان يعبد الله وحده ، ومحمد عندي الصادق الأمين . إنتهى ، وقوله : ومحمد عندي الصادق الأمين ، هو عين التصديق منه للنبي (ص) في انه المبعوث من الله لنفى الشرك .

وايضا في « اسنى المطالب ص ٦ » بأسناده عن عروة الثقفى ، قال : سمعت

ابا طالب (رض) ، يقول : حدثني ابن اخي الصادق الأمين ، وكان والله صادقاً أن ربه ارسله بصلة الارحام ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وكان يقول : اشكر ترزق ، ولا تكفر تعذب . واخرج الحافظ ابن حجر أيضا في ﴿ الاصابة ج ٤ ص ١١٦ ﴾ بالاسناد الى علي (ع) ، أنه لما أسلم ، قال له أبو طالب (ع) : إلزم ابن عمك . واخرج ايضا عن عمران بن حصين ، أن ابا طالب (ع) قال لابنه جعفر - لما اسلم - : صل جناح ابن عمك . فصلى جعفر مع رسول الله (ص) . إنتهى .

وفي ﴿ منتخب كنز العمال ، ط ه ، المسند لأحمد ج ٥ ص ١٥٦ ﴾ عن علي عليه السلام ، قال : بينا كنت مع رسول الله (ص) في خبأ لأبي طالب ، إذ اشرف علينا ، فبصر به النبي ﷺ ، فقال : ياعم ! ألا تنزل فتصلي معنا . قال : يابن أخي إني لأعلم انك على الحق ، ولكني اكره ان اسجد فتعلوني إستي ، ولكن انزل ياجعفر ، فصل جناح ابن عمك ، فنزل جعفر ، فصلى عن يسار النبي (ص) ... الحديث . وروى ابن ابى الحديد في ﴿ الشرح ج ١ ص ٣٧١ ﴾ عن علي (ع) قال: ما عبدالله احد قبلي ، إلا نبيه - عليه السلام - ولقد هجم ابو طالب علينا - وأنا وهو ساجدان - ، فقال : افعلتموها ؟ ! ثم قال لي وانا غلام : ويحك ! انصر ابن عمك ويحك ! لاتخذله ، وجعل يحثني على مؤازرته ، ومكانفته . فقال له رسول الله (ص): افلا تصلي انت معنا ياعم ؟ ! فقال : لا افعل يابن اخي ، لاتعلوني إستي . ثم انصرف إنتهى .

وفي ﴿ السيرة الحلبية ، لبرهان الدين الحلبي ج ١ ص ٣٠٤ ﴾ (١) عن كتاب ﴿ اسد الغابة ، لابن الأثير ﴾ ان ابا طالب رأى النبي ﷺ وعلياً « ع » يصليان ، وعلي عن يمينه ، فقال لجعفر (رض) : صل جناح ابن عمك ، فصلى عن يساره ،

(١) وفي طبعة ص ٢٥٦ .

وكان إسلام جعفر بعد إسلام أخيه ـ علي ـ بقليل ، وفيها أيضاً (ج ١ ص ٣٨٨) عن مقاتل : أن أبا طالب قال عند موته : يا معشر بني هاشم !! أطيعوا محمداً وصدقوه ، تفلحوا وترشدوا . فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : يا عم !! تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم ، وتدعها لنفسك ؟! فقال : يابن أخي قد علمت أنك صادق ، لكنني أكره أن يقال .. الخ . وهذا تصريح بالتصديق والاعتقاد بالحق غير أنه علل عدم تجاهره بما فيه التصديق إذ كان يسكت عنه .

وفي (السيره الحلبية أيضاً ج ١ ص ٣٩١) : أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دعا بني عبد المطلب ، فقال : لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد ﷺ، وما اتبعتم أمره ، فأطيعوه ترشدوا.

وفيها أيضاً : أن أبا طالب جمع إليه وجهاء قريش ، فأوصاهم وفي آخر وصاياه ، قال : إني أوصيكم بمحمد خيراً ، فانه الأمين في قريش ، وهو الصديق في العرب ، وقد جاء بأمر قبله الجنانّ ، وأنكره اللسان (١) . وأيم الله ! كأني أنظر إلى صعاليك العرب ، والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته ، وصدقوا كلمته ، فصاروا رؤساء قريش . فيا معشر قريش ، كونوا له ولاة والله لا يسلك أحد منكم سبيله . إلا رشد ، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد . إنتهى .

وفي (المواهب اللدنية ج ١ ص ٤٨) : أن النبي (ص) كان عند أبي طالب يدعوه إلى الاسلام ، إذ إجتمعت قريش يريدون بالنبي (ص) سوءً ، فقام أبو طالب ينشد هذه الابيات :

تالله ، لن يصلوا اليك بجمعهم   حتى أوسَّد في التراب دفيناً

(١) وفي هذا تصريح واضح على أن أبا طالب (ع) قد أسلم بقلبه ؛ وآمن بجنانه ، وأنكر بلسانه محافظة على رسول الله ، ولو لا استعماله التقية مع المشركين لضاعت منزلته عندهم ، فلم يتمكن من الدفاع عنه (ص) كما كان يدافع . وتنطبق وصيته هذه على قوله تعالى : « الا من أكره ، وقلبه مطمئن بالايمان » .

واصدع بأمرك ماعليك غضاضة أبشر وقرّ بذاك منك عيونا
وعرضت ديناً لا محالة إنه من خير أديان البرية دينا
لولا حذارى سبة لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً. انتهى. (١).

ومن شعره الدال على إيمانه بالله تعالى ، وبمحمد (ص) قبل بعثته ، قوله في مدحه :

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى ، عصمة للأرامل

الى قوله :

كذبتم - وبيت الله - نُبزى محمداً (٢) ولما نطا عن حوله ونناضل
ونسلمه حتى نصرّع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل (٣)

هذا ، فعن ابن التين : إن في شعر أبي طالب دلالة على أنه كان يعرف نبوة النبي ﷺ قبل أن يبعث لما أخبره بحيراء وغيره من شأنه .

ومما هو صريح في إيمان أبي طالب (ع) ، شعره إلى النجاشي ، يدعوه إلى الاسلام . ذكره الحاكم في المستدرك الذي صححه على شرح البخاري ومسلم ج ٢

---

(١) وفي البيت الأخير دلالة واضحة على أنه (ع) كان يمتنع عن ابانة ايمانه ، واظهار اسلامه خوف الملامة والسبة . فالكلام اذن حول اظهار ذلك . أما أصل الايمان والاسلام فهو مفروغ عنه لا شك في ثبوته ولا ريب .

(٢) أي نسبه ونغلب عليه .

(٣) ذكر هذه الأبيات ابن هشام في (سيرته ج ١ ص ٢٩١ - ص ٢٩٩) ضمن قصيدة طويلة . ومن ضمنها هذه الآيات .

فوالله لولا أن أجيء بسبة تجر على أشياخنا في المحافل
لكنا اتبعناه على كل حالة من الدهر جداً غير قول التهازل
لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ، ولا يعنى بقول الأباطل

وفيها ولا سيما البيت الأخير صراحة واضحة على الايمان الصحيح ، والاسلام الكامل ، والتصديق بالنبوة . ومنها قوله :

فأيده رب العباد بنصره وأظهر ديناً حقه غير باطل

ص ٦٢٣ ، من قوله :

تعلم خيار الناس أن محمداً وزير لموسى ، والمسيح بن مريم
أتى بالهدى .مثل الذي أتيا به فكل بأمر الله يهدى ويعصم
فلا تجعلوا لله نداً ، وأسلموا فان طريق الحق ليس بمظلم . انتهى .

فقوله : إن محمداً وزير لموسى (ع) ، وقوله : إنه أتى بالهدى ، وقوله : فكل بأمر الله يهدي ، شهادة قاطعة منه بنبوة محمد ﷺ ، و بنبوة من كان قبله من موسى (ع) ، وعيسى (ع) ، فلا يكون كافراً . وقوله : فلا تجعلوا لله نداً ، شهادة منه بالتوحيد ، ونهي عن الشرك ، ودعوة الى الاسلام ، فأي حجة على أبي طالب أقوى ، لولا العناد ؟ ! .

الايمان عند أبناء العامة

ففي (صحيح مسلم ج ١ ص ٤١ ، باب من لقى الله بالايمان . . الخ) بطريقين عن عثمان ، قال ، قال رسول الله : «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله ، دخل الجنة . . . الحديث» ، وهو صريح في أن العلم بالوحدانية كاف في الخلاص من النار ، ودخول الجنة ، ومرافقة الأنبياء ، والأولياء ، سيما فيما كان الكتمان إعزازاً للدين ، وحفظاً للانبياء ، والمرسلين . كما في مؤمن آل فرعون ، في قوله تعالى : « وقال رجل مؤمن من آل فرعون ، يكتم إيمانه : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله . . » الآية (١) ، وفي الفتاوى السراجية قال أبو حنيفة : إن الايمان هو الاذعان بالجنان ، وإنما الاقرار باللسان لأجراء الأحكام . فاذا عرف الله بقلبه فهو مسلم من أهل الجنه ، وقال في (ج ٤ ص ١٥٥) قول أبي الحسن علي بن إسماعيل بن أبي اليسر الأشعرى البصرى وأصحابه : إن الايمان عقد بالقلب وان أعلن وقال المحشي لتاريخ الخطيب (ج ١٣

(١) المؤمن : ٢٨ .

ص ٣٧٥) ، عند رأي أبي حنيفة في الايمان : وبعد ! فاعلم ان ابا حنيفة « رض » قال : إن الاعمال ليست داخلة في حقيقة الايمان ، ولكنها شرايع الايمان ، وقد قال بهذا جمهور الأشاعرة ، وأبو منصور الماتريدي . انتهى .

ومن هنا ذهب شيخ الأشاعرة الامام الرازي في التفسير الكبير (ج ١ ص ١٦٤) إلى أن الايمان عبارة عن التصديق ، وإحتج لما إدعاه بوجوه .

وعن المولوي الشاه عبد العزيز الدهلوي في كتابه (سفر السعادة) . إن حقيقة الايمان هو التصديق القلبي ، وشرط الاقرار لصحة إجراء الأحكام في الدنيا ، فمن حصل له التصديق فهو مؤمن بالله . إنتهى . وقال ابن حزم في كتاب (الفصل في الملل والنحل ج ٣ ص ١٠٥) : إن مذهب أبي الحسن الأشعري : أن المسلم من عرف الله بقلبه ، وإن أظهر اليهودية والنصرانية فاذا عرف الله بقلبه فهو مسلم من أهل الجنة ، وقال في (ج ٤ ص ١٥٥) قول أبي الحسن علي بن اسماعيل بن أبي اليسر الأشعري البصري وأصحابه : أن الايمان عقد بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه بلا تقية ، وعبد الاوثان أو لزم اليهودية والنصرانية في دار الاسلام وعبد الصليب ، وأعلن التثليث في دار الاسلام ، ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الايمان عند الله عز وجل ، ولي لله من أهل الجنة . انتهى .

أقول : وقد أطلق إسم الايمان على مجرد عقد القلب مع عدم الاظهار في آيات من القرآن ، كقوله تعالى : « إلا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان » (١) ، وقوله تعالى في أصحاب كهف : « إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى » (٢) ، وقوله تعالى في مؤمن آل فرعون : « وقال رجل مؤمن يكتم ايمانه » ، وقوله تعالى في إبراهيم (ع) : « أولم تؤمن ، قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي . . . » الآية (٣) ، وقوله تعالى : « كتب في قلوبهم الايمان » (٤) .

(١) النحل : ١٠٦ . (٢) الكهف : ١٣ . (٣) البقرة : ٢٦٠ . (٤) المجادلة : ٢٢ .

النبي (ص) وترحمه لابي طالب (ع)

روى السبط ابن الجوزي في (تذكرة خواص الأمة ص٦) عن علي (ع)، قال: لما توفي أبو طالب اخبرت رسول الله (ص) فبكى بكاءً شديداً، ثم قال: إذهب فاغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه، فقال له العباس: يا رسول الله! إنك ترجو له؟ فقال: اي والله إني لأرجو له، وجعل رسول (ص) يستغفر له أياماً لا يخرج من بيته. وقال الواقدي: قال ابن عباس: عارض رسول الله (ص) جنازة عمه أبي طالب وقال: وصلتك رحم وجزاك خيراً. انتهى.

اقول: الحديث ايضاً ذكره الحلبي في (السيرة النبوية ج ١ ص ٣٧٣)، واحمد بن زيني دحلان في (السيرة النبوية، المطبوعة في الهامش من السيرة الحلبية ج ١ ص ٩٠) وابن كثير الشامي في (البداية والنهاية ج ٣ ص ١٢٥) وابن أبي الحديد في (الشرح ج ٣ ص ٣١٤) وفي (تاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٢٠) أنه: لما تقارب من ابي طالب الموت، جعل يحرك شفتيه فأصغى اليه العباس باذنه، وقال: يابن أخي! لقد قال الـكلمة التي أمرته أن يقولها يعني — الشهادة — فقال رسول الله (ص): الحمد لله الذي هداك يا عم!! انتهى.

وقال الشيخ عبد الحق الدهلوي الحنفي، في كتابه (سفر السعادة): ان النبي (ص) كان يمشي مع جنازة عمه، ويترحم له، ويقول: غفر الله لك ورحمك.

وقال: إن الشيخ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ذكر ابيات ابي طالب، وهي: وابيض يستسقي الغمام بوجهه... الابيات وقال: إنه ذكرها بطولها ابن اسحاق في سيره، قائلا: إن معرفة أبي طالب بنبوته جائت في كثير من الأخبار، وتمسك بها الشيعة أنه كان مسلماً، وقال: رأيت لعلي بن حمزة البصري جزواً جمع فيه شعر أبي طالب وزعم أنه كافراً واستدل لدعواه ما لا دلالة فيه. انتهى.

تقولاتهم على ابى طالب (ع)

فمنها :ـ ما حكاه ابن حزم في كتاب(الفصل فى الاهواء والملل والنحل ج ٤ ص ٩٩) عن بعض الأشعرية : أن حب النبي (ص) لمن أحب ، ليس فضلا لأنه أحب عمه أبا طالب وهو كافر ، وقال تعالى : « إنك لا تهدى من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء » (١) . انتهى .

أقول : إن الآية منخرطة فى سلك نظائرها من قوله تعالى : « ولو شاء الله لجمعهم على الهدى » (٢)، وقوله تعالى حكاية عن ابراهيم (ع): « لئن لم يهدني ربى لأكونن من القوم الضالين » (٣) وقوله تعالى : « ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ، وما كان لنفس ان تؤمن إلا بأذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون » (٤) . فعلى هذا لا دخل لآية : « إنك لا تهدي من أحببت » بإيمان شخص خاص ، ولا بكفر انسان مخصوص ، بل يعم الخلايق اجمع من أي شريعة كانوا وأقصاها الدلالة على أن الهداية من الله تعالى ببعث الرسل ، وانزال الكتب ، وإظهار المعجزات ، وإراءة الآيات من غرق ، او حرق ، او مسخ ، اوطوفان او نار نمرود ، او تسع آيات بينات ، او إحياء الموتى او الاخبار عن المغيبات على ماهي مذكورة في القرآن . فالآية حينئذ تدل على أن رسول الله (ص) لا يهدي من أحب هداه من امته ، ولكن الله يهدي من يشاء هداه ، وهذا معنى فرضه تعالى لكل مؤمن بأن يحب الهدى لكل شخص ، وعليه ينتفي الأمر

(١) القصص : ٥٦ .
(٢) الأنعام : ٣٥ .
(٣) الأنعام : ٧٧ .
(٤) يونس : ٩٩ و ١٠٠ .

بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونشر الشريعة ، وتعليم الأحكام حتى بالألجاء والاضطرار ، كما في باب الجهاد .

ومنها : — ما اقترحه إبن حزم في (الفصل ج ٤ ص ٩٩) من أن رسول الله (ص) كان يحب عمه في مكة في حياته ، وبعد مماته بقرينة قوله تعالى : إنك لا تهدي من احببت كما قاله الأشعري ، حتى اذا ارتحل الى المدينة ، فأنزل الله تعالى عليه : « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آبائهم ، او ابنائهم ، او اخوانهم ، او عشيرتهم . . . » الآية (١) وانزل الله تعالى : « قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده.. » الآية (٢) ان كان رسول الله (ص) أحب ابا طالب فقد حرم الله عليه بعد ذلك ونهاه عن محبته فقد بطل ان يحب النبي (ص) احداً غير مؤمن . انتهى .

قلت : كما انه بطل ان يحب النبي (ص) احداً غير مؤمن كذلك بطل دعوى: ان ابا طالب مات ، وهو غير مؤمن لأن حب النبي (ص) لعمه مكرمة ، وفضيلة كاشفة عن سبق ايمانه ولقد عدّوا من فضيلة عائشة وأبيها ، الحديث الذي رووه عن انس بن مالك ، وعمرو بن العاص : أنه سئل النبي (ص) : من أحب الناس اليك؟! قال : عائشة ، قال : من الرجال ، قال : فأبوها .

قال ابن حزم في (الفصل ج ٤ ص ٩٥) : صح أن كلامه (ص) انها أحب الناس اليه وحي أوحاه الله تعالى اليه ، لا عن الهوى ، ان هو الا وحي يوحى .

(١) المجادلة : ٢٢ .
(٢) الممتحنة ٤ .

انتهى . (١) .

قلت : فكذلك حبه لعمه أبي طالب ، بل هو أولى بأن لم يكن عن هوى النفس ، بل لتقدمه في الدين ولاستحقاقه ، ذلك بعمل كان منه فأوجب الرحمة والقرب والمنزلة الرفيعة ، لقوله تعالى : « تلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون » (٢) ، وقوله : « وأن ليس للانسان الا ما سعى »(٣) ، فلما كان رسول الله (ص) لا يفتر عن الترحم على عمه ، والاستغفار له طول حياته (ص) ، ومعلوم ان ذلك يكون برضاء من الله تعالى ووحي منه بقوله تعالى : « من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه » (٤) ، وقوله تعالى : « ولا يشفعون الا لمن ارتضى » (٥) فرضائه تعالى وارتضائه لابي طالب اقتضى ترحم النبي (ص) واستغفاره له ، فكان ذلك ايضاً بوحي من الله تعالى ، فمن زعم خلاف ذلك فقد خالف ذلك ما مر من آيات القرآن وما صح عن النبي (ص) من الترحم لعمه .

البحث حول قوله تعالى : « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم »

ومن تقول ابن حزم في (الفصل في الأهواء والملل ج ٤ ص ١١٣) احتجاجه بقوله تعالى : «فلما جائتهم آياتنا مبصرة ، قالوا : هذا سحر مبين ، وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلماً وعلواً » (٦) على عدم كفاية مجرد اليقين القلبي في الايمان، لأن الله تعالى حكم بكفر فرعون واتباعه لجحدهم بألسنتهم ، أن آيات موسى (ع)

(١) أمن العدل أن يعتبر ابن حزم حب النبي (ص) لعمه أبي طالب (ع) حباً باطلا ، لا يكشف عن منقبة لعمه ، وثم يعتبر حبه (ص) – ان صح الخبر – لعائشة وأبيها من فضائلها ؟! تلك اذن قسمة ضيزى ، فهل كان حبه لعمه أبي طالب حباً ناشئاً عن الهوى ، وحبه لعائشة وأبيها عن وحي الله تعالى ؟ ؟ ! . (٢) الزخرف : ٧٢ . (٣) النجم ٣٩ .
(٤) البقرة : ٢٥٥ . (٥) الأنبياء : ٢٨ . (٦) النمل : ١٣ و١٤ .

من الله تعالى مع استيقانهم أنها حق من عنده تعالى ، فاللازم هو الاقرار باللسان طبق ما في الجنان من الاستيقان . انتهى .

أقول : إن هذا الكلام باطل لوجوه : —

احدها : — إن فرعون وقومه كانوا مشركين شركاً عبادياً لا خالقياً ، فهو وان كان معتقداً أن لا مؤثر فى الوجود إلا الله تعالى غير أنه جوّز لنفسه العبادة والانقياد والطاعة نظير مشركي العرب في الجاهليه ، إذ جوزوا عبادة الأصنام حول الكعبة ، وقالوا كما في القرآن : « اذ نسويكم برب العالمين » (١) يعني التسوية في العبادة ، وهذا شرك بالله تعالى ، لقوله تعالى: « اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً » (٢) وقوله : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احدا » (٣) دل على أن الله تعالى لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له فى ملكه وسلطانه وقوله تعالى: « ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ، أن اعبدوا الله ، واجتنبوا الطاغوت » (٤) .

وثانياً : — إن فرعون إدعى الربوبية ، بقوله لموسى (ع) : « ألم نربك فينا وليداً ، ولبثت فينا من عمرك سنين » (٥) .

قال الفخر الرازى في ﴿ التفسير ج ٦ ص ٤١ ﴾ : إنما قال فرعون : فمن ربكما ؟ ! ولم يقل : فمن إلاهكما لأنه أثبت لنفسه رباً في قوله : ألم نربّك فينا وليداً. كأنه قال له : أنا ربك . فلم تدعى رباً آخر ! ؟ وهذا الكلام يشبه كلام نمرود لابراهيم (ع) عند قوله : « ربي الذي يحيي ويميت » (٦) قال : أنا أحيي وأميت .. الخ . فبذلك المعنى الذي إدعاه فرعون ، واراده نمرود أثبت كل منهما لنفسه التقدم على الناس ، واستحقاق أن يكون معبوداً لهم ، فهم وان تبين لهم الحق في توحيد الرب، غير أنهم لم يوحدوه في العبادة، والخضوع، والخشوع، والكبرياء، والعظمة ، وقد قال سبحانه:

(١) الشعراء : ٩٨ . (٢) النساء : ٣٦ . (٣) الكهف : ١١٠ . (٤) النحل : ٣٦
(٥) الشعراء : ١٨ . (٦) البقرة : ٢٥٨ .

« يدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين » (١) .

والذي دل على أن فرعون كان يري نفسه شريكاً مع الله تعالى ، قوله تعالى: « حتى اذا أدركه الغرق ، قال : آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا اسرائيل ، وأنا من المسلمين » (٢) ، وهذا توفيق بين هذه الآية ، وبين قوله تعالى : « وجحدوا بها ، واستيقنتها أنفسهم . . . » الآية (٣) ، فان الاعتقاد القلبي بتوحيد الله تعالى ، وان الآيات الظاهرة منه تعالى لا ينافي ادعائه فى المرتبة النازلة أنه من أرباب الأنواع وانه كبقية المدبرات كما في قوله تعالى : « أجعل الآلهة إلهاً واحداً » (٤) ، فاعتبروا لتنسيق العالم السفلي مدبرات ، والمثلات ، كقوم ابراهيم (ع) ، اذ كانوا يعبدون الكواكب ، والشمس ، والقمر زعماً منهم أن لها التدبير والأمر في هذا العالم .

وثالثاً : — هب أن فرعون كان عارفاً ، ومستيقناً بالله تعالى ، غير أنه كان يُظهر الانكار تكبراً ، وتجبراً ، وزوراً ، وبهتاناً ، وحسبك في هذا في كونه ضلا ، وساعياً في الأرض الفساد ، وتوجه اليه الذم ، والتوبيخ ، واللوم في قوله تعالى: « إن فرعون علا في الأرض ، وجعل أهلها شيعاً . . » الآية (٥) ، وقوله تعالى : « إذهبا الى فرعون إنه طغى » (٦) ، وقوله تعالى : « واستكبر هو وجنوده في الأرض » (٧) . وهذا كاستكبار ابليس ، والاستخفاف بأمر الله تعالى ، اذ أمره بالسجود لآدم (ع) فامتنع ، واحتج بقوله : « أنا خير منه ، خلقته من نار ، وخلقتني من طين » (٨) ، فاعترف بأن الله تعالى خالقه ، وخالق آدم ، لكنه استكبر ، وقال : « لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون » (٩) ، وقال الله تعالى : « فسجدوا إلا ابليس » (١٠) واستكبر فهو كافر مرتد لمكابرته مع الله تعالى ،

---

(١) الأنبياء : ٩٠ . (٢) يونس : ٩٠ . (٣) النمل : ١٤ . (٤) ص : ٥ .
(٥) القصص : ٤ . (٦) طه : ٣٣ . (٧) القصص : ٣٩ . (٨) الأعراف : ١٢ .
(٩) الحجر : ٣٣ . (١٠) البقرة : ٣٤ .

وكذلك فرعون فهو كافر — كفر استكبار لا كفر شرك — فحاله حال غيره من المعاندين للحق والمشاقين للانبياء والرسل ، قال الله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى » (١) وقال سبحانه: « الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى » (٢) فهؤلاء المشاقون إن لم يرجعوا الى الشرك ليسوا بمشركين لما في قلوبهم من الاعتقاد واليقين ، وانما يكونوا كافرين لانكارهم ضروري الدين من اتباع الرسول (ص) فالشرك أخص من الكفر كما في القرآن : « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة » (٣) .

والغرض من الاطالة بيان فساد الاحتجاج بقوله تعالى : وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم على كفر ابي طالب وان كان مؤمناً بقلبه وقد عرفت أن الايمان عند الأشعرية وابي حنيفة بل وأئمة الشافعية مثل الغزالي ، والفخر الرازي ما هو القائم بالضمائر ، وإن الظواهر كاشفة عنها وليست داخلة في حقيقة الايمان . قال الفخر الرازى في ﴿ التفسير ج ١ ص ١٦٤ ﴾ عند اقامته الحجة على ان : الايمان عبارة عن التصديق بكل ما عرف بالضرورة كونه من دين محمد ﷺ .

الرابع : — أن الله تعالى كلما ذكر الايمان في القرآن اضافه الى القلب ، قال : « من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم » (٤) . وقوله : « وقلبه مطمئن بالايمان » (٥) ، « كتب فى قلوبهم الايمان » (٦) . « ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم . . الآية » (٧) الى أن قال في ص ١٦٥ : إن من عرف الله بالدليل ووجد من الوقت ما أمكنه أن يتلفظ بالشهادة ، ولكنه لم يتلفظ بها ، قال الغزالي : انه مؤمن ، لعدم الاجماع على كفره وإن الامتناع عن النطق يجري

(١) النساء : ١١٥ . (٢) محمد : ٣٢ . (٣) البينة: ١ . (٤) المائدة : ٤١ .
(٥) النحل : ١٠٦ . (٦) المجادلة : ٢٢ . (٧) الحجرات : ١٤ .

مجرى المعاصي التي يؤتى بها مع الايمان . انتهى .

وقال في ﴿ التفسير ايضاً ج ١ ص ١٨٥ ﴾ : القسم الثاني : أن يحصل العرفان القلبي والانكار اللساني فهذا الانكار ان كان اضطرارياً كان صاحبه مسلماً لقوله تعالى : « الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان »(١) وان كان اختيارياً كان كافراً معانداً .

أقول : وعـــدم إقرار أبي طالب (ع) بلسانه — ان صح في مزاعم الخصم — انما هو لغرض حفظ النبي (ص) عن بأس المشركين سيما عشيرتـــه الاقربين فهو معذور لامحالة .

قال الفخر الرازي — في نفس المصدر — : القسم الثالث : أن يحصل العرفان القلبي ويكون اللسان خالياً عن الاقرار والانكار فهـذا السكوت اما أن يكون اضطرارياً أو اختيارياً ، فهو كمن عرف الله بدليله ، ثم انه لم يأت بالاقرار فهذا محل البحث وميل الغزالي رحمه الله الى أن يكون مؤمناً لقوله (ص) : يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان . وهذا الرجل قلبه مملوء من نور الايمان فكيف لا يخرج من النار .

التقية في الشريعـــة

هذا المقام يشتمل على اصلين من اصول الشيعة : احدهما : التقية . وثانيهما : البداء . وحيث أنهما وقعا موقع الطعن من قبل خصومهم ، لزمنا ذكرهم ، واقامة البرهان عليهما في منهجين :

المنهج الاول : في التقية

قال عبد الحليم ابن تيمية في ﴿ منهاجه ج ١ ص ٩ ﴾ عند اظهار نصبه وعدائه وتفحشه في كلامه ببيان وجوه مشابهة الشيعة لليهود : ومثل استعمال التقيـــة واظهار

(١) النحل . ١٠٦ .

خلاف ما يضمرون من العداوة، مشابهة لليهود . انتهى .

فنقول : إن توضيح البحث عن التقية ، عبارة عن المداراة مع من يخاف سطوته على نفسه ، من قتل ، أو ضرر ، أو على دينه ، من الذهاب به ، أو على عرضه ، وقد قامت الادلة على حسنها ، ولزومها وان عليها العقل والفطرة المستقيمه ، وكذلك النقل من الكتاب والسنة وسيرة الصحابة ، فان من الضرورة هجرة المسلمين بواسطة تعدي المشركين الى الحبشة في بدو الدعوة ، ومعلوم أنها كانت لأمر واجب ديني نظير فرار أصحاب الكهف ، وقول بعضهم لبعض كما في القرآن : « إنهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذاً أبداً » (١) .

قال الامام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي في شرح الاربعين :لامبالات باثبات التقية وجوازها وإنما تكره عامة الناس لفظها ، لكونها من معتقدات الشيعة ، والا فالعالم مجبول على استعمالها وبعضهم يسميها « مداراة » وبعضهم « مصانعة » وبعضهم « عقلا معاشياً » ودل عليها دليل الشرع انتهى .

وقال في كتاب الأذكار : قد تظافرت الكتاب والسنة على تحريم الكذب في الجملة ، وعليه اجماع الامة وانما المهم ، بيان ما يستثنى منه ، وذلك فقد روينا في البخاري ومسلم عن أم كلثوم : أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيمني خيراً أو يقول خيراً . وزاد مسلم أنه قال ابن شهاب ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس ،الا في ثلاث : الحرب ، والاصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرئته ، وحديث المرأة زوجها . فهذا الحديث صريح في اباحة بعض الكذب للمصلحة ، وقد ضبط العلماء ما يباح منه واحسن ما رأيت في ضبطه ما ذكره الامام أبو حامد الغزالي فقال : الكلام وسيلة الى المقاصد ، و كل مقصود

(١) الكهف : ٢٠ .

محمود يمكن الوصول اليه بالصدق والكذب جميعاً ، فالكذب فيه حرام ، وان لم يمكن التوصل اليه بالصدق ، فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك المقصود مباحاً ، وواجب ان كان المقصود واجباً فاذا اختفى مسلم من ظالم وسئل عنه وجب الكذب باخفائه ، وكذا لو كان عند غيره وديعة وسأل ظالم يريد أخذها منه وجب الكذب باخفائها . انتهى .

وقال في شرحه على صحيح مسلم في باب تحريم الكذب وبيان ما يباح منه ﴿ ج ٨ ص ٢٨ ﴾ وقول النبي ﷺ : ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ، ويقول خيراً ، أو ينمي خيراً قال القاضي : لا خلاف في جواز الكذب في هذه الصور يعني فيما رواه مسلم من الكذب في الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته ، واختلفوا في المراد بالكذب المباح فيها ماهو ؟ فقالت طائفة : هو على اطلاقه وأجازوا قول ما لم يكن في هذه المواضع للمصلحة ، وان الكذب المذموم مافيه مضرة ، واحتجوا بقول ابراهيم (ع) : « بل فعله كبيرهم » (١) « واني سقيم » (٢) وقوله : « انها اختي » وقول منادي يوسف (ع) : « أيتها العير انكم لسارقون » (٣) قالوا : ولا خلاف أنه لو قصد ظالم قتل رجل هو عنده مختف وجب عليه الكذب في أنه لا يعلم أين هو . انتهى .

وفي صحيح البخاري باب يمين الرجل لصاحبه : انه أخوه اذا خاف عليه القتل او نحوه ، وكذا كل مكره « بفتح الراء » يخاف فانه يذب عنه الظالم الى أن قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : قال ابراهيم (ع) لامرأته هذه اختي وذلك في دين الله تعالى . انتهى .

(١) الأنبياء : ٦٣ . (٢) الصافات : ٨٩ . (٣) يوسف : ٧٠ .

التقية في القرآن

وذلك بالنسبة الى هذه الشريعـــة ، قوله تعالى : « ولا تلقوا بايديكم الى التهلـكة » (١) وقوله تعالى : « لا يتخذ المؤمنون الـكافرين اولياء » الى قوله « إلا أن تتقوا منهم تقاة » (٢) وقوله : « ما جعل عليكم في الدين من حرج » (٣) فان لزوم الحرج والضرر على النفس والمال في مواضع التقية أمر معلوم يكون منفياً بقوله تعالى : « ما جعل عليكم . . . الآية » ، ويدل على الرخصـــة في التقية ، قوله تعالى : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه . . الآية » (٤) ومن الاضطرار الوقوع في الخطر ففي هذه الايات غنى وكفاية في مشروعية التقية وجوازها ، وإن كانت الضرورة ربما تؤدي الى وجوبها .

وفي البخاري في كتاب الاكراه باب قوله تعالى : « إلا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان » ، وقال : إلا أن تتقوا منهم تقاة . وفيه عن الحسن ، قال : التقية الى يوم القيامة . وقال القسطلاني في الشرح : إنها ثابتة الى يوم القيامة لا تختص بعهـــد النبي ﷺ ، وفي ﴿ تفسير الجلالـــين ﴾ : إلا أن تتقوا منهم تقـاة مصدر تقية : أي تخافون مخافة ، فلـكم موالاتهم باللسان دون القلب ، وفي ﴿ تفسير النيشابوري ﴾ : إلا أن تتقوا منهم تقاة . قال الجوهري : يقال : إتقى تقية ، وتقاة . وللتقية عند العلماء أحكام ، منها : — اذا كان الرجل في قوم كفار يخاف منهم على نفسه جاز له أن يظهر المحبة والموالات . وفي ﴿ تفسير الفخر الرازي ﴾ عند قوله تعالى: إلا أن تتقوا منهم تقاة . أنه قال مجاهد : هذا الحـكم كان ثابتاً في أول الاسلام ، لأجل ضعف المؤمنين فأما بعد قوة الاسلام فلا .

---

(١) البقرة : ١٩٥ . (٢) آل عمران : ٢٨ . (٣) الحج : ٧٨ .
(٤) البقرة : ١٧٣ .

وروى الحسن أنه قال : التقية جائزة للمؤمنين الى يوم القيامة ، وهذا القول أولى لأن دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان . انتهى .

تفسير قوله تعالى: (الا من اكره وقلبه مطمئن..)

ففي ﴿ الدر المنثور للسيوطي ﴾ وفي غيره في تفسير هذه الآية ، أن المشركين أخذوا عمار بن ياسر فعذبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا ، وسب النبي ﷺ وذكر آلهتهم بخير ، وأنه قال :يارسول الله :ما تركت حتى سببتك وذكرت آلهتهم بخير ، قال ﷺ : كيف تجد قلبك ، قال : مطمئناً بالايمان ، قال : ان عادوا فعد وفى ذلك أنزل الله تعالى : « إلا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان » ، وفي ﴿ تفسير الفخر الرازى ﴾ : أن عماراً أعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها ، فقيل : يا رسول الله ! إن عماراً كفر ، فقال : كلا ! إن عماراً ملىء ايماناً من فرقه الى قدمه ، واختلط الايمان بلحمه ودمه ، فأتى عمار رسول الله ﷺ ، وهو يبكي فجعل رسول الله (ص) يمسح عينيه ويقول : مالك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت ؟ انتهى .

وقال ابن عبد البر المالكي في ﴿ الاستيعاب ﴾ في ترجمة عمار : كان عمار وأمه سمية ممن عذب في الله ثم أعطاهم عمار ما أرادوا بلسانه وقلبه مطمئن بالايمان ، وهذا مما اجتمع عليه أهل التفسير .

وقال القسطلاني في ﴿ شرح البخاري ج ١١ ص ٤٣٧ ﴾ : ومن ثم اتفق على أنه يجوز أن يوالي المكره على الكفر ابقاء لمهجته . الخ ،وفي ﴿لباب النقول في اسباب النزول للسيوطي ﴾ في قوله تعالى : « الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان » ، أنه نزل في أناس من أهل مكة آمنوا ثم هاجروا فخرجوا يريدون المدينة ، فأدركتهم

قريش في الطريق ففتنوهم ، فكفروا مكرهين ففيهم نزلت هذه الآية. انتهى .

وفي البخاري ايضاً في كتاب الاكراه قال الله تعالى : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم ، قالوا : فيم كنتم ؟ ! قالوا : كنا مستضعفين في الارض »(١) قال القسطلاني في أرض مكه ، أو عاجزين عن اظهار الدين واعلاء كلمته . الخ . قال : فعذر الله المستضعفين الذين لا يمتنعون من ترك ما امر الله به ، والمكره لا يكون الا مستضعفاً غير ممتنع من فعل ما امر به، قال القسطلاني : لا يقدر عن الامتناع من الترك أي تارك لأمر الله فهو معذور ، فكذلك المكره لا يقدر على الامتناع من الفعل فهو فاعل لأمر المكره فهو معذور أى كلاهما عاجزان . انتهى .

وقال الحاكم في المستدرك ، في تفسير قوله تعالى : « الا أن تتقوا منهم تقاة » التقاة : التكلم باللسان ، والقلب مطمئن بالايمان، وذلك كما في قصة عمار وشتمه النبي ﷺ لخلاص نفسه ومن ذلك فرار جعفر ومن معه من المسلمين الى بلاد الحبشة . انتهى .

التقية من سنن الانبياء

لدلالة القرآن المبين على أنها من عمل المرسلين وشعار الصديقين عند خوفهم من اظهار الدين حسبما دلت عليها الآيات وهي بين طوائف :

الاولى :- وهي عمدتها التى تخص بهذه الامة ما قد اسمعناك عمومها وخصوصها واحتج الفخر الرازي في ﴿تفسيره ج٥ ص٣٢٤﴾ بقوله تعالى : « ماجعل عليكم في الدين من حرج »(٢) وقوله : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (٣) وقوله ﷺ : لا ضرر ولا ضرار في الاسلام . على أن الاصل في المضار الحرمة . فنقول : اذا وقعت حادثة

(١) النحل : ٢٨ . (٢) الحج : ٧٨ . (٣) البقرة ١٨٥ .

مشتملة على الضرر من كل الوجوه ، فان وجدنا نصاً خاصاً يدل على كونه مشروعاً قضينا به تقديماً للخاص على العام ، والا قضينا عليه بالحرمة بناءً على هذا الاصل .

الطائفة الثانية : ـ الآيات النازلة حكاية عما فعله ابراهيم الخليل (ع) مع قومه ، منها قوله تعالى : « واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربي » (١) فانه (ع) بعد أن هدده قومه بقولهم كما في القرآن « لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليّا » (٢) اعتزلهم وتباعد عنهم حيث كانت مصلحة نفسه ودينه ولما كان الصلاح في هذا التباعد مدحه الله تعالى بقوله : « فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبياً ، ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا » (٣) ومنها قوله تعالى : « فنظر نظرة في النجوم فقال: إني سقيم » (٤) أراد ابراهيم (ع) بقوله : سقيم أنه سقيم القلب من عمل قومه ، لكنه (ع) بعد نظره في النجوم أو همهم أنه (ع) استدل بعلائم سماوية على أنه سقيم البدن ليتركوه وجميع ذلك واقع منه (ع) اتقاء من قومه عن عبادة أصنامهم ، وحضور أعيادهم التي فيها شعار الكفر .

ومنها : ذهابه (ع) خفاءً الى الأصنام كما في قوله تعالى : « فراغ الى آلهتهم » (٥) اي ذهب اليها سراً ومعنى راغ : مال الى الشيء على سبيل الخفية ، ولولا الخوف على النفس لذهب الى آلهتهم علانية كما ذهب اليها رسول الله ﷺ جهاراً ، وكسرها علانية . ومنها قوله تعالى ، حكاية عن ابراهيم (ع) : « قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم إن كانوا ينطقون » (٦) فانه (ع) قاله في جواب استفهامهم تهديداً « أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم؟ » (٧) فلم يعترف بأنه من فعله بل قال : فعله كبيرهم ولم يقله الا خوفاً على نفسه من الهلاك وفي الصحيحين عن

(١) مريم : ٤٨ . (٢) مريم : ٤٦ . (٣) مريم : ٤٩ و ٥٠ .
(٤) الصافات : ٨٨ و ٨٩ . (٥) الصافات : ٩١ . (٦) الانبياء : ٦٣ .
(٧) الأنبياء : ٦٢ .

النبي ﷺ قال : لم يكذب ابراهيم (ع) الا ثلاث كذبات كلها في ذات الله تعالى ، قوله : اني سقيم ، وقوله : بل فعله كبيرهم هذا ، وقوله في زوجته ساره : هي أختي . الخ .

وروى القسطلاني في ﴿ شرح البخاري ج ٧ ص ١٢٣ ﴾ عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله ﷺ ، في كلمات ابراهيم الثلاث التي قال : ما منها كلمة إلا ما حلّ بها عن دين الله أى جادل ودافع ، وفي حديث ابن عباس ، عند أحمد : والله ما جادل بهن إلا عن دين الله . . الى أن قال : الكذب في مثل تلك المقامات يجوز ، وقد يجب لتحمل أخف الضررين دفعاً لاعظمها ، وقد اتفق الفقهاء فيما لو طلب ظالم وديعة عند انسان ليأخذها غصباً ، وجب على المودع عنده أن يكذب بمثل أنه لا يعلم موضعها بل يحلف على ذلك . انتهى .

الطائفة الثالثة : الآيات النازلة في الوقائع المتعددة في الأمم الخالية الدالة على صحة التقية ، منها : قوله تعالى ، حكاية عن يعقوب (ع) : « يا بني ! لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيداً » (١) فان يعقوب (ع) لما علم من رؤيا يوسف (ع) أنه يكون نبياً ، خاف عليه من إخوته ، فأمره بكتمان الرؤيا عنهم حتى لا يطلعوا على باطن أمره ، فيحسدوه ، ويكيدوا له كما مكروا به ، وفعلوا ما فعلوا ، ومن هنا ترى الأئمة من البيت (ع) واضبوا على انفسهم ولم يظاهروا بالامامة ، خوفاً من أئمة الجور وإشياع الضلالة ، فحفظوا اسرارهم عمن لا أهلية له من الأجانب والأقارب .

ومنها : قوله تعالى حكاية عن لوط (ع) ، وقوله لقومه : « لو أن لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد » (٢) ، فان لوطاً (ع) لما رأى من قومه إسائة الأدب في حقه ، وحق اضيافه ، وهم رسل الله تعالى ، ولم يقدر على الدفاع عن نفسه الشريفة ، وعنهم تمنى ان تكون له قوة وقدرة ، او يكون له حصن حصين

(١) يوسف : ٥ . (٢) هود : ٨٠ .

يأمن من شرهم ، حتى قال : « هؤلاء بناتي هن أطهر لكم » (١) .

ومنها : الآيات الواردة في قصة أصحاب الكهف واعتزالهم كما في القرآن من قوله تعالى : « إذ أوى الفتية الى الكهف . . » الآية (٢) وذلك حفظاً لدينهم وقوله تعالى ، حكاية عن قولهم : « واذا اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف . . » (٣) ، وقوله تعالى ، من باب الحكاية : « وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً ، إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ، ولن تفلحوا اذاً أبداً » (٤) إن قيل : ان العود بالاكراه ينافي ما تقدم من أن مظهر الكفر عن إكراه لا يكون كافرا ، بل يكون مؤمناً مفلحاً ، قلنا : إن العود الى الكفر لا يلزم أن يكون إنيا ، بل قد يحصل العود تدريجاً ، ولو بالقاء الشبهات مع ضعف النية ، وتمادي المدة ، ولا أقل يحصل الكفر بالنسبة الى الاعقاب ، والمواليد وأحد الأمرين هو المقصود بالعود الى الكفر لا بالاكراه .

الطائفة الرابعة : الآيات النازلة في موسى (ع) وقصته مع فرعون وقومه ، وهي دالة على شدة إتقائه (ع) منهم ، كصريح قوله تعالى : « فدخل المدينة على حين غفلة من أهلها » (٥) فانه دخلها على عدم إطلاع من فرعون ، كي لا يصيبه الضرر والأذى منه ، وقوله تعالى: « فخرج منها خائفاً يترقب ، قال: رب !! نجني من القوم الظالمين » (٦) ، وقوله تعالى ،حكاية عن كلامه (ع) : « ففررت منكم لما خفتكم . . » الآية (٧) ، صريح في حسن الفرار عن المهالك ، وذكر البيضاوي عند قوله تعالى ، حكاية عن قول فرعون : « ولبثت فينا من عمرك سنين ، وفعلت فعلتك التي فعلت . . » الآية (٨) : إن نبي الله موسى كان يعايشهم بالتقية . انتهى .

(١) الحجر : ٧٨ . (٢) الكهف : ١٠ . (٣) الكهف : ١٦ .
(٤) الكهف : ١٩ و ٢٠ . (٥) القصص : ١٥ . (٦) القصص : ٢١ .
(٧) الشعراء : ٢١ . (٨) الشعراء : ١٨ و ١٩ .

ومما يدل على وجوب حفظ النفس ، وإن كان في سبيل الحق ، قوله تعالى ، حكاية عن موسى (ع) : «رب إني قتلت منهم نفساً ، فأخاف أن يقتلون ، وأخي هارون هو أفصح مني لساناً ، فارسله معي رداً » — يعني معيناً وناصراً — الى قوله تعالى : « سنشد عضدك بأخيك . . » الآية (٢) أي سنقويك به ، فلا يصلون اليكما أي بسوء .

ومن ذلك أيضاً ، قوله تعالى : « وأوحينا الى موسى ، وأخيه ، أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً ، واجعلوا بيوتكم قبلة »(٣) ، ففي (الدرالمنثور ج ٣ص ٣١٤): إن ذلك حين منعهم فرعون الصلاة ، وامروا أن يجعلوا مساجدهم في بيوتهم ، وأن يوجهوها نحو القبلة ، وذلك خوفاً من آل فرعون . انتهى .

ومما يدل من القرآن على وجوب المداراة مع الذين يحادون الله ، قوله تعالى لموسى وهارون : « إذهبا الى فرعون إنه طغى ، فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر أو يخشى » (٤) دلت على وجوب المداراة مع فرعون اتقاءً لشره ، وتحفظاً عن كيده ، وإستجلاباً لعواطفه كما قال سبحانه لنبيه ﷺ : « ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » (٥) .

ثم ان مما يدل على ترك النكير على مرتكب الكبائر ، بل وعلى أهل البدع والضلال عند خوف الضرر سكوت هارون (ع) ، في قبال عبدة العجل ، واعتذاره بما في قوله تعالى : « قال يابن ام إن القوم استضعفوني ، وكادوا أن يقتلونني ..» (٦) وكذلك تركه النكير على السامري وإتباعه خوفاً عن الفساد ، والفتنة ، كما في قوله تعالى في سورة طه حكاية عن خطاب هارون لموسى (ع) : « يابن ام لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول : فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب

(١) القصص : ٣٤ . (٢) القصص : ٣٥ . (٣) يونس : ٨٧ .
(٤) طه : ٤٣ و ٤٤ . (٥) فصلت ٣٤ . (٦) الأعراف : ١٤٩ .

قولي » (١) ، قال ابو السعود في تفسير الآية : إني خشيت لو قاتلت بعضهم ببعض ، تفانوا وتفرقوا التفريق الذي لا يرجى بعده الاجتماع ، وإني رأيت أن الاصلاح في حفظ الدهماء ، والمداراة معهم ، الى أن ترجع اليهم ، فلذلك استأنيتك لتكون أنت المتدارك للأمر ، حسبما رأيت - لا سيما وقد كانوا في غاية القوة ، ونحن على القلة والضعف — كما يعرب عنه قوله تعالى : « إن القوم استضعفوني و كادوا ان يقتلونني » (٢) انتهى .

أقول : إن هذا هو السبب الوحيد في تسليم علي (ع) الأمر الى أبي بكر بعد واقعة الغدير ، لأنه إذا نازع لتفرق المسلمون فرقا واحزابا ، قسم يلحقون بأبي بكر — وهم الأكثر — وقسم يساعدون علياً (ع) ، وفريق يتوقفون شاكين في أمر الامامة ، وهم حديثو العهد بالاسلام ، ليس لهم من الدين إلا اللفظ ، وصورة العمل والمآل ، التضارب وسفك الدماء وارتداد الناس ، فالآية أقوى حجة على مشروعية التقية وأن : حال علي (ع) في هذه الامة حال هارون في بني اسرائيل من حيث السكوت ، وتقويم الأصلح ، والقبض على اليد .

وأيضا : إن ذوي البصائر في الدين لا يزالون يكتمون إيمانهم عن المعاندين لاقتضاء المصلحة ، كمؤمن آل فرعون الممدوح في قوله تعالى : « وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جائكم بالبينات من ربكم .. » الآية (٣) وصريح هذه الآية مشروعية التقية ، وإضمار الحق لأجل المصلحة للنفس أو للعامة ، ولولا كتمان الايمان من مؤمن آل فرعون ، لما تمكن من السعي في حفظ موسى (ع) كما في قوله تعالى : « وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال : يا موسى ! إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج .. الآية » (٤) فمن

(١) طه : ٩٤ . (٢) الاعراف : ١٤٩ . (٣) غافر : ٢٨ .
(٤) القصص : ٢٠ .

حفظه لموسى (ع) بالتقية صار في عداد الصدّيقين ، ففي ﴿ الصواعق المحرقة لابن حجر ص ٧٧ ﴾ ، الحديث الحادي والثلاثون في فضائل علي (ع) : أخرج أبو نعيم وابن عساكر عن أبي ليلى ، أن رسول الله ﷺ قال : الصديقون ثلاثة : حبيب النجار مؤمن آل ياسين ،قال : « ياقوم اتبعوا المرسلين » (١) وخرقيل مؤمن آل فرعون الذي قال : « اتقتلون رجلا أن يقول ربي الله . . الآية » (٢) وعلي ابن ابي طالب (ع) وهو أفضلهم . انتهى . ومن هذا الباب إخفاء ابي طالب (ع) ايمانه ، إتقاءً لرسول الله ﷺ وحفظاً له عن المشركين ـ سيما عشيرته الأقربين ـ كما مر عليك .

الجماعة ومقالتهم حول التقية

قالت الجماعة : إن التقية نفاق في الدين ، وترويج للضلال ، وطعن في عصمة الأنبياء ، والاوصياء ، وعدم الوثوق لما بعثوا اليه ، وقالت الشيعة : التقية من شرع الرسول ﷺ ، وشرع الانبياء من قبله ، وشرع اوصيائه من بعده ، فمن تفحص عن أحوال النبي ﷺ مع قومه ، يرى أنه (ص) كان يعاشرهم بالمداراة ، ويسالكهم بالتقية وترك المعادات والمحادّة ، كما هو أدبه في القرآن من قوله تعالى : « وما أنت عليهم بجبار » (٣) ، وقوله : « لست عليهم بمسيطر » (٤) ، وقوله : « لست عليكم بوكيل » (٥) ، وقوله : « لا اكراه في الدين . . . » ، (٦) وقوله : « ولا تحزن عليهم ولا تكُ في ضيق مما يمكرون . . . » (٧) الى غير ذلك ، فقولهم : التقية نفاق غلط ، موضوعاً وحكماً :

أما موضوعاً فلأن النفاق عبارة عن الظاهر بالحق ، مع انطواء القلب على

(١) يس : ٢٠ . (٢) المؤمن : ٢٨ . (٣) ق : ٤٥ . (٤) الغاشية : ٢٢ .
(٥) الانعام : ٦٦ . (٦) البقرة : ٢٥٦ . (٧) النحل : ١٢٧ .

الباطل كما في قوله تعالى : « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزأون » (١) و قوله تعالى : « إذا جاءك المنافقون ، قالوا : نشهد أنك لرسول الله والله يعلم أنك لرسوله ، والله يشهد أن المنافقين لكاذبون » (٢) وهذا بخلاف الاتقاء من الأعداء ، فان المؤمن يتظاهر بالباطل خوفا — و لكن قلبه منطوٍ على الحق — كما في مؤمن آل فرعون ، وفى عمار بن ياسر الذي كان يكتم إيمانه فنزل فيه : « إلا من اُكره وقلبه مطمئن بالايمان » (٣) .

و أما من حيث الحكم ، فقد أعلمناك ، أن التقية من شرع المرسلين إذا دعت اليه الضرورة ، وانتفت القدرة على اظهار الحق ، فكان اللازم حينئذ التقية ، لأن في المدارات مع أهل العناد مصلحة للعامة ، واجبة الرعاية ، ومن المدارات مع الكفار فرار النبي صلى الله عليه وآله من بينهم الى الغار ، وكذلك قبول الصلح مع المشركين عام الحديبية ، حقناً لدماء المسلمين ، وكذلك رضاء امير المؤمنين (ع) بالتحكيم وهو يعلم بأن معاوية من الظالمين ، وكذلك قبوله حكومة ابي موسى وهو من الضالين المضلين ، وكذلك صلح الامام الحسن المجتبى (ع) مع معاوية وهو يرى وجوب إزالته عن مركزه ، وأنه على الباطل ، فان جميع هذه الامور وقعت عن مصلحة عامة .

أمير المؤمنين (ع) ومذهبه في التقية

إن علياً (ع) قد أباح لشيعته أن ينالوا اذا اضطروا اليه ، وقال (ع) فى جملة كلام له : ألا ان معاوية سيأمركم بسبي والبراءة مني ، أما السب فسبوني ، فانه لي زكوة ولكم نجاة ، ومن حديث (كنز العمال لعلي المتقي الهندي ج ٣ ص ١٦٧) ، باسناده الى علي (ع) ، قال : انكم معرضون على سبي فمن سبني فهو في حل من سبي

(١) البقرة : ١٤ . (٢) المنافقون : ١ . (٣) النحل : ١٠٦ .

ولا يبره من ديني ، وزاد الحاكم في ﴿ مستدرك الصحيحين على شرط الشيخين ج٢ ص ٣٥٧ ﴾ من قول علي (ع) : فلا يمدد أحد كم عنقه ، فانه لا دنيا له ولا آخرة وفي ﴿ المستدرك ج ٢ ص ٣٥٨ ﴾ أيضاً ان علي بن ابي طالب قال يوماً لحجر بن قيس : ياحجر ! إنك تقام بعدي فتؤمر بلعني فالعنّي ، ونحوه الحديث في ﴿ الصواعق لابن حجر الهيتمي ص ٧٩ ﴾ ، وفي ﴿ تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٩ ﴾ أخرج عبد الرزاق عن حجر المرادي قال : قال لي علي بن ابي طالب : كيف بك اذا امرت ان تلعنني ؟! قلت : أو كائن ذلك ؟ قال : نعم !! قلت : فكيف اصنع ؟! قال : إلعني ولا تبرأ مني .

قال : فأمرني محمد بن يوسف اخو الحجاج ـ وكان أميراً على اليمن ـ أن العن علياً ، فقلت : إن الامير أمرني أن العن علياً ، فالعنوه لعنه الله فما فطن لها الا رجل ، وفيه ايضاً ص ٧٣ : أخرج ابن سعد عن عمير بن اسحاق ، قال كان مروان أميراً علينا فكان يسب علياً كل جمعة على المنبر ، والحسن (ع) يسمع فلا يرد شيئاً . انتهى .

وأجمع المؤرخون على أن معاوية كان قد أسس سب علي (ع) على المنابر ، وكان يسبه جهاراً بمحضر الحسن (ع) وهو ساكت .

جاء في صحاح أهل السنه وكتبهم المعتبرة : أنه كان لعلي (ع) بين الناس وجاهة حال حياة فاطمة (ع) ، فلما توفيت انصرفت عنه وجوه الناس ، فلما رأى علي ذلك إلتمس مبايعة أبي بكر .

أقول : السر في ذلك هو أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ما دامت في الحياة كانت تدافع عن علي (ع) ، وهو متروك من أجلها ، ولما قضت نحبها ظهر لعلي (ع) أنه غير متروك — لا محالة — فالمذب عن نفسه ، أسرع الى مسالمة ابي بكر ، وهذه من التقية في البيعة كما ستأتي وفي ﴿ صحيح الأثر ﴾ : أن علياً (ع) قال يوم الشورى لبقية الأصحاب : ليس هذا أول يوم تظاهرتم علينا ، فصبر جميل والله المستعان !! . وإن علياً (ع) دخل في الشورى كرهاً ، وهو يعلم أنه لا تصل اليه

الخلافة ، وانما اراد دفع الضرر عن نفسه ، لأن عمر بن الخطاب أوصى بضرب عنق من تخلف عن الحضور ، وان عبد الرحمن بن عوف خوّف علياً (ع) وهدده بالقتل ، إن اظهر الخلاف على الجماعة ، وقال : يا علي ! لا تجعلن على نفسك سبيلا ، ثم قال : يا أبا طلحة ! ما الذي امرك به عمر ؟! قال : امرني ان اقتل من شق عصا الجماعة ، فقال ابن عوف لعلي (ع) : بايع اذن ، والا انفذنا فيك امرنا .

وورد ما يقرب عن التواتر ، أن علياً (ع) لما اخرج قهراً الى بيعة ابي بكر صاح مخاطباً لرسول الله ﷺ : يابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واتقائه من المشركين

ومن ذلك مافي ﴿ تفسير الفخر الرازي ج ٣ ص ٤٣٠ ﴾ ، عند قوله تعالى: « والله يعصمك من الناس . . » الآية (١) في سورة المائدة : أنه روي أن النبي ﷺ كان أيام إقامته بمكة ، يجاهر ببعض القرآن ، ويخفي بعضه اشفاقاً على نفسه ، من تسرع المشركين اليه والى اصحابه ، فلما أعز الله الاسلام وايده بالمؤمنين ،قال له : « يا ايها الرسول ! بلغ ما أُنزل اليك من ربك . . » الآية (٢) اي لا تراقبن احداً .

ومن شرع التقيـــة ما رواه مسلم في ﴿ صحيحه ج ١ ص ٩١ ﴾ في باب: بدأ الاسلام غريباً، وسيعود غريباً ، كما بدأ عن حذيفة، قال : قلنا : يا رسول الله ! اتخاف علينا ، ونحن بين الستمائة والسبعمائة ؟! قال (ص) : إنكم لاتدرون ، لعلكم ان تبتلوا ، قال : فابتلينا ، حتى جعل الرجل منا يصلي سراً .

(١) المائدة : ٦٧ . (٢) المائدة : ٦٧ .

وفي ﴿ السيرة الحلبية ﴾ : ان المدة التي كان رسول الله ﷺ يدعو الناس خفية بعد نزول : « يا ايها المدثر » (١) ثلاث سنين ، فكان من اسلم اذا اراد الصلاة يذهب الى بعض الشعاب يستخفي بصلاته من المشركين ، قال : ثم دخل هو ﷺ . واصحابه يقيمون الصلاة بدار الأرقم ، ويعبدون الله تعالى فيها الى ان امره الله باظهار الدين . انتهى .

ومن شرع التقيه ، ما في ﴿ صحيح البخاري ﴾ ، عند غزوة الحديبية ، وكتابة الصلح : انه كاتب رسول الله ﷺ سهيل بن عمرو ، وكان فيما اشترط سهيل ، انه قال : لا يأتينك — يعني النبي ﷺ — منا احد وإن كان على دينك الا رددته الينا ، وخليت بيننا وبينه وأبى سهيل ان يقاضى النبي ﷺ الا على ذلك فكره المؤمنون ذلك ، وغضبوا وتكلموا فيه ، فلما ابى سهيل ان يقاضى رسول الله ﷺ الا على ذلك ، كاتبه رسول الله ﷺ ، فرد النبي ﷺ أبا جندل بن سهيل بن عمرو الى ابيه . الخ .

قال ابن حجر في ﴿ المواهب اللدنية ﴾ : قال الخطابي : العلماء يأولون ماوقع في قصة ابي جندل على وجهين، احدهما : ان الله تعالى قد اباح التقية للمسلم اذا خاف الهلاك ، ورخص له ان يتكلم بالكفر مع اضمار الايمان ، ان لم يمكنه التورية ، فلم يكن رده اليهم تسليماً لأبي جندل الى الهلاك ، مع وجود السبيل الى الخلاص من الموت بالتقية ، والوجه الثاني : انه رده الى ابيه ، والغالب ان اباه لا يبلغ به الى الهلاك ، وان عذبه ، او سجنه فله مندوحة بالتقية ايضاً . انتهى .

نصايح علي (ع) في التقية

جاء في ﴿ رسالة المحكم والمتشابه ﴾ أن علياً (ع) قال : وأما الرخصة التي

(١) المدثر : ١٠ .

صاحبها بالخيار ، فان الله نهى المؤمن ان يتخذ الكافر وليآ ، ثم من عليه باطلاق الرخصة له عند التقية في الظاهر ، وعليه أن يدين الله تعالى في الباطن ، بخلاف ما يظهر من المستولين على الأمة ، قال الله تعالى : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ، الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه . . » (١) فهذه رحمة تفضل الله بها على المؤمنين ، ليستعملوها عند التقية في الظاهر ، وقال رسول الله ﷺ : إن الله يحب أن يؤخذ برخصه ، كما يحب ان يؤخذ بعزائمه .

وفي « تفسير الامام العسكري (ع) » قال : وقال امير المؤمنين (ع) : التقية من افضل اعمال المؤمن ، يصون بها نفسه وإخوانه من الفاجرين ، وقضاء حقوق الاخوان أشرف أعمال المتقين .

وفي « الاحتجاج للطبرسي » من احتجاج علي (ع) وكلامه لبعض أصحابه : وآمرك أن تستعمل التقية في دينك ، فان الله يقول : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا ان تتقوا منهم تقاة . . » الآية ، وقد أذنت لكم في تفضيل اعدائنا ، ان الجأك الخوف اليه ، وفي اظهار البراءة ان حملك الوجل عليه ، فان تفضيلك اعدائنا عند خوفك لا ينفعهم ولا يضرنا ، وان اظهارك براءتك عنا عند تقيتك لا يقدح فينا ولا ينقصنا ، ولئن تبرء منا ساعة بلسانك ، وانت موال لنا بجنانك ، لتبقى على نفسك روحها التي بها قوامها ومالها الذي به قيامها ، وجاهها الذي به تمسكها وتصون بذلك من عرف أوليائنا واخواننا ، فان ذلك افضل من ان تتعرض للهلاك ، وتنقطع به عن عمل في الدين ، وصلاح اخوانك المؤمنين ، وإياك ثم إياك أن تترك التقية التي امرتك بها ، فانك شائط بدمك ودم اخوانك ، معرض بنعمتك وبنعمتهم للزوال ، مذل لهم في ايدي

(١) آل عمران : ٢٨ .

أعداء دين الله وقد آمرك باعزازهم فانك إن خالفت وصيتي كان ضررك على اخوانك ونفسك أشد . الخ .

في قدح قولهم : التقية نفاق في الدين

ما رواه مسلم فى ﴿ صحيحه ج ٨ ص ٢١ ﴾ ، والامام احمد في ﴿ المسند ج ٦ ص ٣٨ ﴾ ، عن عائشة أن رجلا إستأذن على النبي ﷺ فقال : إءذنوا له بئس أخو العشيرة و بئس ابن العشيرة ، فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه ، وألان له في الكلام !! فلما إنطلق الرجل قالت : فقلت يا رسول الله ﷺ حين رأيت الرجل قلت ما قلت ، ثم ألنت له في القول فقال ﷺ : يا عائشة ! متى عاهدتني فحاشاً ؟؟ ! إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس إتقاء شره . . الحديث .

قال القاضي عياض المالكي في ﴿ كتاب الشفاء ج ٣ ص ١٩٥ ﴾ : أنه كيف جاز للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يظهر لهذا الرجل خلاف ما أبطن ، ويقول في ظهره : بئس ابن العشيرة ، فالجواب أن فعله هذا كان إستئلافا ، وتطييباً لخاطره ، ليتمكن من إيمانه ، وينجذب بذلك الى الاسلام ، ومثل هذا الوجه قد خرج عن حد مداراة الدنيا الى السياسة الدينية ، قال : ومثل هذا إذا كان لضرورة ودفع مضرة ، كان جائزاً ، بل واجباً فى بعض الأحيان . انتهى .

أقول : هذه هي التقية التي تقول بها الشيعة في مواردها ، ولا تقولها إلا عند قيام الضرورة ، من الأخذ بالأصلح بحال الأمة ـ من الفعل او الترك ـ ، ومن حديث الحافظ أبي نعيم في ﴿ حلية الأولياء ج ٤ ص ١٩١ ﴾ من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث المذكور انه رجل منافق أداريه على نفاقه ، فأخشى أن يفسد علي غيره . انتهى .

قلت : ويظهر من الحديث أن كتمان السر على أعداء الدين يكون من الدين ، ففي « كنوز الدقائق » للعلامة المناوى حرف اللام : لا دين لمن لا تقية له ، وللديلمي في « مسند الفردوس » عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ومن ذلك كتمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أسامى المنافقين مع تخصيص حذيفة بتعليمه إياها ، ونهيه عن إفشائها ، وكذلك إسامى المرتدين والمنقلبين على أعقابهم من بعده صلى الله عليه وآله وسلم اكتفاء منه بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : سيجاء برجال من أصحابي فيحلئون عن الحوض من غير تصريح بهم ، وكذلك إخباره علياً (ع) بأن القوم يغدرون به من بعده ، ولم يسمهم له حتى أنه (ع) عرفهم ، ومن إخباره علياً (ع) بأنه يحارب الناكثين والقاسطين مع تركه صلى الله عليه وآله وسلم أسامي زعمائهم من عائشة والزبير وطلحة ومعاوية وابن العاص ، وقال ﷺ لعمار : تقتلك الفئة الباغية وأنت إذاً على الحق ، ولم يظهر لعمار من الفئة الباغية ، كل ذلك من الكتمان الموافق للمصلحة ونحو ذلك صنع الأئمة الطاهرين من ولده صلى الله عليه وآله وسلم فانهم في زمنهم كانوا يبدون العقايد الدينية للشيعة سراً ، وهو بأمن من بنى أمية وبنى العباس إذ كانت التقية حينئذ شديدة .

قال القاضي عياض في « الشفاء ج ٢ ص ١٩٤ » : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يفعل الفعل من أمور الدنيا والدين ، مساعدة لأمته وسياسته ، وان كان قد يرى غيره خيراً منه كتركه قتل المنافقين ، وهو على يقين من أمرهم ، مؤالفة وكراهة ، لأن يقول الناس : إن محمداً يقتل أصحابه ، وتركه بناء الكعبة على قواعد ابراهيم (ع) مراعاة لقلوب قريش ، وحذراً من نفارها ، ويفعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم الفعل ثم يتركه لكون غيره خيراً منه . انتهى .

وفي « صحيح البخارى » من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعايشة : لولا حداثة قومك بالكفر ، لنقضت البيت ، ثم لبنيته على اساس ابراهيم (ع) . وهذا الحديث نص على ترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المشروع الذي قرره ما أدت

المصلحة الى تركه فهل ترى اقامـة البيت على أساس ابراهيم (ع) الا تصحيح لمركز العبادة لعامـة المسلمين الى يوم القيامة ! ? وقد تركه حذراً من انكار قريش عليه ذلك ، فيرتدون ، وهل التقية في الدين الا عبارة عن ترك أمر مشروع مهتم به ? ! بملاحظة ابتلائه بـما هو الأهم منه والراجح عليه ، ووقوع ذلك في الشرع أقوى برهان على صحته ، وقد كفّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورفع اليد عن اصلاح الكعبة ، لحداثة عهد القريش بالاسلام ، وكان مظنته لارتدادهم ، كما نصّ على ذلك فضل بن روزبهان في كتابه ﴿ ابطال الباطل ﴾ وهو من أكابر علماء الجماعة .

وصية رسول الله (ص) لأبي ذر بالصبر

ومن التقية في الدين ما في ﴿ المسند لأحمد ج ٥ ص ١٧٩ ﴾ في مسند أبي ذر قال : قال النبي (ص) : كيف تصنع ان اُخرجت من المدينة ? ! قلت اذاً والذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي قال (ص) : او خير من ذلك ،قلت : أوخير من ذلك ? قال : تسمع وتطيع وان كان عبداً حبشياً .

ومن حديثه في ص ١٨٠ عن أبي ذر قال : قال (ص) : كيف أنت وأئمة من بعدي يستأثرون بهذ الفيء ? ! ، قال : قلت اذاً والذى بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي ، ثم أضرب به حتى القاك ، أو الحق بك ، قال : أو لا أدلك على خير من ذلك تصبر حتى تلقاني . انتهى .

وفي الحديث دلالة على الطعن على عثمان فيما كان يفعله في الفيء من الاسراف والتبذير ، ومدح ابي ذر وأمره بالصبر .

ومن حديث احمـد في ﴿ المسند ج ٦ ص ٤٥٧ ﴾ في قول النبي (ص) لابي ذر حين قال : خـذ سيفي وقاتل عنى ، الا ادلك على خير من ذلك ، تنقاد لهم حيث

قادوك ، وتنساق لهم حيث ساقوك ، حتى تلقاني وأنت على ذلك ، وفيه من الدلالة على أن سوقهم لأبي ذر سوق جور وظلم ، غير أنه ينساق معهم حفظا لنفسه من الهلكة وهربا من قيام الفتنة ، فان بني امية لا يرون لأحد من الصحابة الا ولا ذمة .

ومن حديث المتقي الحنفي في ﴿ كنز العمال ج ٣ ص ١٦٨ و ص ١٦٩ ﴾ أنه جعل النبي (ص) يضرب على منكبي ويقول : صبراً يا أبا ذر ثلاثاً !! تنقاد معهم حيث قادوك ، وفيه من الدلالة على تعطف النبي (ص) بأبي ذر قولا وفعلا . ومثله في الدلالة على العطوفة حديث مسلم في ﴿ صحيحه ج ٢ ص ١١٨ ﴾ من قول أبي ذر ان خليلي رسول الله (ص) أوصاني أن أسمع واطيع وان كان عبداً مجدع الانف . ومن حديث الكنز قال (ص) لابي ذر : اسمع وأطع و ان كان عبداً أسوداً . وفيه وفي سابقه ، من الدلالة على وجوب اطاعة أمراء الوقت من باب التقية وخوف الفتنة ، وحصول الفرقة .

التقية في البيعة مع امام باطل

ففي ﴿ تاريخ الطبري ﴾ أنه لما قدم بسر بن أرطأة المدينة قال : لا امان ولا مبايعة حتى تأتون بجابر بن عبدالله الأنصاري فانطلق جابر الى أم سلمة زوجة رسول الله (ص) فقال لها : ماذا ترين اني خشيت أن اقتل وهذه بيعه ضلالة ، قالت : أرى ان تبايع وامرت ختني عبد الله بن زمعة ان يبايع . وعن البخاري في تاريخه زيادة قولها ان يبايع على دمه وماله ، وانا اعلم أنها بيعة ضلالة . وفي ﴿ تاريخ اليعقوبي ﴾ في واقعة بسر بن ارطأة في المدينة انه انطلق جابر الى ام سلمة فقال : انى خشيت ان اقتل ، وهذه بيعة ضلال قالت : اذاً فبايع فان التقية حملت اصحاب الكهف على ان يلبس الصليب ويحضروا الاعياد مع قومهم .

وفي ﴿ تذكرة خواص الأمة ﴾ لسبط ابن الجوزي في ترجمة علي بن الحسين زين العابدين (ع) عن ابن سعد في الطبقات ، ان علي بن الحسين (ع) قال : التارك للامر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنابذ لكتاب الله وراء ظهره ، الا ان تتقى تقاة فقيل وما يتقى تقاة ، قال : يخاف جباراً عنيداً أن يفرط عليه او ان يطغي . انتهى .

قلت : ومن الطغاة يزيد بن معاوية الذي اباح دماء اهل البيت (ع) ودماء ثلاثمائة صحابي زيادة على واقعة الحرة في المدينة ، وواقعة رمي الكعبة ، فكيف لا يتقى منه في امور الدين والدنيا ؟ .

ثم ان اعمال هذا المولى ـ وهو الامام الرابع من اهل البيت (ع) ـ مع الاعداء بحسب التواريخ واضحة حيث سلم الامر ليزيد وبايع عبد الملك بن مروان حقناً لدمه ودماء بني هاشم ، وعلى هذا المنوال جرت اعمال بقية الأئمة ، فانهم كانوا يظهرون الموالاة لطغاة بني أمية وبني العباس .

بيعة عبد الله بن عمر ليزيد بن معاوية

من التقية في البيعة ما في ﴿ المسند لاحمد ج ٢ ص ٤٨ ﴾ عن نافع قال : لما خلع الناس يزيد بن معاوية جمع ابن عمر بيته وأهله ، وقال : إنا بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله وإني سمعت رسول الله (ص) يقول : ان الغادر ينصب له لواء يوم القيامة ، يقال : هذه غدرة فلان ، وان من اعظم الغدر ان يبايع رجل رجلا على بيع رسوله ثم ينكث بيعته فلا يخلعن احد منكم يزيد . انتهى .

وحيث ان هذه البيعة ضالة لا بد من التاويل فيها كيلا يتوجه القدح على عبد الله بن عمر فتحمل على التقية والخوف عن الوقوع في التهلكة ، والا فكيف يخفى على ابن عمر موبقات اعمال يزيد ؟ ؟ ! وقد قال الله تعالى : « ولا تركنوا الى الذين

ظلموا فتمسكم النار . . » الآية (١) وقال : « لا ينال عهدي الظالمين » (٢) وقال : « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » (٣) .

ثم إن من التقية في البيعة لامام باطل ما في ﴿ الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٠١ ﴾ وغيره من كتب التواريخ كـ﴿ العقد الفريد ج ٣ ص ١٣٥ ﴾ و ﴿ تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٧٦ ﴾ حكاية اخذ معاوية البيعة ليزيد من اهل المدينة ، سيما الأربعة - أعني الحسين (ع) وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر - فأحضرهم وهددهم بالقتل إن خالفوه في يزيد ، ثم قال إفتراء عليهم : إن هؤلاء رضوا بيزيد وهم سكوت ثم اعتذروا بعد ذلك بأن معاوية كادنا ، وغدر بنا ، وخفنا منه القتل . انتهى . كل ذلك من الصحابة حجة شرعية على من أنكر شرع التقية .

الصحابة وعملهم بالتقية

ففي ﴿ كنز العمال في الفتن ، ج ٦ ص ٦٨ ﴾ عن مجالة ، قال : قلت لعمران بن حصين : حدثني عن أبغض الناس الى رسول الله ﷺ قال : تكتم علي حتى أموت ؟! قلت : نعم ! قال : بنوا أمية ، وبنوا ثقيف . انتهى .

وفي ﴿ البخاري في باب حفظ العلم من حديث الواحد والستين ﴾ عن أبي هريرة ، قال : حفظت من رسول الله (ص) وعاءين ، فأما أحدهما فبثثته ، واما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم . انتهى .

قال الشارح : الوعاء الذي لم يبثه ، الاحاديث التي فيها بيان أسامي أمراء السوء ، وأحوالهم ، وزمنهم ، ولم يصرح بهم خوفا على نفسه ، وعن ابن عبد البر

(١) هود : ١١٣ .
(٢) البقرة : ١١٤ .
(٣) الشعراء : ٢٢٧ .

القرطبي في ﴿ كتاب جامع بيان العلم ﴾ عن أبي هريرة ، أنه قال : لقد حدثتكم بأحاديث لو حدثت بها زمن عمر بن الخطاب لضربني بالدرة ، وروى الذهبي في كتابه ﴿ تذكرة الحفاظ ﴾ عن أبي سلمة ، قال : قلت لأبي هريرة: كنت تحدث فى زمن عمر هكذا ؟! فقال لو كنت أحدث في زمان عمر مثل ما احدثكم لضربني بمخفقته .

وفي ﴿ صحيح الخبر ﴾ أن أبا هريرة ترك الحديث عن النبي (ص) خوفاً من عمر ،إذ قال له : أكثرت الحديث لتكفن أو لألحقنّك بجبال قردة .

وفي ﴿ صحيح مسلم ، في احاديث متعة الحج ﴾ عن عمران بن حصين قال : تمتع نبي الله وتمتعنا معه ، وقال رجل برأيه ما يشاء .

قال النووي في الشرح : أراد بالرجل عمر بن الخطاب ، وترك اسمه خوفاً منه ، وفى ﴿ جمع الجوامع للسيوطي ﴾و ﴿ كتاب المتعة في كنز العمال للمتقي الهندي﴾ عن نافع : أن رجلا سأل ابن عمر عن متعة النساء ، فقال : هي حرام ، فقال له : ابن عباس يفتي بها . فقال ابن عمر : ألا ترمرم بها ابن عباس في زمن عمر ؟! لو اخذ بها أحد لرجمه ابن جرير . انتهى . ومثله في ﴿ الدر المنثور ج ٢ ص ١٤١ ﴾ .

إن عمر ممن طعن في بيعة أبي بكر بعد موته ، وقال : إنها كان فلتة وقى الله المسلمين شرها. قال ابن ابي الحديد في ﴿ شرح النهج ج ١ ص ١٢٤ ﴾ نقلا عن الشعبي ، أنه قال لرجل من ازد : لقد كان في صدر عمر ضب على أبي بكر ، فكيف تصنع بالفلتة التي وقى الله شرها ؟! أترى عدواً يقول في عدو يريد ان يهدم ما بنى لنفسه فى الناس أكثر من قول عمر في ابي بكر . انتهى .

وهذا صريح في إضمار عمر غير ما كان يظهره لأبي بكر ، فهل يعد ذلك نفاقاً في امر الدين — أعني بيعة ابي بكر — كما تقوله اهل السنة في شأن التقية ؟! .

ومن احاديث اهل السنة في مسألة العول فى الفريضة عن ابن عباس ، انه كان

يضمر القول فيه في خلافة عمر ، حتى إذا مات فأظهر خلافه وكان يقول : لا عول ، من شاء باهلته ، قيل له : هلا قلت هذا في ايام عمر ، وهو يقول بالعول في ايامه ؟! فقال : إن عمر كان رجلا مهيباً فهبته . وقال القسطلاني في ﴿ ارشاد الساري ﴾: إن من رأي ابن عمر انـــه لا يبايع المفضول إلا إذا خشي الفتنة ولذا بايع معاوية ثم إبنه يزيد ونهى بنيه عن نقض بيعته . إنتهى .

ثم إن من الحجة القوية على مشروعية التقية اجماع الصحابـــة قطميا وفيهم البدريون ، وأهل بيعة الرضوان وبقيـــة العشرة المبشرة ، فانهم أجمعوا على ترك الدفاع عن عثمان يوم الدار حذاراً عن بأس الثوار حتى قتل بـين أظهرهم ، وهـذا يدل على أن رفع اليد عن الحق مخافـة القتل كان أمراً متداولا بـــين الاصحاب والتابعين .

إن من الحجة على مشروعية التقية ، وترك النهي عن المنكر ، مارواه العـلامة السرخسي في ﴿ كتاب المبسوط في باب الا كراه﴾ عن مسروق ـ وهـو من أعاظم علماء التابعين ـ قال : بعث معاوية بتماثيل من صفر تباع بارض الهند ، فمر بها على مسروق « ره » قال : والله ! لو أني أعلم أنه يقتلني لغرقتها ، ولـكني أخاف ان يعذبني فيفتنني ، والله لادري أي الرجلين معاوية ؟ ! رجل قد زين له سوء عمله أو رجل قد يئس من الآخرة ، فهو يتمتع في الدنيا . الخ .

قال السرخسي : ولـكن مسروقاً « ره » كان يبالغ في الاحتياط ، فـــلا يجوز إتخاذ شيء من ذلك ولا بيعه . ثم كان تغريق ذلك من الامر بالمعروف عنده ، وقد تركه مخافة على نفسه ، وفيه تبيين أنه لا بأس باستعمال التقية ، وأنـه يرخص له في ترك بعض ماهو فرض عنـد خوف التلف على نفسه ، ومقصوده من إيراد الحديث ان يبين أن التعذيب بالـوط يتحقق فيه الاكراه ، كما يتحقق في القتـل

لانه قال : لو علمت انه يقتلني لغرقتها ، ولكن أخاف أن يعذبني ، فتبين بهذا أن السوط عنده أشد من فتنة القتل . إنتهى .

الفريقان وحكمهم بالتقية

أما الشيعه : فالتقية من ضرورة مذهبهم أخذاً من أئمتهم - سلام الله عليهم - وعقدوا لذلك في الفقه أبوابا مشتملة على أحاديث اهل البيت (ع) في مشروعيتها ففي الوسائل من ابوابها : ١ - باب وجوب التقية في كل ضرورة بقدرها ٢ - باب وجوب طاعة السلطان للتقية ٣ - باب جواز إظهار كلمة الكفر للتقية ٤ - باب وجوب التقية في الفتوى مع الضرورة ٥ - باب عدم جواز التقية في الدم لحديث عن الامام ابي جعفر (ع) ، قال : انما جعل التقية ليحقن بها الدم ، فاذا بلغ الدم فليس تقية ٦ - باب وجوب كتم الدين عن غير اهله مع التقية ٧ - باب تحريم إذاعة الحق مع الخوف به . هذه مذهب الشيعة في التقية .

واما علماء الجماعة : فعملهم ايضاً على التقية ، حفظاً للنفس عن الاذى والهلاك ففي « إحياء العلوم للغزالي » : ان جملة من الفقهاء إذا دخلوا على الحجاج بن يوسف الثقفي كانوا ينالون من علي (ع) تقرباً اليه ، وخوفا من شره ، منهم عامر الشعبي فقيه اهل الكوفة .

وفيه عن ابن عائشة ، قال : جمع الحجاج فقهاء البصره والكوفة في مجلسه ، فدخلنا عليه ، والحجاج يسألنا عن المسائل ، إذ ذكر علي بن ابي طالب فنال منه ، ونلنا منه مقاربة له ، وفزعا من شره ، والحسن البصري ساكت عاضٌ على ابهامه . انتهى .

وفى ﴿ تفسير الكشاف للزمخشري ﴾ في ذيل قوله تعالى : « لا ينال عهدي الظالمين » (١) : أنه كان أبو حنيفة يفتي سراً بوجوب نصرة زيد بن علي بن الحسين (ع) وحمل المال اليه ، والخروج معه على اللص المتقلب على الخلافة ، وقال الشهرستاني في ﴿ الملل والنحل في ترجمة الجارودية ﴾ : أن أبا حنيفة كان على بيعة زيد ابن علي (ع) ومن جملة شيعته ، حتى رفع الأمر الى المنصور ، فحبسه حبس الأبد .

وقال الفخر الرازي فى التفسير ، عند قوله تعالى فى سورة المائدة : « اليوم يئس الذين كفروا من دينكم ، فلا تخشوهم . » الآية (٢) : إن الآية دالة على ان التقية جائزة عند الخوف . وقال في تفسيره عند قوله تعالى « إلا أن تتقوا منهم تقاةً » : الحكم الرابع : التقية جائزة لصون النفس ، قال : الحكم الخامس : قال مجاهد : هذا الحكم ثابت في أول الاسلام لأجل ضعف المسلمين ، وأما بعد قوة الاسلام ، فلا . وروى عون عن الحسن ، أنه قال : التقية جائزة للمؤمنين إلى يوم القيامة . وهذا القول أولى ، لان دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان . انتهى

وفى ﴿ الشرح لابن أبي الحديد المعتزلي ، ج ٣ ص ٢٥٨ ﴾ : روى محرز بن هشام ، عن ابراهيم بن سلمة عن محمد بن عبيدالله ، قال : قال رجل للحسن : مالنا لا نراك على علي ، وتقرظه ؟ ! قال : كيف وسيف الحجاج يقطر دماً ، إنه لأول من أسلم وحسبكم بهذا . انتهى .

وفي ﴿ تهذيب الكمال للمزي ﴾ و ﴿ حاشية تذهيب التهذيب لصفي الدين ﴾ عن يونس بن عبيد قال : سألت الحسن البصري : إنك تقول : قال رسول الله ، وإنك لم تدركه ، قال : يابن أخي ! ! لقد سألتني عن شيء ماسألني عنه أحد قبلك ، كل شيء سمعتني أقول : قال رسول الله ، فهو عن علي ابن أبي طالب ، إني في زمان

---

(١) البقرة : ١٢٤ (٢) المائدة : ٤

لا أستطيع أن اذكر علياً .

وأخرج الحاكم فى (مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٣٧) وقال بصحته على شرط الشيخين : أنه سأل مالك بن دينار ، سعيد بن جبير ، فقال له : من كان حامل راية رسول الله ﷺ قال : فنظر الي وقال : كأنك مرخي البال ، قال مالك : فغضبت ، وشكوته الى إخوانه من القراء ، فاعتذر بأنه يخاف من الحجاج إن يقول : كان حاملها علي بن أبي طالب . إنتهى .

وإن من شدة التقية ، تسليم الصحابة والتابعين لما صنعه الحجاج بهم ، ففي (تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٨٣) : وفي سنة أربع وسبعين سار الحجاج الى المدينة ، وأخذ يتعنت على أهلها ، ويستخف ببقايا من فيها من صحابة رسول الله ﷺ ، وختم فى أعناقهم وأيديهم يذلهم بذلك ، كأنس ، وجابر بن عبدالله ، وسهل بن سعد الساعدي ، فانا لله وإنا اليه راجعون . إنتهى .

وفي (تاريخ الخلفاء ص ١٢٢) أيضاً : ذكر أعاظم علماء عصر المأمون العباسي ، وإنهم اجبروا بالقول بخلق القرآن ، فقلوا به من باب التقية ، وكان يحيي ابن معين وغيره من مشائخ الحديث يقولون : أجبنا كلام الخليفة خوفاً من السيف إنتهى .

تقية مالك بن أنس امام المالكية

إن مالك بن أنس إمام المالكية كان يعمل بالتقية . ففي (كتاب المعارف لابن قتيبة ص ٢١٨) و(وفيات الاعيان ، لابن خلكان) و (إحياء العلوم للغزالي) : أن مالك بن أنس كان يأتي المسجد ، ويشهد الصلاة والجمعة والجنازة ، ويعود المرضي ، ويقضي الحقوق ، ويجلس فى المسجد ، ثم ترك ذلك كله ، وكان ربما قيل له فى ذلك ، فيقول : ليس كل الناس يقدر أن يتكلم بعذره . وفي (ميزان الاعتدال للذهبي) : أن مالك بن أنس لم يكن يروي عن جعفر بن محمد حتى ظهر أمر

بني العباس . إنتهى .

وفيه دلالة على أن مالك بن أنس كان يتقى إما من بني أمية ، فيترك الحديث عن الامام الصادق (ع) في زمانهم الى ان انقرضت دولتهم ، او كان يتقي من بنى العباس فلا يكتم الحديث عن الصادق (ع) إعتناءً بشأنه لكونه كبير بني هاشم ، وهم المذعنون بعظم قدره .

ويقول الخطيب البغدادي في (تاريخه ج ١٣) فيما يتعلق بأبي حنيفة ، وإنه اول من قال بخلق القرآن عن سفيان بن وكيع ، قال : جاء عمر بن حماد بن أبي حنيفة فجلس إلينا ، فقال : سمعت أبي ـ حماد ـ يقول : بعث ابن ابي ليلى إلى ابي حنيفة ، فسأله عن القرآن ، فقال : مخلوق ، فقال : تتوب وإلا اقدمت عليك . فقال : فتابعه ، فقال : القرآن كلام الله ، قال : فدار به في الخلق يخبرهم أنه قد تاب من قوله : القرآن مخلوق . فقال أبي : فقلت لأبي حنيفة : كيف صرت الى هذا وتابعته ؟ ! قال : يابني ! خفت ان يقدم عليّ فأعطيته التقية . إنتهى .

وفيه من التصريح بأن التقية كانت مذهب أبي حنيفة في أمر ديني إعتقادي ـ أعني قدم القرآن أو حدوثه ـ فكيف يقال : انها نفاق ؟ !

أبو حنيفة ومذهبه في خلق القرآن

ذكره الخطيب في (تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٧٠ الى ٤٢٣) المعقودة لاحوال أبي حنيفة وقوله بخلق القرآن ، قال عن أبي يوسف قال : أول من قال بخلق القرآن أبو حنيفة . وقال سلمة بن عمرو القاضي على المنبر : لارحم الله أبا حنيفة فانه أول من زعم أن القرآن مخلوق . وعن أبي يوسف قال : مات أبو حنيفة يوم مات يقول : القرآن مخلوق . وعن أحمد بن يونس قال : اجتمع ابن ابي ليلى وأبو حنيفة عند عيسى ابن موسى العباسي ـ والى الكوفة ـ قال : فكلمنا عنده ، قال : قال ابو حنيفة :

القرآن مخلوق . فقال عيسى لأبن أبي ليلى : فاستتبه ، فان تاب وإلا فاضرب عنقه .

وعن اسماعيل بن حماد بن ابي حنيفة يقول : قال ابو حنيفة : ان ابن ابي ليلى ليستحل مني مالا استحل من بهيمة .

وفي التاريخ فيمن كفّر اباحنيفة : حدثناسفيان الثوري ، قال: قال حماد بن ابي سليمان : أبلغ عني ابا حنيفة المشرك اني بريء منه . حدثنا ابو نعيم ضرار بن صرد قال : سمعت سليم بن عيسى المقرى ، قال : سمعت سفيان بن سعيد الثوري يقول : سمعت حماد بن ابي سليمان يقول : أبلغوا أبا حنيفة المشرك أني من دينه بريء إلى ان يتوب .

وفيه : إن الذي إستتاب أبا جنيفة ، خالد القسري . وروى أن يوسف بن عمرو إستتابه ، وانه لما تاب رجع ، واظهر القول بخلق القرآن ، فاستتب مرة ثانيه ، وعن قيس بن الربيع قال : رأيت يوسف بن عثمان أمير الكوفة اقام ابا حنيفة على المصطبة ، يستتبه عن الكفر ، وعن شريك بن عبدالله قاضي الكوفة : ان اباحنيفة استتيب من الزندقة مرتين . وعن معاذ بن معاذ ، قال : سمعت سفيان الثوري يقول : استتب ابا حنيفة مرتين . وعنه ، وعن ثعلبة قال : سمعت سفيان الثوري ، وذكر ابا حنيفة فقال : لقد استتابه اصحابه من الكفر مراراً الى آخر مافي تاريخ بغداد ، ومن جميع ذلك يعلم ان توبة ابي حنيفة عن القول بخلق القرآن كانت عن خوفه على نفسه من القتل .

الامام الشافعي واتقائه

ذكر ابو نعيم الحافظ في ﴿حلية الاولياء﴾ والفخر الرازي في ﴿رسالته في مناقب الشافعي﴾ : انه كان الامام الشافعي من اصحاب عبدالله بن الحسن بن الحسن (ع) وكان يقول بامامته ، وانه اتى به اسيرا مع جماعة من العلويين من اليمن ، واحضر

مجلس الرشيد فكانوا يدخلون عليه عشرة عشرة ، فيأمر بضرب اعناقهم حتى انتهى الامر الى الشافعي ، وهو مثقل بالحديد ، فشهد في المجلس عليه ابو يوسف ، ومحمد بن الحسن على انه رجل يرى الامر لنفسه ويزعم انه احق بهذا الامر من الرشيد ، فانكر الشافعي ذلك عليهما وتلا هذه الآية : « ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » (١) فسلم الشافعي على الرشيد بامرة المؤمنين ، واقرّ له بالخلافة ، ودرأ بذلك عن نفسه الموت او العقوبة ، وعفى عنه الرشيد .

فلولا اعتراف الشافعي للرشيد بالخلافة على خلاف معتقده في الباطن بامامة عبدالله بن الحسن بن الحسن (ع) وذلك تحفظاً على نفسه ، لوقع في العذاب الشديد كما وقع العلويون .

التقية في الصلاة مع المبتدع

فانها ايضاً من مواضع التقية ، في « البخاري » باب امامة المفتون والمبتدع من كتاب الصلاة ، وفيه قال الزبيدي : قال الزهري : لا نرى ان يصلى خلف المخنث الا من ضرورة ، وفي « فتح الباري للعسقلاني » و « ارشاد الساري للقسطلاني » تفسير الضرورة : بان يكون صاحب شوكة او لخوف او ثوران فتنة فيصلى خلفه . قال البخاري : حدثنا محمد بن أبان ، قال : حدثنا غندر عن شعبة عن ابي التياح انه سمع انس بن مالك يقول : قال النبي ﷺ لأبي ذر : اسمع واطع ولو لحبشي كان راسه زبيبة ، قال القسطلاني : وسواء كان ذلك الحبشي مبتدعا او مفتونا . انتهى .

وفي « صحيح مسلم ج ٢ ص ١٤٦ » عن ابن عمر ، قال : صلى رسول الله ﷺ بمنى ركعتين وابو بكر بعده وعمر بعد ابي بكر وعثمان صدرا من خلافته ، ثم

(١) الحجرات : ٦ .

ان عثمان صلى بعده اربعاً ، وكان ابن عمر اذا صلى مع الامام صلى اربعاً واذا صلاها وحده صلى ركعتين . وفيه ايضاً ﴿ ج ٢ ص ١٢٠ ﴾ وفي ﴿ المسند لاحمد بن حنبل ج ٥ ص ١٥٩ و ص ١٦٨ ﴾ في مسند ابي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : كيف انت اذا كانت عليك امراء يميتون الصلاة او يأخرون عن وقتها ؟ ! قلت : فما تأمرني ؟ قال : صل الصلاة لوقتها فان ادركتها معهم فصل فانها لك نافلة ، وفي حديث آخر قوله ﷺ : فصل معهم فانها زيادة خير . انتهى

ان في هذا الحديث دلالة واضحة على موافقة امراء السوء في الصلاةالتي هي اكمل الطاعات وافضل العبادات وذلك اما لمصلحة نفسه ، اذ لا يكلف الله نفسا الا وسعها ، وقال الله تعالى : « وما جعل عليكم في الدين من حرج » (١) وقال الله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (٢) وقال تعالى : « ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به » (٣) وقوله ﷺ : لاضرر ولا ضرار ، وقوله : رفع عن امتي تسعة وعدَّ منها ما استكرهوا عليه وما اضطروا اليه .

واما المصلحة العامة اعني اتحاد الكلمة والتحذر عن وقوع الحادثة صرح بذلك النووي في ﴿ الشرح على صحيح مسلم ﴾ قال : ولهذا قال في الرواية الاخرى عن ابى ذر : ان خليلي اوصاني ان اسمع واطيع وان كان مجدع الانف — كناية عن نفرة الناس عنه — . انتهى .

ومن ذلك ايضا مافي ﴿ صحيح مسلم ج ٢ ص ١٢١ ﴾ من حديث الصلاة خلف ابن زياد مع تأخيره الصلاة عن وقتها ، قال ابو العالية : ذكرت لعبدالله بن الصامت صنيع ابن زياد فعض على شفتيه ، وضرب على فخذي ، وقال : اني سألت ابا ذر كما سألتني فضرب فخذي كما ضربت فخذك ، وقال : اني سألت رسول الله ﷺ كما

---

(١) الحج : ٧٨ (٢) البقرة : ١٨٥ (٣) البقرة : ٢٨٦

سألتني فضرب فخذي كما ضربت فخذك وقال : صل الصلاة لوقتها فان ادركت الصلاة معهم فصل ولا تقل إني قد صليت فلا اصلي . إنتهى . وهو ايضاً من حديث « المسند لأحمد ج ٥ ص١٦٠ » وفيه من الدلالة الواضحة على وجوب التقية لاقصى درجة وعدم الانكار للصلاة مع المخالف للشريعة حتى مثل ابن زياد الدعي ابن الدعي الملعون على لسان النبي ﷺ وكل نبي مجاب الدعوة .

المنهج الثاني : في البداء ، ودفع الاشكال عنه

إعلم أنا تعرضنا لهذه المسألة حيث وقعت مورد الشك والحيرة وعزي القول بالبداء الى الشيعة فاذاً نقول : إن المذهب على جواز البداء على الله تعالى بمعنى المحو والاثبات وانه عندنا من شرع الانبياء وعليه ايضاً شرع القرآن في قوله سبحانه : « يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » (١) وقوله : « كل يوم هو في شأن » (٢) وقوله تعالى : « لايسأل عما يفعل . . » (٣) والمخالف في ذلك أهل السنة ، فانكروا البداء خلافا على الله تعالى ، وادعوا استحالته للزوم الجهل على الله تعالى والتغيير والتبديل في علمه الذي هو عين ذاته .

وقال الفخر الرازي في تفسيره عند قوله تعالى يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب في سورة الرعد « ج ٥ ص ٢١٠ » : قالت الرافضة : البداء جائز على الله تعالى وهو ان يعتقد شيئاً ثم يظهر له الامر أن بخلاف ما اعتقده وتمسكوا فيه بقوله تعالى : « يمحو الله مايشاء ويثبت » وهذا باطل لان علم الله من لوازم ذاته المخصوصة ، وما كان كذلك كان دخول التغيير والتبديل فيه محالا .

وقال الفخر الرازي أيضاً في « كتاب المحصل » في آخر بحث الامامة : ولنختم الكلام بما يحكى عن سليمان بن جرير الزيدي ، انه قال : إن أئمة الرفضة وضعوا مقالتين لشيعتهم لايظفر معها احد عليهم .

(١) الرعد : ٤١ (٢) الرحمن : ٢٩ (٣) الانبياء : ٢٣

الاول : ـ القول بالبداء ، فاذا قالوا انه سيكون لهم قوة وشوكة ، ثم لايكون الامر على ماأخبروه قالوا : بدا لله تعالى فيه .

الثاني : ـ التقية ، فكلما أرادوا شيئاً يتكلمون به فاذا قيل لهم هذا خطأ وظهر بطلانه ، قالوا : انما قلناه تقية . انتهى.

أقول : وتحقيق الحال في الكلام ، أولا : ـ النقض في البداء بالنسخ الثابت بالضرورة للاديان الماضية والحال ان اشكال انقلاب علمه بالجهل ولزوم التغيير والتبديل فى علمه الذاتي في المسألتين سواء ، ففي (الدر المنثور للسيوطي ج ٦ ص١٠٦) : أخرج عبدالرزاق والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه وابن المنذر وابن مردويه عن انس بن مالك قال : فرضت على النبي ﷺ ليلة اسرى به الصلاة خمسين ، ثم نقصت حتى جعلت خمساً ثم نودي يامحمد انه لايبدل القول لدي وان لك بهذه الخمس خمسين .

واما ثانياً : ـ فلماقاله بعض المحققين من العلماء (*) من ان البداء في التكوينات نظير النسخ في التشريعات فكما أن النسخ انتهاء أمد الحكم لارفعه ،

(*) وانه وقفنا على وثيقة مهمة بخط المغفور له العلامة الجليل الشيخ أحمدابن الشيخ محمد حسين المازندراني الحائري تغمده الله بالرحمة كتبها في ١/ رجب/ ١٣٧٥ ه أطلعنا عليها الاستاذ البحاثة المفضال المحامي حسين دلال رأينا ان نثبتها هنا في هذه التعليقة لما فيها من عظيم الفائدة وجزيل النفع ، وهي كما يلي :

البداء هو الظهور بعد الخفاء فاذا قيل مثلا : بدا لفلان في امره فمعناه : ظهر له ما كان مخفياً عليه وحصل له رأى لم يكن سابقاً متنبها اليه ، والبداء بهذا المعنى مستحيل على الله (مايبدل القول لدى ..) الآية وعلى هذا المعنى يحمل ماورد في الاخبار من استحالة البداء عليه تعالى والمعنى الثاني للبداء هو اظهار ماكان مستوراً ومخفيا للغير كان هناك مصلحة في اخفاء الامور ثم تزول تلك المصلحة بحصول مصلحة أخرى تستوجب الكشف والاظهار وفي هذه الصورة يكون الامر الواقع هو هو لم يتغير ولم يتبدل ، وانما التبدل حصل في اظهار ذلك المكتوم بعد اخفائه ، او ان يكون بقاء الامر الواقع منوطا بوجود مصلحة محددة بزمان خاص فعندما ينتهي ذلك الوقت وتزول المصلحة لايبقى هذا الامر فيظهر وجود امر آخر تابع لمصلحة اخرى وفي هذه الصورة -

فكذا حقيقة البداء : انتهاء اتصال إفاضة لوجود لتضييق دائرة اقتضاء الشرائط ، والمعدات ، والقوابل ، والاستعدادات . الخ .

وعن كتاب ﴿ ابو هريرة للامام شرف الدين ص ٢٣٤ ﴾ : البداء : ان يسبق امر في علم الله الازلي ، ولم يكن ظاهرا للناس ، فاراد الله اظهاره لهم ، ويدل عليه حديث ابي هريرة ، كما في ﴿ صحيح البخاري ص ١٧٠ ﴾ من الجزء الثاني منه في باب ماذكر عن بنى اسرائيل ، من كتاب بدء الخلقة . قال فيه : ان ثلاثة من بني اسرائيل أبرص ، وأقرع ، وأعمى ، بدا لله عز وجل ان يبتليهم . الخ

وتفصيل هذا الاجمال ، ان البداء بحسب معناه اللفظي وان كان هو الظهور كما في قوله : « بدا لي منها معصم حين جمرت » ولكنه فيما أضيف الى الله تعالى يراد منه اظهاره الامر الكوني المخلوق بعد خفائه عليهم ، وهذا لااستحالة له عند العقل والعقلاء ولا يخالفه النقل عن الشارع وعليه تحمل الآيات والاحاديث المؤدية اليه ، وأهل السنة أخذوا على الشيعة بلفظ البداء وقالوا : لاظهور بعد الخفاء بالنسبة الى المبدأ الاعلى والشيعة هم المعترفون بهذا المعنى ، لكن المسألة لما كانت عقلية لا لفظية ، لزم التوسع في الفاظ الكتاب والسنة ، والتصرف في المدلول باب واسع اذا زاحمته العقول كما في ساير مايطلق على الله ، من الرمي ، والامتحان ، والابتلاء ، والفتنة ، والسخرية ، والاستهزاء ، وامثالها ، ولا يلزم الجهل والتغيير والتبديل في علم الله تعالى ، بل العقل والنقل متوافقان على ان الله تعالى عالم بكل شيء كلياً كان او جزئياً متغيرا كان او ثابتا فالشيء معلوم عنده على ماهو به من

ـ لايكون الامر الواقع هو هو وانما يتغير ويتبدل ويكون اظهار الامر الثاني تابعا لوجود مصلحة ثانية استوجبت وجود هذا الامر الواقع الجديد وانه مبتكر مستحدث كما هو الحال في النسخ الذي لايختلف عن البداء بشيء سوى ان البداء في الامور التكوينية والنسخ في الامور الشرعية والبداء بهذا المعنى بكلا شقيه جائز على الله اذ انه لاتستلزم تردد وجهل بالامور الواقعية او مصالحها حتى يكون مستحيلا على الله ، وانما هو اظهار ماخفي على الغير ، وعلى هذا يحمل قوله تعالى : (وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) .

الاحوال من غير تغيير ولا إختلاف ولاتخلف وانما ذلك في علم العباد اذا اخبروا بخلاف ماعلموا كما في قوله تعالى : « وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون » (١)

ومن نظر في الآيات والاحاديث يرى ان الانبياء كانوا يخبرون بشيء لسبب خاص ، ثم يظهر لهم خلافه لاطلاعهم ثانيا على سبب آخر يوجب رفعه كما في قصه ابراهيم (ع) وقوله لابنه اسماعيل (ع) : انى أرى في المنام اني اذبحك . ومعلوم انه رآه عن مكاشفة صدق لامكاشفة كهانه او تنجيم عن تجربة ناقصة ، ولذا اذا اخبر به الناس او اراد ان يعمل بمقتضاه كان قوله حقاً وصدقاً وعمله مرضياً عندالله تعالى حتى اذا اخبره الله تعالى بعلمه المكنون عنده بغير ما اطلع عليه اولا من الامور المدبرة بالاسباب الخاصة المقدرة فعلم ابراهيم (ع) مالم يكن يعلم اذ زعم ان غير الكائن هو الكائن ثم ظهر له خلافه ، فيقال لمثل هذا الامر النسخ والبداء ، ولا يمكن العلم به لأحد الا من جهة الله ، لقوله تعالى : « وعنده ام الكتاب » (٢) وقال : « فلا يظهر على غيبه احد الا من ارتضى من رسول » (٣) فحال علم العبد في الكائنات بعد كشف الخلاف حاله في الاحكام بعد تبين النسخ والانقطاع ، كما ان حال تلك الامور الكائنة باسبابها المقدرة ربما تكون مرتفعة باسباب أخرى أقوى منها بخطاب من الله تعالى بقوله : « يانار كوني برداً وسلاماً » (٤) او بدعاء من العبد تؤثر في مقتضيات العالم الكوني كما في موارد الدعاء ، وصلاة الاستسقاء ، او بمعجزة من الانبياء من غرق ، أو خسف ، أو مسخ ، او زلزلة : « قل : كل من عند الله ، ومارميت إذ رميت ، ولكن الله رمى » (٥) ومن أجل ذلك صح القول بالبداء بمعنى ظهور وجه الصلاح في أمر بعد مالم يكن ظاهراً ، وان شيئاً من قواعد الشرع غير مناف له ، وان المنكر له انكره لما ضاق به الخناق ، ولم يعلم من ظاهر القرآن أن

(١) الزمر : ٤٧ (٢) الرعد : ٤١ (٣) التحريم : ٣ (٤) الانبياء : ٦٩
(٥) الانفال : ١٧

الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وان التقوى تزيد في البركة من الله تعالى في قوله: «ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض.» الآية (١) وان الاستغفار يزيد في الرزق، ويكثر المال، في قوله تعالى: «استغفروا ربكم إنه كان غفاراً، يرسل السماء عليكم مدراراً، ويمددكم باموال وبنين..» الآيه (٢)، وقال عز من قائل: «ومن الليل فتهجد به نافلة لك، عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً» (٣)، فاذا نهض العبد للتهجد في الليل نال المقام المحمود في الدنيا والآخرة او كليهما، لو لم يأت بما يوجب الاحباط، كما في قوله تعالى: «لئن اشركت ليحبطن عملك.. الآية» (٤) وجميع ذلك بنحو الجزم، أو التعليق، والتقدير جار في علم الله. «لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها» (٥)

ثم ان في القرآن ما يظهر منه ان لله تعالى لوحين، أثبتت فيهما الحوادث من الجواهر والاعراض.

أحدهما: ـ اللوح المحفوظ من المحو، والاثبات المصون من التغيير والتبديل، وهو المعبر عنه بأم الكتاب، قال الفخر الرازي في (التفسير ج ٥ ص ٢١٠): إن أم الكتاب هو اللوح المحفوظ، وهو الكتاب المشتمل على تعيين جميع الاحوال العلوية والسفلية، وهو الباقي.

وثانيهما: ـ لوح المحو والاثبات، قال الفخر الرازي: الكتاب الذي تكتبه الملائكة على الخلق محل المحو، والاثبات قال: وروى ابو الدرداء عن النبي ﷺ قال: إن الله تعالى في ثلاث ساعات بقين من الليل ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره، فيمحو ما يشاء، ويثبت ما يشاء.

---

(١) الاعراف: ٩٥ (٢) نوح: ١٠ و ١١ و ١٢ (٣) اسرى: ٧٩

(٤) الزمر: ٦٥ (٥) الكهف: ٥٠

توجيه البحث نحو مقالة الفخر الرازي في البداء

أقول : إذاً فما الوجه في نسبة الفخر الرازي وأمثاله ، القول بالبداء الى الشيعه سيما بعد كلامه أولا و آخراً أن آية المحو والاثبات تعم كل الاشياء ، وبعد ذكره حديث ابى الدرداء ؟ !

وقال الفخر الرازي ايضا في الآية قولان : الاول : إنها عامة في كل شيء كما يقتضيه ظاهر اللفظ .

قالوا : إن الله يمحو من الرزق ، ويزيد فيه ، وكذا القول في الأجل ، والسعادة ، والشقاوة ، والايمان ، والكفر وهو مذهب عمرو ابن مسعود ، والقائلون بهذا القول كانوا يدعون و يتضرعون الى الله في أن يجعلهم سعداء لااشقياء وهذا رواه جابر عن رسول الله ﷺ .

أقول : فما بالهم لم يعترفوا بالبداء الذى هو المحو والاثبات ؟ ! وبنوا على انه خلاف المعقول والمنقول ، وكيف يكون مخالفاً لهما ، مع ان جابر وابا الدرداء نسبا المحو والاثبات في مطلق الاشياء الى النبي ﷺ عن الله تعالى ؟ ! بل فيما رواه الحاكم في « المستدرك » والذهبي في « التلخيص ج ٢ ص ٣٥٠ » في تفسير سورة الرعد عن ابن عباس قال : لاينفع الحذر من القدر ، ولكن الله يمحو بالدعاء مايشاء من القدر . انتهى .

ثم قال الفخر : القول الثاني مما قالوا في معنى الآية : هو انها خاصة في بعض الاشياء ، ففي الآية وجوه : الاول : ان المراد من المحو والاثبات نسخ الحكم المتقدم واثبات حكم آخر بدلا عن الاول .

قلت : وعليه أيضاً يأتي إشكال البداء ، من ظهور الشيء بعد الخفاء على الله

تعالى ، فان النسخ في التشريعيات منزلته منزلة البداء في التكوينيات فما في الامر التشريعي نسخ فهو في الامر التكويني بداء فالنسخ بداء تشريعي ، والبداء نسخ تكويني ، فلا بداء في القضاء من الحكم او الفعل لولا ماقالته الشيعة من التوجيه بان النسخ انتهاء الحكم التشريعي ، وانقطاع استمراره لارفعه وعليه فمثله البداء فانه انقطاع استمرار الامر التكويني وانتهاء اتصال الافاضة ومرجعه الى تحديد زمان الكون وتخصص وقت الافاضة .

قال الفخر الرازي : الثامن في الارزاق والمحن والمصائب يثبتها في الكتاب ثم يزيلها بالدعاء والصدقة وفيه حث على الانقطاع الى الله تعالى .

قال : العاشر يزيل مايشاء ويثبت مايشاء من حكمه ، لايطلع على غيبه احد فهو المنفرد بالحكم كما شاء وهو المستقل بالايجاد ، والاعدام ، والاحياء ، والاماتة ، والاغناء ، والافقار ، بحيث لايطلع على تلك الغيوب أحد من خلقه ، قال : فان قال قائل : الستم تزعمون أن المقادير سابقة قد جف بها القلم وليس الأمر بآنف ، فكيف يستقيم مع هذا المعنى المحو والاثبات ، قلنا : ذلك المحو والاثبات أيضاً مما جف به القلم فلا يمحو إلا ماسبق في علمه وقضائه محوه .

اقول : هذا من الفخر الرازي اقرار بوقوع التغيير والتبديل في مشيئة الله تعالى وارادته فهل يمحو إلا ما كان ثابتاً ؟ وهل يثبت إلا ما كان معدوماً ؟ فكل من المحو والاثبات يقتضي سنوح أمر وزوال أمر آخر فمن نظر في القرآن والاحاديث فلا محيد له عن القول بالبداء وتوجيهه بما تقوله الشيعة .

والذي أظنه ان الفخر الرازي في نسبته البداء الى الشيعة اراد الفرية وإعمال العصبية ، وإلا فما في ظاهر كلامه من قوله يزيل مايشاء ويثبت مايشاء هو الاقرار بالبداء وهو المعقول والمنقول حسبما أدت إليه النصوص من أن صلة الرحم تزيد في العمر ، والصدقه تزيد في العمر والرزق ، والبر بالوالدين تبدل الشقاوة بالسعادة ،

وعلى العكس بالعكس ، بل الوقوع في القرآن بل من اقوى الدليل على الامكان نظراً الى مسألة ذبح إسماعيل ووقوع البداء فيه وكذلك مسألة نجاة قوم يونس بعد توبتهم وتضرعهم الى الله تعالى بل وكذلك نجاة يونس من بطن الحوت بعد تضرعه وقوله : «سبحانك إني كنت من الظالمين »(١) كما في القرآن « ولولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون » (٢) .

حكمة البداء وجعل لوح المحو والاثبات

فاذا إنتهى الأمر الى السؤال عن الحكمة في جعل لوح المحو والاثبات ، قلنا :

أولا : — إن السبب فيه هوانه كما قضى في علمه تعالى ، أن الحوادث الكونية كلها بالاسباب كذلك قضى في علمه تعالى أن تلك الحوادث تقع لو لم يزاحم موجبها موجب آخر ، مثل أن يكون عمر زيد بمقتضى مزاجه خمسين سنة ، لولم يشرب السم فشربه ، وقل عمره ، أو أنه قوّى مزاجه بعقوّ زاد بذلك عمره ، وهذا لا كلام فيه عند أحد وعليه لا وجه للسؤال عن أن المقدرات لِمَ صارت بالاسباب والمعدات ؟ !

وثانيا : أن وجه الحكمة حسبما هو المستفاد من النصوص ، هو إعلام العباد بأخبار الرسل (ع) أن لأعمالهم الحسنة تأثيراً تاماً في صلاح معاشهم ومعادهم ، وكذلك لاعمالهم السيئة تأثيراً في فساد أمورهم ، وعند ذلك يحصل لهم في نفوسهم الداعي الى الخيرات ، وكف النفوس عن السيئات ، فالطاعات كالسيئات كلها من موجبات المحو والاثبات ، وكذلك الدعاء والابتهال الى الله تعالى ، او جعل المقربين من الانبياء شفعاء ، كما في قوله تعالى : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » (٣) ، وفي ذلك من الفرج في الآخرة ، والاولى ، فالبداء فرج لاولياء الله ، وإنقلاب الامر بالدعاء على اعداء الله ، كما في ابتلاء المؤمنين في قوم نوح وشدة محنة بني اسرائيل

(١) الانبياء : ٨٧ (٢) الصافات : ١٤٤ (٣) الضحى : ٥

في آل فرعون ، فانتظار الفرج من نتائج البداء كالفرج الحاصل للشيعة بزوال حكومة بني أمية ، فانقلاعهم عن وجه الأرض من البداء المجهول عند الناس ، حتى ظهر أمر بني العباس ، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين .

إن ماذكرناه هو سر قول الطاهرين الصادقين من أئمتنا (ع) : أنه ماعبدالله بمثل البداء ، أو ما عرف الله من لم يعرفه بالبداء ، كيف لا ؟! فمن حسنت عاقبته أو سيئت ، فادخل الجنة بسعادته ، أو ادخل النار بشقاوته . لا يكون ذلك إلا بالمحو والاثبات .

بعض كلمات الجماعة في المحو والاثبات

فمن المولوي الشاه ولي الله الدهلوي في كتابه « حجة الله البالغة » وهو من أكابر علماء أهل السنة أنه قال : قد بينت السنة بياناً واضحاً أن الحوادث يخلقها الله تعالى قبل أن تحدث في الأرض خلقاً ما ، ثم تنزل في هذا العالم ، فتظهر فيه كما خلق أول مرة سنة من الله ، ثم قد يمحى الثابت ، ويثبت المعدوم بحسب هذا الوجود . قال الله تعالى : « يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » (١) مثل ان يخلق البلاء خلقاً ما ، فينزل على المبتلي ، ويصعد الدعاء فيرده ، وقد يخلق الموت فيصعد البر فيرده..الخ

وقال الشيخ عبد الحق الدهلوي في « مدارج النبوة » بعد الترجمة : إن القضاء وإن كان بتقدير إلهي قديم ، ولكن كتابه حادث ، وكتاب اللوح المحفوظ هو الذي قد جف القلم فيه بما هو كائن ، ولكن هناك كتاباً يكتبه الملائكة في ليلة النصف من شعبان ، وفيه المحو والاثبات حسبما ورد في الآثار .

(١) الرعد : ٤١ .

وذكر الملا علي القارىء فيما حكى عن رسالته فيما يتعلق بليلة النصف من شعبان قائلا : التحقيق أن الله سبحانه قدر المقدرات قبل خلق الموجودات على وفق ما تعلق به علمه بالمكنونات ، ويعبر عن علمه سبحانه بأم الكتاب الذي لايتغير ولا يتبدل في كل باب ، ثم خلق اللوح المحفوظ ، وأمر القلم أن يكتب ما كان وما يكون فكتب كل أمر أطلعه إياه ، ثم جف القلم بما هو كائن على وفق علم الله تعالى ، وغايته أنه كتب فيه بعض الأشياء مجملا ، وبعضها مفصلا ، وبعضها مطلقاً ، وبعضها معلقاً ، فبهذا الاعتبار تجوز الزيادة والمحو بالنسبة الى المنقوش في اللوح ، ولذا قال الله تعالى : « يمحو الله مايشاء ، ويثبت وعنده أم الكتاب » . الخ

وعن الشيخ أحمد الفاروقي الموصوف عند الجماعة بالمجدد في الألف الثاني في مكاتيبه على ما حكى : القضاء على قسمين : قسم معلق ، وقسم مبرم ، والذي يحتمل فيه التغيير والتبديل هو القضاء المعلق دون المبرم فانه لامجال للتغيير والتبديل فيه ، قال الله سبحانه : « مايبدل القول لدى » (١) ، وهذا في القضاء المبرم ، وأما القضاء المعلق فقد قال سبحانه : « يمحو الله مايشاء ويثبت » . انتهى

أقول : إن جميع ذلك هو الموافق للمذهب الذي صرح به علماء الامامية عن أئمتهم من العترة الطاهرة ، وهو أيضا مذهب علي (ع) ، وعمر بن الخطاب ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وابن عمر ، وجابر بن عبدالله ، وأبي الدرداء ، وأبو هريرة ، وقيس بن عباد ، وكعب الأخبار ، روى عنهم : أبو بكر بن شيبة ، وعكرمة ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وقتادة ، ومجاهد ، وأبو صالح ، والكلبي ، وعبدالرزاق ، والفاريابي شيخ البخاري ، وأحمد بن حنبل ، وابو نعيم ، ويعقوب بن سفيان ، والديلمي ، وابن نصر ، والحاكم ، والنسائي ، والبيهقي ، وأبو يعلى ، وابن أبي عمر المدني ، واليمني الشافعي ، وابن سعيد ،

(١) ق : ٢٩ .

وابن مردويه ، وابن عساكر ، وعبد بن حميد ، وابن أبي الدنيا ، والضحاك وأبو الشيخ ، وعمر بن عادل الحنبلي ، والحسن البصري .

الاحاديث الصريحة في البداء

إن في مفروض البحث أحاديث نبوية وقصص للانبياء صريحـــة في البداء عموماً وخصوصاً في هذه الشريعة وفي الشرائع الماضية .

الحديث الأول : — ماذكره السيوطي في « تفسيره الدر المنثور ج ٤ ص ٦٥ » ، قال : أخرج ابن أبي شيبة ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، عن مجاهد « رض » قال : قالت قريش حين نزلت « وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا باذن الله » (١) : ما نراك يامحمد تملك من شيء !! ولقد فرغ من الأمر ، فأنزلت هذه الآية تخويفاً ووعيداً لهم : « يمحو الله مايشاء .. » الآية (٢) إنا إن شئنا أحدثنا له من أمرنا ماشئنا ، ويحدث الله في كل رمضان ويمحو الله مايشاء ويثبت من أرزاق الناس ومصائبهم ، وما يعطيهم وما يقسم لهم . إنتهى.

وأنت ترى صراحـــة الحديث في البداء ، وحصول التغيير والتبديل فى المقدرات الالهية من عنده تعالى في أمر رزق العباد وعطاياهم ، ومحنهم ، ومصائبهم ، فيمحو بعض ما أثبته ، ويثبت بعض مانفاه بمقتضى حكمته البالغة ، وذلك رداً على اليهود الذين قالوا : يد الله مغلولة بعد أن فرغ من أمر الخلق والنظام التام ، ويردهم أيضا قوله تعالى : « بل يداه مبسوطتان . . » الآية (٣) ، وقوله : كل يوم هو فى

(١) الرعد : ٤٠ . (٢) الرعد : ٤١ .
(٣) المائدة : ٦٧ .

شأن » (١) يعني من إحياء ، وإماتة ، وإحداث ، وإهلاك ، وإعطاء ، وحرمان وقبول التوبة ، وتعجيل العذاب بالغرق ، والحرق ، والخسف ، والمسخ بالقردة والخنازير ، فاذاً نفي البداء تعطيل في حقه تعالى ، وهو من قسم أقوال أهل البدع والضلال .

الحديث الثاني : — أيضا مافي ﴿ الدر المنثور ج ٤ ص ٦٥ ﴾ قال : أخرج عبد الرزاق ، والفاريابي ، وابن جرير ، وابن نصر ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي ، في شعب الايمان ، عن ابن عباس في قوله تعالى : « يمحو الله مايشاء ويثبت » قال : ينزل الله في كل شهر رمضان الى سماء الدنيا ، فيدبر أمر السنة في ليلة القدر ، فيمحو مايشاء ويثبت ما يشاء ، إلا الشقاوة ، والسعادة ، والحياة ، والمماة . إنتهى .

وهذا الحديث ، وإن اقتضى تخصيص المحو والاثبات ببعض الاشياء دون بعض ، لكنه يكفى هذ المقدار في كسر صولة الانكار ، وبطلان ما يزعمه الخصم من الدليل العقلي على فساد البداء على الله تعالى فان حكم العقل إن تم ، فلا يكاد يخصص ببعض دون بعض ، وسيأتيك مايدل على العموم .

الحديث الثالث : — ما أورده السيوطي أيضا في ﴿ الدر المنثور ج ٤ ص ٦٦ ﴾ : أنه أخرج ابن سعيد ، وابن جرير ، وابن مردويه عن الكلبي فى الآية قال : يمحو الله من الرزق ويزيد فيه ، ويمحو من الأجل ويزيد فيه . فقيل : من حدثك بهذا ؟ ! قال : أبو صالح عن جابر بن عبد الله الأنصاري .

وأورد السيوطي أيضا هـذا الحديث في كتابه ﴿ الاتقان ج ٢ ص ٣٣٦ ﴾ وأيضا في رسالته ﴿ إفادة الخبر ﴾ بنصه فى زيادة العمر ، ونقصه ، التي صنفها جواباً لسؤال الذي سئـل عن والده في قوله تعالى : « لكل أجل كتاب ، يمحو الله

---

(١) الرحمن : ٢٩ .

مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب »(١) قال: وأخرج ابن جرير، وابن مردويه في تفسيرها عن الكلبي، قال: يمحو من الرزق ويزيد فيه، ويمحو من الأجل ويزيد فيه.

أقول: وأورد ابن جرير في ﴿ التفسير ﴾ في تفسير الآية في سورة الرعد عن الحسين قال: أجال بني آدم في كتاب يمحو الله مايشاء من أجله ويثبت وعنده أم الكتاب، وإن هذه إلا عين البداء في المقدرات الالهية من الرزق والحياة والماء؟! وهو كما عرفت مذهب ثلة من اعاظم علماء الجماعة.

الحديث الرابع: — أيضا في ﴿ الدر المنثور ﴾ عن ابن عباس قال: إن لله تعالى لوحاً محفوظاً مسيرة خمسمائة عام، من درة بيضاء له دفتان من يا قوت، والدفتان لوحان لله كل يوم ثلاث وستون لحظه يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب.

الحديث الخامس: — ماذكره السيوطي في ﴿ الدر المنثور ج ٤ ص ٦٦ ﴾ وكذلك في رسالته ﴿ إفادة الخبر ﴾ بنصه أنه أخرج ابن مردويه في ﴿ تفسيره ﴾ وابن عساكر في ﴿ تاريخه ﴾ عن علي « رض » أنه سئل رسول الله ﷺ عن قول: يمحوالله مايشاء ويثبت ... الخ فقال: لأقرن عينيك بتفسيرها، ولأقرن عين أمتي بعدي بتفسيرها: الصدقة على وجهها، وبر الوالدين، واصطناع المعروف يحول الشقاء سعادة، ويزيد في العمر، ويقي مصارع السوء.

الحديث السادس: — مافي ﴿ تفسير الطبري ﴾ و ﴿ الدر المنثور ﴾ واللفظ للثاني، قال: أخرج ابن جرير الطبري عن قيس بن عباد، قال: العاشر من رجب يمحو الله فيه مايشاء، وفيه: أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في شعب قيس بن عباد، قال: لله أمر في كل ليلة العاشر من الأشهر الحرم. أما العاشر من الأضحى فيوم النحر، وأما العاشر من المحرم فيوم عاشوراء، وأما

(١) الرعد: ٤٠، ٤١.

العاشر من رجب فنيه يمحو الله مايشاء ويثبت . قال : ونسيت ما قال في ذي القعدة .

الحديث السابع : — أيضا في ﴿ الدر المنثور ﴾ قال : أخرج ابن جرير ، ومحمد بن نصر ، وابن أبي حاتم ، والحاكم ، وصححه على شرط الشيخين ، عن ابن عباس يمحو الله مايشاء ويثبت قال : من أحد الكتابين ، هما كتابان ، يمحو الله مايشاء أحدهما ، ويثبت وعنده أم الكتاب ، أي جملة الكتاب . إنتهى .

ونحوه الحديث في ﴿ تفسير الطبري ﴾ عن سليمان عن عكرمة .

الحديث الثامن : — مافي ﴿ تفسيري الطبري ، والدر المنثور ﴾ قال : أخرج ابن جرير عن الضحاك في الآية يقول : انسخ ماشئت ، واصنع في الاجال ماشئت ، إن شئت زدت فيها ، وان شئت نقصت ، وعنده أم الكتاب ، قال : جملة الكتاب ، وعلمه ، يعني بذلك ماينسخ منه وما يثبت :

الحديث التاسع : — السيوطي فى ﴿ الدر المنثور ﴾ قال : أخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر عن عمر بن الخطاب ، قال وهو يطوف بالبيت اللهم إن كنت كتبت عليّ شقاوة أو ذنباً فامحه ، فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ، فاجعلها سعادة ومغفرة . إنتهى . وقريب من ذلك حديث الطبري فى ﴿ التفسير ﴾ عن كل من عمر ، وابن مسعود ، وعبدالله بن عمر ، وعن عمر بن العادل الحنبلي في كتابه ﴿ تفسير اللباب في علوم الكتاب ﴾ قال : كان عبدالله بن عمر ، وابن مسعود قائلين بمحو السعادة ، والشقاوة ، ومحو الرزق ، والأجل . وروى عن عمر أنه كان يطوف بالبيت ، وهو يبكي ويقول : اللهم إن كنت كتبتني فى أهل السعادة والمغفرة ، فانك تمحو ماتشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ، ونحوه عن ابن مسعود .

الحديث العاشر : — مافى ﴿ الدر المنثور ﴾ أنه أخرج ابن جرير عن شقيق بن أبي وائل ، قال : مما يكثر أن يدعى بهذه الدعوات : اللهم ان كنت كتبتنا أشقياء فامحنا ، وا كتبنا سعداء فأثبتنا ، فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب . وفيه : وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، والطبراني عن ابن مسعود أنه كان يقول : اللهم إن كنت كتبتني في السعداء فاثبتني في السعداء وان كنت كتبتني فى الأشقياء فامحني من الأشقياء واثبتني فى السعداء فانك تمحو ماتشاء وتثبت وعندك أم الكتاب .

الحديث الحاديعشر : — في ﴿ الدر المنثور ﴾ أخرج ابن أبي شيبة في المصنف وابن أبي الدنيا في الدعاء عن ابن مسعود قال : مادعا عبد قط بهذه الدعوات إلا وسع الله عليه في معيشته — ياذا المن ولا يمن عليه ، ياذا الجلال والاكرام ياذا الطول لااله إلا أنت ، ظهر اللاجين ، وجار المستجيرين ، ومأمن الخائفين إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقياً فامح عني إسم الشقاوة وتبثنى عندك سعيداً وإن كنت كتبتنى عندك في ام الكتاب محرما مقترا على رزقى ، فامح حرماني ويسر رزقى ، وثبتني عندك سعيداً ، موفقا للخير ، فانك تقول في كتابك الذي أنزلت « يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب » (١)

الحديث الثانيعشر : مافى ﴿ تفسير الطبرى ج ١٢ ص ١١٣ ﴾ و ﴿ الدر المنثور للسيوطى ﴾ عن كعب الأخبار انه قال لعمر : ياأمير المؤمنين لولا آية فى كتاب الله لأنبئك بما هو كائن الى يوم القيامة ، قال : وما هي قال : قول الله يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب . إنتهى .

قلت : إن صح الحديث عن كعب كان لازمه ، أعلميته من عمر في الخبر

(١) الرعد : ٤١ .

عما يكون الى يوم الحشر ، وهو كذلك بحسب تقرير عمر كلام كعب وعدم تكذيبه في إدعائه ، لأنبئنك بما هو كائن ، وكيف ما كان فهذه الأحاديث حجة على من أنكر البداء ، وان المحو والاثبات عام لجميع الاشياء .

القرآن وقصص الانبياء (ع) فى البداء

فمن تلك القصص حكاية يونس (ع) وقومه ، كما فى قوله تعالى : « فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها ، إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي فى الحياة الدنيا ، ومتعناهم الى حين » (١) ، ففي ﴿ الدر المنثور للسيوطي ﴾ أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله قال : إن يونس دعا قومه ، فلما أبوا أن يجيبوه وعدهم العذاب ، فقال : إنه يأتيكم يوم كذا وكذا ، ثم خرج عنهم . وكانت الأنبياء إذا وعدت قومها العذاب خرجت ، فلما أظلهم العذاب خرجوا ، ففرقوا بين المرأة وولدها ، وبين السخلة وأولادها ، وخرجوا فعجّوا الى الله وعلم الله منهم الصدق ، فتاب عليهم ، وصرف عنهم العذاب ، وقعد يونس فى الطريق ليسأل عن الخبر ، فمر به رجل فقال : مافعل قوم يونس ؟ فحدثه بما صنعوا فقال لا أرجع الى القوم فقد كذبتهم وانطلق مغاضبا. انتهى .

أقول : وقريب من ذلك الحديث فى ﴿ تفسير الفخر الرازي فى تفسير سورة يونس ج ٥ ص ٢٩ ﴾ مع زيادة قوله : إنهم خرجوا الى شيء من بقية علمائهم ، فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى ؟ ! فقال : قولوا : ياحي حين لاحيٌّ ، وياحيٌّ ، يامحيي الموتى ، وياحيُ ، لا إله إلا أنت فقالوا ، فكشف الله العذاب عنهم . وعن

(١) يونس : ٩٨ .

الفضل بن عباس ، أنهم قالوا : إن ذنوبنا قد عظمت وجلّت ، وأنت أعظم منها وأجل ، إفعل بنا ما انت أهله ، ولا تفعل بنا ما نحن أهله. إنتهى .

والأحاديث بعد القرآن من التفاسير ، وكتب الحديث من العامة والخاصة في البداء ، ودفع العذاب عن قوم يونس بواسطة التوبة والانابة والدعاء بلغت مبلغ الضرورة ، وتلك حجة على من أنكر القضاء بالمحو والاثبات في المقدرات ، فلا تكن من الغافلين . والعجب من الفخر إذ يحكي دفع العذاب عن قوم يونس (ع) ويغمض النظر عن أنه من المحو والاثبات فى القضاء المعلق .

ففي ﴿ الدر المنثور ﴾ أنه أخرج ابن أبي حاتم ، واللالكائي في السنة عن علي بن أبي طالب ، قال : إن الحذر لا يرد القدر ، وإن الدعاء يرد القدر ، وذلك في كتاب الله « إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي . . » (١) وأخرج أبو الشيخ ، وابن المنذر عن ابن عباس قال : إن الدعاء ليرد القضاء ، وقد نزل من السماء ، إقرأوا إن شئتم : « إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي » دعوا ، فصرف عنهم العذاب . إنتهى .

فالحديثان صريحان فى تصريح علي (ع) وابن عباس بوقوع البداء ، ودفع العذاب ، ورفع القدر والقضاء بالدعاء .

ومنها : — قصة موسى (ع) على مافي القرآن من قوله تعالى : « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة .. » الآية (٢) ففي ﴿ الدر المنثور ﴾ أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن مجاهد وواعدنا موسى ثلاثين ليلة قال ذو القعدة وأتممناها بعشر . قال : إن موسى قال لقومه : ان ربي وعدني ثلاثين ليلة ان القاه واخلف هارون فيكم فلما إتصل موسى الى ربه زاده الله عشراً فكانت فتنتهم في العشر التى زادها الله .

---

(١) يونس : ٩٨ . (٢) الاعراف : ١٤١

وفي ﴿ الدر المنثور ﴾ أيضا في حديث رواه عن ابن أبي عمر المدني وعبد بن حميد والنسائي وأبي يعلى وابن جرير وابن منذر وابن أبي حاتم وابن مردويه ان قوم موسى قالوا : فما بال موسى وعدنا ثلاثين ليلة ثم أخلفنا فهذه أربعون ليلة . انتهى .

إن الحديث كما ترى ظاهر في وقوع البداء فيما وعد الله تعالى من ثلاثين ليلة وان قوم موسى (ع) طعنوا فيه بالخلف عما وعدهم ولم يعلموا أن لله تعالى إرادات وله المحو والاثبات طبقا لاختلاف المصالح وتخلف الشروط والمقتضيات وان كان كل ذلك جرى في علمه تعالى « ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء .. » الآية (١)

ومنها: حكاية عيسى (ع) مع القصار في ﴿كتاب روضة العلماء للزندوبتي﴾ وهو من أكابر علماء الحنفية كما في ﴿أعلام الأخيار للكفوى﴾ قال: حدثنا أبوعبدالله المطوعي ، باسناد له عن وهب قال : كان عيسى النبي (ع) قاعداً مع الحواريين إذ مر قصار وعلى ظهره حزمة ثياب ، فقال عيسى (ع) للحواريين : إن هذا القصار ليهلك الساعة ويرد علي جنازته فجلسوا فلما كان عند المساء رجع القصار سالماً مع ثيابه فتعجب الحواريون بذلك ، فقال عيسى (ع) للقصار : اخبرني عن قصتك ، قال : خرجت بالغداة ومعي ثلاثة أرغفه ، فاستقبلني سائل فدفعت اليه واحداً ، فدعا وقال : صرف الله عنك السوء فمضيت فاستقبلني سائل آخر فسألني فدفعت اليه الرغيف الثاني، فقال : صرف الله عنك البلاء فلما فتحت حزمة ثيابي رأيت فيها حية سوداء تلتهب النار من عينها ، وفي عنقها سلسلتان ، واذا بملكين يدان تلك الحية حتى أخرجاها من حزمه ثيابي ، فقال عيسى (ع) : لذلك الرغيف سلمك الله وزاد في عمرك .

ومنها : — ما في ﴿ كتاب حياة الحيوان للدميرى ﴾ قال : روى احمد في كتاب الزهد عن سالم أبي الجعد قال : كان رجل من قوم صالح (ع) قد اذاهم

(١) البقرة : ٢٥٥ .

فقالوا : يانبي الله ! ادع الله عليه فقال : إذهبوا فقد كفيتموه قال : وكان يخرج كل يوم يحتطب ، فخرج يومئذ ومعه رغيفان فأكل أحدهما وتصدق بالآخر قال : فاحتطب ثم جاء بحطبه سالماً لم يصبه شيء فجاؤا الى صالح ، وقالوا : قد جاء بحطبه سالماً لم يصبه شيء ، فدعاه صالح (ع) وقال له : أي شيء صنعت اليوم ، قال : خرجت ومعي قرصان فتصدقت بأحدهما وأكلت الآخر فقال صالح (ع) : حل حطبك فحله فاذا فيه أسود ساخ مثل الجذع عاض على جذل من الحطب فقال : بهذا دفع عنك يعني بالصدقة .

ومنها : الخبر الذي أورده اليمنى الشافعي في « كتاب الاكتفاء » والعلامة السيوطي في « الدر المنثور » بالاسناد الى كعب الاخبار ، قال : كان في بني اسرائيل ملك اذا ذكرناه ذكر عمرو اذا ذكرنا عمر ذكرناه وكان الى جنبه نبي يوحى اليه ، فاوحى الله تعالى الى النبي أن يقول له اعهد عهدك واكتب وصيتك فانك ميت الى ثلاثة أيام ، فأخبره النبي بذلك فلما كان اليوم الثالث وقع بين الجدار والسرير ، ثم جاء الى ربه فقال : اللهم إن كنت تعلم أني كنت أعدل في الحكم واذا اختلف اتبعت هداك ، وكيت وكيت فزدني في عمري حتى يكبر طفلي ويربوا أمتي . فاوحى الله الى النبي انه قدقال كذا وكذا ، وقدصدق وقدزدته في عمره خمس عشرة سنة ففي ذلك مايكبر ولده ويربو أمته ، فلما طعن عمر قال : كعب ! لئن سأل عمر ربه ليبقيه فأخبر بذلك عمر فقال : اللهم اقبضني اليك غير عاجز ولا ملوم .

ومنها : — مارواه السيوطى في « الدر المنثور ج ٥ ص ٢٤٧ » عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : كان فى بني سرائيل ملكان اخوان على مدينتين وكان أحدهما براً برحمه ، عادلا في رعيته ، وكان الآخر عاقاً برحمه ، جائراً على رعيته وكان في عصرهما بنى فأوحى الله الى ذلك النبي أنه قد بقى من عمر هذا البار ثلاث

سنين وبقي من عمر هذا العاق ثلاثون سنة ، قال : فاخبر النبي رعيتـه هذا ورعيته هذا ، فاحزن ذلك رعيته الجائر ، واحزن ذلك رعيته العادل ، قال : ففرقوا بين الأطفال والامهات وتركوا الطعام والشراب وخرجوا الى الصحراء يدعون الله أن يمتعهم بالعادل ويزيل عنهم أمر الجائر فأقاموا ثلاثاً فأوحى الله الى ذلك النبي أن أخبر عبادي بأني قد رحمتهم وأجبت دعائهم فجعلت ما بقي من عمر هـذا البار لذلك الجائر وما بقي من عمر الجائر لهذا البار ، قال : فرجعوا الى بيوتهم ومات العاق لتمام ثلاث سنين وبقي العادل فيهم ثلاثين سنة ، ثم تلا رسول الله ﷺ « وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير » (١) . انتهى .

ومنها : حكاية أبي رومي الصحابي ففي ﴿ الدر المنثور ج ٤ ص ٦٦ ﴾ أخرج ابن مردويه والديلمي عن ابن عباس ، قال : كان أبو رومي من شر أهل زمانه ، وكان لا يدع شيئاً من المحارم إلا ارتكبه ، وكان النبي ﷺ يقول : لئن رأيت أبا رومي في بعض أزقة المدينة ، لأضربن عنقه ، وان بعض أصحاب النبي ﷺ أتاه ضيف له ، فقال لامرأته : إذهبي الى أبي رومي فخذي لنا منه بدرهم طعاماً حتى ييسر الله تعالى ، فقالت : إنك لتبعثني الى أبي رومي وهو افسق اهل المدينـة ، فقال : اذهبي فليس عليك منه بأس انشاء الله تعالى ، فانطلقت فضربت عليه الباب فقال : من هذا ؟ ! قالت : فلانة ، قال : ما كنت لنا بزوارة ، ففتح لها الباب فأخذها بكلام رفث ويده اليها ، فأخـذتها رعدة شديدة ، فقال : ما شأنك ؟ ! قالت : ان هذا عمل ماعملته قط ، فقال أبو رومي : ثكلت أبا رومي أمه ، هـذا عمل عمله وهو صغير ، لا تأخذه رعدة ولا يبالي ، علي أبي رومي عهد الله ان عاد لشيء من هذا أبداً ، فلما اصبح غدا على النبي ﷺ ، فقال : مرحباً يا أبا رومي ،

---

(١) فاطر : ١١ .

واخذ يوسع له المكان ، وقال له : يا أبا رومي !! ماعملت البارحة ؟! فقال : ماعسى أن أعمل يانبي الله ، أنا شر اهل الأرض ، فقال النبي ﷺ ان الله قد حول مكتبك الى الجنة ، فقال : يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب . إنتهى . والحديث ايضا اخرجه ابو نعيم الحافظ .

الدعاء وتأثيره في البداء

ان بداهة الشرع — على ماعرفت — ناهضة بالبداء مطلقاً في الكائنات وفى الشرعيات ، وانه في الأولى تتبدل القضاء بالصدقة والدعاء ، ويزيدك وضوحاً مادعا به رسول الله ﷺ فى يوم بدر ، وطلبه من الله النصر ، وكذلك دعائه لعلي (ع) يوم الأحزاب فى قبال عمرو بقوله ﷺ : رب سلم لي علياً ، رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين ، كما في ﴿ كنز العمال للمتقي الحنفي ج ٥ ص ٢٨٢ ﴾ .

ولولا تأثير الدعاء في البقاء ، لوقع لغواً من النبي ﷺ بلا فائدة ، قال الشيخ عبدالحق الدهلوى — وهو من أكابر علماء اهل السنة — فى كتابه ﴿مدارج النبوة﴾ : ان من الجائز تأخير اجابة الدعاء من الله تعالى عن وقته المعين ، فان انجاز الدعاء كان مشروطاً بشرط ، ومعلقاً على اسباب وكان علمه محجوباً عن العبد ، ولا يجب على الله تعالى ان يظهر لعبده مامضى في علمه بجميع خصوصياته ولا ينافي ذلك صدق وعده ، فانه ربما يكون وقوع ماوعده في وقت معين معلقاً على اسباب استأثر سبحانه بعلمه ، وقضت الحكمة بستره وكتمانه . انتهى .

قلت : ان للدعاء تأثيراً فى الاجابة لامحالة ، لقوله تعالى : « بل اياه تدعون

فيكشف ماتدعون اليه » (١) وقوله : « ادعونى استجب لكم » (٢) ، وقوله : « امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء » (٣) ، ولقد اثر الدعاء في قوله تعالى: « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه . . » الآية (٤) ، وقوله تعالى : « أدخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطايا كم . . » الآية (٥) وقوله : في دعاء عيسى عليه السلام بنزول المائدة ، في قوله تعالى : « اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين . . » (٦) وفي دعاء زكريا ربه . في قوله تعالى : « رب لا تذرني فرداً وأنت خير الرازقين » (٧) وفي دعاء يونس في بطن الحوت ، بقوله : « لا إله إلا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين » (٨) .

دفع المناقشات فى المحو والاثبات

كيف يدعى من يصارم القرآن بأنه لا تأثير في الدعاء في رفع القدر ، قياسا للقضاء المعلق والتقدير على بعض الوجوه على القضاء المبرم والتقدير على جميع التقادير بيان ان الله تعالى ، قدر المقادير ، وقد جف القلم بما هو كائن ، وما يبدل القول لديه تعالى ، وهذا قياس باطل ، للفرق الواضح بين القضاء المنجز والقضاء المعلق وأن الله تعالى قدر كلا منهما بقدره ، ان كان مبرما فمبرما ، وان كان معلقا فمعلقا ومن ذلك القضاء الذي يزول بالدعاء ، ووجه الحكمة في الخلق والامر بيده ، فربما ينخرط ماليس بكائن في الكائن — بواسطة الدعاء — فتترتب عليه المصلحة من

(١) الانعام : ٤١ . (٢) المؤمن : ٦٠ . (٣) النمل : ٦٢ .
(٤) البقرة : ٣٧ . (٥) البقرة ٥٨ . (٦) المائدة : ١١٧ .
(٧) الانبياء : ٨٩ . (٨) الانبياء : ٨٧ .

جهة إجابة دعوة العبد ورفع البلاء عنه. وفي ﴿ الدر المنثور للسيوطي ج ٤ ص ٦٧ ﴾ ابن جرير عن قتادة في قوله تعالى: « يمحو الله مايشاء ويثبت » (١) قال: هي مثل قوله تعالى: « ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أومثلها.. » (٢) وقوله: وعنده أم الكتاب اي جملة الكتاب وأصله. انتهى.

ثم إنه لولا اختلاف وجه الحكمة والمصلحة، وعدم الجزاف في المقدرات الإلاهية حتى من صنعه وحكمه على مذهب الأشاعرة لما وقع الاختلاف والتخلف فلو أخبر تعالى بوقوع بعض الحوادث، من موت، او غرق، او حرق، او تعذيب، او مسخ كان له تعالى رفع ما اخبر به اذا وقع مقتضى الرفع من الدعاء والتضرع والتوبة والاستغفار، فالتعذيب في الدنيا لا بد له من سبب حادث، والعفو عنه كذلك يلزمه سبب آخر، فلا يوجد المعلول من الأمرين إلا بواسطة علته المؤثرة ولا يلزم خلاف المقدر لأن المقدر في علم الله هكذا، ألا ترى ان هلاك فرعون وقومه كان بدعاء موسى وهارون في قوله تعالى: « ربنا إطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلايؤمنوا حتى يرو العذاب الأليم، قال قد اجيبت دعوتكما.. » الآية(٣) وكذلك ماورد في قصة بلعم من قوله تعالى: « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان.. » الى قوله تعالى: « فمثله كمثل الكلب.. » الآية (٤) قوله: فانسلخ منها كاشف عن ان ثبوت تلك الآيات لبلعم بن باعور، ألم يكن أمراً مبرماً، فنزع الله منه الاسم الاعظم كما في التفسير؟ هذا كله مضافا الى ماصح عن النبي ﷺ أن الزنا يورث الفقر، وانه مامن قوم يظهر فيهم الزنا إلا اخذوا بالسنين، فالله تبارك وتعالى وان اعطى الوعيد والتهديد للعصاة والمردة، الا انه

(١) الرعد: ٤١. (٢) البقرة: ١٠٦. (٣) يونس: ٨٩.
(٤) الاعراف: ١٧٥.

برحمته الواسعة فتح لهم باب التوبة ، وباب الشفاعة في قوله تعالى : « ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » (١)

شبهة وازاحة

قد قيل او يقال : ان كلا من السعادة والشقاوة ان كان من الله كان واجب الوقوع ، وما كان واجب الوقوع لا يقع خلافه ، والا لزم التغيير في علمه تعالى ، فلا فائدة حينئذ في الدعاء ، وطلب السعادة من الله .

قلنا : فكما أن السعادة والشقاوة من الله تعالى كذلك تكون الهداية منه تعالى ، لقوله : « من يهد الله فهو المهتد .. » الآية (٢) وقوله : « من يُضلل الله فلا هادي له .. » الآية (٣) ، وقوله : « إنك لا تهدى من احببت ، ولكن الله يهدي ما يشاء .. » الآية (٤) فعند ذلك يصح للعبد الدعاء والتضرع وطلب السعادة في الدنيا والآخرة من الله تعالى ، وعلى الله أن يهديه سبيل الحق ، ويدله طريق النجاة ، كما فعل بالمؤمنين في جميع الأديان ، حتى قالوا : « الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق ، ونودوا أن تلكم الجنة أُورثتموها بما كنتم تعملون » (٥) دل قوله تعالى : بما كنتم تعملون ، على أن للأعمال الخيرية والطاعات والعبادات تأثيراً في الدخول في الجنة ، وهي سعادة الأبدية ، فعليه يقال : ان الاشكال متوجه لأن هذا الشخص ان كان سعيداً فلا حاجة له الى الأعمال الخيرية وان كان شقياً فلا فائدة في العبادة ، ويناقضه صريح

(١) النساء : ٦٣ . (٢) الاعراف : ١٧٧ . (٣) الاعراف : ١٨٥ .
(٤) القصص : ٥٦ . (٥) الاعراف : ٤٢ .

الآية الدالة على أن الطاعات توجب السعادة ، وان المعصية تبعدهم عن الرحمة ، وان الشفاعة تؤثر في المغفرة ، وعليك بالنظر في قوله تعالى : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » (١) وقوله تعالى : « فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون » (٢) وفي آية مسخ بني اسرائيل القردة ، من قوله تعالى : « فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم : كونوا قردة خاسئين » (٣) دلت الآية على البداء والتغير في المقدرات حتى بالنسبة الى السعادة والشقاوة ، وكذلك قوله تعالى : فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء ، وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون » (٤) .

ثم ان القول بعدم تأثير الدعاء في السعادة ، وكون شقاوة الشقي ذاتية ، وكذلك سعادة السعيد لازمه بطلان بعث الانبياء ، إذ لا فائدة في البعث مع الشقاء وهذا مصادم للقرآن من قوله تعالى : « كان الناس أمة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما إختلف فيه الا الذين آتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم، فهدى الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم » (٥) تضمنت الآية لوجه الحكمة في بعث الرسل ، وإنزال الكتب ، وهي البشارة ، والنذارة ، وتحصيل العلم والمعرفة التي بها تقوم الهداية « ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيي من حيَّ عن بينة .. » الآية (٦) وقال تعالى شأنه : « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » (٧) دلت على قابلية الضلالة

(١) الضحى : ٥ . (٢) الانعام : ٤٣ . (٣) الاعراف : ١٦٥ .
(٤) الاعراف : ١٦٤ . (٥) البقرة : ٢١٣ . (٦) الانفال : ٤٥ .
(٧) الجمعة : ٢ .

والشقاوة للرفع والتبدل بالهداية وتزكية النفس ومعرفة الكتاب والحكمة ، وقال فى رسول الله ﷺ : « انك لتهدى الى صراط مستقيم » (١) وقال تعالى : « إتبعوه لعلكم تهتدون » (٢) وقال : « قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون » (٣) وقال : « كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور . . » الآية (٤) وقال : « ويوم يعض الظالم على يديه ، يقول : ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ، ياويلتا !! ليتني لم اتخذ فلاناً خليلا ، لقد اضلني عن الذكر بعد إذ جائني وكان الشيطان للانسان خذولا » (٥) دلت الآية على تحتم السعادة والشقاوة للانسان ، وإن كلا منها يقبل التبدل بالآخر لحصول الموجب ، فالموجب للسعادة إتباع الرسول ، والموجب للشقاوة اتباع أخلاء السوء ، وكل من الموجبين تحت إختبار الانسان لنسبة الاتخاذ الى نفسه في صريح الآية ، ومن الموجب طلب الهداية من الله تعالى ، والسعي في مرضاته ، وإتباع هدى رسوله ، كما في قوله تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا . . » الآية (٦) .

كيف يظن الجاهل بامتناع تاثير الدعاء نظراً الى انه لا مؤثر في الوجود الا الله تعالى ، والحال ان الله هو الذي جعل الدعاء والتضرع مؤثراً في مصالح العباد وحث الناس على طلبها ، في قوله عز شأنه : « بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه . . » الآية (٧) ، وقوله تعالى : أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء.. » الآية (٨) ، وقوله : « وقال ربكم أدعوني استجب لكم .. » الآية (٩) وقوله: « واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعاني .. » الآية (١٠)

(١) الشورى : ٥٢ . (٢) الاعراف : ١٥٧ . (٣) الزمر : ٢٨ .
(٤) ابراهيم : ١ . (٥) الفرقان : ٢٧ . (٦) العنكبوت : ٦٩ .
(٧) الانعام : ٤١ . (٨) النمل : ٦٢ . (٩) المؤمن : ٦٠ .
(١٠) البقرة : ٨٦ .

والآيات فى ذلك كثيرة وإنكار تاثير الدعاء في مصلحة العبد إنكار لضرورة الكتاب والسنة ، قال الفخر الرازي فى (تفسيره ج ٢ ص ٤٣٠) : إنه يجوز ان يصير ماليس بمصلحة مصلحة بحسب سبق الدعاء . إنتهى .

القوم وتصحيح اعمال خلفائهم بالاجتهاد

ولنختم الكلام بما حكاه الفخر الرازي عن سليمان بن جرير الزبدي من أن أئمة الرفضة وضعوا مقالتين لشيعتهم من القول بالبداء ، والقول بالتقية الى آخر كلامه . وقد عرفت صحة مقالة الشيعة فى البداء والتقية ومع ذلك فحق لنا أن نقول : إن أئمة القوم وضعوا مقالة عجيبة على خلاف الكتاب والسنة من جواز العمل بالرأي ، والاعتماد على الظن مطلقاً ، وإن زاحمه النص ، وسموه إجتهاداً ، وأخرجوا له حديثاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، كما في (البخاري ، فى باب أجر الحاكم اذا إجتهد فاصاب أو أخطأ من كتاب الاعتصام) عن عمرو بن العاص ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : اذا حكم الحاكم فاجتهد ، ثم اصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ، ثم أخطأ فله أجر وزعموا أن الحديث عذر لهم مطلقاً — حتى في قبال النص — من كلام الله تعالى ، وكلام رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وصححوا بذلك كثيراً من اخطاء زعمائهم ، فبلغ التوسع في الاجتهاد منهم الى تقديم المفضول وهو ابو بكر على الأفضل وهو علي (ع) كما عليه المعتزلة في قبال ماسيأتيك من أنباء أفضلية علي (ع) — في الجزء الثاني — علي جميع الصحابة من جميع الوجوه .

ثم انهم وسعوا الاجتهاد ، فجوزوه لأبي بكر مع أنه لم يعرف المراد من الكلالة وقال : أقول فيها برأيي ، فان كان صواباً فمن الله ، وان كان خطأ فمني ومن

الشيطان . رواه عنه السيوطي فى ﴿ الدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٠ ﴾ ومثل هذا الاجتهاد يمكنه كل أحد ، ويقول بمثل مقالة أبي بكر .

ثم إنه كيف يوسع له الاجتهاد ، وهو الذي أقر على نفسه بأن له شيطاناً يعتريه كما في ﴿ الصواعق المحرقة ص٧ ﴾ .

وأوسع من ذلك اجتهاده في توليته خالد بن الوليد ، وسماه سيف الله وهو الذي نص عليه النبي صلى الله عليه وآله بقوله ثلاثاً : اللهم اني أبرء اليك من صنع خالد ، ثم بعثه الى قتال المسلمين المانعين لدفع الزكاة اليه وسماهم المرتدين ، ورد شهادة عمر وابنه عبدالله وأبي قتادة الأنصارى في انه كانوا مسلمين كما في ﴿ اسد الغابة في معرفة الصحابة ج ٢ ص ٢٩٥ ﴾ و ﴿ تاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٥٨ ﴾ و ﴿ فتوح البلدان للبلادري ﴾ و ﴿ الشرح لابن أبي الحديد ج ١ ص ٦٠ ﴾ ، ومع ذلك لم يجر أبو بكر الحد والقصاص على خالد الذي قتل مالك بن نويرة ، وقارب زوجته ليلة قتله كما في ﴿ تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٣٣ ﴾ و ﴿ أسد الغابة ﴾ و ﴿ الاصابة لابن حجر ج ١ ص ٤١٤ ﴾ و ﴿ الصواعق المحرقة ص ٢١ ﴾ ، وهذا اجتهاد موسع لأبي بكر حسبما نص عليه ابن حجر في ﴿ صواعقه ﴾ . كتوسعهم لعمر بالاجتهاد مع اعترافه بان كل الناس أفقه من عمر وأنه لولا معاذ لهلك عمر ، وقوله : لولا علي لهلك عمر كما فى أسانيدهم . فان قيل لهم : لماذا خالفت الصحابة ، وتخلفت عن جيش اسامة مع تصريح النبي صلى الله عليه وآله مكرراً حتى في مرضه ، بالخروج الى الجيش . أجابوا بان ذلك لتثاقلهم عن الخروج تحت راية اسامة ، وطعنهم في التأمير عليهم كما في ﴿ صحيح البخاري ﴾ في باب بعث النبي صلى الله عليه وآله اسامة بن زيد ، وأنه خرج النبي صلى الله عليه وآله مغضباً ، وقال : إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في امارة أبيه .

وإذا قيل لهم : بأي وجه صحيح ردّ عمر على النبي صلى الله عليه وآله بقوله : يهجر ! أوغلب

عليه الوجع حيث قال (ص) : إيتوني بدواة وكتف لأكتب لكم كتابا لن تضلوا أبدا ، فردوا عليه ، قائلين : اهجر إستفهوه !؟ وقال عمر : قد غلب عليه الوجع أو كلاماً يشبه مقالتهم ، قالوا ان عمر : قاله وقالوه أيضا : اشفاقاً للنبي ﷺ عن تعب الكتابة ، أو أن عمر خاف على الناس الفتنة وهذا هو الاجتهاد الخطائي الذي جوزوه في قبال النص التعبدي على وجوب إطاعة النبي (ص) وانه لا ينطق عن الهوى بل وادخلوا عليه ﷺ السخط والغضب بتنازعهم حتى قال لهم : قوموا عني .

واذا قيل لهم : كيف بادرت الصحابة من الانصار والمهاجرين الى التقية لتدبير الامارة ، والسلطة الزمنية ، وتركوا جثمان النبي (ص) وحضور جنازته ؟! قالوا : انهم اجتهدوا في أمر الخلافة خوفاً عن الفتنة ، والحال انهم بفعلهم أسسوا الفتنة وأوقعوا الفرقة ، اذ بايعوا أبا بكر من غير مشاورة ، ولذا قال عمر بن الخطاب : بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرها .

وان قيل : باي وجه مشروع كشفوا عن بيت فاطمة (ع) وأدخلوها الرجال ؟ وأبو بكر قد عرف خطائه في ذلك وتمنى في مرض موته ، قائلا : ليتني لم اكشف بيت فاطمة بنت رسول الله (ص) وأدخلته الرجال كما في ﴿ تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١١٥ ﴾ و﴿ الطبري ج ٤ ص ٥٢ ﴾ و ﴿ العقد الفريد باب خلافة أبي بكر واستخلافه لعمر ج ٣ ص ٦٩ ﴾ حتى صرح النظام المعتزلي القادح في علي (ع) بأن عمر ضرب بطن فاطمة (ع) يوم البيعة حتى ألقت محسنها من بطنها ، وكان يصيح أحرقوها بمن فيها ، وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين ، كما في ﴿ الملل والنحل المطبوع في هامش الفصل لابن حزم ج ١ ص ٦٥ ﴾ .

قالوا : ان ذلك اجتهاد من أبي بكر وعمر واجلاب لعلي (ع) حتى لا يقع الاختلاف ، والحال انه لايجوز القهر على البيعة الا بعد اتمام الحجة ، ولم تقم هناك حجة

على صحة خلافة أبي بكر، في قبال قول النبي ﷺ لعلي (ع) : حربك حربي ، وسلمك سلمي ، ومن عاداك عاداني ، وقوله (ص) : علي (ع) باب حطة ، من دخله كان مؤمنا ومن خرج عنه كان كافرا وهو من أحاديث ابن حجر المكي في ﴿ صواعقه ص ٧٦ و ٧٧ ﴾ ، وفيه عن النبي (ص) قال : عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب (ع) وفيه من الحديث ، علي مع الحق ، وعلي مع القرآن وقوله ﷺ في علي (ع) يوم الغدير : اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وقوله (ص) : علي وليكم بعدي .

وإن قيل لهم : إن أبا بكر بأى وجه مشروع أحرق الفجاة الأسلمي أيام خلافته بأن أمر فاوقد له النار في مصلى المدينة ، ثم رمى فيها وهو مقموط كما في ﴿ تاريخ الطبرى ﴾ ؟ !

أجابوا عن ذلك كما في ﴿ كتاب المواقف وشرح التجريد للقوشجي ﴾ بأن أبا بكر مجتهد ، وإحراقه الفجاة لاجتهاده وعدم قبول توبته ، وفيه انه اجتهاده في قبال النص الناهي عن الاحراق وانه لا يحرق بالنار الارب النار ، وفجاة الاسلمي على فرض كونه مفسداً يقتل أو يصلب ، لا أنه يحرق حياً .

وإذا قلنا لهم : كيف جاز لأبي بكر إنتزاع الفدك من فاطمة (ع) ؟ ! كما في ﴿ الصواعق المحرقة ﴾ ثم يطالب منها البينة على مافي يدها ، حاروا في الجواب ، وذلك لأن شرع الاسلام على ان البينة على المدعى واليمين على من أنكر ، وأبو بكر هو المدعي من قبل المسلمين بأن الانبياء لايورثون ، وان ما كان للنبي (ص) من طعمة ، فلوالي الامر من بعده يضعه كيف يشاء ، فعليه إقامة البينة لأعلى من كان المال تحت تصرفه . ونحو هذا الاجتهاد الخطأ الموسع من غير حجة ، إجتهاد أبي بكر في منع ذى القربى سهمهم من الخمس في قبال قوله تعالى : « واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله

خمسه وللرسول ولذى القربى .. » الآية (١) .

ثم ان القول بالاجتهاد بلغ بهم الحال ، الى أن أباحوا دم علي (ع) ، ففي ﴿ الامامة والسياسة ص ١٣ ﴾ أن عمر مشى ومعه جماعة الى باب فاطمة (ع) فهي لما سمعت أصواتهم ، نادت بأعلى صوتها : يا أبت يا رسول الله (ص) !! ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب ، وابن أبي قحافة ، فاخرجوا علياً ومضوا به الى أبي بكر ، وقالوا : بايع وإلا ضربنا عنقك ، وقال علي (ع) : إذاً تقتلون عبدالله ، وأخا رسوله ، قال عمر : أما عبدالله فنعم وأما أخو رسوله فلا !!! . فقال عمر لأبي بكر ، الا تأمرنا فيه بامرك ، فلحق علي (ع) بقبر رسول الله (ص) ، يصيح ويبكي وينادي : « يابن ام إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني .. » الآية (٢) هذا هو الاجتهاد الخطأ من غير روية ، في قبال النص الجلي في علي (ع) وفاطمة (ع) . إنتهى .

فاذا قيل : إن فاطمة (ع) ماتت وهي واجدة على أبي بكر وعمر كما في الصحيحين أجابوا بان مافعلاه مقتضى إجتهادهما ، والحال أن النصوص في صحاحهم مستفيضة على ان الله يرضى لرضا فاطمة ، ويغضب لغضب فاطمة (ع) وفي ﴿ صحيح البخاري ﴾ : فاطمة بضعة مني فمن اغضبها أغضبني . فكيف يجوز الاجتهاد والعمل بالظن فى قبال النص القطعي .

وان من اجتهاد عمر في قبال النص ، حكمه بضرب عنق من تخلف عن الشورى ، من الستة من العشرة المبشرة ، وقد قال النبي (ص) : لا ترجعوا بعدي كفارا ، يضرب بعضكم رقاب بعض ، وقال في حجة الوداع : ألا ان دمائكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة شهركم هذا .

---

(١) الانفال : ٤١ . (٢) الشعراء : ١٤٩ .

وان قيل لهم : ان عثمان فعل الأفاعيل الموحشة ، من حرقه المصاحف ، وضربه عماراً ، وابن مسعود ، وإخراجه أباذر الى الربذة وغيرها ، قالوا : إنه إجتهد ، والحال ان عماراً هو الذي مدح إيماناً من رأسه الى أخمص قدميه .

وفي الحديث المتفق عليه من الطرفين ، قوله (ص) : إهتدوا بهدى عمار ، وفي ﴿ المسند لأحمد ج ٤ ص ٩٠ ﴾ قال رسول الله (ص) : عادى الله من يعاد عماراً ، ومن يبغض عماراً أبغضه الله ، ومن يسبه عماراً يسبه الله ، وقال (ص) : في ابن مسعود ، رضيت لكم مارضى لكم ابن ام عبد ، رواه الحاكم في المستدرك وقال : هذا حديث صحيح الاسناد وابن ام عبد هو عبدالله بن مسعود ، وقال (ص) في أبي ذر ، ما أظلت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء ، على ذى لهجة أصدق من أبي ذر ، فكيف يجوز لعثمان الفتك ، بهؤلاء لولا الاجتهاد الموسع الغير المرضى ؟؟

ثم إن عايشة اجتهدت وأمرت بقتل عثمان ، وجاهرت بقولها : أقتلوا نعثلا فقد كفر ، كما في ﴿ الطبري ج ٥ ص ١٧٢ ﴾ و ﴿ ابن الأثير ج ٣ ص ٨٠ ﴾ ثم أنها تبرجت تبرج الجاهلية ، وخرجت على أمير المؤمنين (ع) وقتلت النفوس البريئة ، وكاجتهادها ، اجتهاد الزبير ، وطلحة ، واجتهاد الفرقة الباغية ، والفرقة المارقة ، وأفضح صور التأويل والاجتهاد ، تجويزهم خلافة يزيد بن معاوية وأعماله من قتل العترة النبوية ، وإباحة المدينة ، وقتل الصحابة ، وبقية أهل بدر وبيعة الشجرة .

وان ذلك كله كان بوصية من معاوية لولده يزيد ، ففى ﴿ الامامة والسياسة ص١٥٣ ﴾ كان معاوية قد أوصى يزيد ، وقال ان يريبك منهم يعني من أهل المدينة ريب ، أو انتقض عليك منهم أحد ، فعليك باعور بنى مرة مسلم بن عقبة . انتهى .

وذكر ابن الاثير في ﴿ التاريخ ج ٤ ص ٢٢٣ ﴾ أن الحجاج بن يوسف الثقفي ،

مر بخالد بن يزيد بن معاوية ، وقال له : أنا الذي ضربت بسيفي هذا مائة الف ، كلهم يشهدون أن أباك كان يشرب الخمر ويضمر الكفر . انتهى .

ثم من ان كافة اجتهادأهل السنة ، تبرئة ذمة معاوية ، وابن العاص ، وأبي العادية عن قتالهم الصحابة من البدريين ، والاحديين وأهل بيعة الرضوان ، وخالفوا صريح قول النبي ﷺ : فيهم وفي عمار ، ياعمار تقتلك الفئة الباغية !! ، قاتل عمار في النار . فلو قالت الشيعة : مثل مقالتهم من التأويل بلا حجة ، لردوا عليهم بمثل ماردنا عليهم سواء بسواء ، فما لهم لايفقهون ، وفي القرآن : « ولكن لا تحبون الناصحين » (١) وقال تعالى : « ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون » (٢) وقال : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون » (٣) وقال : « ولا يحيق المكر السيء الا بأهله .. » الآية (٤)

ومن توسع الاجتهاد للجماعة مصيرهم الى خلافة بني اميــة ، والحال انهم الشجرة الملعونة فى القرآن ، وأنهم اخوان القردة ، بنص من النبي (ص) وأبغض الاحياء الى رسول الله ﷺ ومروان بن الحكم هوالوزغ ابن الوزغ وأن حديث سفينة عن النبي (ص) الخلافة بعدى ثلاثون سنة ينفي عنهم الامامة ، فتبقى لهم الملوكية القهارة الجبارة ، وهذا التوسع في الاجتهاد إقتضى القول بخلافة كل باغٍ وطاغ من غير اختصاص باهل البيت (ع) أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، ولا تخصيص بالعدول من المؤمنين فضلا عن المعصومين (ع) بل ولاان يكون ممن اجتمعت عليه أهل الحل والعقد ، وإنما السلطة الجبارة عندهم كافية فى ثبوت الخلافة الالهية فلا يشترطون فى الامام ، والحجة القائم بالأمر أن يكون عالمًا ، عادلا ، ولذا صححوا

---

(١) الاعراف : ٧٨ . (٢) المائدة : ٤٧ .
(٣) المائدة : ٤٤ . (٤) فاطر : ٤٣ .

خلافة عبدالملك الهادم للكعبة والوليد الممزق للقرآن ، قال الله تعالى : « أفحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون » (١) .

قال العلامة الطباطبائي فى (منظومته) : —

فآل امرهم إلى يزيدا من حارب الكتاب والتوحيدا
بقتل سبط سيد الأنام وآله وحزبه الكرام
وهتك أهل البيت بعده فقد سباهم من بلد الى بلد
وهتكه الدين القويم جهرة بفعله الشنيع يوم الحرة
ومذ أراد الرجس هدم الكعبة قضى برغم الانف منه نحبه
وكفره مذ نعب الغراب بان ومنه انكشف الحجاب
وكيف لا يكفر من تمثلا فى لعبت هاشم بالملك فلا
ويحك !! هل هذا ولي الأمر من وجبت طاعته في الذكر
مقرونة بطاعة الله ومن قام بتبليغ الفروض والسنن
وكم تولى الامر غير اللائق من ملحد منافق وفاسق ؟!
فانظر الى وليدهم كيف اعترف بالكفر لما نصب الذكر هدف
يقول : قل : مزقني الوليد مستهزءاً فليخسأ العنيد
فلا ، وأيم الله !! لايليق من قام للفسوق فيه سوق
وقد كفانا حجة في الرد نص الكتاب «لاينال عهدي» (٢). انتهى

(١) المائدة : ٥٠ .

(٢) يقصد بقوله تعالى : (لاينال عهدي الظالمين) .

الجماعة واجتهادهم في الفروع

فمنها: — حكمهم بحرمة المتعة ، على خلاف تصريح القرآن ، في قوله تعالى : « فما إستمتعتم به منهن ، فآتوهن أجورهن .. » الآية (١) ، وعلى خلاف شهادة عمر بالحلّية ، في قوله : متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ ، وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما : متعة الحج ، ومتعة النساء . كما في ﴿ الدر المنثور للسيوطي ج ٨ ص ٢٩٣ ﴾ ، و ﴿ تفسير الفخر الرازي ج ٣ ص ١٩٥ ﴾ و ﴿ روح المعاني للسيد الآلوسي ﴾ في سورة النساء .

قد عرفت صراحة كلام عمر في تحريمه متعة الحج ، وهذا شرع يقابل شرع القرآن ، إذ يقول : « فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما إستيسر من الهدى ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام .. » الآية (٢) .

ومن شرع اهل السنة ، تبعا لسنة عمر جعلهم قول الزوج لزوجته أنت طالق ثلاثا ، بمنزلة التطليقات الثلاث ، فى تحريم الزوجة حتى تنكح زوجاً غيره .

وهذا مخالف للقرآن في قوله تعالى : « الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان » إلى قوله : « فلا تحل له بعد حتى تنكح زوجا غيره .. » الآية (٣) .

---

(١) النساء : ٢٤ . (٢) البقرة : ١٩٦ .
(٣) البقرة : ٢٢٩ .

الجماعة وقولهم بانسداد باب الاجتهاد

إن هذا حكم يناقضه القرآن ، في قوله تعالى : « فلولا نفر من كل فرقة فيهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » (١) دلت هذه الآية على الترغيب والتحضيض على وجوب النفر من أجل التفقه في الدين ، ثم رجوع النافرين الى الباقين ، ودعوتهم الى مسائل الدين ، ليعرفوا الحلال والحرام فالمراد من الآية وجوب النفر الى النبي ﷺ للتعلم والتفقه ، وهذا في زمانه ، ومن بعده يجب الخروج الى أوصيائه ونوابه ، وهذا تكليف ثابت في جميع أدوار التكليف .

ومما يدل على انفتاح باب العلم والاجتهاد قوله تعالى : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » (٢) اوجب الله تعالى رجوع الجاهل الى من هو من أهل الذكر وهو العارف بأحكام القرآن بالعلم واليقين ، ولو كان المراد مجرد معرفة الحكم من دون تقليد ، كأن يرجع الى مقلد مثله لم يكن للأمر بخصوص السؤال من أهل الذكر فائدة لأن الاطلاع على الحكم لا يختص به بل يحصل من غيره ، فكان اللازم أن يقال : فاسألوا ان كنتم لا تعلمون ، فقوله تعالى : « فأسألوا . . » الآية خطاب عام أمر الله تعالى كل من لم يعلم شيئاً من اصول الدين وفروعه الى يوم القيامة ، بالرجوع الى أهل الذكر والسؤال عنهم .

ومما يدل على بقاء الاجتهاد ، وصحة الرجوع الى المجتهدين في كل زمان ،

(١) التوبة : ١٢٢ .

(٢) النحل : ٤٣ .

قوله تعالى : « ولو ردّوه الى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم.. » الآية (١) وقوله تعالى : « بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم .. » الآية (٢) وقوله تعالى : « كونوا ربانيين بما تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون » (٣) وقوله تعالى : « والربانيون والأحبار بما إستحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء .. » الآية (٤) وقوله تعالى : « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون.. » الآية (٥) وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » (٦)

أبناء العامة وحصرهم المراجع في الاربعة

وذلك كمالك بن أنس ، وأبي حنيفة ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، فأوجبوا الرجوع اليهم في أحكامهم ، وحجتهم في ذلك ، الاجماع عليهم .

وحجتهم هذه داحضة ، لأن الاجماع عليهم — على فرض القبول — مسبوق بالرجوع الى غيرهم من العلماء من عهد الخلفاء الى زمانهم ، بل والاجماع على عدم إتباعهم بالخصوص في عهدهم ، بل يعدون فى عداد غيرهم من الفقهاء ، مضافاً الى ماقيل في حق كل واحد منهم من القوادح لسنا بصدد ذكرها ، والكتاب والسنة تضمنتا وجوب الرجوع الى كل عالم ديني — كما عرفت — فالحصر والاكراه عليه بدعة في الشريعة .

قال ابن تيمية في ﴿ منهاج السنة ج ٢ ص ٨٥ ﴾ : إن الحق عدم جعل الأئمة محصورين في عدد معين ، وذلك لقوله تعالى : « أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول

---

(١) النساء : ٨٢ . (٢) العنكبوت : ٤٩ . (٣) آل عمران : ٧٩ .
(٤) المائدة : ٤٧ . (٥) الزمر : ٩ . (٦) التوبة : ١٢٠ .

واولي الأمر منكم .. » الآية (١) ، ولم يوقتهم بعدد معين ، وهكذا النبي (ص) في الأحاديث الثابتة عنه المستفيضة ، لم يوقت ولاة الأمر في عدد معين .

وقال ايضا في ﴿ المنهاج ج ٢ ص ٩١ ﴾ : إن هؤلاء الأئمة لم يكونوا على عصر واحد ، بل أبو حنيفة توفي سنة خمسين ومائة ، ومالك سنة تسع وسبعين ومائة ، والشافعي سنة أربع ومائتين ، وأحمد بن حنبل سنة إحدى وأربعين ومائتين . وليس في هؤلاء من يقلد الآخر ، ولا من يأمر باتباع الناس له ، بل كل منهم يدعو الى متابعة الكتاب والسنة ، وإذا قال غيره قولا يخالف الكتاب والسنة عنده ، ردّه ولا يوجب على الناس تقليده ، وإتباع الناس لهم لم يحصل بمواطاة ، بل إتفق أن قوما إتبعوا هذا ، وقوما إتبعوا هذا ، كالحُجاج الذين طلبوا من يدلهم على الطريق فرأوا قوماً هذا دليلا خيراً فاتبعوه ، وكذلك آخرون .

وقال أيضاً فى ﴿ المنهاج ص ٩٢ ﴾ : إن أهل السنه لم يقل أحد منهم : إن إجماع الفقهاء حجة معصومة ، ولا قال : ان الحق منحصر فيها ، وان ماخرج عنها باطل ، بل اذا قال من ليس من اتباع الأئمة ، كسفيان الثوري ، والأوزاعي ، والليث بن سعيد ، ومن قبلهم ومن بعدهم من المجتهدين قولا يخالف قول الأئمة الأربعة ردّ ماتنازعوا فيه الى الله تعالى والى رسوله ، وكان القول الراجح هو الذي قام عليه الدليل ... الى أن قال : إن المجتهدين يتنازعون في فهم كلام رسول الله ﷺ لغرض حفظ الدين حتى يكونوا كما وصفهم الله « يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر » وليس العلماء بأكثر من الانبياء ، وقد قال الله تعالى : « وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم ، وكنا لحكمهم شاهدين ، ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلماً » (٢) .

(١) النساء : ٥٩ . (٢) الانبياء : ٧٨ .

وقال ابن القيم في ﴿ أعلام الموقعين ص ٢٤٤ ﴾ : اجتهد الصحابة في زمن النبي ﷺ في كثير من الأحكام ولم يعنفهم رسول الله ﷺ كما أمرهم يوم الاحزاب أن يصلّوا العصر في بني قريظة ، فاجتهد بعضهم وصلاها في الطريق ، وقال : لم يرد منا التأخير ، وإنما أراد سرعة ، وإجتهد آخرون ، وأخروها الى بني قريظة ، فصلُّوها ليلا . إنتهى .

قلت : ذلك كله دليل على صحة الاجتهاد ، وحرية المجتهدين في آرائهم المستخرجة من الكتاب والسنة ، وإن إيجاب الرجوع الى واحد من الأربع شرع لغير الله تعالى ، بل يجوز للمسلم تقليد من وافق قوله من هؤلاء لقول الله ولقول رسوله ﷺ ويرجع اليه كذلك يجوز تقليد غيرهم إذا وافق قوله الكتاب والسنة ، والمناقشة في طريق الاستفادة ، وفي صحة إسناد الرواية جهة مشتركة بين جميع المذاهب حتى المذاهب الأربعة .

ولقد أجاد فيما أفاد العلامة الطباطبائي في المبحث نظماً قائلا : —

وانتم خالفتم أبا الحسن ... وآله بعد النبي المؤتمن
وما أخذتم منهم وعنهم ... بل إتبعتم من هم دونهم ؟!
حتى إنتهى الأمر الى التقليد في ... شرائع الدين القويم الحنفي
قلدتم النعمان أو محمداً ... أو مالك بن أنس وأحمدا
فهل أتى الذكر به ، أو أوصى ... به النبي أو وجدتم نصاً ؟!
قيل : فتحتم باب الاجتهاد ... في الدين من بعد النبي الهادي
لكي تنالوا منه ماقد نلتم ... وتعملوا في الدين مافعلتم
حتى رأيتم بلغ السيل الزُبى ... جعلتم التقليد فيه مذهبا
وقد بنيتم في الجنان غرفاً ... لما خلا شيعة آل المصطفى

ففرقة هالكة والباقية لهم قصور في الجنان عالية
لقد نطقتم بعكس ما نطق به النبي في حديث قد سبق
فمذهب الصادق خير مذهب وهو بيت الله أولى بالنبي

أهل السنة ورأيهم في القرآن

قالت الأشعرية — وهم اليوم من أهل السنة جميعهم — : إن كلام الله تعالى صفة ذات كباقي أوصافه الذاتية من العلم والقدرة ، فهو غير حادث ، ولا مخلوق ، وواحد غير متكثر ، ولا بعلم ولا إرادة فليس لله تعالى إلا كلام واحد قديم قائم بنفسه المقدسة .

وقالت الامامية : إن كلام الله تعالى فعل كالخلق والصنع والابداع والرزق ومعنى قوله تعالى : « وكلم الله موسى تكليما » (١) أنه أحدثه كما أن معنى قوله : « خالق كل شيء » (٢) هو خلقه وصنعه من غير أن يلزم قيام الحادث بالقديم ، وإنما اللازم قيام الخلق بالمخلوق ، وقيام الحدوث بالحادث لا المحدَث ، وهم في مذهبهم هذا تابعوا أئمتهم الطاهرين ، قال أمير المؤمنين (ع) في وصفه القرآن الذي هو كلامه تعالى : جعله الله ريّاً لعطش العلماء ، وربيعاً لقلوب الفقهاء ، ومحاجاً لطرق الصلحاء ودواء ليس بعده داء ، ونوراً ليس معه ظلمة ، وحبلا وثيقاً عروته ، وهدى لمن إئتم به ، وبرهاناً لمن تكلم به ، وشاهداً لمن خاصم به ، وفلجاً لمن حاجّ به ، وآية لمن توسم ، وجنة لمن إستلام ، وعلماً لمن وعى ، وحديثاً لمن روى ، وحكماً لمن قضي . انتهى (٣) . وصف (عليه السلام) القرآن بأوصاف تدل على حدوثه وانه

(١) النساء : ١٦٣ . (٢) النساء : ١٠٢ . (٣) عن نهج البلاغة .

عبارة عن الألفاظ المسموعة ، أو المكتوبة المنتظمة بنظم حروف الهجاء الموجب لفصاحته وبلاغته ، وإنه الهادي والحجة والبرهان والآية للمتوسّم (١) ، وكل ذلك من لوازم كلام الله الحادث المركب من الحروف والأصوات القارعة للاسماع دون القديم الغير المعلوم بحسب المفهوم .

قوله : وحديثاً لمن روى ، قال ابن أبي الحديد في (الشرح ج ٢ ص ٥٦٨) : قد سماه الله تعالى حديثا ، فقال : « الله نزّل احسن الحديث ، كتاباً متشابهاً .. » الآية (٢) ، واصحابنا يحتجون بها على أن القرآن ليس بقديم ، لأن الحديث ضد القديم ، وليس للمخالف أن يقول : ليس المراد بقوله : « أحسن الحديث » ماذكرتم ، بل المراد أحسن القول وأحسن الكلام ، لأن العرب تسمى الكلام والقول حديثاً ، لأنا نقول : لعمرى أنه هكذا ، ولكن العرب ماسمعت القول والكلام حديثا ، إلا أنه مستحدث متجدد حالا فحالا ، ألا ترى الى قول عمرو لمعاوية : قد مللت كل شيء الا الحديث ، فقال : إنما يمل العتيق ، فدل ذلك على انه فهم معنى تسميتهم الكلام والقول حديثا وفطن لمغزاهم ومقصدهم في هذه التسمية ، وإذا كنا قد كلفنا أن نجرى على ذاته ، وصفاته ، وأفعاله ما اجراه سبحانه في كتابه ، و نطلق ماطلقه على سبيل الوضع والكيفية التي اطلقها ، وكان قد وصف كلامه بانه حديث ، وكان القرآن في عرف اللغة انما سمي حديثاً لحدوثه وتجدده ، فقد ساغ لنا أن نطلق على كلامه أنه محدث ومتجدد ، وهذا هو المقصود . انتهى .

قلت : ويدل على حدوث كلامه تعالى ، مافى القرآن من تسميته وحياً ، وحديثاً ، وحكاية ، وقصصاً ، وكتاباً ، وكلمات ، وتكليماً ، قال الله تعالى:

(١) أي المتفرس فيه .

(٢) العنكبوت : ٢٣ .

« فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون » (١) وقال : « ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون » (٢) وقال تعالى : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب . ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه .. » الآية(٣) وقال تعالى : « نحن نقص عليك احسن القصص بما أوحينا اليك . . » الآية (٤) وقال تعالى : « وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ماالكتاب .. » الآية (٥) وقال تعالى : « وكذلك أوحينا اليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها .. » الآية (٦) دلت هذه الآية على ان القرآن هو وحيه الذي هو كلامه العربي حقيقة لامجازاً ، وقال تعالى : « نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون . » الآية (٧) وقال تعالى : « وكلانقص عليك من انباء الرسل مانثبت فؤادك . . » الآية (٨) وقال تعالى : « وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه مايشاء .. » الآية (٩) وقال تعالى : « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا .. » الآية (١٠) وقال تعالى : « وإذا إبتلي ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن . » الآية (١١) وقال تعالى : « انه لقرآن كريم ، في كتاب مكنون ، لايمسه الا المطهرون » (١٢) دلت الآيات على ان القرآن الذي أتى به الرسول (ص) وكلمنا به ، هو كتابه تعالى ، ووحيه الى نبيه ﷺ فالقرآن الموحى اليه هو كلام الله وقد سماه وحياً وتكليما ، في قوله تعالى : « وكلم الله موسى تكليما » (١٣) وبهذا وقع التفضيل ، في قوله تعالى : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله .. » الآية (١٤) ومن المعلوم ان هذا التكلم إنما كان على وجه المتعارف

---

(١) الجاثية : ٥ (٢) الانبياء : ٢ . (٣) يوسف : ١١١ .
(٤) يوسف : ٣ . (٥) الشورى : ٥٢ . (٦) الشورى : ٧ .
(٧) القصص : ٣ . (٨) هود : ١٢٠ . (٩) الشورى : ٥١ .
(١٠) الانعام : ١١٥ . (١١) البقرة : ١٢٤ . (١٢) الواقعة : ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ .
(١٣) النساء : ١٦٣ . (١٤) البقرة : ٢٥٣ .

المألوف المركب من الاصوات والحروف ، حتى فهمه كل من كان مع موسى (ع) في الميقات ، فعند ذلك سألوا أن يريهم الله جهرة ، والا فالاطلاع على الصفة القائمة بالذات لايسمى تكلماً ، و بقيامها بالذات لا يكون كلاماً ، بل كلامه تعالى بوجوده المدلولي لتلك الحروف ، كما في قول الشاعر :

ان الكلام لفى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

أمر حادث مرتب طبق ترتيب الحروف ، في قولك : زيد قائم . وأما علمه تعالى بتلك المداليل الخبرية أو الانشائية ، فهو وان كان قديما ، غير ان الاشعرى مصرح بان كلامه تعالى بوجوده العلمى شيء آخر وراء كلامه ، وانه مغاير للعلم والارادة ، وبذلك اثبت الكلام النفسى واحتجً على انه غير العلم ، بان اللفظ الخبرى قد ينفك عن العلم ، فيخبر الرجل عما لايعلمه أو يعلم خلافه ، وعلى انه غير الارادة بانه قد يأمر الانسان مالا يريده اصلا ، كما فى الامر الامتحاني . والذي يتوجه على الاشعري انه إن اراد بقوله : تصوير إنفكاك الضمير عن العلم اليقيني ، وإحالة معقول عنده الى أمر معقول . فنقول : ان المعقول المتصور في حق الله تعالى من الصفة في القضايا الخبريه والانشائية هو العلم والارادة ، ووراء ذلك ليس الا الإحالة الى المجهول ، إذ انه يرجع الى قولك : ان لله تعالى صفة لا ندركها بعقولنا ، ومثل هذا نسميه كلاماً لله تعالى . وأما مسألة خلو الكلام اللفظي عن العلم اليقيني التصديقى ، فهو كذلك فينا ، وأما خلوه عن المنقدح الذهنى فلا ، حتى في ما أخبر المخبر كذبا وأما القضية الانشائية الآمرة أو الناهية عن الارادة الباعثة أو الزاجرة فلا يكون كذلك ، وإنما المنشأ باللفظ هو الطلب وان كان بداعي الاختبار ولولا إنشاء المولى الطلب المدلولى لما حصل الامتحان .

ماذكره الفخر الرازي في ﴿ تفسيره ج ٤ ص ٨٥ ﴾ ناسباً الى الحنابلة والحشوية من ان الكلام المركب من الحروف والاصوات قديم ، قال الفخر : وهذا القول

أخسُّ الاقوال ، ولا يلتفت اليه العاقل لان هذه الكلمات المسموعة المفهومة انما تكون مفهومة إذا كانت حروفها متوالية ، وبالضرورة تكون حادثة لان الحروف اذا كانت متوالية فعند مجيء الثاني ينقضي الاول . فالاول حادث لان كل ماثبت عدمه إمتنع قدمه ، والثاني حادث ، لان كل ما كان وجوده متأخراً عن وجود غيره فهو حادث ، فثبت انه بتقدير أن يكون كلام الله عبارة عن مجرد الحروف والاصوات فهو محدث . انتهى .

قال ابن حزم الأندلسي في كتابه « الفصل في الملل والنحل ج ٣ ص ٥ » : وقال قوم في اللفظ بالقرآن ونسبوا الى أهل السنة انهم يقولون : انالصوت غير مخلوق، والخط غير مخلوق ، قال أبو محمد : وهذا باطل وماقال قط مسلم : ان الصوت الذي هو الهواء غير مخلوق وان الخط غير مخلوق. انتهى .

وقال في « ص ٦ » : وأما الصوت فهو الهواء المندفع من الحلق الى آذان السامعين ، وحروف الهجاء والهواء ، والهواء وحروف الهجاء مخلوق بلا خلاف ، قال الله تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم .. » الآية (١) وقال عز وجل : « بلسان عربي مبين .. » الآية (٢) ، ولسان العربي ولسان كل قوم هي لغتهم ، واللسان واللغات كل ذلك مخلوق بلا شك . قال : وأما المصحف فانما هو ورق وجلد مركب منهما ومن مداد ، وكل ذلك مخلوق ، وكذلك حركة اليد في خطه ، وحركة اللسان في قراءته ، واستقرار كل ذلك في النفوس ، هذه كلها أعراض مخلوقة ، قال : وأما علم الله تعالى ، فلم يزل وهو كلام الله تعالى ، وهو القرآن وهو مخلوق ، وليس هو غير الله تعالى أصلا ، ومن قال : إن شيئاً غير الله تعالى لم يزل مع الله عز وجل ، فقد جعل لله عز وجل شريكاً ، ونقول : إن لله تعالى كلاماً حقيقة ، وإنه كلم موسى تكليماً حقيقة لا مجازاً ، ومن قال : إن الله

(١) ابراهيم : ٤ . (٢) الشعراء : ١٩٥ .

مكلم موسى لم ننكره ، لانه يخبر عن فعله تعالى الذى لم يكن ثم كان . إنتهى .

قال شيخ الأشاعرة الفخر الرازى في ﴿ التفسير ج ٤ ص ٤٠٢ ﴾ :والجواب أن نقول:هذا الذي نسمعه ليس عين كلام الله على مذهبكم ، لان كلامه هي الحروف التي خلقها أولا وقد انقضت وهذا المسموع هو من فعل الانسان . انتهى . ويرده أن ذلك خلاف لقوله بالكلام النفسي ، وإعتراف بأن كلام الله تعالى هي الحروف التي خلقها ، وهذا تناقض في المذهب ، ومع الاقرار بأن الحادث من كلامه تعالى هو اللفظي لاوجه المصير الى القول بكلام قديم لم يزل مع الله تعالى ، ولا طريق الى تعقله فضلا باثباته ، مضافاً الى أن القرآن على خلافه ، إذ يقول : « وإن أحد من المشركين إستجارك ، فأجره حتى يسمع كلام الله . . » الآية (١) وقال تعالى : « وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه من بعد ماعقلوه . . » الآية(٢) دل على أن المسموع من النبي ﷺ وهو الصوت الملفوظ هو القرآن ، وهو كلام الله المتلو ، والمقروء في قوله تعالى : « فاقرأوا ماتيسر من القرآن . . » الآية (٣) وقوله تعالى : « . . حتى تأتيهم البينة ، رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة ، فيها كتب قيـمة » (٤) فالصحف والكتب السماوية هي كلمات الله البينة ، قال تعالى: «انه لقرآن كريم ، في كتاب مكنون ، لايمسه إلا المطهرون ، تنزيل من رب العالمين » (٥) فدعوى الفخر الرازي أن المقروء ، والمتلو ، والمسموع ، والمكتوب ، والمحرّف ، والمحفوظ في الصدور ليس من القرآن ، فقد عاند القرآن فيها .

قال ابن حزم الأندلسي في ﴿ كتاب الفصل ج ٣ ص ٦ ﴾: وقالت أيضا هذه الطائفة المنتمية الى الأشعرية:إن كلام الله تعالى لم ينزل به جبرئيل — عليه السلام — على قلب محمد ﷺ ، وإنما نزل عليه بشيء آخر هو عبارة عن كلام الله تعالى ،

---

(١) التوبة : ٧ . (٢) البقرة : ٧٥ . (٣) المزمل : ٢٠ .
(٤) البينة : ١ و ٢ و ٣ . (٥) الواقعة : ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ .

وإن الذي نقرأ فى المصاحف ويُكتب فيها ، ليس شيء منها كلام الله ، وإن كلام الله تعالى لايزايل الباري ، ولا يقوم بغيره ، ولا يحل في الأماكن ، ولا ينتقل، ولا هو حروف موصلة ولا بعضه خير من بعض ، ولا أفضل ، ولا أعظم من بعض .. الخ .

قال أبو محمد : وهذا كفر مجرد بلا تأويل ، وذلك أننا نسألهم عن القرآن أهو كلام الله أم لا ؟ ! فان قالوا : ليس هو كلام الله ، سألناهم عن القرآن ، أهو الذي يتلى في المساجد ، ويكتب في المصاحف ، ويحفظ في الصدور أم لا ؟ ! فان قالوا : لا ! كفروا باجماع الأمة ، وإن قالوا : نعم ! تركوا قولهم الفاسد ، وأقرّوا أن كلام الله في المصاحف ، ومسموع من القراء ، ومحفوظ في الصدور ، كما يقول جميع أهل الاسلام . انتهى .

وقال في ﴿ الجزء الرابع من الفصل ص ٢٠٧ ﴾ :وكان لشيخهم الأشعري قول آخر فى إعجاز القرآن ، وهو أن المعجز هو الذي لم يفارق الله عز وجل قط ، ولم يزل غير مخلوق ، ولا سمعناه قط ، ولاسمعه جبرئيل ، ولا محمد — عليهما السلام — قط ، وإن الذي نقرأ في المصاحف ونسمعه ليس معجزاً ، بل مقدور على مثله ، وهذا كفر صريح وخلاف لله تعالى ، ولجميع أهل الاسلام .

وقال في ﴿ ج ٤ ص ٢١١ ﴾ : إنه قالت الأشاعرة كلهم : إن القرآن لم ينزل به جبرئيل قط على قلب محمد ﷺ وإنما نزل عليه بشيء آخر هو عبارة عن كلام الله ، وإن القرآن ليس عندنا البتة ، إلا على هذا المجاز ، وإن الذي نرى في المصاحف ، ونسمع من القراء ، ونقرأ فى الصلاة ، وتُحفظ في الصدور ليس هو القرآن البتة ، ولا شيء منه كلام الله البتة ، بل شيء آخر ، وإن كلام الله لايفارق ذات الله عز وجل . إنتهى .

قال : وقال السمناني : إن الباقلاني وشيوخه قالوا : إن النبي ﷺ إنما

أطلق القول بأن ما أنزل الله هو القرآن ، وهو كلام الله على معنى أنه عبارة عن كلام الله ، وأنه يفهم منه أمره ونهيه فقط .

قال أبو محمد بن حزم : وهذا من اعظم الكفر ، لأن الله تعالى قال : « بل هو قرآن مجيد ، فى لوح محفوظ » (١) وقال : « نزل به الروح الأمين على قلبك . » الآية (٢) وقال : « فأجره حتى يسمع كلام الله.. » الخ (٣).

وقال في (ص ٢١٢) : فثبت أن ليس هو القرآن ، ولا هو كلام الله ، الا العبارة المسموعة ، والكلام المقروء ، والخط المكتوب فى المصحف بلا شك ، إذ لم يبق غير ذلك ، أو الكفر وتكذيب الله تعالى ، وتكذيب رسول الله ﷺ فى أن القرآن انزل عليه ، واننا نسمع كلام الله .

أقول : بل يسمعه المؤمن والكافر والانس والجن ، كما في قوله تعالى : « وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله .. » الآية (٤) وقوله تعالى : « قل اوحي إليَّ أنه استمع نفر من الجن ، فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدي الى الرشد . . » الآية (٥) فعبر عن المسموع بأنه القرآن ، وعن القرآن بأنه كلام الله تعالى ، ثم انه تعالى وصف القرآن الذي هو كلامه بقوله : تنزيلا ، ومنزلا في قوله تعالى : « تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ، إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق . . » الآية (٦) وقوله : « حم ، تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم » (٧) وقوله تعالى: « إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا » (٨) وقوله تعالى : « وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الامين » (٩) وقوله : « تنزيل من حكيم حميد » (١٠) وقوله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » (١١) وقوله تعالى : « وبالحق

(١) البروج : ٢١ و ٢٢ . (٢) الشعراء : ١٩٣ . (٣) التوبة : ٧ .
(٤) التوبة : ٧ . (٥) الجن : ١ و ٢ . (٦) الزمر : ١ و٢ .
(٧) غافر : ١ و ٢ . (٨) الدهر : ٢٣ . (٩) الشعراء : ١٩٢ و ١٩٣
(١٠) فصلت : ٤٢ . (١١) الحجر : ٩ .

أنزلناه وبالحق نزل ..» الآية (١)، وقوله تعالى: «إنا أنزلناه في ليلة مباركة ..» الآية (٢) وقوله تعالى: «إنا أنزلناه في ليلة القدر» (٣) فلو كان كلامه تعالى المعبر عنه بالقرآن قديماً بقدم الله كعلمه وقدرته، لم يقبل الانفصال والنزول والتجاوز عنه تعالى. وقول الفخر الرازي في (التفسير ج ٧ ص ٣٣٤): ان وصف القرآن بكونه تنزيلا ومنزلا، انما هو بالنسبة الى الحروف والكلمات، وهي عندنا محدثة مخلوقة، مردود بأنه هل القرآن الذي هو كلام الله تعالى الا عبارة عن هذه الألفاظ المنتقلة من حال الى حال؟ حسبما وصفه الله تعالى به في كلامه المحمول على حقيقته، اذ قال سبحانه: «وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه..» الآية (٤) ثم إن كلامه تعالى مشتمل على الأمر والنهي، وذلك التكليف حادث بحدوث المكلف كما في قوله تعالى مخاطبا لموسى (ع): «اخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى» (٥) وقوله تعالى: «فلما اتاها نودي ياموسى! إني أنا ربك ..» الآية (٦) وبالضرورة ان خطابه تعالى لو كان قديماً لكان مخاطباً لموسى قبل وجوده، وذلك سفه محض، ونحوه قوله تعالى. لابراهيم (ع): «فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك، ثم إجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً» (٧) فان هذه الاوامر توجه من الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام عند قوله: «رب أرني كيف تحيي الموتى ..» (٨) فأراد الله بذلك إطمئنان خاطره، فالجواب حادث بالضرورة عند حدوث السؤال، كما إن قوله تعالى: فلما أتاها نودي ياموسى! مشتمل على ترتب النداء على إتيان موسى (ع) كترتب الجزاء على شرط حادث ومعلوم أن هذا النداء كان بخلق الحروف والاصوات.

---

(١) أسرى: ١٠٥. (٢) الدخان: ٣. (٣) القدر: ١.
(٤) الشورى: ٥١. (٥) طه: ١٢ و ١٣. (٦) طه: ١١ و ١٢.
(٧) البقرة: ٢٦٠. (٨) البقرة: ٢٦٠.

الاشاعرة واستدلالاتهم الباطلة

أحدها : — قول الفخر الرازي وغيره : ان كلامه تعالى ، وان كان قديما ، إلا أنه في الأزل لم يكن أمراً ولا نهياً ، ولا اخباراً ولا انشاء ، فان هذه كلها من لوازم الكلام اللفظي المركب من الحروف والاصوات ، دون الكلام النفسي القائم بذات الباري تعالى وأنه واحد لا تعدد ولا تركب فيه ، كباقي أوصافه ، من العلم ، والقدرة ، والوجود ، والحياة ، فكما أن قدرته تعالى واحـدة تتعلق بمقدورات متعددة في الخارج ، كذلك كلامه صفة واحدة ، تنقسم باعتبار المتعلق والمتوجه الى الاشخاص الى الأمر والنهي والاخبار والانشاء ، وذلك لاسفه فيه . انتهى .

ويردُ عليه أن السفه حاصل ، نظراً الى أن حقيقة التكليف الذي هو توجيه الطلب الحقيقي نحو المكلف يبقى بلا مورد ، إذ لا أمر ولا مأمور ، ولا إنشاء ولا اخبار ، فما الذي يريـده الله تعالى وما المنقدح في نفسه المقدسة من قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أقيموا الصلاة ٠٠ » الآية ، وقوله : « اوفوا بالعقود .. » الآية (١) وقوله : « إجتنبوا الرجس من الأوثان . . » الآية (٢) وقوله : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل . . » الآية (٣) وقوله : « لا تقتلوا النفس التي حرم الله .. » الآية(٤) وكذلك من قوله تعالى : « إنا أرسلنا نوحاً .. » او « اوحينا الى ابراهيم .. » أو « إنا اهلكنا القرون الاولى .. » أو « وكم أهلكنا من القرون .. » الى غيرها من الآيات المشتملة على حكايات وقصص الأمم الماضية ، ولازم القول بالكلام النفسي الأزلي ان لا يكون مافي القرآن من الألفاظ كواشف

(١) المائدة : ١ .
(٢) الحج : ٣٠ .
(٣) البقرة : ١٨٨ .
(٤) اسرى : ٣٣ .

عنه ، وأن يكون اخباره تعالى وقــع في الماضي اخباراً عما يقع في المستقبل ، وفي ذلك إنفكاك لعلمه تعالى عن معلومه .

قال فضل بن روزبهان في كتابه (ابطال الباطل) : ان الـكلام النفسي هو المعنى القائم بذات الله تعالى في الازل ، ولا تلفظ للـكلام ، بل هو لجماعة سيحدثون ويكون التلفظ به بعد حدوثهم وحدوث أفعالهم التي تقتضي الأمر والنهي والاخبار والاستفهام ، فلا سفه ولا حماقة.

ويتوجه عليه انه أيّ سفه أعظم من إيراد كـلام لفظي بنحو التنجيز ولا مدلول له إلا الكلام النفسي الثابت بنحو التعليق ؟ ! فيبقى في حقه تعالى مدلول من غير دالّ أو دالّ بلا مدلول ، وهــذا شيء لا تساعد عليه القواعد الـكلامية لدى المحاورة والخطابات الشرعية أيضا ، والقول بكون هذه الخطابات تنجيزية في حق من وجد ، ومعلقة على وجود من يوجد ، يلزمه كون الكلام النفسي المدلولي أيضاً كذلك ، طبقاً للدال عليه ، لا كون المدلول أزلا تعليقيا ، والدال عليه في زمن الخطابات تنجيزيا على خلاف أهل العقول ، من متكلمي بني آدم ، وهذا اقوى برهان على ان الـكلام النفسي ما يقوله الأشعري غــير متصور اصلا وأن المعقول الموجود في النفس هو العلم التصوري أو التصديقي المتعلق شيء ثابت موجود أو شيء سيوجد ، وهــذا هو الصحيح من المعنى القائم بالنفس المساوية فيه القضايا الانشائية والخبرية ، والا فلازم كـلام الأشعري كون إخباره بما وقع متخلفا عن واقعه ، ويكون اخباراً بما لم يقع وهذا من الـكذب القبيح على الله تعالى .

ثم اننا وإن كنا لا ننكر الامر المعلق على وجود المـكلف أو على شيء آخر لـكن هذا النحو من الأمر أيضاً ثابت بالخطاب اللفظي من الموالي ، ويكون مدلوله أيضا طلبا تعليقيا من غــير انفكاك ، كالامر التنجيزي ، ولازم القول بالـكلام النفسي انه ليس في نفسه تعالى امر ولا نهي لا تنجيزي ولا تعليقي ، وإنما ذلك

من أوصاف الكلام اللفظي ، وهذا يناقض قولهم : ان الكلام النفسي هو مدلول الكلام اللفظي المركب من الحروف كما في ﴿ شرح التجريد للقوشجي ﴾ ومثل ذلك في كتاب ﴿ ابطال الباطل ﴾ لفضل بن روزبهان بأنه اذا أراد المتكلم الكلام ، فهل يفهم من ذاته أنه يزور ويرتب المعاني فيعزم على التكلم بها ، كما أن من أرادالدخول على السلطان أو العالم ، فانه يترتب في نفسه معاني أو اشياء ، يقول في نفسه : سأتكلم بهذا ، فالمنصف يجد من نفسه هذا فهذا هو الكلام النفسي . انتهى .

أقول : إن الانصاف قاض بأن ترتب المعنى في النفس وتزويره طبق اللفظ يقتضي حدوثه وتركبه طبق مايُحكى عنه ، أمراً كان أو نهياً زوّره في النفس منجزاً أو معلقاً ولولاه لم يكن مدلولا مطابقياً ، وإن هذا الا التناقض في القول ؟! .

وثانيها — : قولهم : ان لله تعالى كلاماً واحداً غير متكثر .

قال ابن حزم في كتاب ﴿ الفصل ج ٣ ص ٥ ﴾ : وأما قول الاشعرية : ليس لله تعالى الا كلام واحد ، فخلاف مجرد لله تعالى ، وأهل الاسلام ، لأن الله عزوجل يقول : « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي . . » الآية (١) ويقول تعالى : « ولو أن مافي الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله . . » الآية (٢) قال أبو محمد : ولا ضلال أضل ، ولا احياء اعدم ، ولا مجاهرة أطم ، ولا تكذيب لله أعظم ممن سمع هذ الكلام الذى لايشك مسلم انه خبر الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه بان لله كلمات لاتنفد ، ثم يقول هو من رأيه الخسيس انه ليس لله تعالى إلا كلام واحد .

وقال فى ﴿ الجزء الرابع من الفصل ص ٢١٠ ﴾ : وقالوا كلهم : ان الله تعالى ليس له الا كلام واحد وليس له كلمات كثيرة . قال ابو محمد : وهذا كفر مجرد ،

---

(١) الكهف : ١١٠ . (٢) لقمان : ٢٧ .

لخلافه القرآن وتكذيب لله عز وجل ، في قوله : « لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً . . » الآية واذ يقول : « ولوان مافي الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله . . » الآية، مع ان قولهم : ليس لله تعالى الا كلام واحد ، قول أحمق لايعقل ولا يقوم به برهان شرعي ، ولا يوجبه عقل ، إنما هو هذيان محض ، ويقال لهم : لايخلو القرآن عندهم من انه كلام الله تعالى ، أوليس هو كلام الله عز وجل ؟ ! فان قالوا : ليس هو كلام الله تعالى ، كفروا من قرب ، وكفى الله مؤنتهم ، وان قالوا : هو كلام الله تعالى ، فالقرآن مائة وأربعة عشر سورة ، فيها ستة آلاف آية ونيف ، كل سورة منها عند أهل الاسلام غير الاخرى ، وكل آية غير الأخرى ، فكيف يقول هؤلاء أنه : ليس لله تعالى الا كلام واحد ؟ ! أما هذا من الكفر البارد ، والقحة السمجة ، ونعوذ بالله من الضلال . انتهى .

وثالثها : — احتجاج الأشعري على قدم كلام الله تعالى ، بقوله تعالى : « ألا له الخلق ، والأمر ، تبارك الله رب العالمين » (١) ، فان الله ميز بين الخلق والأمر ، ولو كان الأمر مخلوقاً لما صح هذا التمييز ، ويرده : أن المراد من الأمر هو قوله تعالى : « انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له : كن ، فيكون » (٢) ، والأمر معلق فى كلامه تعالى على مشيئته ، وبالضرورة أن المعلق على المشيئة حادث عند حدوث المشيئة ، اذ المعلول يحدث بحدوث العلة ، لامحالة ، لأن معنى التعليق عليها هو أنه إن شاء فعل ، وإن شاء ترك ، نظير ترتب الخلق على مشيئته تعالى في أي وقت شاء .

ورابعها : — احتجاج ابن تيمية حيث قال فى ﴿ منهاجه ج ٢ ص ٢٢٢ ﴾ ماملخصه : إن الله تعالى اذا كان قد خلق كلامه منفصلا عنه ، لم يكن كلامه ، فان

---

(١) الاعراف : ٥٣ . (٢) يس : ٨٢ .

الـكلام ، والقدرة ، والعلم ، وساير الصفات إنما يتصف بها من قامت به لامن خلقها وفعلها في غيره ، ولهذا اذا خلق الله حركة ، وعلماً ، وقدرة فى جسم كان ذلك الجسم هو المتحرك العالم القادر بتلك الصفات ، ولم تـكن تلك صفات الله بل مخلوقات له ، ولو كان متصفاً بمخلوقاته المنفصلة عنه ، لـكان إذاً نطق الجامدات ، كما قال : « ياجبال !! أوبي معه ، والطير . . » الآية (١) وكما قال : « يوم تشهد عليهم ألسنتهم ، وأيديهم ، وأرجلهم بما كانوا يعملون ، وقال لجلودهم : لم شهدتم علينا ؟ ! قالوا : أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء . . » الآية (٢) ، وكما قال : « اليوم نختم على أفواههم ، وتـكلمنا أيديهم ، وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون » (٣) ومثـل تسليم الحجر على النبي ﷺ وتسبيح الحصى بحمده ، وتسبيح الطعام وهم يأكلونه فاذا كان كلام الله لايكون إلا ماخلقه في غيره ، وجب أن يكون هذا كله كلام الله ، فانه خلقه فى غيره ، واذا تكلمت الأيدي فينبغي أن يكون ذاك كلام الله ، كما يقولون أنه خلق كلاماً في الشجرة كلم الله به موسى بن عمران ، وأيضاً فاذا كان الدليل قد قام على أن الله خالق أفعال العباد وأقوالهم ، وهو المُنطق لـكل ناطق ، وجب أن يكون كل كلام فى الوجود كلامه ، وحينئذ يكون قول فرعون : « أنا ربكم الأعلى » (٤) كلام الله ، كما ان الـكلام المخلوق في الشجرة : « اني أنا الله .. » الآية (٥) كلام الله . انتهى .

وهذا أقصى ما احتج به ، وأعمل قوته في تقويته ، لـكنه هواء في شبك وعليه فنقول : انه قال الاشعري : دل الشرع على أن الله متكلم ، والمتكلم : من قام به الـكلام على ماهو الأصل الثابت في الأوصاف المشتقة ، فلا بد أن يكون كلامه تعالى قديما لامتناع قيام الحادث بذاته ، والعبادات حادثة ، فلا محالة له ، كلام

(١) سبأ : ١٠ . (٢) النور : ٢٤ . (٣) يس : ٦٥ .
(٤) النازعات : ٢٤ . (٥) القصص : ٣٠ .

مغاير للالفاظ والحروف قائم بذاته تعالى .

أقول : وكلامه هذا من الأغلاط التي لم يتفوه بها أحد من أهل المعقول ، بل انهم صرحوا في باب الأعراض المسموعة أن الكلام عبارة عن الحروف المتألفة تألفاً خاصاً ، وحروفه عبارة عن الاصوات الخاصة الحاصلة من تموج الهواء الى داخل الصماخ ، فلايكون الكلام بحقيقته قائماًبالمتكلم ،وإنما القائم به صفة التكلم ، وهي ايجاد الكلام المؤلفة من الحروف ، والهيئات القائمة بالهواء ، فالمتكلم : من قام به التكلم كما هو مبدأ الاشتقاق فيه ، لامن قام به الكلام — أعني مابه التكلم — وهي الألفاظ الملقاة لاظهار مافي الضمير ، فتلبس الانسان بالكلام كتلبس الفاعل بالفعل ايجاداً وصدوراً ، كالضارب ، والقاتل ، واللافظ ، وكذلك الخالق ، والرازق بمعنى حدوث مبانيها في الخارج ، فاذاً لافرق بين أن يقال : إن هذا كلام زيد ، وان زيداً تكلم بهذا الكلام ، فكون الانسان متكلماً ليس الا كلامه حادثاً من غير أن يوجب تغيراً ، وحدوثاً فيه ، وكون مابه التكلم — أعني : الألفاظ غير قارة — إنما يوجب حدوثها لاحدوث موجدها . ألا ترى أن الله تعالى الموصوف بالمكون ، والبديع ، والخالق ، والرازق ، والمحيي ، والمميت ، والمعطي ، والنافع ، والمانع لايقتضي تلك الاضافات ، والنسب كونه متغيراً ، أو محلا للحوادث ، وإنما توجب حدوث الخلق والرزق ، وبذلك افترقت فيه تعالى صفة الفعل عن صفة الذات ، وكان اتصافه تعالى بالعلم ونعته بالقدرة والحياة ووجوب الوجود عبارة عن قيامها بالذات بخلاف اتصافه عز وجل بالخالقية والرازقية ، فانه كاتصاف الأب بالأبوة بعلاقة تكوّن الابن منه ، فليس معنى المتكلم : حامل الكلام ، حتى يقال : ان الحامل هي الشجرة في تكلمه تعالى مع موسى (ع) ، فتكون هي المتكلمة دون الله تعالى ، وان كان بايجاده تعالى الكلام فيها ، وانما المتكلم : جاعل الكلام وفاعله وموجده ،

وهو الله في قوله عز وجل : « اني أنا الله رب العالمين » (١) ، سواء كان محل ظهوره الهواء ، أو الشجرة ، فليست الشجرة ناطقة ، ولا ينسب اليها التكلم ، كما لم ينسب في الانسان الى اللسان ، فلا يقال : انه متكلم باللسان .

وأما قول ابن تيمية في (المنهاج) : ان الكلام والعلم والقدرة وساير الصفات انما يتصف بها من قامت به لا من خلقها وفعلها في غيره ، فغير صحيح ، لأنه قياس مع الفارق ، لان أنحاء القيام مختلفة ، منها : قيام صدور وايجاد وظهور أثره في الغير كقيام الضرب والقتل بالضارب والقاتل ، بمعنى صدور الامرين منهما ، ومنها : قيام وقوع كقيام الضرب بالمضروب ، والقتل بالمقتول ، والموت بالميت ، والحياة بالحي ، والوجود بالموجود ، والحفظ بالمحفوظ ، والخلق بالمخلوق ، والهداية بالمهتد .

ومن القسم الأول : التكلم ، فلا يلزم من قيامه بالمتكلم صيرورته محلا للحوادث .

قال الله سبحانه : « هو الذي خلقكم ، ثم رزقكم ، ثم يحييكم .. » الآية (٢) فهذه أوصاف لله تعالى من غير لزوم قيام المبدأ فيها بالذات الأزلية ، ولا يقاس بالمتحرك الذي حلت به الحركة ، فانه وضع للمطاوعة ، فالحركة لها قيام صدور بالمحرك ، وقيام حلول بالمتحرك ، فالاحتجاج بلفظ المحرك مع عدم قيام الحركة الا بالمتحرك أو بالمؤلم مع عدم قيام الألم الا بالمتألم باطل في غير محله ، وذلك لخلط الاشعري بين المبدأ المصدري ، وبين أثره الحاصل منه المسمى باسم المصدر الذي لا يقوم الا بالقابل دون الفاعل بداهة أن المبدأ في المحرك التحريك ، وهو ايجاد الحركة ، وهو قائم بالمحرك الذي هو الفاعل ، وأما المتحرك بمعنى النقل والانتقال من مكان الى مكان فهو قائم بالمتحرك ، وكذلك المبدأ في المؤلم ـ أعني الايلام القائم بمن أوجد الألم — وهو الأثر الحاصل من الايلام القائم بمن وقع عليه . فلا معنى لاعتبار الاشعري قيام المبدأ بالفاعل بنحو الحال والمحل بعد ماعرفت من اختلاف أنحاء القيام ، وأنه

(١) القصص : ٣٠ . (٢) الروم : ٤٠ .

قد يقوم بالفاعل كما في الناطق ، والضاحك ، والحساس ؛ والحسن ، والقبيح ، والمريد ، والكاره ، وقد يكون القيام بنحو الايجاد والاصدار ، كما في العاقد ؛ والبايع ، والبديع ، والباري ، والموجد ، والمصور ، والمحرك ؛ والمتكلم ، وقد لا يكون قيام أصلا بل مجرد الانتزاع ، والتوصيف ، كالحجار ، والتمار ، واللبان والتبان ، والنجار ، والصباغ ، والبناء ، ونحوها بل ولفظ الكاتب بالقوة حيث لا فعلية .

وأما قول ابن تيمية : إذا كان كلام الله لا يكون الا ماخلقه في غيره وجب أن يكون النطق الذي خلقه الله في الجبال كلامه ، لأنه خلقه فيها ، فيرده أنه قياس باطل ، وذلك لأن النطق فيها ، أو تسبيح الحصى بأقدار من الله تعالى ، وكما في تكلم الذئب مع يعقوب (ع) فانه من فعله بقدرة الله لا كلام صادر منه تعالى ، ونحوه إنطاقه سبحانه عيسى (ع) فى المهد ، وانطاقه الطفل الذي شهد ليوسف (ع) ، فانه أيضا بجعل القدرة لهما ولكنه ليس من ذلك النطق في الشجرة حين كلم الله تعالى موسى (ع) ، لان الكلام فعل مباشرى اختياري ، وذلك منتف عنها ، كانتفاء الاختيار عن اللسان في الانسان ، فلا يسند الكلام الى الشجرة ، كما لا يسند الى اللسان ، بل من تكوين الصوت فيها ، كتكوين اللفظ من مقاطع الفم ، وأما إنطاقه تعالى أعضاء الانسان يوم القيامة لأجل الشهادة فلا يكون كلاماً لله تعالى إذ لم يباشر ذلك التكلم ، فهو من تسبب منه تعالى .

فقول ابن تيمية لزم أن تكون الشجرة ، قائلة : أني انا الله رب العالمين — باطل — لبطلان الملازمة ، فان النداء عبارة عن خلق المنادى في الهواء وفي الشجرة من جانب الطور الأيمن ، ولا يلزم أن تكون الشجرة منادية ، كما لا يلزم من المنادى بالهواء أن تكون الهواء متكلماً ، فهل ترى ان الاصوات المخلوقة من الاسباب الخارجية ، كضرب اليد على اليد ، أو لطم الوجه باليد ، أو السماوية كالصاعقة

أن يكون الهواء مصوتاً ، أو اليد والوجه ذا اصوات ؟؟.

وأما قول ابن تيمية : وليس يعقل فاعل لم يقم به الفعل ، فيرده أنه وان كان كذلك ، لكن الأفعال المتعدية كالضرب ، والقتل ، والهلاك ، والنجاة تقوم ايضا بالمفعول كما بالفاعل ، وقد قال الله تعالى : « فقتله فاصبح من النادمين »(١) فالقاتل هو قابيل ، والمقتول هابيل ، والقتل صادر من الفاعل وواقع على المفعول. وقال تعالى : « فأنجيناه واصحاب السفينة .. » الآية (٢) فالنجاة صفة قائمة بالمفعول كالهلاك ، في قوله تعالى : « فاهلكنا اشد منهم بطشاً .. » الآية (٣) فانه وصف المفعول (٤).

وأما مازعمه ابن تيمية من انه بناء على ان افعال العباد وأقوالهم من الله تعالى، كان لازمه ان يكون كل كلام في الوجود كلامه فيرد عليه انه ذكر أمراً ، وبنى عليه القول بالكلام النفسي ، ولم يتفطن ان لازمه إنتساب كلام العباد ، إذ كان لفظيا مخلوقا لهم اليه سبحانه ، فيعود المحذور من قيام الحادث بالقديم ، وهذا احتجاج من ابن تيمية على خلاف غرض الأشعري ، فان قول فرعون : انا ربكم الأعلى ، لا يكون قول الله على هذا المبنى ، الا على فرض وجه قيام الحادث بالقديم ، بمعنى ان الله خلقه في غيره منفصلا عنه ، فيناقض القول بالكلام النفسي ، وهو ايراد من الامامية على الاشعرية بانهم يزعمون أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى ، ثم لا يلتزمون بانتساب كلامهم اليه تعالى .

والحاصل ان القائل بالكلام النفسي لم يأت بأمر معقول ، اذ لا يتصور له سبحانه وصف قائم به وراء العلم ، والارادة ، والقدرة ، على ايجاد الكلام ، وربط

(١) المائدة : ٣٤ (٢) العنكبوت : ١٥ . (٣) الزخرف : ٨ .

(٤) في هذا الجواب نظر ، لان الفعل في المثال الاول هو صدور القتل ، ولا ريب أنه مختص بالفاعل دون المفعول ، وفي المثالين الاخيرين انما الفعل فيهما هو الانجاء والاهلاك لا النجاة والهلاك ، ولا شك أنهما عملان قائمان بالله سبحانه ليس غير .

الفاظه بعضها ببعض ، كما هو المشاهد بالعيان في انزاله القرآن ، فان القرآن باجماع الخلفاء ، والصحابة ، والتابعين ، بل وجميع المسلمين ، بل بمقتضى نصوصه الصريحة هو كلامه تعالى ، وهو حادث مشتمل على أمر ونهي وإخبار وإنشاء ، وحكايات وترتيب الفاظ كلها من أوصاف الحدوث ، فمن يدعي بان لله كلاماً قائماً بالذات الأزلية وحداني المعنى ولا الفاظ له ، لزمه القول بقرآنين — قرآن قديم ، وقرآن حادث — فيعود المحذور من خلق القرآن ، إلا أن يدعى ان القرآن ليس من كلام الله ، بل من كلام جبرئيل ، او من قول النبي ﷺ ، وهذا خلاف ضرورة دين الاسلام .

فقول الاشعري :

ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

لايفرق فى الكلام النفسي بين الخالق والمخلوق ، فان اُريد بما في النفس المداول من الكلام اللفظي بوجوده التصورى أو التصديقي ، فهو ليس امرا وراء العلم في الخبر ، وغير الارادة والكراهة في الانشاء ، ولا يقوله الأشعري بهذا المعنى ، وان اريد صفة اخرى قائمة بالذات المقدسة الالهية ، فليتصدّ لبيانه ، وليس له ذلك وراء ماقلنا ، والحمد لله أولا وآخراً .

مفتعلاتهم أن القرآن ليس بمخلوق ، وأن مدعي الخلق كافر خارج عن الايمان

إن القوم يعتمدون فى زعمهم هذا على أحاديث يروونها ، كلها مخدوشة حسب تصريح أساطينهم ومعتمديهم في الحديث .

فمن ذلك مايرويه الخطيب في ﴿ اللآلىء المصنوعة ج ١ ص ٣ ﴾ عن علي بن

أحمد المحتسب ، عن ابن الحسين الهمداني ، عن أبي نصر محمد بن هارون النهرواني عن محمد بن عمير ، وعبد الله بن عامر السمرقندي ، عن قتيبة بن سعيد ، عن عبدالله ابن لهيعة ، عن ابن الزبير ، قال : قال رسول الله ﷺ : من قال : القرآن مخلوق فقد يكذب ويضع . إنتهى .

أقول : أما محمد بن هارون ، ففي ﴿ لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج ٥ ص ٤٠٨ ﴾ : محمد بن هارون بن بريرة ، قال الدار قطني : لاشيء ، وقال الخطيب : في حديثه مناكير ، وقال ابن عساكر : يضع الحديث ، وقال الخطيب في ﴿ التاريخ ج ٧ ص ٤٠٣ ﴾ : إنه ذاهب الحديث يتهم بالوضع ، وأما محمد بن عمر ، فان كان هو ابن الفضل الجعفي ، ففي ﴿ ميزان الذهبي ج ٣ ص ١١٤ ﴾ : انه كذاب . انتهى ، وان كان هو ابن صالح ، ففي ﴿ اللسان ج ٥ ص ٣١٨ ﴾ : محمد بن عمر بن صالح ، قال ابن عدي : يحدث عن الثقات بالمناكير وهو من أهل حماه ، من أعمال حمص ، وذكره ابن حبان ، فقال : منكر الحديث جداً . إنتهى .

وأما محمد بن عبد بن عامر السمرقندي ، ففي ﴿الميزان ج ٣ ص ٩٦﴾ و ﴿ لسان الميزان ج ٥ ص ٢٧٢ ﴾ و ﴿ تاريخ الخطيب ج ٢ ص ٣٨٨ ﴾ : أنه كذاب معروف بوضع الحديث ، روى احاديث باطلة ، وكان يسرق الأحاديث ، وكان يتابع الضعفاء والكذابين في رواياتهم بالأباطيل ، قد اشتهر كذبه . انتهى .

وأما عبدالله بن لهيعة فعلى ما في ﴿ كتاب النزهة الاثنى عشرية ﴾ نقلا عن ﴿ كتاب الضعفاء والكذابين لمحمد بن طاهر الهندي الكجراتي ﴾ الذي هو من اعاظم علماء أهل السنة ، قال : عبدالله بن لهيعة ذاهب الحديث ، لا يوثق به ، يدلس عن الكذابين والضعفاء ، ضعّفه ابن معين وابو زرعة ، والنسائي وغيرهم . انتهى .

وفي ﴿ ميزان الاعتدال للذهبي ﴾ في الترجمة ، قال : عبدالله بن لهيعة بن عقبة

الحضرمي أبو عبدالرحمن قاضي مصر وعالمها ، قال الغافقي : أدرك الاعرج وعمر ابن شعيب والكبار ، قال ابن معين : ضعيف لايحتج به وقال معاوية بن صالح : سمعت يحي يقول : ابن لهيعة ضعيف ، وقال النسائي : ضعيف ، وقال أحمد بن زهير عن يحي : ليس حديثه بذلك القوي ، وقال أبو زرعة وأبو حاتم : أمره مضطرب ، وقال أبو حبان : سبرت اخباره من رواية المتقدمين والمتأخرين فرأيت التخليط في رواية المتأخرين عنه موجوداً وما لا أصل له في رواية المتقدمين كثيراً فرجعت الى الاعتبار فرأيته كان يدلس عن أقوام ضعفاء على اقوام رآهم ابن لهيعة ثقات ، فألزق تلك الموضوعات . انتهى .

وفي ﴿ التهذيب لابن حجر ج ٥ ص ٣٧٤ ﴾ في الترجمة : عبدالله بن لهيعة ابن عقبة عن ابن الزبير قال البخاري عن الحميدي : كان يحي بن سعيد لايراه شيئا وقال ابن المديني عن ابن مهدي : لا احمل عنه قليلا ولا كثيراً ، وقال محمد بن المثنى ماسمعت عبدالرحمن يحدث عنه قط . وقال نعيم بن حماد : سمعت ابن مهدي يقول : لا اعتد بشيء سمعت من حديث ابن لهيعة . وقال حنبل عن احمد : ماحديث ابن لهيعة بحجة ، وكان ابن مريم يسيء الرأي فيه . قال الحاكم : استشهد به مسلم في موضعين ، وقال البخاري : تركه يحي بن سعيد ، وقال ابن مهدي : لا أحمل عنه شيئاً ، وقال ابن خزيمة في صحيحه : وابن لهيعة لست ممن أخرج حديثه في هذا الكتاب اذا إنفرد ، وقال ابن المديني: قال لي بشر السري: لو رأيت ابن لهيعة لم تحمل عنه ، وقال عبد الكريم بن عبدالرحمن النسائي عن أبيه : ليس بثقة ، وقال ابن معين: كان ضعيفاً لايحتج بحديثه ، وقال الخطيب : كثرت المناكير في حديثه لتساهله ، وقال الجوزجاني : لا يوقف على حديثه ولا ينبغي أن يحتج به ولا يغتر بروايته ، وقال ابن أبي حاتم : سألت أبي وأبا زرعة عن الأفريقي وابن لهيعة ايهما أحب اليك؟ فقالا : جميعا ضعيفان وابن لهيعة أمره مضطرب . قال عبد الرحمن : قلت لأبي : اذا

كان من يروي عن ابن لهيعة مثل ابن المبارك فابن لهيعة يحتج به ؟ قال : لا . قال ابو زرعة : كان لايضبط ، وقال محمد بن سعد : كان ضعيفاً ، وقال مسلم في الكنى : تركه ابن مهدي ويحيى بن سعيد ووكيع ، وقال الحاكم : انه ذاهب الحديث ، وقال ابن حبان : سبرت أخباره فرأيته يدلس عن أقوام ضعفاء على أقوام ثقات فوجب التنكب عن رواية المتقدمين عنه قبل احتراق كتبه لما فيها من الاخبار المدلسة عن المتروكين ووجب ترك الاحتجاج برواية المتأخرين عنه بعد احتراق كتبه لما فيها ماليس من حديثه ، وقال أبو جعفر الطبري في ﴿ تهذيب الآثار ﴾ : إختلط عقله في آخر عمره وقال ابن حجر : واسناد الحاكم إلى ابن لهيعة صحيح ، والآفة فيه من ابن لهيعة . انتهى .

وفي ﴿ لسان الميزان ج ٥ ص ٢٢٤ ﴾ في ترجمة محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن السمرقندي عن ابن لهيعة بخبر موضوع هو آفته . إنتهى ، وقال السيوطي في ﴿ اللآلي ج ٢ ص ١٠٩ و ١٥٠ ﴾ : ابن لهيعة ذاهب الحديث · انتهى .

الحديث الثاني : مافي ﴿ اللآلي ج ١ ص ٣ ﴾ عن الخطيب عن محمد بن أحمد بن زرق عن المسيب بن محمد بن المسيب الارغياني عن ابن حبان عن محمد بن المسيب عن محمد بن يحيى بن رزين المصيصي عن عثمان بن عمر بن فارس عن كهمس عن الحسن عن أنس مرفوعاً : « كل مافي السماوات والأرض وما بينهما فهو مخلوق غير الله والقرآن ، وذلك أنه كلامه عنه بدأ واليه يعود وسيجيي أقوام من أمتي يقولون : القرآن مخلوق فمن قاله منهم فقد كفر بالله العظيم وطُلقت امرأته من ساعته لأنه لا ينبغي لمؤمنة أن تكون تحت كافر إلا ان تكون سبقته بالقول » موضوع ، آفته محمد بن يحيى بن رزين قال ابن حبان : دجال يضع الحديث. انتهى.

أقول : قال الذهبي في ﴿ الميزان ج ٣ ص ١٤٧ ﴾ وابن حجر العسقلاني في ﴿ لسان الميزان ج ٥ ص ٤٢٢ ﴾ محمد بن يحيى بن رزين المصيصي، قال ابن حبان:

دجال يضع الحديث، روى عن عثمان بن عمر بن فارس عن كهمس عن الحسن عن أنس مرفوعاً : « كل مافي السماء والارض وما بينهما فهو مخلوق غير الله والقرآن وذلك أنه كلامه عنه بدأ واليه يعود وسيجيء أقوام من امتي يقولون : القرآن مخلوق فمن قاله منهم فقد كفر وطلقت امرأته منه » حدثنا محمد بن المسيب عنه . انتهى . وقال أبو نعيم الاصبهاني روى موضوعات . انتهى .

وأما كهمس بن الحسن التميمي البصري فقد قال الذهبي في ﴿ميزان الاعتدال﴾ في ترجمته : انه قال الأزدي : قال ابن معين : ضعيف ، وقال عثمان بن دحية : ضعيف روى منا كير إنتهى . ونحوه ذكر ابن حجر العسقلاني في ﴿ تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٤٥٠ ﴾ .

وأما الحسن البصرى الذي نسب اليه الحديث عن أنس بن مالك فله انحراف في المعتقد وتدليس وتلبيس في الحديث وفتوى في الفقه ورأي زائغ عن الحق والصواب في تفسير الكتاب . أما انحرافه في الاعتقاد فهو قوله بالقدر ففي ﴿ التهذيب لابن حجر ج ٢ ص ٢٧٠ ﴾ في ترجمته أنه روى معمر عن قتادة عن الحسن قال : الخير بقدر والشر ليس بقدر . قال أيوب : فناظرته في هذه الكلمة فقال : لا أعود وقال حميد الطويل : سمعت الحسن يقول : خلق الله الشياطين وخلق الخير وخلق الشر ، وقال حماد بن سلمة عن حميد : قرأت القرآن على الحسن ففسره على الاثبات يعني اثبات القدر ، وكذا قال حميد بن الشهيد ومنصور بن زاذان ، وقال رجاء بن أبي سلمة عن ابن عون : سمعت الحسن يقول : من كذب بالقدر فقد كفر . انتهى .

وقال الذهبي في ﴿ تهذيب التهذيب ﴾ في ترجمة الحسن : روى معمر عن قتادة عن الحسن قال : الخير بقدر والشر ليس بقدر . قلت : هذه أبلغ مانقل عن الحسن في القدر . انتهى .

وفي ﴿ صحيح الترمذي ﴾ عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص):

« صنفان من امتي ليس لهما في الاسلام نصيب : المرجئة والقدرية » ، وفي ﴿ سنن ابن داود ﴾ عن النبي (ص) : قال : « القدرية مجوس هذه الأمة » ، وقال النووي في شرح صحيح مسلم : قال الامام في كتابه ﴿ الارشاد في اصول الدين ﴾ : قال رسول الله (ص) : « القدرية مجوس هذه الأمة » شبههم بهم لتقسيم الخير والشر في حكم الارادة كما قسمت المجوس فصرف الخير الى يزدان والشر الى أهرمن ، ولا خفاء في اختصاص هذا الحديث بالقدرية . انتهى .

وأما تدليس الحسن البصري ، ففي ﴿ ميزان الاعتدال ﴾ : كان الحسن كثير التدليس .. الخ وفي ﴿التقريب﴾ للعسقلاني :الحسن بن أبي الحسن البصرى واسم أبيه يسار بالتحتانية فاضل مشهور و كان يرسل كثيراً ويدلس ،قال البزار: كان يروى عن جماعة لم يسمع منهم فيتجوز ويقول : حدثنا و خطبنا يعني قومه الذين حدثوا وخطبوا بالبصرة وهو رئيس أهل الطبقة الثالثة . انتهى .

وفي ﴿ التهذيب للعسقلاني ج ٢ ص ٢٧٠ ﴾ قال ابن حبان : ان الحسن ادرك بعض صفين ورأى مائة وعشرين صحابيا و كان يدلس وفي﴿ص ٢٦٦﴾ : قال همام بن يحيي عن قتادة : والله ماحدث الحسن عن بدري مشافهة ، وقال محمد بن سعد: كان الحسن ما أسند من حديثه وروى عمن سمعه فهو حجة ، وما ارسل فليس بحجة ، وسئل أبو زرعة : هل سمع الحسن أحداً من البدريين ؟ قال : رآهم رؤية ، رأي عليا وعثمان . قيل : هل سمع منهما حديثا ؟ قال : لا ولم يسمع من جابر ولا من أبي سعيد ولا من ابن عباس ، وقول الحسن : خطبنا ابن عباس بالبصرة ، إنما اراد خطب اهل البصرة ، ولم يسمع عن أبي هريرة ولا من جابر فهذا الذي يقوله اهل البصرة : حدث الحسن سبعون بدرياً ، كلام السوقة ، وقال ابن المديني : لم يسمع من ابي موسى الاشعري ، وقيل ليحي بن القطان : كان الحسن يقول : سمعت عمران بن الحصين ، قال : اما عن ثقة فلا ، وقال ابن المديني وأبو حاتم وابن معين:

لم يسمع من عمران بن الحصين وليس يصح ذلك . وقال عبدالله أحمد عن أبيه : ان الحسن لم يسمع من سراقة ، وقال المديني : لم يسمع من عبدالله بن عمر ، ولا من اسامة بن زيد ، وقال ابو زرعة : الحسن عن معقل بن سنان بعيد جداً ، وعن أبي الدرداء : مرسل، وقال الترمذي لم يعرف له سماع من علي (ع) وقال الدارقطني : مراسيله فيها ضعف . انتهى .

فصحّ من جميع ذلك أن ماينسب الى الحسن البصرى عن أنس بن مالك من حديثه السابق « ان القرآن غير مخلوق » كذب لا أصل له ، بعد ماعرفت انه لم يرو عن أحد من البدريين ولا من غيرهم من الصحابة كما مر عليك ماصرح به أئمة أهل الحديث . وقال السيوطي في ﴿ كتاب التدريب شرح التقريب ﴾ : إن المرسل حديث ضعيف لايحتج به عند جماهير المحدثين كما حكاه عنهم مسلم في صدر صحيحه وابن عبد البر في كتاب ﴿ التمهيد ﴾ وحكاه الحاكم عن المسيب ومالك والشافعي وكثير من الفقهاء وأصحاب الاصول . انتهى .

ثم ان المنسوب الى الحسن البصري الفساد فى العقيدة من القول بالقدر كما سمعت وكذلك القول بجواز العصيان على انبياء الله تعالى وخلفائه فى أرضه ، كما نص عليه في حقه الفخر الرازي في ﴿ تفسيره ج ٥ ص ١٢٠ ﴾ في سورة يوسف عند قوله تعالى: « ولقد همت به وهمّ بها » مصرحاً بأن الحسن ممن نسب المعصية الى يوسف (ع) وهو ايضاً قول عكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك ومقاتل وابن سيرين . إنتهى .

قال عبدالعزيز بن أحمد بن محمد البخاري فيما حكي عنه في كتابه ﴿ شرح البزدوي ﴾ : كثير من أصحابنا قبلوا رواية سلفنا كالحسن وقتادة وعمرو بن عبيد مع علمهم بمذهبهم وإكفارهم من يقول بقولهم وقد نصوا على ذلك . انتهى .

الحديث الثالث : ما أورده السيوطي في ﴿ اللآلي ج ١ ص ٣ ﴾ عن ابن عدي عن أحمد بن محمد بن حرب عن ابن حميد عن جرير عن الاعمش عن أبي صالح

عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً : « القرآن كلام الله لاخالق ولا مخلوق ومن قال غير ذلك فهو كافر » موضوع ، آفته ابن حرب وشيخه ايضا كذاب وهو محمد ابن حميد بن حبان . انتهى .

أقول : قال الذهبي في ﴿ الميزان ج ١ ص ٦٣ ﴾ : ابن حرب يتعمد الكذب وقال ابن حجر في ﴿ لسان الميزان ج ١ ص ٢٥٨ ﴾ أحمد بن محمد بن حرب قال ابن عدي : يتعمد الكذب ويضع، روى عن ابن حميد عن جرير عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً: « من قال: القرآن مخلوق فهو كافر » وقال ابن عدي : انه كان يتعمد الكذب وأخرج له عدة أحاديث يقول في كل منها : انه باطل ويكرر تكذيبه في عدة مواضع . إنتهى .

وأما جرير ففي ﴿ التهذيب للعسقلاني ج ٢ ص ٧٢ ﴾ قال أحمد بن سنان عن ابن مهدي : جرير بن حازم اختلط ، وقال أبو نعيم الحافظ : تغير قبل موته . وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل : انه يحدث عن قتادة عن أنس أحاديث مناكير . وقال ابن معين : ليس بشيء هو عن قتادة ضعيف . وقال مهنا عن أحمد : جرير كان كثير الغلط ، وقال أحمد : جرير بن حازم حدث بالوهم بمصر ولم يكن يحفظ ، وقال الأزدي جرير خرج عنه بمصر أحاديث مقلوبة ولم يكن بالحافظ ، حمل عنه مناكير ونسبه يحيى الحماني الى التدليس . انتهى .

وأما محمد بن حميد بن حبان ففي ﴿ الميزان ج ٣ ص ٩٤ ﴾ و ﴿ تاريخ الخطيب ج ٢ ص ٢٦٢ ﴾ و ﴿ التهذيب ج ٩ ص ١٢٩ ﴾ قال يعقوب بن شيبة : محمد بن حميد صاحب المناكير وقال البخاري : في حديثه نظر . وقال النسائي : ليس بثقة ، وقال الجوزجاني : رديء المذهب غير ثقة ، وقال فضل الرازي : عندي عن ابن حميد خمسون ألفاً لا أحدث عنه بحرف . وقال صالح بن محمد الاسدي : مارأيت أحداً أجرأ على الله منه كان يأخذ أحاديث الناس فيقلب بعضه على بعض ، وقال ايضاً :

ما رأيت أحداً أحذق بالكذب من رجلين : سليمان الشاذكوني ومحمد بن حميد ، وقال أبو زرعة : كان يتعمد الكذب ، وقال ابن خراش : حدثنا ابن حميد وكان والله يكذب . انتهى . وفي ﴿ اللآلي ج ٢ ص ١٦ ﴾ : أن محمد بن حميد كذبه أبو زرعة .

ثم ان ابا هريرة ايضا مطعون بالكذب في حديثه على الله وعلى رسوله (ص) كذبه عمر بن الخطاب وقال له : لتتركن الحديث او لألحقنك بارض دوس ، كما في ﴿كنز العمال﴾ وكذبته عائشة كما في ﴿فتح الباري شرح البخاري﴾ من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « الطيرة في الفرس والمرأة والدار » فغضبت عائشة غضباً شديداً وقالت : ماقاله ، وانما قال : أهل الجاهلية كانوا يتطيرون من ذلك . انتهى .

ثم ان من الغلط القول بأن القرآن لاخالق ولا مخلوق ، فذلك يوجب جعل الواسطة بين الخالق والمخلوق وبين الواجب والممكن ، والقياس العقلي يقضي بأن يكون القرآن مخلوقاً اذا لم يكن خالقاً ولا واجبا .

الحديث الرابع : مافى ﴿ اللآلي ج ١ ص ٣ ﴾ عن الخطيب عن طلحة بن علي عن محمد بن عبدالله بن ابراهيم الشافعي عن أبي عمارة محمد بن أحمد بن المهدي عن أبي نافع بن كثير عن جعفر بن محمد بن العابد عن أبي يعقوب الاعمى عن اسماعيل بن يعمر عن محمد بن عبدالله الاعشى عن مجالد بن سعيد يقول : سمعت مسروقاً يقول : سمعت عبدالله بن مسعود يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « القرآن كلام الله ليس بخالق ولا مخلوق فمن زعم غير ذلك فقد كفر بما انزل على محمد (ص) » قال الخطيب : منكر جداً فيه مجاهيل وابو عمارة ، قال الدار قطنى : ضعيف جداً ، قلت : قال الذهبي فى ﴿ الميزان ﴾ : هو موضوع على مجالد . انتهى مافي اللآلي .

أقول : قال العسقلاني في ﴿ لسان الميزان ج ٥ ص ٣٧ ﴾ : محمد بن احمد

ابن مهدي ابو عمارة قال ابو الحسن الدار قطني : ضعيف جداً ، وقال ايضاً : متروك وقال الخطيب : في حديثه مناكير وغرائب أخبرنا طلحة الكناني ، ثنا أبو بكر الشافعي ثنا أبو عمارة ، ثنا احمد بن كثير ، ثنا جعفر بن محمد بن العابد ، ثنا ابو يعقوب الاعمى عن اسماعيل بن يعمر عن محمد بن عبدالله الاعشى سمعت مجالداً سمعت الشعبي سمعت مسروقاً سمعت ابن مسعود (رض) سمعت رسول الله ﷺ يقول : « القرآن كلام الله ليس بخالق ولا مخلوق ومن زعم غير ذلك فقد كفر » قال الخطيب : في اسناده غير واحد مجهول ، قلت : وهو موضوع على مجالد . انتهى .

قلت : وهذا طعن ايضا في محمد بن عبدالله الاعشى الواضع للحديث على لسان مجاهد عن الشعبي عن مسروق عن ابن مسعود ، هذا مضافاً الى مافي مجالد من الطعن والقدح ، قال ابن حجر العسقلاني فى ﴿ التهذيب ج ١٠ ص ٤٠ ﴾ : مجالد ابن سعيد قال البخاري: كان يحيى بن سعيد يضعفه وكان ابن مهدي لا يروي عنه وكان احمد بن حنبل لايراه شيئاً ، وقال ابن المديني : قال يحيى بن سعيد : مجالد في نفسي منه شيء وقال ابن المهدي : حديث مجالد ليس بشيء ، وقال انه تغير حفظه في آخر عمره ، وقال يحيى بن سعيد لبعض اصحابه : اين تذهب ؟ قال : الى وهب ابن جرير اكتب عن مجالد ، قال : تكتب كذبا كثيراً ، وقال الدوري عن ابن معين : لايحتج بحديثه ، وانه ضعيف واهي الحديث ، وقال ابن أبي حاتم قال أبي : لايحتج بمجالد وليس مجالد بقوي في الحديث . انتهى .

الوجه الخامس مما أيدوا به مذهبهم : ماحكاه السيوطي في ﴿ اللآلي ج ١ ص ٣ ﴾ من مناظرة الشافعي مع حفص الفرد وكان حفص من غلمان بشر المريسي فقال في بعض كلامه : القرآن مخلوق فقال له الشافعي : كفرت بالله العظيم . انتهى .

أقول : لاحجة لقول مجتهد عن رأيه على مجتهد آخر مالم يعتمد على بينة ظاهرة ومحض المناظرة لاتقوم به الحجة ، مع أن رأي الشافعي في نفي خلق الله معارض

برأي أبي حنيفة في خلق القرآن ففي ﴿ تاريخ الخطيب ج ١٣ ص ٣٨٤ ﴾ عن أبي يوسف قال : أول من قال بخلق القرآن أبو حنيفة وعن سلمة بن عمرو القاضي أن أول من زعم أن القرآن مخلوق أبو حنيفة ، وقال أبو القاسم فقلت للبرقي : هذا قول أبي حنيفة ؟ قال نعم . وعن أبي يوسف بسند آخر قال : مات يوم مات أبو حنيفة يقول : القرآن مخلوق ، وعن يحيى بن عبدالحميد يقول : سمعت عشرة كلهم ثقات يقولون : سمعنا أبا حنيفة : يقول : القرآن مخلوق وعن اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة قال : هو قول أبي حنيفة القرآن مخلوق وعن أحمد بن يونس قال: كان أبو حنيفة في مجلس عيسى بن موسى فقال: القرآن مخلوق .. الى آخر مافي تاريخ الخطيب ومختصره لابن جزلة .

الحديث السادس : مافي ﴿ اللآلي ج ١ ص ٣ ﴾ عن الديلمي في مسند الفردوس عن عبدالرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : « القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فاقتلوه فانه كافر » . انتهى .

أقول : إن الحديث كذب واضح مفتعل لامحالة لأن عبدالرزاق مفروض التشيع نص عليه ابن الأثير في ﴿ الكامل ج ٢ ص ١٣٧ ﴾ والذهبي في ﴿ الميزان ﴾ في ترجمته وابن حجر في ﴿ التهذيب ج ٦ ص ٣١٨ ﴾ وقال : انه مردود الحديث لتشيعه وانه مفرط في التشيع فان صحت النسبة فالشيعة والمعتزلة مطبقون على ان القرآن مخلوق لانه مُنزَل ومتلو ومقروء ومسموع ومكتوب وذو حروف وأصوات وكل ذلك من أوصاف الحدوث دون القدم فمع هذه كيف يروى الشيعي عن النبي (ص) كذباً حديث نفي خلق القرآن ؟ اللهم إلا أن يكون ذلك منه تقية ومحنة كمحنة البخاري في قوله: لفظي بالقرآن مخلوق ، على مافي ترجمته وكمحنة احمد بن حنبل على ماينسب اليه والى غيره من القول بخلق القرآن لما اشتد الامر عليهم من السلطان على عهد المعتصم العباسي .

وأما معمر عن الزهري ففي ﴿ التهذيب للعسقلاني ج ١٠ ص ٢٤٥ ﴾ ان ماحدث به معمر بن راشد بالبصرة فيه أغاليط ، وقال يحيى بن معين : إذا حدث معمر عن العراقيين فخالفوه الا عن الزهري فانه مستقيم . انتهى . ويمكن أن يكون الكذب في الحديث من عبدالرزاق على معمر ، ففي ﴿ الميزان للذهبي ﴾ و ﴿ التهذيب للعسقلاني ﴾ في الترجمة : إن عبدالرزاق الكذاب وانه من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا . انتهى . وفي هامش ﴿ تاريخ الخطيب ج ١٣ ص ٤٤٨ ﴾ قال النسائي : فى عبدالرزاق بن الهمام نظر لمن كتب عنه ، كتبت عنه أحاديث منا كير . إنتهى .

وأما الزهري فالقدح فى حديثه أوضح وأبين لانه كان من ندماء بني أمية وجلسائهم ومن أعداء أمير المؤمنين (ع) والآفة منه ومن أقرانه الآخذين بمذهب السلطان ، وفي ﴿ التهذيب ج ٧ ص ٤٥١ ﴾ أن الزهري كان يروى عن عمر بن سعد قاتل الحسين (ع) ، وأنه عنده ثقة ، وفيه ايضا أن الزهري كان يعمل لبني أمية ، وذكر الشيخ عبدالحق الدهلوي في كتابه ﴿ تحصيل الكمال ﴾ أن الزهري قد ابتلي بصحبة الامراء لقلة الديانة لضرورات عرضت له ، وكان اقرانه من العلماء والزهاد يأخذون عليه وينكرون ذلك منه وكان يقول: أنا شريك فى خيرهم دون شرهم فيقولون: ألاترى ماهم فيه وتسكت ؟ وفي ﴿ التهذيب ايضا ج ٤ ص ٢٢٩ ﴾ عند ترجمه سليمان الاعمش عن ابن معين قال : أجود الأسانيد الاعمش فقال له انسان : الأعمش مثل الزهري ، فقال ابن معين : برئت الاعمش أن يكون مثل الزهري ، الزهري يرى العرض والاجازة ويعمل لبني امية ، والاعمش فقير صبور مجانب للسلطان . انتهى . وقال الذهبي في ﴿ الميزان ﴾ : محمد بن مسلم الزهري الحافظ الحجة كان يدلس فى النادر . انتهى . وقد مر عليك القدح في الزهري بشيء من التفصيل . (١)

(١) في الصحيفة ٥٠ — ٥٢ من هذا الجزء .

ومن هنا ظهر القدح في حديث الديلمي ايضا في ﴿ مسند الفردوس ﴾ عن سفيان بن عيينه عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن رافع بن خديج وحذيفة بن اليمان وعمران بن حصين قالوا : سمعنا رسول الله (ص) يقول : « القرآن كلام الله غير مخلوق فمن قال غير هذا فقد كفر » . انتهى .

أقول : وهذا الحديث أورده السيوطي في ﴿ اللآلي ﴾ ولم يعلق عليه شيئا ، لكنك عرفت ضعف الحديث لوجود الزهري فى اسناده .

وأما سفيان بن عيينة عن الزهري فنقول : إن سفيان هو المدلس للحديث على ما حكي عن الملا علي القاري في كتابه ﴿ شرح الشرح لنخبة الفكر ﴾ قال : قال الشيخ شمس الدين محمد الجزري : التدليس قسمان : تدليس الاسناد وتدليس الشيوخ أما تدليس الاسناد فهو أن يروي عمن لقيه أو عاصره ما لم يسمع منه موهماً أنه سمعه منه ولا يقول أخبرنا وما فى معناه ، بل يقول : قال فلان أو عن فلان او أن فلانا قال وما اشبه ذلك ثم قد يكون بينهما واحد وقد يكون اكثر وربما لم يسقط المدلس شيخه لكن يسقط من بعده رجلا ضعيفا أو صغير السن لا يحسن الحديث ، وكان الاعمش والثوري وابن عيينة وابن اسحاق وغيرهم يفعلون هذا النوع ومن ذلك ما حكى ابن حزم : كنا يوماً عند سفيان بن عيينة فقال عن الزهري فقيل : حدثك الزهري ؟ فسكت ثم قال : قال الزهري ، فقيل له : سمعته من الزهري ؟ فقال : حدثني عبدالرزاق عن معمر عن الزهري . انتهى . وقال السيوطي في ﴿ التدريب ﴾ : قال فريق من أهل الحديث والفقهاء : من عُرف به — يعني بتدليس الاسناد — صار مجروحاً مردود الرواية مطلقا وإن بيّن السماع ، وقال الملا علي القاري في ﴿ شرح الشرح ﴾ بعد كلامه السابق : وهذا القسم من التدليس مكروه جداً فاعله مذموم عند اكثر العلماء ومن عرف به فهو مجروح عند جماعة لا تقبل روايته ، بيّن السماع أو لم يبينه . انتهى .

مضافا الى أن سفيان بن عيينة اختلط في آخر عمره ، ذكره الشيخ عبدالحق

الدهلوي فى ﴿ تحصيل الكمال ﴾ قائلا : قال يحيى بن سعيد : أشهد أن ابن عيينة اختلط في سنة سبع وتسعين ومائة ، فمن سمع منه هذه السنة والتى بعدها فسماعه لاشيء . انتهى .

ثم إن هذا الحديث والذي قبله كلاهما من أحاديث ﴿ مسند الفردوس ﴾ وإن هذا الكتاب مطعون فيه كما في ﴿ منهاج السنة لابن تيمية ج ٣ ص ١٧ ﴾ : إن كتاب ﴿ الفردوس ﴾ فيه من الاحاديث الموضوعات ماشاء الله ، ومصنفه شيرويه بن شهريار الديلمي وان كان من طلبة الحديث ورواته فان هذه الاحاديث التي جمعها وحذف أسانيدها نقلها من غير اعتبار لصحيحها وضعيفها وموضوعها فلهذا كان فيه من الموضوعات أحاديث كثيرة . انتهى .

الحديث السابع : مافي ﴿ اللآلىء ج ١ ص ٣ ، ٤ ﴾ عن ابن عساكر في تاريخه عن أبي الحسن علي بن السلم الفرضي عن عبدالعزيز أحمد الصوفي عن أبي محمد بن أبي نصر عن محمد بن هارون عن أبي نصر منصور بن ابراهيم بن عبدالله بن مالك القزويني عن أبي سليمان عن داود بن سليمان عن الوليد بن مسلم الدمشقي عن الاوزاعي عن يحيي بن أبي كثير عن حسان بن عطية عن أبي الدرداء قال : سألت رسول الله ﷺ عن القرآن فقال : « هو كلام الله غير مخلوق » قال أبو نصر : وكان أحمد ابن حنبل يقول لاصحاب الحديث : إذهبوا الى أبي سليمان فاسمعوا منه حديث الوليد بن مسلم فانه لم يروه غيره وأبو سليمان عندنا ثقة مأمون . انتهى . قال الذهبي فى ﴿ الميزان ﴾ : منصور بن ابراهيم القزويني لاشيء ، سمع منه أبو علي بن هارون بمصر حديثا باطلا ، قال الحافظ ابن حجر في ﴿ لسانه ﴾ هو هذا الحديث . انتهى .

أقول : ففي ﴿ اللسان ج ٥ ص ٤١١ ﴾ : ان محمد بن هارون الذي اسند اليه الحديث ابن أبي نصر قال عبدالعزيز الكناني : كان يتهم . انتهى . وفي ﴿ ص ٤٠٩ ﴾ منه ايضا ، في ترجمة محمد بن هارون بن بريرة : قال الدار قطنى : إنه لاشيء ،

وقال الخطيب : في أحاديثه مناكير ، وقال ابن عساكر : يضع الحديث ، وقال الخطيب عند ذكره حديثه هذا : منكر وانه ذاهب الحديث . انتهى .

وأما داود بن سليمان ففي ﴿ تاريخ الخطيب ج ٨ ص ٣٣٦ ﴾ : أنه قطن بغداد ، كذاب .

وأما الوليد بن مسلم الراوي للحديث عن الأوزاعي ففي ﴿ التهذيب لابن حجر ج ١١ ص ١٥٤ ﴾ قال المروزي عن أحمد : كان الوليد كثير الخطأ ، قال حنبل عن ابن معين قال : سمعت أبا مسهر يقول : كان الوليد يأخذ عن أبي السفر حديث الأوزاعي وكان أبو السفر كذابا ، وقال مؤمل بن إهاب : كان الوليد بن مسلم يحدث حديث الأوزاعي عن الكذابين ثم يدلسها عنهم ، وقال الآجري عن أبي داود قال : الوليد روى عن مالك عشرة أحاديث ليس لها أصل ، وقال مهنا : سألت أحمد عن الوليد ، فقال : إختلطت عليه أحاديث ماسمع ومالم يسمع وكانت له منكرات ، وقال الدار قطني : كان الوليد يرسل فيسقط أسماء الضعفاء . انتهى .

الحديث الثامن : مافي ﴿ اللآلىء ج ١ ص ٤ ﴾ عن الشيرازي فى الالقاب أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن علي المكتب ، حدثنا محمد بن الفضل بن عبدالله الجرجاني ، حدثنا محمد بن حارث الخولاني يلقب بورد ، حدثنا احمد بن إبراهيم النقلبي ، حدثنا الوليد بن مسلم به . واخرجه الخطيب في كتاب ﴿ المتفق ﴾ من طريقه وقال : حسان لم يدرك أبا الدرداء ، واحمد بن ابراهيم مجهول . إنتهى . ويضاف إلى ذلك ما قد عرفت من القدح في الوليد بن مسلم الدمشقي .

قال السيوطي في ﴿ اللآلىء ج ١ ص ٤ ﴾ : وجدت للحديث متابعاً آخر قال أبو القاسم بن بشر في أماليه : حدثنا أبو الحسن محمد بن احمد بن حماد بن سفيان ، حدثنا محمد بن الحسين بن حميد بن الربيع اللخمي ، حدثنا أبي بكر بن محمد بن عيسى ابن سلام الأدمي ، حدثنا عبدالملك بن عبد ربه الخواص ، حدثنا الوليد بن مسلم

به . قال في ﴿ الميزان ﴾ : عبدالملك بن عبد ربه الطائي منكر الحديث وله عن الوليد خبر موضوع . انتهى . فما رأيت لهذا الحديث من طب . انتهى .

أقول : مضافاً إلى ان الحديث ينتهي أمره الى الوليد بن مسلم وهو مقدوح مجروح ، إن في طريق الحديث محمد بن احمد بن حماد ، ففي ﴿ اللسان ج ٥ ص ٤١ ﴾ قال ابن عدي : ابن حماد متهم فيما قاله في نعيم بن حماد لصلابته في أهل الرأي وقال حمزة السهمي : سألت الدارقطني عنه فقال : تكلموا فيه لما تبين من أمره الأخير وقال ابن يونس : انه كان يضعف ، وقال ابن عدي : انه كان يميل الى الجُهنية انتهى .

ثم إن محمد بن احمد بن حماد هذا روى الحديث عن محمد بن الحسين بن حميد اللُخمي ، وفي ﴿ لسان الميزان ج ٥ ص ١٣٨ ﴾ في ترجمته : قال أبو أحمد الحاكم كان ابن عقدة يسيء الرأي فيه وقال ابن عدي عن ابن عقدة : كنت عند مطيّن فمر عليه محمد بن الحسين بن حميد فقال : هذا كذاب بن كذاب . انتهى . وأما ماسمعت في عبدالملك بن عبد ربه من القدح فقد ذكره ابن حجر في ﴿ اللسان ج ٤ ص ٦٦ ﴾ .

الحديث التاسع : ما أورده السيوطي في ﴿ اللآلىء ج ١ ص ٤ ﴾ عن ابن النجار في تاريخه قائلا : ان عبدالوهاب بن عبدالواحد أبا القاسم بن أبي الفرج الانصاري الواعظ شيخ الحنابلة بدمشق حدث عن والده بحديث منكر ثم اورد الحديث عن والده قال : سمعت والدي يقول : حدثنا ابو عباس احمد بن قيس المالكي عن علي بن أبي الحسن الصوفي عن أبي احمد عبدالله بن عبد الحافظ عن هبيل بن محمد السليحي عن ابي بكر رؤية بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن ابي حكيم الشامي مرفوعاً : « خيركم من حفظ كتاب الله فعمل به وهو كلام الله غير مخلوق منه بدأ و اليه يعود فمن قال مخلوق فهو كافر » . انتهى .

اقول : لاوزن للحديث بعد شهادة ابن النجار بانه منكر مع مافي سنـده من القدح والجرح في كل من ضمضم بن زرعة ، وشريح بن عبيد ، وابي بكر بن عياش . قال العسقلاني في ﴿ التهـذيب ج ٤ ص ٤٦٢ ﴾ : ضمضم بن زرعـة بن ثوب الحضرمي الحمصي روى عن شريح بن عبيد ، قال أبو حاتم : ضعيف ، وقال في ﴿ التهذيب ج ٤ ص ٣٢٨ ﴾ : شريح بن عبيد روى عن ثوبان وابى الدرداء وابي امامة والعرباض بن سارية ، ومعاوية والمقـدام بن معدي كرب والمقداد بن الاسود وسعد بن أبي وقاص وأبى ذر الغفاري ولم يدركهم . إنتهى . واما ابو بكر ابن عياش ففي ﴿ التهذيب ج ١٢ ص ٣٤ ﴾ قيل : اسمه روبة وقيل مسلم روى عن ابيه ، قال عبدالله بن احمد عن ابيه : ثقة وربما غلط ، وان محمد بن عبدالله بن نمير يضعف ابا بكر في الحديث ، وانه يروى عن ضعيف وكان يحيى القطان وعلى بن المدينى يسيئان الرأي فيه ، وذلك أنه لما كبر سنه ساء حفظه ، وقال ابن سعد : كان ثقـة إلا انه كثـير الغلط ، وقال مهنا : سألت احمد عنه ، قال : إن أبا بكر كثير الخطأ جداً . قلت : كان في كتبه خطأ ؟ قال : لا ، كان اذا حدث من حفظه ، وقال يعقوب بن شيبة : وفى حديثه اضطراب . وقال علي بن المديني عن يحيى بن سعيد : لو كان ابو بكر بن عياش حاضراً ماسألته عن شيء ، وكان يحيى ابن سعيد اذا ذكر عنده كلح وجهه ، وقال أبو نعيم : لم يكن فى شيوخنا أحد اكثر غلطاً منه ، وقال البزار : لم يكن بالحافظ . انتهى .

الحديث العاشر : السيوطي في ﴿ اللآلىء ج ١ ص ٤ ﴾ قال ابن عدى : حـدثنا العباس بن الوليد النرسي عن يحيى بن سليم عن الأزور بن غالب عن سليمان التيمي عن أنس بن مالك ، قال : « القرآن كلام الله ليس بمخلوق » قال ابن عدي هـذا منكر وان كان موقوفاً لانه لايحفظ للصحابة الخوض فى القرآن وقال الذهبي : الازور منكر الحديث بما لايحتمل فكذب وهو هذا الاثر . انتهى .

الحديث الحادى عشر : السيوطي فى ﴿ اللآلىء ج ١ ص ٤ ﴾ عن الشيرازى فى ﴿ الالقاب ﴾ عن ابي احمد محمد بن محمد الحافظ عن محمد بن احمد بن سعيد عن الحسن بن علي التمار عن ابي علي الحسين بن اسماعيل القاضي عن اسحاق بن محمد المقري عن الحسن بن علي الطحان المعروف بلولو عن محمد بن ابي السوداء عن وكيع عن الاعمش عن زيد بن وهب عن عبدالله بن مسعود وحذيفة قالا : كنا عند رسول الله (ص) فقال : « كيف انتما اذا استخف الناس بالقرآن اما انكما ان تدركا ذلك ، اذا استخف الناس بالقرآن وقالوا : القرآن مخلوق برأ الله منهم و جبرئيل وكفروا بما انزل علي » . انتهى .

اقول : ان النظر الثاقب الى متن الحديث ليدلك على انه مختلق موضوع ، وذكره بهذا الترتيب تدليس وتلبيس ، واتيان للرأى على صورة الحديث كما هو فعل الكذابين المفترين على رسول الله ﷺ فيأتون بالدراية بصورة الرواية تعمية على الجهلة . ويدلك على ذلك خلو الصحاح من كتب الجماعة عن مثل هذه الاحاديث مع توفر الدواعي لذكرها لو كانت صحيحة ، لانها حينئذ تكون من الشريعة ، فيجب ذكرها فيها ليعتقد بها المؤمن الموحد كسائر المعتقدات التى تتصدى لها كتب الحديث وحيث ان الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ قد كثر وشاع منذ الصدر الاول من الاسلام ، وضع علماء الحديث اصولا يعرف بها الصحيح من السقيم والصادق عن الكاذب . ألا ترى الى ابن الأثير حيث صدّر كتابه ﴿ جامع الاصول ﴾ ببيان المجروحين والوضاعين مع اقرارهم بالوضع ! ؟ قال في الفرع الثالث من ذكره طبقات المقدوحين : ومنهم قوم وضعوا الحديث لهوى يدعون اليه فمنهم من تاب عنه وأقرّ على نفسه ، قال شيخ من شيوخ الخوارج بعد ان تاب : إن هذه الاحاديث دين فانظروا ممن تأخذون دينكم فانا كنا إذاهوينا امراً صيرناه حديثا . وقال ابو العيناء : وضعت انا والجاحظ حديث فدك وادخلناه على الشيوخ ببغداد فقبلوه . إنتهي . ونحوه

كلام السيوطي في ﴿ اللآلى ، ج ٢ ص ٢٥٠ ﴾ وفيه عن ابن الجوزي أن أحمد بن عبدالله الجويباري ومحمد بن عكاشة الكرماني ومحمد بن تميم الداري الفريابي وضع على رسول الله ﷺ اكثر من عشرة آلاف حديث ، وعن ابن أبي شيبة قال : كنت اطوف بالبيت ورجل ورائي يقول : اللهم اغفر لي وما أراك تفعل ، فقلت : ياهذا قنوطك اكثر من ذنبك فقال : دعني فقلت له : أخبرني فقال : اني كذبت على رسول الله ﷺ خمسين حديثا فطارت في الناس وما اقدر ان أردّ منها شيئاً .

ثم ان في الاسناد محمد بن محمد ففي ﴿ طبقات الحفاظ ج ٣ ص ١٨١ ﴾ : هو الحافظ الامام روى مناكير عن شيوخ مجاهيل لم يتابعه عليها أحد فانكروا عليه وكذبوه وحلف ابو سعيد النقاش انه كان يضع الحديث . انتهى .

وفي السند ايضا محمد بن احمد بن سعيد ففي ﴿ اللسان ج ٥ ص ٣٩ ﴾ قال ابن حجر : محمد بن احمد بن سعيد أبو جعفر الرازي لا اعرفه لكن اتى بخبر باطل هو آفته وسيأتي تضعيف الدارمى له فى ترجمة محمد بن أحمد بن مهران . انتهى . وقال في ﴿ اللسان ج ٥ ص ٥١ ﴾ في ترجمة ابن مهران محمد بن أحمد بن مهران عن محمد بن القاسم الطالقاني وعنه ابو جعفر محمد بن احمد بن سعيد الرازي ضعفهم الدارقطني في ﴿ الغرائب ﴾ . انتهى .

وفي السند ايضا وكيع بن الجراح وهو مقدوح كما في التراجم ففى ﴿ التهذيب لابن حجر ج ١١ ص ١٢٥ ﴾ في ترجمته : قال أحمد بن حنبل : إن ابن مهدي اكثر تصحيفاً من وكيع ، و وكيع اكثر خطأ منه ، وقال في موضع آخر : أخطأ وكيع في خمسمائة حديث. وقال يعقوب بن سفيان : سئل أحمد : اذا اختلف وكيع وعبدالرحمن بقول من نأخذ؟ فقال : عبدالرحمن يوافق كثيراً ويسلم منه السلف ويجتنب شرب النبيذ . وقال حنبل عن ابن معين : رأيت عند مروان بن معاوية لوحاً مكتوب فيه أسماء شيوخ فلان كذا وفلان كذا و وكيع رافضى ، وقال علي بن المديني : كان وكيع يلحن ولو حدثت

بألفاظه لكان عجبا ، وقال محمد بن نصر المروزي : كان يحدث بآخره من حفظه فيغير ألفاظ الحديث كأنه كان يحدث بالمعنى ولم يكن من أهل اللسان . انتهى .

وقال الذهبي في ﴿ تذكرة الحفاظ ﴾ : مافي وكيع إلا شربه النبيذ وملازمته له ، قال يحيى بن معين : سأل رجل وكيعاً انه شرب نبيذاً فرأى في النوم كأن من يقول له : انك شربت خمراً فقال وكيع : ذلك شيطان . انتهى .

الحديث الثاني عشر : السيوطي في ﴿ اللآلىء ج ١ ص ٥ ﴾ عن علي بن عاصم عن عمران بن جدير عن عكرمة قال : شهد ابن عباس جنازة فلما صير في قبره قام رجل وقال : اللهم رب القرآن اغفر لي فقال ابن عباس : مه ! مه ! القرآن منه ، وهذا رجاله ثقات . انتهى .

أقول : ان عكرمة كذاب إباضي حروري على ماصرح به الذهبي في ﴿ الميزان ج ٢ ص ٢٠٨ ﴾ وابن خلكان في ﴿ وفيات الاعيان ج ١ ص ٥٧٤ ﴾ وياقوت الحموي في ﴿ معجم الأدباء ﴾ في ترجمته ، وابن حجر العسقلاني في ﴿ التهذيب ج ٧ ص ٢٦٣ ﴾ وفي ﴿ تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٩٠ ﴾ : ان عكرمة كذاب ، وان علي بن عبدالله بن عباس جعل عكرمة موقوفاً بباب الكنيف وقال : ان هذا الخبيث يكذب على أبي .. الخ . (١)

الحديث الثالث عشر : السيوطي في ﴿ اللآلىء ج ١ ص ٥٢٤ ﴾ عن أبي نصر عبيدالله بن سعيد بن حاتم في الابانة عن ابراهيم بن علي بن عبدالله القرشي عن عثمان بن محمد بن ابراهيم المادراي عن أحمد بن محمد بن موسى عن عبدالكريم بن موسى الهيثم الدير عاقولي عن علي بن صالح الأنماطي عن يوسف بن عدي عن محبوب ابن محرز عن الاعمش عن ابراهيم بن يزيد عن الحادث بن سويد قال : قال علي (رض) : يذهب الناس حتى لا يبقى أحد يقول : لا إله إلا الله ، فاذا فعلوا ذلك ضرب يعسوب

(١) وقدمر عليك القول الفصل في التعريف بعكرمة في الصحيفة ٦٤ و ٦٥ من هذا الكتاب .

الدين ذنبه فيجتمعون اليه من أطراف الارض كما تجتمع قزع الخريف ثم قال علي : « اني لأعرف اسم أميرهم ومناخ ركابهم يقولون : القرآن مخلوق ، وليس هو بخالق ولا مخلوق ولكنه كلام الرب عز وجل منه بدأ واليه يعود » هذا الاسناد رجاله ثقات وبه أتى علي بن صالح . انتهى .

أقول : ولكن متن الحديث غير مفهوم المراد منه ، وهذه آية اختلافه ووضعه فقوله : لا يبقى أحد يقول لا إله إلا الله لا ينطبق إلا على أشراط الساعة ، والقائلون بخلق القرآن من الشيعة والمعتزلة هم القائلون بلا إله إلا الله من صدر الاسلام من غير انكار، ويرون أن من التوحيد الصحيح القول بمخلوقية القرآن . وقوله : ضرب يعسوب الدين ذنبه . . الخ ، ان اريد به دابة الارض كما في القرآن فهو الحق الفارق بين الكفر والايمان فمتى قال : القرآن مخلوق فلا محالة هو الايمان ، وخلافه هو الكفر ، فكيف ينسب الى علي (ع) القول بأنه ليس بخالق ولا مخلوق ؟!

ثم ان قول القائل : ان القرآن منه بدأ واليه يعود تعليل عليل لا يقوله عاقل ، لأن كل ما يبدأ من الله تعالى واليه يعود لا يلزم ان يكون غير مخلوق ، فان الخلق جميعا منه بدأ واليه يعود لقوله تعالى : « كما بدأكم تعودون » (١) ومع ذلك فهم مخلوقون ، على أن القرآن هو المعجزة الخالدة لرسول الله ﷺ كسائر معاجز الانبياء عليهم السلام التي بدأت من الله تعالى على ايدي انبيائه ورسله واهل الكرامة من خلقه ، ولا شك أن جميعها مخلوقة ، كما قال عز من قائل في موسى (ع) : « فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين، ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين » (٢) وقال في عيسى (ع): « أني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً باذن الله » (٣) ونحوه تكلمه (ع) في المهد وقوله : « اني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيا » (٤) .

---

(١) الاعراف : ٢٩ . (٢) الاعراف : ١٠٦ . (٣) آل عمران : ٤٩ .
(٤) مريم : ٣٠ .

هذا الكلام في الحديث بحسب متنه ، واما القول فيه من حيث السند فنقول: انه لايصح الاحتجاج به على من خالفهم في المذهب فى القرآن ، ولا يمكنهم أن يستندوا اليه عونا لمذهبهم ، فان علي بن صالح وأخاه الحسن بن صالح من اعلام الشيعة كما حكاه ابن سعد في ﴿ طبقاته ج ٦ ﴾ وذكره الذهبي في ﴿ الميزان ﴾ عند ترجمة أخيه الحسن قائلا: كان أحد الاعلام وفيه بدعة تشيع وكان يترك الجمعة ويرى الخروج على الولاة ، وعدّه ابن قتيبة فى كتاب ﴿ المعارف ﴾ من رجال الشيعة ، ومع ذلك فعلي بن صالح على مافي ﴿ لسان الميزان ﴾ فى ترجمته : ضعفه ابن معين . وأما محبوب ابن محرز ففى ﴿ التهذيب ﴾ فى ترجمته : قال الدارقطني: ضعيف .. الخ.

وأما الاعمش فانه من أعاظم شيوخ الشيعة ومحدثيهم، صرح بذلك الشهرستاني في كتاب ﴿ الملل والنحل ﴾ وابن قتيبة في ﴿ المعارف ﴾ والذهبي في ﴿ الميزان ﴾ في ترجمة زبيد قال : وكان من أهل الكوفة قوم لا يحمد الناس مذاهبهم هم رؤس محدثي الكوفة، وعدّ منهم زبيد والاعمش، فالأعمش عندهم غير محمود المذهب. واما ابراهيم ابن يزيد بن عمرو فقد عده ابن قتيبة في ﴿ المعارف ص ٢٠٦ ﴾ من رجال الشيعة .

فهؤلاء لو أتوا بحديث يخالف مذهبهم كحديث نفي خلق القرآن فانما يحمل ذلك منهم على التقية كسائر الاحاديث في باب التقية من كتاب الصلاة والافطار يوم العيد والحج على طريق أهل السنة والجهاد مع المخالف وشراء سراريهم وامضاء طلاقهم وغير ذلك . اذ من الضروري ان السلطة الجبارة تجعل السنة بدعة والبدعة سنة . ألا ترى الى السلطة الأموية جعلت سب علي — عليه السلام — والبراءة منه سنة متبعة ، وان سلطة أخرى حصرت المذاهب في الأربعة ، وسدّت أبواب العلم اصولا وفروعاً على الامة ؟ ! ومن ذلك اختلاق نفي خلق القرآن تقليداً لأبي الحسن الاشعري ، ووضعوا لذلك أحاديث لم يكن لها في الصدر الاول عين ولا أثر ، ولا عدّ خلافها أحد من الصحابة بل ولا أئمة الحديث ولا الفقهاء في كتبهم ومصنفاتهم من موجبات

الكفر ، فالصحابة والتابعون يعلمون أن المكلفين اذا حضروا النبي ﷺ وآمنوا بالله وبرسوله لم يتوقف ايمانهم على معرفة أن القرآن مخلوق أو غير مخلوق . ولم يذكر لهم من تلك المعرفة شيئاً ، ولو كان نفي خلق القرآن من اركان الدين — كما يزعم هؤلاء — لزم أن يتعرض النبي ﷺ لبيانه ليحصل لهم الايمان بذلك فاذا عُلم بالوجدان أن هذا لم يكن شرطاً من الرسول ﷺ في ايمان المؤمن ، عُلم ان اشتراطه في الايمان من مزاعم أهل البهتان واختلاقهم . كيف لا ، وآيات الكتاب الحكيم متظافرة على ان الايمان هو ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والبعث بعد الموت ، وليس منها الخوض في مسألة نفي خلق القرآن سيما مع عدم ورود نص صحيح به ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايماناً .

الآيات الصريحة بخلق القرآن

مر عليك البحث حول الاحاديث التي اختلقتها السياسة الزمنية والسلطة الوقتية في نفي خلق القرآن ذكرنا معظمها وكشفنا الستار عن بطلانها وافتعالها وتركنا يسيراً منها اكتفاء بما سنقيمه من أدلة قاطعة من آيات الكتاب العزيز الصريحة في نفي خلق القرآن ، وذلك كقوله تعالى : « إنا انزلناه في ليلة القدر » (١) وقوله : « انا نحن نزّلنا الذكر وانا له لحافظون » (٢) وقوله : « ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه .. » الآية (٣) ومن المعلوم بالضرورة أن المنزل والمأتي به هو حادث مخلوق ، وقال سبحانه : « وكلم الله موسى تكليما » (٤) وقال : « منهم من كلم الله .. » الآية (٥) وقال تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من

(١) القدر : ١ . (٢) الحجر : ٩ . (٣) الانبياء : ٢ .
(٤) النساء : ١٦٣ . (٥) البقرة : ٢٥٣ .

وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء .. » الآية (١) أخبر سبحانه أنه كلم موسى وعيسى وسائر الأنبياء (ع) وكلم رسول الله ﷺ ليلة المعراج بل وكلم أهل النار و « قال اخسئوا فيها ولا تكلمون » (٢) وقال : « ياعبادي الذين أسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله .. » الآية (٣) وقال : « كذلك اتتك آياتنا فنسيتها .. » الآية (٤) فقول الله تعالى هو كلامه الذي ألقاه على متفاهم العرف المركب من الحروف المسموع الملفوظ الحادث الذي لم يكن قبله ومن ذلك وحيه في قوله تعالى : « انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا .. » الآية (٥) وقوله: « نزل به الروح الامين على قلبك ..» الآية (٦) ومن الوجدان ان الوحي من أوصاف الحادث دون القديم وكذلك وصف القرآن بأنه مسموع ، فهو اذاً مخلوق كما في قوله تعالى : « انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا » (٧) ، وقوله تعالى : « وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه .. » الآية (٨) دل على أن المحرف والمسموع هو كلامه ، ونحوه المنسوخ في قوله تعالى : « ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها .. » الآية (٩) وكذلك المقروء والمكتوب والمحفوظ كما في قوله تعالى : « فاقرءوا ماتيسر منه .. » الآية (١٠) وقوله: « ولقد يسرنا القرآن للذكر .. » الآية (١١) وقوله : « انه لقرآن كريم ،في كتاب مكنون، لايمسه إلا المطهرون ، تنزيل من رب العالمين » (١٢) ،وقوله: « وأن اتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى .. » الآية (١٣) ومن الضرورة ان المقروء والمحفوظ والمسموع والمتلو والمكتوب والملموس والمنزل هو القرآن ، وأوصافه

---

(١) الشورى : ٥١ . (٢) المؤمنون : ١٠٩ . (٣) الزمر : ٥٣ .
(٤) طه : ١٢٦ . (٥) النساء : ١٦٢ . (٦) الشعراء : ١٩٤ .
(٧) الجن : ١ . (٨) البقرة : ٧٥ . (٩) البقرة : ١٠٦ .
(١٠) المزمل : ٢٠ . (١١) القمر : ١٧و٣٢و٤٠ . (١٢) الواقعة: ٧٧-٨٠ .
(١٣) النمل : ٩٢ .

هذه اوصاف المخلوق دون الخالق وهذا هو الموافق لصريح الكتاب والنقل .

فالقرآن عند الشيعة عبارة عن قول الله النازل على رسوله ﷺ الذي أمر النبي ﷺ بحفظه وكتبه وثبته وكذلك الخلفاء من بعده الى الآن ، فالوجود الكتبي للقرآن هو عين الوجود اللفظي له كما في سائر الكتب المصنفة فمن قال بغير ذلك فانما ناقض عقله وما صح من نقله . فالمكتوب من التوراة والانجيل والزبور والقرآن هو عبارة عن كلمات الله الثابتة في الألواح النازلة كما في قوله تعالى : « وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا . . » الآية (١) وقوله تعالى : « ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة .. » الآية (٢) وقوله تعالى : « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي . . » الآية (٣) وقوله : « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله . . » الآية (٤) .

فلو قالت الاشاعرة : إن قرآنه الذي هو كلامه سبحانه هو قائم بنفسه وان هذا الموجود في المصاحف ليس من كلامه تعالى وان الله لم يتكلم بالقرآن العربي ولا بالتوراة ولا بالانجيل العبري لان ما يكون قديما يمتنع ان يكون حروفا واصواتا متعاقبة لا يوجد شيء منها إلا بعد انعدام سابقها نظير الحركة .

قلنا لهم : فعند ذلك يمتنع أن يكون الصوت الذي سمعه موسى (ع) قديما لم يزل ولا يزال . مع ان الله أخبر انه (ع) لما أتى الشجرة ناداه في ذلك الوقت . فكيف يكون نداؤه الذي هو كلامه أزليا أبديا ومع ذلك يكون وجدانيا نفسيا ؟؟ وهو ممتنع الوقوع وممنوع التفاهم عقلا . فما هو كلام الله غير منفصل عنه ، وما هو منفصل عنه لا يكون كلامه كما زعمتم ، وهذا رأي شنيع اذ يلزم أن لا يكون قوله

(١) الاعراف : ١٤٤ . (٢) الاعراف : ١٥٣ .
(٣) الكهف : ٨٠ . (٤) لقمان : ٢٧ .

و نداؤه كلاماً له ، مع ان كلامه هو نداؤه لا غير و نداؤه حادث منفصل عنه قائم به تعالى قيام صدور كخلقه ورزقه ، لاقيام حلول كملمه كما توهم ، فهو تعالى القائل : « إني أنا الله رب العالمين » (١) نظير قوله تعالى : « ادعوني استجب لكم .. » الآية (٢) وقوله : « استغفروا ربكم انه كان غفاراً » (٣) وقوله : « انني انا الله لا إله إلا انا فاعبدني .. » الآية (٤) وقوله : « وإذ قال ربك الملائكة .. » الآية (٥) فصريح هذه الآيات انه تعالى تكلم بالكلام المذكور كلاً في موقعه الخاص نظير قوله تعالى : « هل اتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى » (٦) فكيف يكون كلامه هذا قديما أزليا أبديا ؟ أم كيف قال الله في الأزل : « يانوح اهبط بسلام منا .. » الآية (٧) أوقال : « ياعيسى اني متوفيك ورافعك إلي .. » الآية (٨) أو قال : « يا ايها المدثر قم فانذر » (٩) او قال : « يا أيها المزمل قم الليل .. » الآية (١٠) والقول بالقدم في هذه الخطابات من الخرافات ، وكذلك القول بالكلام النفسي من الاباطيل ايضاً ، لأن القرآن مشتمل على الاسئلة والأجوبة وكلها حادثة من غير شك كقوله تعالى : « يسألونك عن الجبال » و « يسألونك عن الساعة » و « يسألونك ماذا ينفقون » و « يسألونك عن الشهر الحرام » و « يسألونك عن الخمر والميسر » و « يسألونك عن المحيض » و « يسألونك عن الانفال » و « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة » . فتبين انه اذا لم يكن هذا الموجود بأيدينا قرآناً وكلاماً لله تعالى لزم إما ألاّ يكون هذا النازل من السماء على النبي ﷺ من كلامه تعالى ، بل إما من كلام جبرائيل أو من كلام الرسول (ص) ، او ان له سبحانه كلامين : كلام قديم قائم بالذات الأزلية غير منفصل عنها ، وكلام حادث منزل على الرسل ليعبّر به عما يراد إفهامه من ذلك المعنى

(١) القصص : ٣٠ . (٢) المؤمن : ٦٠ . (٣) نوح : ١٠ .
(٤) طه : ١٤ . (٥) البقرة : ٣٠ . (٦) النازعات : ١٥ و ١٦ .
(٧) هود : ٤٨ . (٨) آل عمران : ٥٥ . (٩) المدثر : ١ و ٢ .
(١٠) المزمل : ١ و ٢ .

الواحد الذي لا يتبعض ولا ينفصل ، وهذا إثبات لقرآنين : قرآن قـديم وقرآن حادث مخلوق ، وهذا قول شنيع ووقوع في المحذور الأشد ، وكرٌّ على ما فرّوا منه من خلق القرآن .

هذا مضافاً الى ان الـكلام القديم القائم بالنفس المقدسة أمر وجداني لا تكثر فيه ولا يوصف بأمر ولا نهي ولا انشاء ولا إخبار ، وإنما الموصوف بها هذه الخطابات والحـكايات الملقاة الى المخاطبين . فان قلنا : إنه كلامه وقرآنه فقد اضطررنا الى القول بان كلامه حادث حسب ما هو المعقول والمنقول ، وان قلنا : إن كلامه ذلك المعنى الواحد وهو المنشأ للأمر والنهي والطلب فقد اتينا بامر غير معقول لو لم يرجع كلامه القديم الى علمه وارادته ، والارجاع اليه خلاف الفرض عند الاشعري ، فانه أثبت لله تعالى كلاماً هو في عرض أوصافه من العلم والقـــدرة والارادة — ودون اثباته خرط القتاد — وإنما الموجود الثابت هو القرآن وهو مخلوق ، والمتكلم به هو من أوجده وألقاه كسائر الـكلمات الملقاة فلو بنيتم على انها ليست من كلامه وان كانت من قرآنه بمعنى انه لفظ كاشف عن كـلامه ، قلنا لـكم : هل هو حادث أم قـديم ؟ فلو قلتم : انه قديم ، فقد عارضتم العقل والنقل والوجدان بدعوى أن الـكاشف الذي لا يقوم بذاته تعالى قديم . وان قلتم : انه حادث مخـلوق فقـد عارضتم ما اقمتم عليه الدليل — بزعمكم — من أحاديث نفي خلق القرآن ، وثبت بذلك مطلوبنا .

ومن المضحكات : ما في « الملل والنحل » للشهرستاني عنـد ذكره مذهب الاشعري القائل : ان كـلامه تعالى قديم قال : ذهب جمع من الحشوية الى ان ألفاظ القرآن من الحروف والـكلمات والاصوات قديمة .

واطرف من ذلك : ما حكاه عن الجاحظ عند ذكره مذهب الجاحظية : انه ذهب الى أن القرآن جسد يجوز أن يقلب مرة رجلا ومرة حيوانا ، وهذا نحو ما يحكى عن أبي بكر الأصم انه زعم ان القرآن جسم مخلوق . إنتهى .

وقال القوشجي — وهو من أعلام العامة — في ﴿ شرح التجريد ﴾ : إن الحنابلة قالوا : كلامه تعالى حروف واصوات تقوم بذاته وانه قديم ، وقد بالغوا فيه حتى قال بعضهم جهلا : الجلد والغلاف ايضا قديمان فضلا عن المصحف . انتهى .

فهذه الأضاليل والأباطيل ناشئة عن حرمانهم عن مهبط الوحي الالهي ، وانقطاعهم عن أهل بيت العصمة والطهارة ، وعن عدم التدبر في الآيات القرآنية الصريحة في خلق القرآن . أفمن المعقول أن الله نادى موسى (ع) بكلام نفسي من دون توسيط كلام لفظي مسموع مفهوم ، فهل إصطفاه بكلام نفسي يستوى فيه كل أحد ؟ أم خصه بما فيه إصطفاؤه في قوله تعالى : « واني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي .. » الآية (١) .

والمعتزلة وافقتنا في ان الموجود في المصاحف هو القرآن وهو كلامه الذي كلم به انبياءه فان كان كذلك فهو مخلوق لامحالة ، فالشيعة قاطبة لاتزيد شيئا وراء العقل والنقل والحس والوجدان .

تخرصاتهم حول تحريف القرآن

إن مما تخرص به الجماعة وإفتروا به على الشيعة ، ما ألصقوه بهم من القول بتحريف القرآن الكريم .

قال ابن تيمية في ﴿ منهاجه ج ١ ص ٧ ﴾ : اليهود حرفوا التوراة وكذلك الرافضة حرفوا القرآن . إنتهى .

أقول : إن الشيعة يقولون : إننا كلما ذكرنا من التغيير والتحريف شيئا فانما

(١) الاعراف : ١٤٣ .

هو عن كتب أهل السنة إحتجاجاً عليهم ، فان أول من جمع القرآن عندهم هو عثمان ومن أعانه على جمعه ، فان كان فيه نقص أو تصحيف فهو من فعله لا من فعل الشيعة أما الشيعة فهم بريئون من هذا البهتان ، فيا ويل من إفترى على أهل الحق كذباً، فهذا شيخ الطائفة الطوسي « قدس سره » صرح في تفسيره ﴿ التبيان ﴾ بأن الزيادة والنقصان مما لا يليق بالقرآن ، لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها ، والنقصان منه خلاف الصحيح من مذهبنا كما نصره المرتضى « قدس سره » ، وتبعه على ذلك الشيخ الطبرسي في ﴿ مجمع البيان ﴾ وهو مذهب شيخنا المفيد عليه الرحمة في ﴿ إرشاده ﴾ ، وشيخنا الصدوق عليه الرضوان في ﴿ معتقداته ﴾ (١).

ولكن ممن صرحوا بوقوع الاختلاف في نفس ما أُنزل من الله تعالى من وجوه العامة وعظائهم وأوليائهم من الصحابة كثيرون منهم : عمر بن الخطاب ، وإبنه

(١) عقد العلامة البلاغي في تفسيره (آلاء الرحمن ج ١ ص ٢٥) فصلا عنوانه (قول الامامية بعدم النقيصة في القرآن) قال فيه : « ولا يخفى أن شيخ المحدثين والمعروف بالاعتناء بما يروي وهو الصدوق طاب ثراه قال في كتاب (الاعتقاد) : اعتقادنا أن القرآن الذي انزله الله على نبيه (ص) هو ما بين الدفتين وليس بأكثر من ذلك ، ومن نسب الينا أنا نقول : انه أكثر فهو كاذب . انتهى . وحمل الروايات الواردة في النقصان على وجوه أخر . وفي أواخر فصل الخطاب من كتاب (المقالات) للشيخ المفيد (قدس سره) أنه قال جماعة من أهل الامامة: انه - أي القرآن - لم ينقص من كلمة ولا من آية ولا من سورة ، ولكن حذف ما كان مثبتا في مصحف أمير المؤمنين (ع) من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله . وعن السيد المرتضى « قدس سره » قوله بعدم النقيصة وان من خالف في ذلك من الامامية والحشوية لا يعتد بخلافهم فان الخلاف في ذلك مضاف الى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها . وفي أول التبيان للشيخ الطوسي (قده) : أما الكلام في زيادته ونقصه فمما لا يليق به أيضا لان الزيادة فيه مجمع على بطلانها . . الى آخر كلامه ، وتبعه على ذلك في (مجمع البيان) وفي (كشف الغطاء) في كتاب القرآن المبحث الثامن في نقصه : لاريب انه محفوظ من النقصان بحفظ الملك الديان كما دل عليه صريح القرآن واجماع العلماء في كل زمان . . . الى آخره) ويجدر بالباحث أن يطلع على هذا المبحث النفيس ليطلع على رأي الامامية واجماعهم على صيانة القرآن الكريم وسلامته من التحريف والتحوير .

عبدالله ، وعثمان ، وابن عباس ، وعبدالرحمن بن عوف ، وأُبي بن كعب ، وعبدالله بن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ، وحذيفة ، وأبو واقد الليثي ، وجابر بن عبدالله ، وزيد بن أرقم ، وعائشة ، وحفصة . ومن التابعين : سعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، وعروة بن الزبير ، والزهري ، وذر بن حبيش ، وعبدالله بن ذرير ، ومجاهد . وسيأتي ذهاب عثمان ، وعائشة ، وابن عباس ، وأُبي بن كعب ، وسعيد بن جبير ، والضحاك بن مزاحم ، وحمزة بن الزيات الى الجزم بخطأ الكاتب لما بأيدينا من مصحف عثمان ، وسوف تقف على أقوال هؤلاء وآرائهم في تحريف القرآن .

وممن تصدى لضبط أحاديث الاختلاف والتحريف والتغيير في القرآن من علماء السنة وأرباب صحاحهم وأئمة الحديث والرواة هم : البخارى ، ومسلم في ﴿ الصحيحين ﴾ ، والترمذي ، وابن الأنباري في ﴿ المصاحف ﴾ وابن مردويه والحاكم في ﴿ المستدرك ﴾ ، والبيهقي فى ﴿ السنن ﴾ ، والطبراني واحمد فى ﴿ المسند ﴾ وأبو يعلى وابن الاثير فى ﴿ جامع الاصول ﴾ ، وابن الضريس في ﴿ الفضائل ﴾ ومالك بن أنس في ﴿ الموطأ ﴾ والسيوطي في ﴿ الاتقان ﴾ و ﴿ الدر المنثور ﴾ وابن حجر العسقلاني في ﴿فتح الباري﴾ والقسطلاني في ﴿ارشاد الساري ، شرح البخاري﴾ وعلي المتقي في ﴿ كنز العمال ومنتخبه ﴾ والفخر الرازي في ﴿ تفسيره ﴾ والزمخشرى في ﴿ الكشاف ﴾ ، وفخر الدين الزيلعي في ﴿ تبيان الحقائق شرح كنز الدقائق ﴾ والنسائي والفريابي ، وابن ماجة والتغلبي وابن عساكر ، وابن جرير الطبري ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن حبان ، والبزار ، وابن المنذر ، وأبو عبيد ، وسفيان الثوري ، وابن جريج ، ومحمد بن نصر المروزي ، وعطاء ، وحماد ، وابن أبي داود ، وأبو داود ، والشيخ عبدالحق الدهلوي ، وغير هؤلاء من المصنفين وأهل الحديث من غير إختصاص بالشيعة . فأهل السنّة هم الذين أوردوا

أحاديث نقص القرآن عن كل من عمر ، وابن عمر ، وأبي بن كعب ، وعثمان ، وغيرهم كما سيأتي .

أول من جمع القرآن على ما نزل: أمير المؤمنين (ع)

أجمعت الشيعة على أن أول من جمع القرآن حسب ترتيب نزوله من غير خطأ فيه هو أمير المؤمنين (ع) وأنه هو المحفوظ عند أولاده المعصومين ، وأنه المودع عند الامام المهدي المنتظر (ع) وأنه المعمول به عند ظهوره ، وأنه (ع) هو الذي يحمل الناس عليه عامة .

وان مذهب الشيعة على أن هذا القرآن الموجود عند كافة المسلمين هو القرآن المنزل من السماء على قلب رسول الله ﷺ وانه مما يجب العمل على طبقه وانه الحجة من الله حسب ما تواترت به الأحاديث عن أئمتنا — عليهم السلام — وهذا ما نعتقده وعليه إجماعنا واجماع المسلمين .

وممن صرحوا بأن أمير المؤمنين (ع) هو أول من جمع القرآن بترتيب نزوله من غير تغيير ولا تبديل هم جمع من العامة والخاصة ففي ﴿ الصواعق المحرقة لابن حجر ص ٧٨ ﴾ في الفصل الرابع : أنه أخرج إبن أبي داود عن محمد بن سيرين قال : لما توفي رسول الله ﷺ أبطأ علي عن بيعة أبي بكر فلقيه أبو بكر فقال : أكرهت إمارتي ؟! فقال : لا ، ولكن آليت ألاّ أرتدي بردائي إلا إلى الصلاة حتى أجمع القرآن فزعموا أنه كتبه على تنزيله . قال محمد بن سيرين : لو أصبت ذلك الكتاب كان فيه العلم . إنتهى . وأورده أيضا في ﴿ ص ٩ من الصواعق ﴾ في الفصل الثاني من باب إمارة أبي بكر .

وذكر السيوطي في ﴿ الاتقان ج ١ ص ١٢٤ ﴾ أنه قال ابن حجر : قد ورد

عن علي (ع) أنه جمع القرآن على ترتيب النزول عقيب موت النبي ﷺ ، أخرجه ابن أبي داود . وفي ﴿ الاتقان ج ١ ص ٩٩ ﴾ ايضا انه أخرج ابن أبي داود في المصاحف من طريق ابن سيرين قال : قال علي (ع) : لما مات رسول الله (ص) آليت ألاّ آخذ على ردائي إلا لصلاة جمعة حتى أجمع القرآن ، فجمعه ، وفيه انه أخرج ابن الضريس عن عكرمة قال : لما كان بعد بيعة أبي بكر قعد علي بن أبي طالب في بيته ، فقيل لأبي بكر : قد كره بيعتك ، فأرسل اليه فقال : أ كرهت بيعتي ؟ قال : لا والله قال : ما أقعدك عني ؟ قال : رأيت كتاب الله يزاد فيه فحدثت نفسي ألا ألبس ردائي إلا لصلاة حتى أجمعه . قال أبو بكر : فانك نعم ما رأيت ! قال السيوطي : وأخرجه ابن اشته في المصاحف من وجه آخر عن ابن سيرين .

وأخرج الحافظ أبو نعيم في ﴿ حلية الاولياء ج ١ ص ٦٧ ﴾ في ترجمة علي (ع) والخطيب الخوارزمي في ﴿ مناقب علي (ع) ﴾ والخطيب في ﴿ الأربعين ﴾ عن السدي عن عبد خير عن علي (ع) قال : لما قبض رسول الله (ص) أقسمت أو حلفت ألا أضع ردائي عن ظهري حتى أجمع ما بين اللوحين ، فما وضعت ردائي عن ظهري حتى جمعت القرآن . انتهى .

وفي ﴿ المشكاة ﴾ نقلا عن ابن عبدالبر القرطبي في ﴿ الاستيعاب ﴾ باسناده : أن عليا والعباس قعدا في بيت فاطمة لما بويع أبو بكر ، فبعث أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجهما من بيت فاطمة وقال له : إن أبيا فقاتلهما . قال : فخرج علي (ع) حتى دخل على أبي بكر ، فقال له : أ كرهت إمارتي ؟ قال : لا ولكن آليت ألا ارتدي بعد رسول الله (ص) حتى احفظ القرآن وأجمعه فعليه حبست نفسي .

وقال السيوطي في ﴿ الاتقان ج ٢ ص ٣١٨ ﴾ في طبقات المفسرين : أما الخلفاء فاكثر من روي عنه منهم علي بن أبي طالب والرواية من الثلاثة نزرة جداً ، وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم ، كما ان ذلك هو السبب في قلة رواية أبي بكر

للحديث ، ولا أحفظ من أبي بكر في التفسير إلا آثاراً قليلة جداً لا تجاوز العشرة، وأما علي (ع) فروى عنه الكثير ، وقد روى معمر عن وهب عن أبي الطفيل قال : شهدت عليا يخطب وهو يقول : « سلوني قبل أن تفقدوني فوالله لاتسألون عن شيء يكون الى يوم القيامة إلا حدثتكم به، سلوني عن كتاب الله فو الله مامن آية إلا أنا بليل نزلت أم بنهار ، في سهل أم في جبل » قال : وأخرج أبونعيم في « الحلية » عن ابن مسعود قال : إن القرآن انزل على سبعة أحرف ، مامنها حرف إلا وله ظهر وبطن ، وان علي بن أبي طالب عنده علم الظاهر والباطن . قال : وفي « الحلية » عن علي (ع) قال : والله ما نزلت آية إلا وعلمت فيم انزلت واين انزلت . إن ربي وهب لي عقلا عقولا ولسانا سئولا . إنتهى .

أقول : إن الأحاديث في اختصاص علي (ع) بالقرآن واختصاص القرآن به كثيرة متواترة ، أخرجها الحاكم فى « مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٢٤ » ومحمد ابن يوسف الكنجي الشافعي في « كفاية الطالب ص ٢٥٤ » قال : واخرجه الطبراني في « معجمه الصغير » . انتهى . واليمنى الشافعي فى كتاب « الاكتفاء » وابن حجر المكي في « صواعقه ص ٧٦ » قال : واخرج الحديث الطبراني فى الاوسط. وفي « الصواعق ص ٧٧ » أنه قال النبي (ص) فى مرض موته : « ايها الناس يوشك أن اقبض سريعاً فينطلق بي وقد قدمت اليكم القول معذرة اليكم ، ألا إني مخلف فيكم كتاب ربي عز وجل وعترتي أهل بيتي » . ثم أخذ بيد علي فرفعها فقال : هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لايفترقان حتى يردا علي الحوض فأسألهما ماخلفت فيهما. انتهى مافى الصواعق

وهذا من النبي ﷺ أقصى مراتب اقامة الحجة على من حضر عنده في مرض موته باستخلافه فيهم كتاب ربهم وعترة نبيهم وجعله كل واحد منها مقترناً بالآخر

علما وعملا غير منفكين حتى ورود الحوض . ثم تصريح النبي ﷺ بان الكتاب عند علي (ع) على وجه يفيد التخصيص ، ومعنى أن القرآن مع علي (ع) هو أن علمه عنده (ع) ظاهراً وباطناً ، تنزيلا وتأويلا ، وناسخاً ومنسوخاً، فأنت إذاً ترى القوم إستبدوا بالامر واعرضوا عن علي (ع) في جمعه القرآن . بل طلبوا القرآن وعلمه عن غير أهله ممن لم يضمن له النبي (ص) ولم يصحح عمله وممن كان اقصى جهده أن آخذ القرآن من أفواه الرجال وفيهم المؤمن والمنافق والصادق والكاذب ومن يسهو ويغلط أو ينسى أو ينقل بالمعنى أو يغير الألفاظ فيحرف القرآن قهراً . فهل يعذر هذا الجامع للقرآن أو يعذر متابعوه في اعراضهم عن معدن المعرفة بالقرآن وباب علم النبي (ص) بالأمر الالهي ، ومن ضمن له الله تعالى على لسان نبيه ﷺ صحة عمله ؟؟ وليس اعراضهم عن قرآن علي (ع) إلا كتركهم النصوص التي نص بها النبي (ص) على خلافته . فلو قيل : انه لغير علي (ع) ماله من القرآن وذلك كعثمان . قلنا : فما بال النبي (ص) أعرض عن غير علي ، وترك قوله : إن القرآن مع فلان وفلان ؟؟

سيرة عثمان في جمع القرآن

إن عثمان عمد الى المصاحف كلها فألف منها مصحفه وحمل الناس عليه ثم طبخ بقية الصحف بالماء . ومن حديث البخاري في ﴿ صحيحه ﴾ في باب جمع القرآن : أنه أحرق بقية الصحف بالنار . وعن ابن النديم في ﴿ الفهرست ص ٣٧ ﴾ قال : حتى اذا نسخ عثمان المصحف ردَّ الصحف الى حفصة وأرسل الى كل أرض مصحفاً مما نسخوا ، وأمر بكل ما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق وفي ﴿ تاريخ الخميس للديار بكري ص ٢٢٣ ﴾ و ﴿ الرياض النضرة للمحب الطبري ج ٢ ص ١٤١ ﴾ : ان عثمان أحرق مصحف ابن مسعود ومصحف أُبي بن كعب وجمع الناس

على مصحف زيد بن ثابت ، لما بلغ ابن مسعود انه احرق مصحفه وكانت نسخة له عند اصحابه بالكوفة أمرهم بحفظها وقال لهم : قرأت سبعين سورة وان زيد بن ثابت لصبي من الصبيان . إنتهى . وفي ﴿ محاضرات الراغب الاصفهاني ﴾ : أحرق عثمان مصحف ابن مسعود ، وابن مسعود كان يقول : لو ملكت كما ملكوا لصنعت بمصحفهم مثل الذي صنعوا بمصحفي . انتهى . وفي ﴿ تاريخ اليعقوبي ﴾ : وجمع عثمان القرآن وصير الطوال مع الطوال والقصار مع القصار من السور وكتب في جميع المصاحف من الافاق حتى جمعت ثم سلقها بالماء الحار والخل فلم يبق مصحف إلا فعل به ذلك خلا مصحف ابن مسعود وكان ابن مسعود بالكوفة فامتنع أن يدفع مصحفه . انتهى .

أقول : إن أصح المصاحف وأجمعها بعد مصحف أمير المؤمنين (ع) مصحف إبن مسعود ، وذلك بشهادة رسول الله (ص) الذي لاينطق عن الهوى ، وشهادة الصحابة وأئمة الحديث الذين رووا عن النبي (ص) بأسانيد معتبرة أنه قال : « تمسكوا بعهد ابن أم عبد » . رواه ابن الاثير في ﴿ أسد الغابة ﴾ في ترجمة ابن مسعود ، وأنه (ص) قال : رضيت لكم مارضى لكم ابن أم عبد ، رواه الحاكم في ﴿ المستدرك ﴾ والذهبي فى ﴿ تلخيصه ﴾ وفى حديث آخر عن النبي ﷺ قال : من سرّه أن يقرأ القرآن كما أنزل فليقرأ على قراءة إبن أم عبد . رواه احمد في ﴿مسنده ج ١ ص ٢٦ ﴾ ومن حديث إبن ماجة عند ذكره فضائل الصحابة من ﴿ سننه ج ١ ص ٣٢ ﴾ : أن أبا بكر وعمر بشّراه أن رسول الله (ص) قال : من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما انزل فليقرأ على قراءة ابن ام عبد . قال السندي في حاشيته : الغض: الطري الذي لم يتغير.

قلت : وذلك دليل صريح كاشف عن غاية إعتناء ابن مسعود بضبط القرآن وأن النبي ﷺ إئتمنه على ضبط ما اوحي اليه ، وأمر الناس باتباعه فى قرآنه ، ولم يكن عثمان ولا غيره ممن سبقه . فكيف يكون معاوية ضابطاً للقرآن او جامعاً

له في عهد رسول الله (ص) حتى يأمر (ص) بالأخذ به والقراءة عليه ؟؟ وفي كتاب «الاستيعاب لابن عبد البر القرطبي ج ١ ص ٣٧٢» : ان قرآن ابن مسعود هو القرآن الذي أنزله جبرئيل على النبي (ص) في السنة التي قُبض فيها ، فعلم ابن مسعود من آياتها وكلماتها ، المنسوخة عن غير المنسوخة ، وفيه ان النبي (ص) اتى بين ابي بكر وعمر — وعبدالله يصلي — فقال (ص) : من أحب ان يقرأ القرآن كما انزل فليقرأ على قراءة ابن امعبد . وفيه عن وكيع وعن جماعة معه عن الاعمش عن ابي ضبيان قال: قال لي عبدالله بن عباس: اي القراءتين تقرأ ؟ قلت: القراءة الأولى قراءة إبن ام عبد ، فقال لى : بل هي الآخرة . إن رسول الله ﷺ كان يعرض القرآن على جبرئيل في كل عام مرة ، فلما كان العام الذي قبض فيه عرضه عليه مرتين ، فحضر ذلك عبدالله فعلم مانسخ من ذلك وما بدّل . انتهى .

وفي «حلية الأولياء لأبي نعيم ج ١ ص ١٢٩» : ان ابا موسى الأشعري قال : لاتسألونا عن شيء مادام هذا الحبر بين اظهرنا من اصحاب محمد (ص) — يعني ابن مسعود — وفي حديثه الآخر قوله : مادام هذا الحبر فيكم. وفي «الحلية» ايضا عن ابي البختري قال : قالوا لعلي (ع) : حدثنا عن اصحاب محمد (ص) قال : عن أيهم ؟ قالوا : عن إبن مسعود ، قال : علم القرآن والسنة ثم إنتهى وكفى بذلك علماً . وفيها في حديث آخر : سئل علي بن ابي طالب عن إبن مسعود فقال : قرأ القرآن ثم وقف بعده وكفى .

وفي «صحيح مسلم» في فضائل ابن مسعود وصحة مصحفه ج ٧ ص ١٤٧ عن ابي الأحوص قال : كنا في دار ابى موسى مع نفر من اصحاب عبدالله وهم ينظرون في مصحف، فقام عبدالله فقال ابن مسعود : ما اعلم رسول الله ترك بعده اعلم بما انزل الله من هذا القائم ، فقال ابو موسى : اما لئن قلت ذاك ، لقد كان يشهد اذا غبنا ويؤذن له اذا حجبنا ، وفيه وفي «صحيح البخاري» في باب القراء

من ابواب جمع القرآن عن مسروق عن عبدالله قال : والذي لا إله غيره مامن كتاب الله سورة إلا انا اعلم حيث نزلت ، وما من آية إلا انا اعلم فيما انزلت ، ولو أعلم أحداً هو أعلم بكتاب الله مني تبلغه الابل لركبت اليه .

تساهل الاصحاب في جمع الكتاب

اورد السيوطي في ﴿ الاتقان ج ١ ص ٩٨ ﴾ عن فوائد الدير عاقولي عن سفيان بن عيينة عن الزهري عن زيد بن ثابت قال : قُبض رسول الله (ص) ولم يكن القرآن جُمع في شيء . انتهى . وفي ﴿ المحاضرات ﴾ للراغب الاصفهاني : عن زيد ابن ثابت قال : دعاني أبو بكر وقال : إنك رجل شاب وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله (ص) فاجمع القرآن واكتبه ففعلت . وفي ﴿ الاتقان ايضاج ٢ ص ١٠٠ ﴾ أخرج ابن داود من طريق الحسن أن عمر سأل عن آية من كتاب الله فقيل: كانت مع فلان قتل يوم اليمامة ، فقال : إنا لله .. وأمر بجمع القرآن فكان أول من جمعه في المصحف . و ﴿ فيه ايضاج ١ ص ١٠٠ ﴾ : انه اخرج ابن أبي داود من طريق يحيي بن عبدالرحمن بن حاطب قال : قدم عمر فقال : من تلقى من رسول الله (ص) شيئاً فليأت به وكانوا يكتبون ذلك في المصحف والألواح والعسب، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان ، واخرج ابن أبي داود ايضاً من طريق هشام بن عروة عن أبيه ان ابا بكر قال لعمر وزيد : اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله تعالى فاكتباه . انتهى ، وهذا الحديث رواه السيد محمود الآلوسي ايضا في تفسيره ﴿ روح المعاني ﴾ .

وفي ﴿ الاتقان ﴾ : اخرج ابن اشته في المصاحف عن الليث بن سعد قال : اول من جمع القرآن ابو بكر وكتبه زيد ، وكان الناس يأتون زيد بن ثابت

فكان لا يكتب آية إلا بشاهدَي عدل ، وإن آخر سورة « براءة » لم توجد إلا مع خزيمة بن ثابت فقال : اكتبوها فان رسول الله (ص) جعل شهادته بشهادة رجلين وان عمر اتى بآية الرجم فلم يكتبها لأنه كان وحده . انتهى .

أقول : المفهوم من صحيح هذه الأحاديث امور منها : —

أولا : ان القرآن لم يكن مجموعاً مرتباً مضبوطاً بسوره وآياته وكلماته في صدر خلافة ابي بكر بل وعمر الى زمن عثمان ، وهذا كاشف عن تساهل الاصحاب وتسامحهم حيث اكتفوا بالثبت في الصدور ، الأمر الذي يؤدي حتما الى الاندراس والانطماس والذهاب ، والنسيان او التغيير عمداً او خطأ ، وقد لاحظ النبي ﷺ ذلك فعيّن جمعاً من اصحابه لكتابة مايوحى اليه مضبوطاً غير مدسوس فيه . ومع ذلك فقد عرض عليه التغيير والتبديل ، فكانوا يحرفون الكلم عن مواضعه اتباعاً لليهود كما اخبر النبي ﷺ فى قوله : لتتبعن سنّة من كان قبلكم حذو النعل بالنعل .

الثاني : ان ابابكر اول من جمع القرآن وانه لم يوجد عنده قرآن مرتب مجموع تام ، يشهد بذلك حديث الراغب في « محاضراته » وحديث السيوطي في « الاتقان » من قول ابي بكر لعمر ولزيد بن ثابت : اقعدا على باب المسجد فمن جاء كما بشاهدين .. الخ وكذلك لم يكن لعمر قرآن مضبوط يرجع اليه ، ولهذا كان يسأل عن الآيات والحروف كما تقدم وكما سيأتي من الاحاديث ، وكذلك لم يكن لزيد بن ثابت قرآن محفوظ — بالرغم من كونه كاتبا للوحي — وإلا لما احتاج الى السؤال ولا افتقر الى اقامة البينة على ماجاء به مدعي الآية او السورة .

الثالث : أن قوله : وكانوا يكتبون في الألواح والعسب . الخ صريح في تفرق اجزاء القرآن بين ما كتب منها في الصحف والألواح والاكتاف . . . وبين ما كان محفوظا في صدور الناس مع ما كان يعرض عليهم من الموت او القتل او السهو او النسيان او الخروج عن المدينة الى غيرها من البلدان ، او تصرف المنافقين في

الآيات او العمل فيها بالنظر والاجتهاد ، كما يشهد بذلك ماوصل الينا من خلو مصحف ابن مسعود وأُبي بن كعب عن المعوذتين . وفي « محاضرات الراغب » في فصل ذكر ما ادعي انه من القرآن مما ليس في المصحف وما ادعي انه ليس منه وهو فيه ، قال : واسقط ابن مسعود من مصحفه ام القرآن والمعوذتين وفي « مسند احمد » عن عبدالرحمن بن يزيد قال : كان عبدالله يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول : انهما ليستا من كتاب الله تعالى . انتهى .

ومن المعلوم أن مثل هذه الحوادث تسبب ضياع القرآن ، سيما بالنظر الى اخذهم آخر سورة براءة من خزيمة بن ثابت ذى الشهادة من دون شهادة عدلين بذلك . وعدم قبولهم شهادة عمر في درج آية الرجم لكونه واحداً ، مع انه من العشرة المبشرة عندهم ، فكيف بغير عمر ممن كان عنده القرآن وخاف على نفسه ان ترد شهادته ولم يقبلوا ذلك منه فلم يظهره ؟ !

والظاهر انه لم يكن عند عمر ايضا قرآن مرتب مجموع ، ففي « كنز العمال » فى باب الفضائل أبي بن كعب ج ٦ ص ٤٢٩ ، أن عمر وجد مصحفاً في حجر غلام فيه : « النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو ابوهم » فقال : حكّها ياغلام ، فأبى عليه وقال : هي مصحف أُبي فانطلقا اليه فقال أُبي : شغلني القرآن وشغلك الصفق بالاسواق اذ تعرض رداءك على عنقك بباب ابن العجماء . وفي « كنز العمال ج ٧ ص٢ » ان عمر ردّ على أبي بن كعب قراءة آية فقال أُبي : لقد سمعنا من رسول الله ﷺ وأنت تلهيك الصفق بالاسواق . و « فيه فى ج ١ ص ٢٨٥ » و « منتخب الكنز » في هامش المسند لأحمد ج ٢ ص ٤٣ أنه قرأ أبي بن كعب : « ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا ، إلا من تاب فان الله كان غفوراً رحيما » فأتاه عمر فسأله فقال : أخذته من فيّ رسول الله ﷺ وليس لك عمل إلا الصفق بالبقيع . وفي « كنز العمال ج ١ ص ٢٨٥ » و « الدر المنثور ج ٢ ص ٣٤٤ » : أن أبي

ابن كعب قرأ : « من الذين استحق عليهم الأوليان » فقال عمر : كذبت . فقال : انت اكذب . فقال : رجل تكذب أمير المؤمنين ؟! قال : أنا اشد تعظيما لحق أمير المؤمنين منك ولكن كذبته في تصديق كتاب الله ولم أصدق أمير المؤمنين في تكذيب كتاب الله . فقال عمر : صدق .

﴿ الدر المنثور ج ١ ص ١٢ ﴾ عند تفسير سورة البقرة ، وفى ﴿ تفسير القرطبي ج ١ ص ٣٤ ﴾ عن نافع عن ابن عمر : ان عمر تعلم سورة البقرة فى اثنتى عشرة سنة فلما ختمها نحر جزوراً ، وفى كتاب ﴿ تنوير الحوالك شرح الموطأ لمالك ﴾ : أنه أخرج الخطيب فيما رواه عن مالك عن ابن عمر قال : تعلم عمر البقرة فى اثنتى عشرة سنة فلما ختمها نحر جزورا . انتهى .

أحاديث القوم في كيفية جمع القرآن

جاء فى ﴿ صحيح البخاري ﴾ باب جمع القرآن من كتاب فضائل القرآن عن ابن شهاب عن عبيد بن السباق أن زيد بن ثابت قال : ارسل إلي ابو بكر بعد مقتل أهل اليمامة فاذا عمر بن الخطاب عنده ، قال أبو بكر : إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن واني أخشى ان يستحر القتل بالقراء بالموطن فيذهب كثير من القرآن واني ارى ان تأمر بجمع القرآن . قلت لعمر : كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ؟ قال عمر : هذا والله خير ، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت فى ذلك الذي رأى عمر قال زيد: قال ابو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان اثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال : هو والله خير . فلم يزل

ابو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ، فتتبعت القرآن اجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الانصاري لم اجدها مع احد غيره : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم .. » حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر فى حياته ثم عنـــد حفصة بنت عمر . انتهى . وفى « البخاري » ايضاً باب كاتب النبي ﷺ عن ابن شهاب ان ابن السباق قال : ان زيد بن ثابت قال : ارسل الي ابو بكر قال : انك كنت تكتب الوحي لرسول الله (ص) فاتبع القرآن فتتبعت حتى وجدت آخر سورة التوبة آيتين مع أبي خزيمة الانصاري لم أجدهما مع أحد غيره : « لقد جاءكم رسول من انفسكم .. الخ » .

قال العسقلاني فى « ارشاد الساري ج ٩ ص ٢٥٨ » عند قول البخاري : « فتتبعت آي القرآن اجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال » كما فى الباب السابق وفى رواية ابن عيينـــة عن ابن شهاب : القصب والعسب والـكرانيف وجرائد النخل ، وفى رواية شعيب من الرقاع وعند عمارة بن غزية ، وقطع الاديم وقال ايضاً عند حديث البخاري: « إن القتل قد استحر يوم اليمامة » إن المقتول من الصحابة فى واقعة اليمامـة سبعمائة او اكثر وان المقتول منهم ايضا سالم مولى حذيفـة وهو احد القراء الاربعـة الذي امر النبي (ص) باتباعهم واخذ القراءة منهم كما في الصحيحين . وقال عند قول زيد : فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال . . الخ : إنما قال زيد ذلك خشية من التقصير . انتهى .

أقول: ان سبب خشيته وخوفه هوالتقصير من اول يوم مع انه كان كاتب الوحي اذ لم يهتم بضبط القرآن وجمعه حتى يوجد عنده قرآن مجموع متبع كيلا يخاف الفوت عليه ولا يحتاج الى الاستعانة بغيره فى الجمع والتتبع واستفراغ الوسع فيما هو المتفرق من القرآن عند الناس . وهذا اعتماد منهم على قرآن غير مأمون عن الفوت والتضييع

وكيف يوثق باصحاب الرقاع وصدور الرجال مع تفرقهم فى البلاد وقتلهم فى الغزوات ومن فيهم الجاهل والغافل والساهي والمنافق والمرتد فيكتم من القرآن مالا يلائم مقصوده، وهذا ايضاً مما يوجب تحريف القرآن بالزيادة أو النقصان ومن هنا ذهبت الامامية الى لزوم كون الحافظ للقرآن شخصاً معصوماً عن الخطأ فيعتمد عليه فى القرآن وما هو المراد منه ولا تجدي العدالة فقط ، لأن اقصاها انها تمنع التعمد فى التحريف والضياع ولا تمنع السهو والغلط خطأ ، ولهذا توافيك أنباء نقص القرآن ولحنه وغلطه فى احاديث الجماعة الواردة فى فقد آية الرجم وآية رضاع الكبير ، ونقص سورة الاحزاب وما دل على أن عثمان لم يكتب من المصحف إلا ما تمكن منه فكل ذلك شواهد على نقص ماجمعه زيد بن ثابت ونسبه الى عثمان وأنى له بجمع القرآن مع انه لم يطلع من آياته إلا على ماشهد به شاهدان ، فكيف بجزئيات ألفاظ الآية كلفظة: « فامضوا إلى ذكر الله » مكان « فاسعوا » او « وطلع منضود » مكان « وطلح منضود » او قوله : « وتجعلون شكركم » بدل قوله : « وتجعلون رزقكم انكم تكذبون » الى غير ذلك من التغيير والتبديل فى الألفاظ حسب مابلغنا الخبر فيه ، فكيف بما لم نطلع عليه أو وافقه اجتهاد عثمان او زيد بن ثابت عليه ولم يكن فى الحقيقة من القرآن ؟ (١)

ثم ان القوم فى الصدر الاول اعرضوا عن مصحف أبى بن كعب وعبدالله بن مسعود ، مع أن رسول الله (ص) قال : أقرؤكم أبي بن كعب ، وقال (ص) : خذوا القرآن من اربع .. وعدّ منهم أبي بن كعب وابن مسعود وسالم مولى حذيفة كما فى « البخاري » فى باب ذكر القراء ، وان سالما هذا قتل فى واقعة

(١) لايخفى ان المؤلف يقصد بما يذكره مناقشة الجماعة في اعتمادهم على الصحابة فى جمعهم القرآن ، ولا ينافي كلامه هذا مايعتقده هو وكافة الشيعة من سلامة القرآن وصيانته عن كل تحريف أو زيادة أو نقصان، لا تقليداً للعامة في ادلتهم بل اتباعاً للقرآن بقوله: [وانا له لحافظون] ولشهادة الأئمة الطاهرين عليهم السلام بسلامته وأمرهم اياناً باتباعه .

اليمامة ومعه غيره من القراء والحفظة فلم يكن عند الجماعة أصل تام محفوظ ، الى أن قتل كثير من حفاظهم في حرب اليمامة وبئر معونة ، ففزع لذلك عمر مضافاً الى حوادث أُخر . وسيأتي أن سأل عن آية من كتاب الله فقيل : كانت مع فلان قتل يوم اليمامة فقال : انا لله ٠٠ وأمر بجمع القرآن .

وفي ﴿ تاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٥٧ ﴾ : قتل من المسلمين فى قتال مسيلمة جماعة من القراء من المهاجرين والانصار ، ولما رأى أبو بكر كثرة من قتل امر بجمع القرآن من افواه الرجال وجريد النخل والجلود وترك ذلك المكتوب عند حفصة بنت عمر زوج النبي ﷺ ولما تولى عثمان ورأى اختلاف الناس في القرآن ، كتب من ذلك المكتوب الذي كان عند حفصة نسخاً وارسلها الى الامصار وأبطل ما سواها . انتهى . وغاية ذلك ان عثمان جمع ماوجد عند الناس دون مافقد بفقد الحفاظ ، ولا برهان على عدم تطرق الضياع الى ذلك مع امكانه ايضا ، بل هو واقع . ففى ﴿ الاتقان ج ٢ ص ٤١ ﴾ و ﴿ الدر المنثور للسيوطي ﴾ أخرج أبو عبيد وابن الضريس وابن الانباري فى ﴿ المصاحف ﴾ عن ابن عمر قال : لايقولنّ أحدكم : قد أخذت القرآن كله ، مايدريه ما كله ؟ قد ذهب منه قرآن كثير ولكن يقل : قد أخذت ماظهر منه . انتهى . يمكننا تأويل كلام ابن عمر بالحمل على منسوخ التلاوة ، فان المنسوخ لا يعدُّ قرآناً ولا تثبته وكتابته في المصحف . فكيف يحمل عليه قوله : قدذهب منه قرآن كثير ؟

انكار ابن مسعود على عثمان وزيد

جاء في ﴿ صحيح البخارى ﴾ باب ذكر القراء من أبواب جمع القرآن عن شقيق بن سلمة قال : خطبنا عبدالله بن مسعود فقال : والله لقد أخذت من فيّ رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة ، والله لقد علم أصحاب النبي (ص) أني أعلمهم

بكتاب الله . انتهى . قال القسطلاني فى « الشرح ج ٩ ص ٢٦٦ » : وانما قال ابن مسعود ذلك لما أمر بالمصاحف أن تغير وتكتب على المصحف العثماني وساءه ذلك وقال : أفأترك ما اخذ من فيّ رسول الله (ص) ؟ رواه أحمد وابن ابي داود من طريق الثوري واسرائيل وغيرهما عن أبي اسحاق خمير بن مالك . انتهى .

وفى « صحيح مسلم ج ٧ ص ١٤٧ » عن شقيق عن عبدالله انه قال : « ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة » ثم قال : على قراءة من تأمروني أن اقرأ؟افلقد قرأت على رسول الله (ص) بضعاً وسبعين سورة ولقد علم اصحاب رسول الله (ص) أني أعلمهم بكتاب الله ، ولو اعلم ان أحداً أعلم مني لرحلت اليه . قال شقيق : فجلست فى حلق اصحاب محمد ﷺ فما سمعت احداً يرد ذلك عليه ولا يعيبه . انتهى

وفي « جامع الاصول » لابن الأثير بالاسناد الى عبدالله بن عبدالله بن مسعود ان ابن مسعود كره لزيد بن ثابت نسخ المصاحف وقال : يا معشر المسلمين!! اعزل نسخ المصاحف ويتولاها رجل ، والله لقد اسلمت وانه لفي صلب رجل كافر - يريد زيد بن ثابت - ولذلك قال عبدالله بن مسعود : يا أهل القرآن اكتموا المصاحف التي عندكم وغلُّوها فان الله يقول : « ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة » فالقوا الله بالمصاحف . انتهى .

وفي « فتح الباري شرح البخاري » : وفي رواية انه (يعني ابن مسعود) قال : إني غال مصحفي فمن استطاع ان يغلل مصحفه فليفعل . وعند الحاكم من طريق أبي ميسرة قال : رحت فاذا انا بالاشعري وحذيفة وابن مسعود ، فقال ابن مسعود : والله لا أدفعه - يعني مصحفه - اقرأني رسول الله ﷺ فذكره .

وفي « حلية الأولياء لأبي نعيم ج ١ ص ١٢٥ » في ترجمة ابن مسعود عن خمير بن مالك قال : سمعت عبدالله بن مسعود يقول : اخذت من فيّ رسول الله (ص) سبعين سورة وان زيد بن ثابت لصبي من الصبيان وأنا ادع ما اخذت من فيّ رسول الله؟!

رواه الثوري واسرائيل عن ابي اسحاق مثله . وفيه عن ابي سعيد الأزدي أنه سمع عبدالله بن مسعود يقول : لقد تلقيت من في رسول الله (ص) سبعين سورة احكمتها قبل أن يسلم زيد بن ثابت وله ذؤابتان يلعب مع الغلمان . وفيها أنه قال لي رسول الله ﷺ : إنك غلام معلم فأخذت من فيه سبعين سورة ماينازعني فيها احد .

عمر وطعنه في زيد بن ثابت

جاء في « منتخب الكنز » المطبوع على هامش « مسند احمد ج ٢ ص ١٩٦ » ان عمر بن الخطاب استأذن يوماً على زيد بن ثابت فاذن له ورأسه في يد جارية ترجله فنزع رأسه فقال عمر : دعها ترجلك . قال : ياامير المؤمنين لو ارسلت إلي لجئتك . فقال عمر : ليس هو بوحي تزيد فيه أو تنقص ، انما هو شيء نتراآه فان رأيته ووافقتني تبعته ، وإلا لم يكن عليك شيء ، فأبى زيد فخرج عمر مغضبا . انتهى .

والحديث صريح من ان زيداً لم يكن مأموناً على الوحي بشهادة عمر وهو خليفة المسلمين في وقته .

وفي « كنز العمال » انه كان بين عمر وأُبي بن كعب خصومة فتحاكما الى زيد بن ثابت فلما دخلا عليه وسّع زيد لعمر في صدر فراشه . فقال : هاهنا يا امير المؤمنين . فقال عمر : هذا اول جور جرى في حكمك ولكن اجلس مع خصمي ، فجلسا بين يديه فادعى أُبي وانكر عمر فقال زيد لأُبي : أعف أمير المؤمنين عن اليمين فحلف عمر ثم اقسم لا يدرك زيد القضاء حتى عمر ورجل من المسلمين عنده سواء . رواه سعيد بن منصور في « السنن » والبيهقي في « سننه » وابن عساكر في « تاريخه » . انتهى .

شهادة الاصحاب بنقصان سورة الاحزاب

اورد السيوطي فی ﴿ الاتقان ج ٢ ص ١٤١ ﴾ عن زر بن حبيش قال: قال أُبي بن كعب : كأين تعد سورة الاحزاب ؟ قلت : اثنتين وسبعين آية اوثلاثا وسبعين آية . قال : ان كانت لتعدل سورة البقرة وان كنا لنقرأ فيها آية الرجم . قلت : وما آية الرجم ؟ قال : « اذا زنيا الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم » . وفی ﴿ الاتقان ﴾ ايضا عن أبي عبيد قال : حدثنا ابن أبي مريم عن ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت : كانت سورة الأحزاب تُقرأ فی زمن النبي (ص) مأتي آية فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها إلا على ماهو الآن . انتهى . وفی ﴿ محاضرات الراغب ﴾ ان عائشة قالت : كانت الاحزاب تُقرأ في زمن رسول الله (ص) مأتي آية فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر إلا على ما أثبت و كان فيها آية الرجم . انتهى .

وفی ﴿الدر المنثور ج ٥ ص ١٧٩﴾ اخرج عبدالرزاق فی﴿المصنف﴾والطيالسي وسعيد بن منصور وعبدالله بن احمد فی ﴿زوائدالمسند﴾ وابن منيع والنسائی والدارقطنی فی ﴿الافراد﴾ وابن المنذر وابن الانباري في ﴿ المصاحف﴾ والحاكم وصححه وابن مردويه والضياء فی ﴿المختارة﴾ عن زر قال: قال لي أُبي بن كعب : كيف تقرأ سورة الأحزاب او كم تعدها ؟ قلت : ثلاثا وسبعين آية . فقال أُبي : قد رأيتها وإنها لتعادل سورة البقرة ولقد قرأنا فيها : « الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم » فرفع منها رفع . واخرج عبدالرزاق عن الثوري قال : بلغنا ان ناساً من أصحاب النبي ﷺ كانوا يقرأون القرآن اصيبوا يوم مسيلمة فذهبت حروف من القرآن . انتهى .

وفي ﴿ الدر المنثور ج ٥ ص ١٨٠ ﴾ أخرج ابن الضريس عن عكرمة قال : كانت سورة الأحزاب مثل سورة البقرة أو اطول وكانت فيها آية الرجم . وأخرج البخاري في ﴿تاريخه﴾ عن حذيفة قال : قرأت سورة الأحزاب على النبي (ص) فنسيت منها سبعين آية ماوجدتها. واخرج أبو عبيد في ﴿الفضائل﴾ وابن الأنباري وابن مردويه عن عائشة قالت : كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمن النبي (ص) مأتي آية فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها إلا على ماهو الآن . انتهى .

فظهر بما ذكرنا بطلان ماقاله المولوي عبد العزيز الدهلوي فى ﴿ التحفة الاثنى عشرية ﴾ تبعا لنصر الله الكابلي فى ﴿ الصواقع ﴾ : أن القول بتحريف القرآن ونقصان سورة الأحزاب من متفردات الشيعة .

وليس كما زعم فيما مر مطاعن ابن مسعود وعمر من زيد بن ثابت ومصحفه وشهادة الأصحاب بنقصان سورة الأحزاب ، وترك آية رجم الشيخ والشيخة عن كل من أُبي بن كعب وحذيفة وعائشة وعروة بن الزبير وعكرمة فمن أين يجعل ذلك من مذهب الشيعة ؟!

وقدأخرج الحاكم في ﴿ مستدرك الصحيحين ﴾ عن أبي حرب بن أبي الاسود قال : بعث أبو موسى الاشعري الى قُراء البصرة فدخل عليه ثلاث مائة رجل قد قرأوا القرآن . فقال : انتم خيار أهل البصرة وقُراؤهم فاتلوه ويطولنّ بكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم وانا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فنسيتها ، وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها باحدى المسبحات اولها : « سبحان لله مافي السماوات » فنسيتها . انتهى . قال العلامة جلال الدين السيوطي في ﴿ الدر المنثور ﴾ : اخرج مسلم وابن مردويه وابو نعيم في ﴿ الحلية ﴾ والبيهقي في ﴿الدلائل﴾ عن أبي موسى الاشعري فذكر مثله .

وفي ﴿صحيح مسلم ج ١ص٣٨٦﴾ في باب « لو أن لأبن آدم واديين » من

كتاب الزكاة عن أبي موسى الأشعري قال لقراء أهل البصرة : انا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها فى الطول والشدة ببراءة فانسيتها غير أني قد حفظت منها : « لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب » وكنا نقرأ سورة نشبهها بأحدى المسبحات فانسيتها غير أني حفظت منها : « يا ايها الذين آمنوا لِمَ تقولون مالا تفعلون فتكتب شهادة فى اعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة » . انتهى .

وفى ﴿ الاتقان للسيوطي ج ٢ ص ٤٢ ﴾ : أخرج ابن أبي حاتم عن أبي موسى الأشعري قال : كنا نقرأ سورة نشبهها بأحدى المسبحات فانسيناها غير أني حفظت : « يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون مالا تفعلون فتكتب شهادة فى اعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة » . انتهى . ولا يخفى أن هذه الأحاديث صريحة فى نقصان سورتين طويلتين كاملتين من المصحف الذي جمعه أبو بكر او عمر او عثمان .

وذكر الحاكم فى ﴿ المستدرك ﴾ عن ابن عباس قال : سألت علي بن أبي طالب : لِمَ لَم يكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم ؟ قال : لأنها امان . وبراءة نزلت بالسيف . وعن مالك: أن أولها لما سقط ، سقط معه البسملة فقد ثبت أنها كانت تعدل البقرة لطولها . وفيه عن حذيفة قال : ماتقرأون ربعها يعنى براءة . انتهى .

وفى ﴿ الدر المنثور ﴾ للسيوطي : أخرج ابن أبي شيبة والطبراني فى ﴿الأوسط﴾ وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه عن حذيفة قال: التي تسمون سورة التوبة هي سورة العذاب، والله ما تركت أحداً إلا نالت منه وما تقرأون منها مما كنا نقرأ إلا ربعها . وفيه أخرج ابن الضريس وأبو الشيخ عن حذيفة قال : ماتقرأون ثلثها يعني سورة التوبة .

تزييف مقالة الرازي

قال الفخر الرازي فى « تفسيره ج ٤ ص ٣٩٦ » عند تفسير سورة التوبة : وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة ، والله ماتركت واحداً إلا نالت منه . وعن ابن عباس في هـذه السورة قال : انها الفاضحة مازالت تنزل فيهم وتنال منهم حتى خشينا أن لا تدع أحداً .. الخ ثم ذكر للسبب في اسقاط التسميـــة من أولها وجوهاً قال : الوجه الثالث : أن الصحابة اختلفوا في ان سورة الانفال وسورة التوبة سورة واحدة أوسورتان ،فلما ظهر الاختلاف بين الصحابة تركوا بينهما فرجة تنبيهاً على قول من يقول:انهما سورتان . وما كتبوا البسملة تنبيهاً على قول من يقول : هما سورة واحدة وعلى هذا لايلزم تجويز مذهب الامامية ، وذلك لأنه لما وقع الاشتباه في هذا المعنى بين الصحابة لم يقطعوا بأحد القولين وعملوا عملا يدل على أن هـذا الاشتباه كان حاصلا فلما لم يتسامحوا بهذا القدر من الشبهة دل على انهم كانوا مشددين في ضبط القرآن من التحريف والتغيير وذلك يُبطل قول الامامية . انتهى .

أقول : إن في كلامه مواقع للتامل والنظر : —

أما أولا : — فلما نسبه الى الامامية من مذهب التحريف ، مع أن مذهبهم ليس على التحريف والتبديل لاسيما في آيات الأحكام بل الاجماع منهم منعقد على عدم النقص فيها كما نص عليه شيخنا المرتضى الانصاري طاب ثراه في « الرسائل » فى باب حجية الكتاب ، وفي باب التعادل والتراجيح ، نظراً الى تواتر الاحاديث الواردة عن الأئمة من أهل البيت (ع) الدالة على ايجاب الأخذ بالراجح من الخبرين المتعارضين اذا كان أحدهما موافقا لكتاب الله . فلولا حجية الكتاب وكونه مصونا عن التحريف لما كان وجه لجعله مرجحاً . وعليه فلو خالفت ثلة شاذة منهم فى هـذه

الجهة ، لم يعد القول بخلافهم مذهباً للامامية . وهذا نظير الخلاف بين أهل السنة انفسهم ومصير جمع منهم الى التحريف وعليـه أحاديثهم في مسطوراتهم كما عرفت وستعرف .

وأما ثانيا : — فلما صرح به الفخر عند عده اسماء سورة التوبة وانها تسمى المخزية والفاضحة والمبعثرة لأنها تبعثر أسرار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها وتفضحهم وتنكل بهم وتشردهم وتخزيهم وتدمدم عليهم .. الخ ونحوها في «الدر المنثور» للسيوطي قال : اخرج أبو عبيد وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : سورة التوبة قال: التوبة بل هي الفاضحة مازالت تنزل فيهم حتى ظننّا انه لايبقى منا أحد إلا ذكر فيها . وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس أن عمر قيل له : سورة التوبة قال : هي الى العذاب أقرب ما أقلعت عن الناس حتى ما كانت تدع منهم أحداً . وأخرج أبو الشيخ عن عكرمة قال: قال عمر : مافرغ من تنزيل براءة حتى ظننّا انه لم يبق منا أحد إلا ستنزل فيه وكانت تسمى الفاضحة . انتهى . وتسميتها بالفاضحة ليست إلا لاشتمال آياتها على بيان مثالب الاصحاب بالتفصيل واحداً بعد واحد كما هو صريح قول عمر : ما أقلعت عن الناس حتى ما كانت تدع منهم أحـداً ، وقـد حذفت تلك الآيات الصريحة في تشنيع الصحابة .

وأما ثالثا : — فنقول: من أين للفخر الرازي أن يحكم ببطلان قول الأمامية؟! أمن تصريحه بوقوع الاشتباه للاصحاب في خير قرن بأن سورة براءة سورتان أم سوره واحدة ؟ أو من عدم تشخيصهم لأحد الامرين او من تساهلهم في ضبط القرآن الذي هو عين الدين حتى بقوا على الشك وعدم اليقين فوقعوا وأوقعوا الأمة في حيرة التحريف والتغيير في مطلع سورة براءة مع اتصالهم بالنبي (ص) الصادع بالحق ورفع الضلالة ، لاسيما مثل عثمان وزيد بن ثابت وقولهم : انهما من كتاب الوحي . فأي

ضبط لها وهما لم يعلما موضع سورة براءة ، ولم يستعلما من رسول الله ﷺ انها بعض سورة الانفال او سورة مستقلة ؟ بل مقتضى كلام الفخر عند بيانه الوجه الأول من وجوه حذف البسملة من اعتذار عثمان ان براءة كانت من آخر القرآن نزولا ، فتوفي النبي ﷺ ولم يبين موضع التوبة ، وكانت قصتها شبيهة بقصة الأنفال فقرن بينهما .. الخ هو أن الجمع والوضع والترتيب كان بالاجتهاد والرأي ولم يكن عندهم قرآن مجموع مضبوط من قبل النبي ﷺ على الوجه المنزَل .

ومما يؤيد ذلك ماذكره الفخر الرازي فى الوجه الرابع من وجوه اسقاط البسملة وبيان المناسبة بين السورتين من قوله : ان الله تعالى ختم سورة الانفال بايجاب الموالاة بين المؤمنين والانقطاع عن الكفار والمشركين ، وصرح بهذا المعنى في قوله : « براءة من الله ورسوله .. » فكان الكلام في احدى السورتين عين الكلام في الأخرى .. الخ فانه صريح في ان الوضع كان من قبل انفسهم للعلة المذكورة ، ولكنه لم يدفع الاشكال بأن براءة محرفة البسملة مع تصريح الفخر في هذا الوجه بكونها مع الانفال سورتين متغايرتين فراجع كلامه .

ويؤيد ذلك ايضا أو يدل عليه مافى « محاضرات الراغب » من أنه اثبت ابن مسعود بسم الله في سورة براءة . إذاً لم يقم دليل على بطلان كلام الامامية لو قالوا بأن القرآن جمعت اجزاؤه حسب آراء الاصحاب وأنظارهم ، ولذا وقعت موقع التغيير . نعم !! الثابت عندنا من طريق العترة الطاهرة أن سورة براءة نزلت من غير بسملة كما عرفته من حديث ابن عباس عن علي (ع) .

اختلاف المصاحف

قال السيوطي في « الاتقان » : وفى مصحف ابن مسعود مائة واثنتي عشرة سورة لأنه لم يكتب المعوذتين . وفي مصحف أُبي ست عشرة لانه كتب في آخره

سورتي الحفد والخلع . أخرج أبو عبيد عن ابن سيرين قال : كتب أُبي بن كعب في مصحفه فاتحة الكتاب والمعوذتين و «اللهم إنا نستعينك واللهم اياك نعبد» وتركهن ابن مسعود وكتب عثمان منهن فاتحة الكتاب والمعوذتين . وأخرج الطبراني في الدعاء من طريق عباد بن يعقوب الأسدي عن يحي بن يعلى الاسلمي عن ابن لهيعة عن أبي هبيرة عن عبدالله بن رزين الغافقي قال: قال لي عبد الملك : لقد علمت ماحملك على حب أبي تراب إلا انك أعرابي جاف . فقلت : والله لقد جمعت القرآن من قبل أن يجتمع أبواك ، ولقد علمني منه علي بن أبي طالب سورتين علمهما إياه رسول الله (ص) ماعلمتهما انت ولا أبوك « اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك ، اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد ، واليك نسعى ونحفد ، نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك بالكفار ملحق » . واخرج البيهقي من طريق سفيان الثوري عن ابن جريح عن عطاء عن عبيد بن عمير أن عمر بن الخطاب قنت بعد الركوع فقال : « بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك لانكفرك ونخلع ونترك من يفجرك ، بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد واليك نسعى ونحفد ، نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك بالكفار ملحق » . قال ابن جريح : حكمة البسملة انهما سورتان في مصحف بعض الصحابة . وأخرج محمد بن نصر المروزي فى كتاب الصلاة عن اُبي بن كعب انه كان يقنت بالسورتين فذكرهما وانه كان يكتبهما في مصحفه . قال ابن ضريس : ثنا أحمد بن حنبل المروزي عن عبدالله بن المبارك : أنا (١) الاحلج عن عبدالله بن عبدالرحمن عن أبيه قال : في مصحف ابن عباس قراءة أبي موسى : « بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم انا نستعينك ونستغفرك ، ونثني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك » وفيه : « اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد ، واليك نسعى

(١) أنا : رمز مختصر لقوله : أخبرنا كما أن (ثنا) رمز لقوله : حدثنا .

ونحفد ، ونخشى عذابك ونرجو رحمتك ، إن عذابك بالكفار ملحق» . انتهى ، ونحوه مافي « الدر المنثور » . وكل ذلك صريح في سقوط سورتين كاملتين ثابتتين في مصحفين: مصحف أُبي بن كعب ومصحف ابن عباس . وعلمها أمير المؤمنين (ع) عبدالله الغافقي ولقنها اياه ، ولم يوجد لهما اثر في مصحف عثمان . وفي « محاضرات الراغب » أن ابن مسعود أسقط من مصحفه أم القرآن والمعوذتين . انتهى ، وفي « الدر المنثور » أخرج عبد بن حميد ومحمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة وابن الانباري في « المصاحف » عن محمد بن سيرين أن أُبي بن كعب كان يكتب فاتحة الكتاب والمعوذتين ، واللهم اياك . . واللهم انا نستعينك ، ولم يكتب ابن مسعود شيئاً منهن ، وكتب عثمان بن عفان فاتحة الكتاب والمعوّذتين . انتهى ، وفي « الاتقان » عند ذكره تواتر القرآن قال : ومن المشكل على هذا الأصل ماذكره الامام فخر الدين الرازي ، قال : نقل في بعض الكتب القديمة أن ابن مسعود كان ينكر كون سورة الفاتحة والمعوذتين من القرآن . فهو في غاية الصعوبة لأنا ان قلنا : إن النقل المتواتر كان حاصلا في عصر الصحابة بكون ذلك من القرآن فانكاره يوجب الكفر ، وان قلنا : لم يكن حاصلا في ذلك الزمان فيلزم أن يكون القرآن ليس بمتواتر في الاصل . انتهى ، وفي « الاتقان » ايضاً قال ابن حجر في « شرح البخاري » : قد صح عن ابن مسعود انكار ذلك . وأخرج أحمد وابن حبان عنه انه كان لايكتب المعوذتين في « مصحفه » . وأخرج عبدالله بن أحمد في « زيادات المسند » والطبراني وابن مردويه من طريق الأعمش عن أبي اسحاق عن عبدالرحمن بن يزيد النخعي قال : كان ابن مسعود يحكّ المعوذتين من مصاحفه ويقول : انهما ليستا من كتاب الله . واخرج البزار والطبراني من وجه آخر عنه أنه كان يحك المعوذتين من المصحف ويقول : إنما أمر النبي (ص) أن نتعوذ بهما ، وكان عبدالله لا يقرأ بهما .

هذا وإن مانقل عن ابن مسعود من نفي السورتين لامجال لقبوله لورود ثبوتهما

في روايات أسانيدها صحيحة قال البزار: لم يتابع ابن مسعود على ذلك أحد من الصحابة وقد صح انه ﷺ قرأهما في الصلاة. قال ابن حجر: فقول من قال: انه كذب، عليه مردود والطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل بل الروايات صحيحة. انتهى.

موقف عائشة وحفصة من مصحف عثمان

ذكر السيوطي في ﴿ الاتقان ج ٢ ص ٤١ ﴾: أن في مصحف عائشة: « إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وعلى الذين يصلون الصفوف الأول » قالت: وذلك قبل أن يغير عثمان المصاحف. انتهى.

وهذا تصريح من ام المؤمنين عائشة بوقوع التغيير من عثمان في القرآن وله من نصها على ذلك شاهد آخر، وهو سقوط لفظ « صلاة العصر » عن قوله تعالى: « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » ففي ﴿ صحيح مسلم ﴾ في أبواب الصلاة ج ٢ ص ١١٢ عن أبي يونس مولى عائشة انه قال: أمرتني عائشة أن اكتب لها مصحفا وقالت: إذا بلغت هذه الآية فاذنّي: « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين » قالت عائشة: سمعتها من رسول الله ﷺ. انتهى.

وروى السيوطي في ﴿ الدر المنثور ﴾ قال: أخرج عبدالرزاق والبخاري في ﴿تاريخه﴾ وابن جرير وابن أبي داود في ﴿المصاحف﴾ عن أبي رافع مولى حفصة قال: استكتبتني حفصة مصحفاً فقالت: إذا أتيت على هذه الآية فتعال حتى املها عليك كما أقرأتها فلما أتيت على هذه الآية قالت: اكتب: « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر .. » فلقيت اُبي بن كعب فقلت: إن حفصة قالت كذا كذا. فقال: هو كما قالت. وأخرج مالك وأبو عبيدة وعبد بن حميد وابو يعلى وابن جرير وابن الانباري في ﴿المصاحف﴾ والبيهقي عن عمرو بن نافع قال: كنت اكتب مصحفاً

لحفصة زوج النبي ﷺ فقالت : اذا بلغت هذه الآية فأذني : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » فلما بلغتها اذنتها . فأملت عليّ : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين » . وقالت : أشهد أني سمعتها من رسول الله ﷺ . وأخرج عبدالرزاق عن نافع أن حفصة دفعت مصحفاً الى مولى يكتب وقالت :اذا بلغت هذه الآية : «حافظوا على الصلوات والصلاةالوسطى» فأذني . فلما بلغها جاءها ، فكتبت بيدها : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر » . وأخرج مالك وأحمد وعبد بن حميد ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي وابن جرير وابن الانباري فى « المصاحف » والبيهقي في « سننه » عن يونس مولى عائشة قال : أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفاً وقالت : إذا بلغت هذه الآية فأذني : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين » . قالت عائشة : سمعتها من رسول الله ﷺ . وأخرج عبدالرزاق وإبن جرير وإبن أبي داود في « المصاحف » وابن المنذر عن أم حميد بنت عبدالرحمن أنها سألت عائشة عن الصلاة الوسطى . فقالت : كنا نقرؤها فى الحرف الأول على عهد النبي ﷺ : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين » . انتهى مافي الدر المنثور .

وفي « تفسير الفخر الرازي ج ٢ ص ٢٧٦ » : روي عن عائشة « رض » أنها كانت تقرأ : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر » وأنها عطفت صلاة العصر على الصلاة الوسطى .. الخ.

وذكر إبن حجر العسقلاني في « فتح الباري » : أنه روى مسلم وأحمد من طريق أبي يونس عن عائشة أنها أمرته أن يكتب لها مصحفاً فلما بلغت : « حافظوا على الصلوات » قال : فأملت عليّ : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاةالعصر »قالت : سمعتها من رسول الله ﷺ . وروى مالك عن عمرو بن نافع

قال : كتبت مصحفاً لحفصة فقالت : اذا أتيت هذه الآية فآذني فأملت عليّ « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر ».

إن هذه الأحاديث بأجمعها وكثرتها وشهادة أمهات المؤمنين صريحة في سقوط لفظة : « وصلاة العصر » عما بأيدينا اليوم من القرآن من غير صحة التأويل من الحمل على منسوخ التلاوة من غير دليل . وفي « الموطأ » لمالك بالاسناد الى أبي يونس مولى عائشة أنه قال : أمرتني عائشة أن اكتب لها مصحفاً وأنها أملت : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر » وقالت : سمعتها من رسول الله (ص). و « فيه » أيضا عن زيد بن أسلم عن عمرو بن نافع أنه قال : كنت اكتب لحفصة مصحفاً وانها أملت عليّ : « حافظوا على الصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين » . انتهى .

أقول : حسبك ما ذكرنا من الأحاديث الصحيحة فى كون الساقط من لفظة « وصلاة العصر » قرآناً ، لاسيما بعد اهتمام عائشة وحفصة فى إثباته أنه مسموع من رسول الله ﷺ . ومن المعلوم أن شهادة واحدة منهما كافية في قبال ما سعى اليه زيد بن ثابت في جمع المصحف فضلا عن شهادتهما . وأي تواتر حصل لمصحف عثمان مع إعتماده على الاشهاد والاستشهاد والكتب عن الرقاع وجرائد النخل والسعف او نحو ذلك مما هو معرض للتلف .

نقصان القرآن على أصول الجماعة

لو راجعنا صحاح القوم ومسانيدهم لوجدناها ناطقة بنقصان كثير من الآيات القرآنية سنوافيك بها وهي كما يلي : —

١ — في « صحيح البخاري » كتاب الحدود باب رجم الحبلى من الزنا

عن عمر : أن الله بعث محمداً ﷺ بالحق وانزل عليه الكتاب و كان مما انزل الله آية الرجم فقرأناها ووعيناها وعقلناها ، ورجم رسول الله (ص) ورجمنا بعده ، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل : والله مانجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، فالرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أُحصن من الرجال والنساء إذا قامت عليه البيّنة .

وفي (صحيح مسلم ج ٥ ص ١١٦) باسناده إلى عبدالله بن عباس أنه قال عمر بن الخطاب — وهو جالس على منبر رسول الله (ص) — : إن الله قد بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل عليه آية الرجم ، قرأناها ووعيناها وعقلناها ، فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل : مانجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله وإن الرجال في كتاب الله حق على من زنى اذا أحصن من الرجال والنساء — إذا قامت البيّنة — او كان الحبَل او الاعتراف . إنتهى . قال النووي في (الشرح) : قوله : آية الرجم أراد بها : « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة .. » .

وذكر الراغب في (محاضراته) في باب ما ادعي أنه من القرآن مما ليس في المصحف انه روي عن عمر أنه قال : لولا ان يقال : زاد عمر في كتاب الله لأثبت في المصحف فقد نزلت : « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله ، والله شديد العقاب » .

وفي (الاتقان) للسيوطي ، قال — أى أبو عبيد — : ثنا عبدالله بن صالح عن الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن عروان بن عثمان عن أبي أُمامة بن سهل أن خالته قالت : لقد أقرأنا رسول الله ﷺ آية الرجم : « الشيخ والشيخة فارجموها البتة بما قضيا من اللذة » .

وفي (موطأ مالك) عن سعيد بن المسيب قال : لما صدر عمر بن الخطاب

من مُنى ، اناخ بالأبطح ثم قدم المدينة فخطب الناس ثم قال : ايها الناس !! قد سنت لكم السنن ، وفرضت لكم الفرائض ، وتركتم على الواضحة إلا ان تضلوا بالناس يمينا وشمالا (وضرب باحدى يديه على الاخرى) ثم قال : إياكم ان تهلكوا عن آية الرجم أن يقول قائل: إنا لانجد حدين في كتاب الله فقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا والذي نفسي بيده لولا أن يقول الناس : زاد عمر في كتاب الله لكتبتها : « الشيخ والشيخة اذا زينا فارجموها البتة » فانا قد قرأناها . انتهى .

وفي « مسند احمد » باسناده الى عبدالرحمن بن عوف ان عمر بن الخطاب خطب الناس فسمعه يقول : ألا إن اناساً يقولون : مابال الرجم ، وفي كتاب الله الجلد ، وقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ، ولولا أن يقول القائلون او يتكلم المتكلمون : ان عمر زاد في كتاب الله ماليس فيه ، لأثبتها كما نزلت . إنتهى . وايضا في « المسند » بالاسناد الى ابن عباس ، قال : قال عمر : إن الله بعث محمداً وانزل عليه الكتاب ، فكان فيما انزل عليه ، آية الرجم ، فقرأناها وعقلناها ووعيناها ، فأخشى ان يطول بالناس عهد فيقولون : إنا لانجد آية الرجم فتترك الفريضة التي انزلها الله . وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا احصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة ، او كان الحبل او الاعتراف . وفي « المسند » ايضاً عن ابن عباس عن عبدالرحمن بن عوف قال : حج عمر بن الخطاب فأراد ان يخطب الناس خطبة فقال عبدالرحمن بن عوف : إنه قد اجتمع رعاع الناس فأخر ذلك حتى تأتي المدينة فلما قدم المدينة دنوت قريباً من المنبر فسمعته يقول : إن ناساً يقولون : مابال الرجم ، وإنما في كتاب الله الجلد . وقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ، لولا ان يقولوا : اثبت في كتاب الله ماليس فيه لأثبتها كما انزلت . انتهى .

اقول : قالت الجماعة : إن الأحاديث المذكورة محمولة على منسوخ التلاوة من القرآن و بقاء حكمه لأن القرآن لايأتيه الباطل .

قلنا : ذلك باطل لمنافاته صريح كلام عمر بن الخطاب فى حديث المسند وقوله: لأثبتها كما انزلت ، ولولا أن آية الرجم من الآيات القرآنية غير المنسوخة ، لما جاز لعمر إثباتها و كتابتها فى المصحف ، فان إدراج منسوخ التلاوة في القرآن غير جائز بل هو أيضا تحريف و تصحيف كادخال ماليس من القرآن في القرآن . نعم ، إن عمر إنما لم يدرج آية الرجم بمجرد علمه لعدم تمامية نصاب الشهادة من التعدد .

٢ — فى ﴿ صحيح مسلم ج ٤ ص ١٦٧ ﴾ بالاسناد إلى عائشة أنها قالت : كان فيما انزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن . انتهى .

وفي ﴿ محاضرات الراغب ﴾ : أن عائشة قالت : لما نزلت آية الرجم ورضاع الكبير و كانت في رقعة تحت سريري وشغلنا بشكاة رسول الله ﷺ فدخلت دواجن للحي فأكلته . إنتهى.

أقول : وإن حمل هذا الحديث على منسوخ التلاوة غير صحيح - كما قيل - إذ لا نسخ بعد النبي (ص) وقد شهدت عائشة بأن النبي ﷺ توفي وآية خمس رضعات تقرأ من القرآن . وعن كتاب ﴿ تبيان الحقائق شرح كنز الدقائق ﴾ عند بيان حرمة الرضاع قال الشافعي : لا يحرم إلا بخمس رضعات - يعني مشبعات - لما روي عن عائشة أنها قالت : كان فيما نزل من القرآن عشر رضعات معلومات ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله (ص) وهي فيما يقرأ من القرآن . رواه مسلم . إنتهى .

وفي ﴿ سنن ابن ماجة ج ١ ص ٣٠٧ ﴾ في كتاب النكاح عن عائشة قالت : نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشراً ، ولقد كان في صحيفة تحت سريري ، فلما مات رسول الله (ص) وتشاغلنا بموته دخل داجن فأكلها . إنتهى .

ومقتضى الجمع بين ماذكر من الحديث وبين حديث ابن ماجة هو أن المجموع

من الناسخ — أعني خمس رضعات — ومن المنسوخ — أعني عشر رضعات — من القرآن وكان متلواً ، كما اخبرت به عائشة وكان من القرآن مكتوباً في مصحفها ، وكان تحت سريرها فأكلته الدواجن عند تشاغلها بموت رسول الله ﷺ .

٣ — في « الاتقان » للسيوطي عن أبي واقد الليثي قال : كان رسول الله ﷺ إذا أُوحي اليه أتيناه فعلمنا مما أُوحي اليه . قال : فجئت ذات يوم فقال : إن الله يقول : « إنا أنزلنا لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، ولو كان لابن آدم واد من ذهب لأحب أن يكون اليه الثاني ، ولو كان له الثاني لأحب أن يكون اليهما الثالث ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب » إنتهى .

وفي « الدر المنثور » أخرج أبو عبيد وأحمد والطبراني في « الاوسط » والبيهقي في « شعب الايمان » عن أبي واقد الليثي قال : كان رسول الله ﷺ إذا أُوحي اليه أتيناه .. الحديث . و « فيه » : وأخرج أبو عبيد واحمد وابو يعلى والطبراني عن زيد بن أرقم قال : كنا نقرأ على عهد رسول الله (ص) : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب وفضة لابتغى الثالث ولا يملأ بطن ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب » . واخرج ابو عبيد عن جابر بن عبدالله قال : كنا نقرأ: « لو أن لابن آدم ملء واد مالا لأحب اليه مثله ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله عن من تاب » . وأخرج البزار وابن الضريس عن بريرة قال : سمعت النبي (ص) يقرأ : « لو ان لابن آدم واديا من ذهب لابتغى اليه ثانيا ولو أُعطي ثانيا لابتغى اليهما ثالثا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب » واخرج ابن الأنبارى عن أبي ذر ، قال : في قراءة أُبي بن كعب : « ابن آدم لو أُعطي واديا من مال لالتمس ثانيا ولو أُعطي واديين من مال لالتمس ثالثا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب » .

وفي « الدر المنثور » ايضا اخرج احمد والترمذي والحاكم ، وصححه عن

أُبي بن كعب ان رسول الله (ص) قال: ان الله أمرني ان اقرأ عليك القرآن فقرأ: « لم يكن الذي كفروا من اهل الكتاب .. » فقرأ فيها: « ولو أن ابن آدم سأل واديًا من مال فأعطيته لسأل ثانيًا ولو سأل ثانيًا فأعطيته لسأل ثالثًا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب، ويتوب الله على من تاب، وان ذات الدين عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهود، ولا النصرانية، ومن يفعل ذلك فلن يكفره » وأخرج احمد عن أُبي بن كعب قال: قال لي رسول الله ﷺ: إن الله أمرني ان أقرأ عليك، فقرأ: « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة، رسول من الله يتلو صحفًا مطهرة، وما تفرق الذين اوتوا الكتاب إلا من بعدما جاءتهم البينة، إن الدين عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يفعل ذلك فلن يكفره ». قال شعبة (رض): ثم قرأ آيات بعدها، ثم قرأ « لوأن لابن آدم واديًا من مال لسأل واديًا ثانيًا ولايملأ جوف ابن آدم إلا التراب» ثم ختم بما بقي من السورة. انتهى.

وعن ﴿جامع الاصول﴾ لابن الأثير عن أُبي بن كعب أن رسول الله (ص) قال: إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن، وقرأ عليه: « لم يكن الذين كفروا .. » وقرأ فيها: « إن الدين عند الله الحنيفية المسلمة لااليهودية ولاالنصرانية ولا المجوسية ومن يعمل خيرًا فلن يكفره » وقرأ عليه: « لو أن لابن آدم واديًا من مال لابتغى اليه ثانيًا ولو أن له ثانيًا لابتغى اليه ثالثًا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب »، أخرجه الترمذي.

وفي كتاب ﴿إزالة الخفا عن خلافة الخلفا﴾ تصنيف المولوي الشاه ولي الله الدهلوي عن ابن عباس قال: رجل أتى عمر « رض » يسأله فجعل عمر ينظر الى رأسه مرة والى رجليه اخرى هل يرى عليه من البؤس. ثم قال له عمر: كم مالك؟ قال: أربعون من الابل. قال ابن عباس: قلت: صدق الله ورسوله (ص):

« لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى الثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب » فقال عمر «رض» : ماهذا ؟ فقلت : هكذا أقرأني أُبي . قال : فمر بنا اليه فجاء الى أُبي فقال : مايقول هذا ؟ قال أُبي : هكذا أقرأنيها رسول الله (ص) . قال : فأثبتها في المصحف ؟ قال : نعم . انتهى .

وفي ﴿ محاضرات الراغب ﴾ : وأثبت ابن مسعود في مصحفه : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى معهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب » . انتهى .

قلت : إن هذه الاحاديث بصراحتها ناطقة بأن الآية من الآيات القرآنية الثابتة في مصحف أُبي بن كعب ومصحف ابن مسعود وأنها من تعليم النبي ﷺ لأُبي ، وأن أُبياً قال لعمر : أثبتها في المصحف . ولو لم يكن من القرآن لما جاز لعمر أن يستجيز في الكتاب ، لانها زيادة في القرآن وذلك كفر بالله تعالى .

٣ — في ﴿ صحيح البخاري ﴾ كتاب الحدود باب رجم الحبلى من الزنا : خطب عمر وقال : الرجم في كتاب الله حق على من زنى اذا أحصن من الرجال والنساء اذا قامت البينة او كان الحبَل أو الاعتراف ثم انا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله : « أن لا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر بكم إن ترغبوا عن آبائكم أو إن كفراً بكم إن ترغبوا عن آبائكم » .. الحديث قال القسطلاني في ﴿ ارشاد الساري ج ١١ ص ٣٥٥ ﴾ عند قوله : « أو ان كفراً بكم .. » : الشك فيما كان من القرآن. انتهى.

وفي ﴿ الاتقان للسيوطي ج ٢ ص ٤٢ ﴾ وأيضاً في ﴿ الدر المنثور ﴾ : أنه اخرج ابن الضريس عن ابن عباس قال : كنا نقرأ : « لاترغبوا عن آبائكم فانه كفر بكم او إن كفراً بكم إن ترغبوا عن آبائكم » وأخرج عبدالرزاق وأحمد وابن حبان عن عمر بن الخطاب قال : إن الله بعث محمداً بالحق وانزل معه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم ورجمنا بعده ثم قال : قد كنا نقرأ : « لا ترغبوا عن آبائكم

فانه كفر بكم إن ترغبوا عن آبائكم » . وأخرج الطيالسي وأبو عبيد والطبراني عن عمر بن الخطاب قال : كنا نقرأ فيما نقرأ : « لا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر بكم » ثم قال لزيد بن ثابت : أكذلك يازيد ؟ قال : نعم .

٥ — وفى « الاتقان للسيوطي ج ٢ ص ٤٢ » عن أبي عبيد ، حدثني ابن أبي مريم عن نافع بن عمر الجمحي ، حدثني ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة ، قال : قال عمر لعبد الرحمن بن عوف : ألم تجد فيما انزل علينا : « أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة » فانا لانجدها . قال : أسقطت فيما اسقط من القرآن . انتهى. وفي « الدر المنثور » : أخرج أبو عبيد عن المسور بن مخرمة قال : قال عمر لعبد الرحمن بن عوف : ألم تجد فيما انزل علينا : « أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة » فانا لانجدها . قال : اسقطت فيما اسقط من القرآن . إنتهى . وفي « كنز العمال » لعلي المتقى و « جمع الجوامع » للسيوطي عن المسور بن مخرمة قال : قال عمر لعبدالرحمن بن عوف : ألم تجد فيما انزل علينا : « أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة » فانا لم نجدها قال : اسقطت فيما اسقط من القرآن . أبو عبيد . انتهى .

وقوله : اسقطت فيما اسقط من القرآن ، صريح في حذف آيات من القرآن بشهادة عبدالرحمن بن عوف — وهو من العشرة المبشرة عند القوم — وقبول عمر ذلك منه . وهو كاف في كون القرآن معرضا للنقصان منذ الصدر الاول .

٦ — في « الدر المنثور » للسيوطي قال : اخرج النسائي والحاكم وصححه من طريق ابن أبي ادريس عن اُبي بن كعب انه كان يقرأ : « اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ولو حميتم كما حموا لفسد المسجد الحرام فانزل الله سكينته على رسوله » فبلغ ذلك عمر فاشتد عليه ، فدعا ناساً من أصحابه فيهم زيد بن ثابت فقال : من يقرأ فيكم سورة الفتح ؟ فقرأ زيد على قراءتنا اليوم . فغلظ له عمر ، فقال : إني أتكلم ، فقال : تكلم ، قال : لقد علمت أني كنت أدخل على النبي ﷺ ويقرؤني

وأنت بالباب ، فان أحببت أن اُقرىء الناس على ما أقرأني ، وإلا لم اُقريء حرفاً ماحييت ، قال : بل اُقريء الناس . انتهى .

٧ — سقوط آيتين من مصحف عثمان وهما آية : « إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وانفسهم ، ألا أبشروا وأنتم المفلحون » وآية: « والذين آووهم ونصروهم وجادلوا عنهم القوم الذين غضب الله عليهم اولئك لا يعلم نفس ماأخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون » . ففي « إتقان » السيوطي قال أبو عبيد : حدثنا ابن أبي مريم ، عن ابن لهيعة ، عن يزيد بن عمرو ، والمعافري عن أبي سفيان الكلاعي أن مسلمة بن مخلد الانصاري قال لهم ذات يوم : أخبروني بآيتين من القرآن لم تكتبا في المصحف فلم يخبروه ، وعندهم ابو الكنود ، وسعد بن مالك ، فقال لي مسلمة : « إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ألا ابشروا وانتم المفلحون ، والذين آووهم ونصروهم وجادلوا عنهم القوم الذين غضب الله عليهم اولئك لاتعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون » . انتهى . فهذا الحديث صريح في سقوط ما ذكر من الآيتين عما في ايدينا من المصحف .

٨ — في « الدر المنثور ج ٥ ص ١٨٣ » اخرج الفريابي والحاكم وابن مردويه والبيهقي في « سننه » عن ابن عباس أنه كان يقرأ هذه الآية : « النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم وهو أب لهم وأزواجه امهاتهم » واخرج عبدالرزاق وسعيد بن منصور ، وإسحاق بن راهويه وابن المنذر ، والبيهقي عن مجالد ، قال : مر عمر ابن الخطاب بغلام وهو يقرأ في المصحف : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وأزواجه أمهاتهم ، وهو اب لهم » فقال : ياغلام حكها فقال : هذه مصحف اُبي بن كعب . فذهب اليه فسأله ، فقال : إنه كان يلهيني القرآن ويلهيك الصفق بالأسواق . ومن حديث « كنز العمال ج ٦ ص ٤٢٩ » في فضائل اُبي بن كعب : أن عمر وجد

مصحفاً في حجر غلام فيه : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وهو أبوهم » فقال : حكها ياغـلام . فأبى عليه ، وقال : هي مصحف اُبي . فانطلقا اليه فقال اُبي لعمر : شغلني القرآن وشغلك الصفق بالأسواق إذتعرض رداءك على عنقك بباب ابن العجماء انتهى .

٩ — في « الدر المنثور ج ٢ ص ٣٩٨ » أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال : كنا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ : « يا ايها الرسول بلّغ ما اُنزل اليك من ربك أن عليا مولى امير المؤمنين وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » . انتهى .

وفي كتاب « مفتاح النجا فى مناقب آل العبا » للبدخشاني — وهو من أعاظم علماء السنة كما في « الايضاح » للفاضل الرشيد — وإحتج بأحاديثه المولوي عبدالعزيز الدهلوي صاحب « التحفة » ، قال في الباب الذي عقده للآيات النازلة في شأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب « كرم الله وجهه » قال : وهي كثيرة لا أستطيع إستيعابها ، أنه اخرج ابن مردويه عن زر بن حبيش عن عبدالله ، قال : كنا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ : « يا ايها الرسول بلغ ما اُنزل اليك من ربك أن عليا مولى المؤمنين وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » .

أقول : ولعل الوجه في رفضهم مصحف ابن مسعود هو التصريح فيه بنزول ماهو صريح في ولاية أمير المؤمنين (ع) وهذا يخالف اغراض المبطلين فأسرعوا الى تحريف القرآن بالنقصان .

١٠ — في « الدر المنثور ج ٥ ص ١٦٢ » أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر ، عن ابن مسعود أنه كان يقرأ هذا الحرف : « كفى الله المؤمنين القتال بعلي بن أبي طالب » ونحوه رواية « الاتقان » قال : ففي قراءة ابن مسعود: بعلي بن أبي طالب. انتهى. واخرج البدخشاني في« مفتاح النجا » عن ابن مردويه

عن ابن مسعود « رض » انه كان يقرأ هذا الحرف : « . كفى الله المؤمنين القتال بعلي بن ابي طالب وكان الله قويا عزيزاً » وفى « كفاية الطالب لمحمد بن يوسف الكنجي ص ١١٠ » عن ابن مسعود أنه كان يقرأ : « كفى الله المؤمنين القتال بعلي » ذكره غير واحد من اصحاب التفاسير والسير ، وهذا سياق ابن عساكر في « تاريخه » . انتهى .

١١ — في « تفسير الثعلبي » : أخبرني ابو محمد عبدالله بن محمد بن عبدالله القاينى ، نا ابو الحسين محمد بن عثمان بن الحسين النصيبي ، نا احمد بن محمد بن سعيد ، نا احمد بن ميثم بن ابي نعيم ، نا ابو جنادة السلولي عن الأعمش عن أبي وائل قال : قرأت في مصحف عبدالله بن مسعود : « إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران وآل محمد على العالمين » .

١٢ — في « الكشاف للزمخشري » عند قوله تعالى : « فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن » : إنها آية محكمة ، وفي قراءة ابن عباس وابن مسعود وأُبي بن كعب : « فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى فآتوهن اجورهن » . انتهى . وقال الفخر الرازي والنيسابوري في « تفسيريهما » ان أُبي ابن كعب كان يقرأ : « فما إستمتعتم به منهن الى اجل مسمى فآتوهن اجورهن » وبه قرأ ابن عباس ايضا والصحابة ما انكروا عليها ، فكان اجماعاً . انتهى . وروى الحاكم في « المستدرك » عن ابي نضرة قال : أقرأت على ابن عباس بزيادة « الى اجل مسمى » ، وقال ابن عباس : لأنزلها الله كذلك ؟! هذا حديث صحيح الاسناد . انتهى .

وفي « الدر المنثور » للسيوطي في تفسير سورة النساء عند ذكر هذه الآية ، اخرج الطبراني والبيهقي في « سننه » عن ابن عباس انهم كانوا يقرأون هذه الآية : « فما استمتعتم به منهن الى اجل » واخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن الانباري في « المصاحف » والحاكم في « المستدرك » وصححه من طرق عديدة عن ابي نضرة

قال : قرأت على ابن عباس : « فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن » قال ابن عباس : « فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى » والله لأنزلها كذلك . انتهى .

وفى « تفسير الثعلبي » باسناده عن حبيب بن ثابت قال : اعطاني ابن عباس مصحفا فقال : هذا على قراءة ابي فرأيت فى المصحف ذكر الأجل المسمى .

اقول : يُعلم من جميع ذلك ان هذه الآية نزلت فى شرعية نكاح المتعة المحدودة بالأجل المسمى كما فى المصاحف عند الصحابة من غير نكير منهم الى زمن عمر وأن التغيير والحذف عرض فى زمانه طبقاً لمرامه ، وحسبك ذلك فى التحريف اسقاط قوله : « الى اجل مسمى » عن القرآن وعليه الاجماع .

الزيادة فى القرآن عند الجماعة

قال فخر الدين الرازي فى « التفسير الكبير ج ٨ ص ٤١٤ » عند قوله : « والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى » انه قرأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « والذكر والانثى » قال : والقسم بالذكر والأنثى يتناول القسم بجميع ذوى الأرواح الذين هم اشرف المخلوقات .

وفي « صحيح البخارى » كتاب التفسير ، باب سورة « والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى » عن علقمة قال : دخلت مع نفر من اصحاب عبدالله الشام فسمع بنا أبو الدرداء ، فأتانا فقال : أفيكم من يقرأ ؟ فقلنا : نعم . قال : فأيكم أقرأ ؟ فأشاروا إليَّ . فقال : إقرأ . فقرأت : « والليل اذا يغشى والنهار تجلى والذكر والأنثى » قال : انت سمعتها من فيّ صاحبك ؟ قلت : نعم . قال : وأنا سمعتها من في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهؤلاء يأبون عليّ .

و « فيه » في باب « وما خلق الذكر والانثى » عن الاعمش عن ابراهيم ، قال : قدم أصحاب عبدالله ، على أبي الدرداء فطلبهم فوجدهم . فقال : أيكم يقرأ على قراءة عبدالله ؟ قال : كلنا . قال : فأيكم أحفظ ، فأشاروا الى علقمة . قال : كيف سمعته يقرأ : « والليل اذا يغشى » ؟ قال علقمة : « والذكر والانثى »

قال : أشهد أني سمعت النبي ﷺ يقرأ هكذا . وهؤلاء يريدونني على ان أقرأ : « وما خلق الذكر والانثى » والله لا أتابعهم . انتهى .

وفى (جامع الترمذي) عن ابراهيم عن علقمة ، مثل هذا الحديث باختلاف لفظي يسير .

وفي « صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٠٦ » عن علقمة مثله أيضا باختلاف يسير فى الالفاظ .

و (فيه) ايضا عن علقمة قال : لقيت أبا الدرداء ، فقال لي : ممن أنت ؟ قلت : من أهل العراق . قال : من أيهم ؟ قلت : من أهل الكوفة . قال : هل تقرأ على قراءة عبدالله بن مسعود ؟ قال : قلت : نعم ، قال : فاقرأ : « والليل اذا يغشى » فقرأت : « والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى والذكر والانثى » قال : فضحكت ، ثم قال : هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقرؤها .

أقول : هذه الأحاديث بأجمعها ناطقة عن إنكار أبي الدرداء — وهو من افاضل الصحابة - مافي مصحف عثمان من زيادة : « وما خلق » وأن القرآن المنزل على النبي (ص) خال عنه كما فى قراءة ابن مسعود .

وقوع التغيير في ألفاظ القرآن

لو تصفحنا كتب القوم لوجدنا فيها ايضا ما يدل على وقوع التغيير في ألفاظ القرآن : —

فمنها : مافي « موطأ مالك » انه سئل ابن شهاب عن قول الله تبارك وتعالى: « يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله » فقال ابن شهاب : كان عمر بن الخطاب يقرؤها : « اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فامضوا الى ذكر الله » . انتهى .

وفي « فتح الباري لابن حجر العسقلاني » و « ارشاد الساري شرح البخاري للقسطلاني ج ٣ ص ٤ » من باب فرض الجمعة ، انه قرأ عمر : « فامضوا الى ذكر الله » . انتهى .

وفي « تفسير الفخر الرازي ج ٨ ص ١٤٣ » عن عمر : انه سمع رجلا يقرأ : « فاسعوا » قال : من اقرأك هذا ؟ قال : أُبي . قال : لايزال يقرأ بالمنسوخ ، لو كانت « فاسعوا » لسعيت حتى يسقط ردائي . وزاد العسقلاني قوله : ثبت هذا في رواية الكشميهني وحده . قال : وروى الطبراني عن عبدالحميد بن بيان عن سفيان عن الزهري عن سالم بن عبدالله عن أبيه قال : ماسمعت عمر يقرؤها قط إلا « فامضوا » ومن طريق المغيرة عن ابراهيم قال : قيل لعمر : إن أُبي بن كعب يقرؤها : « فاسعوا » قال : أما انه اعلمنا وأقرأنا للمنسوخ وانما هي : « فامضوا » وأخرجه سعيد بن منصور فبين الواسطة بين ابراهيم وعمر ، أنه خرشة بن الحُر ، فصح الاسناد وأخرج ايضا من طريق ابراهيم ، عن ابن مسعود ، أنه كان يقرؤها « فامضوا » ويقول : لو كانت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي . انتهى .

وفي « الدر المنثور » أخرج أبو عبيد في « الفضائل » وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن الانباري في « المصاحف » عن خرشة بن الحُرّ ، قال : رأى معي عمر بن الخطاب لوحاً مكتوباً فيه : « يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله » فقال : من أملى عليك هذا؟ قلت: أُبي بن كعب . قال : إن أُبياً أقرأنا للمنسوخ . إقرأها : « فامضوا الى ذكر الله » . وأخرج عبد بن حميد عن ابراهيم « رض » قال : قيل لعمر « رض » : إن أُبياً يقرأ : « فاسعوا الى ذكر الله » . قال عمر : إن أُبي أعلمنا بالمنسوخ ، وكان يقرؤها : « فامضوا الى ذكر الله » ، واخرج الشافعي في « الأم » وعبدالرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد ، وابن المنذر وابن جرير وابن أبي

حاتم وابن الانباري في « المصاحف » والبيهقي في « سننه » عن ابن عمر ، قال : ماسمعت عمر يقرأها قط إلا « فامضوا إلى ذكر الله » .

أقول : إن ذلك كله من الشواهد على أن عمر كان يطعن في مصحف عثمان ، ويعتقد عدم صونه من التغيير والتبديل .

ومنها : تبديل النازل من قول الله تعالى : « انا الرزاق ذو القوة المتين » كما يروون ، بقوله : « إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » ففي « صحيح الترمذي » : حدثنا عبد بن حميد ، نا عبدالله عن اسرائيل عن أبي اسحاق ، عن عبدالرحمن بن يزيد عن عبدالله بن مسعود ، قال : أقرأني رسول الله ﷺ : « إني انا الرزاق ذو القوة المتين » هذا حديث حسن . انتهى . وفي « مسند أحمد » : حدثنا عبدالله ، حدثني أبي ، ثنا يحيى بن آدم ويحيى بن أبي بكر قالا : حدثنا إسرائيل عن أبي اسحاق عن عبدالرحمن بن يزيد عن عبدالله بن مسعود قال : أقرأني رسول الله ﷺ « إني انا الرزاق ذو القوة المتين » .

ومنها : مافي « كنز العمال » و « منتخب الكنز » المطبوع على هامش « مسند أحمد ج ٢ ص ٩ » في سورة الزمر عن علي (ع) : « والذي جاء بالحق وصدق به » بدل قوله : « والذي جاء بالصدق وصدق به » وفي سورة الواقعة عن قيس بن عباد قال : قرأت على علي (ع) : « وطلح منضود » فقال علي (ع) : مابال الطلح أما تقرأ : « وطلع » ؟ قال : « وطلع نضيد » فقيل له : يا أمير المؤمنين أنحكها من المصحف ؟ فقال : لا يهاج القرآن اليوم . و « فيه » عن علي (ع) قال : قال رسول الله ﷺ : « وتجعلون رزقكم » قال : « شكركم انكم تكذبون » .

ومنها : مافي « تفسير الفخر الرازي ج ٨ ص ١٥٨ » في قراءة النبي ﷺ « يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن من قبل عدتهن » . انتهى . وفي « الدر المنثور ج ٢ ص ٢٢٩ » : أخرج مالك والشافعي ، وعبدالرزاق ، في « المصنف »

وأحمد ، وعبد بن حميد ، والبخاري ، ومسلم ، في كتاب الطلاق باب طلاق الحائض من « صحيحه » وأبو داود والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابو يعلى ، وابن مردويه ، والبيهقي في « سننه » عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله ﷺ فتغيظ فيه رسول الله (ص) ثم قال : ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر ، فان بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسها فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق بها النساء وقرأ ﷺ : « يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبل عدتهن » . وأخرج عبدالرزاق في « المصنف » ، وابن المنذر ، والحاكم ، وابن مردويه ، عن عمر ، أن رسول الله ﷺ قرأ : « فطلقوهن في قبل عدتهن » . وأخرج عبدالرزاق وابو عبيد في « فضائله » وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن مردويه والبيهقي عن إبن عباس أنه كان يقرأ : « فطلقوهن لقبل عدتهن » وأخرج ابن الانباري عن ابن عمر أنه قرأ : « فطلقوهن لقبل عدتهن » وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي عن مجاهد أنه كان يقرأ : « فطلقوهن لقبل عدتهن » . إنتهى .

وفي « صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٣ » اطلق ابن عمر امرأته وهي حائض على عهد رسول الله ﷺ ، فسأل عمر رسول الله (ص) فقال : إن عبدالله بن عمر طلق امرأته وهي حائض ، فقال له النبي ﷺ : ليراجعها . فردّها وقال : إذا طهرت فليطلق أو ليمسك ، قال ابن عمر : وقرأ النبي ﷺ : « يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن من قبل عدتهن » .

أقول : هذا هو الموافق لشرط الطلاق ، وللاخذ بظاهر اللفظ المفيد للزوم كون الطلاق في طهر تعقبه العدة ، من غير حاجة حينئذ إلى تقدير أو تأويل ، وهذا بخلاف قراءة : « لعدتهن » فانه لايفهم منه لزوم وقوع الطلاق في طهر خال عن

الجماع إلا بضروب من التكلف ، كتقدير قوله : لزمان عدتهن ، أو وقت عدتهن ، او لأول زمان عدتهن أعنى الطهر ، ثم يجعل اللام لمعنى فى — أي في الزمان الصالح لعدتهن — فان جميع ذلك من باب الضيق والخروج من متفاهم العرف.

وفي ﴿ تفسير أبي السعود المطبوع في هامش تفسير الفخر الرازي ج ٨ ص ١٧١ ﴾ جعل المقدر : مستقبلات لعدتهن كقولك : لليلة خلت من شهر كذا . انتهى . وذلك أيضا من ضيق الخناق والخروج عن متفاهم العرف ، وعدم مطابقة المثال مع الممثل له .

ثم إن حمل الآية على اختلاف القراء في قراآتهم لا على تحريف القرآن ، مما يهون الخطب ويصحح الجواب عن قراءة أهل البيت عليهم السلام قوله تعالى في سورة آل عمران : « كنتم خير أئمة اخرجت للناس » بتبديل الأمة بالأئمة لتظافر أحاديثهم عليهم السلام في ذلك وتصريحهم (ع) بأن الآية نزلت فى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأوصيائه من عترته ، فتدخل الآية فيما اختلفت فيه القراءة ، والواجب على أتباعهم إتباعهم (ع) في ذلك .

موقف ابن عباس من مصحف عثمان

لو تتبعنا كتب الجماعة في التفسير والحديث لوجدنا لابن عباس حبر الأمة مواقف عديدة خطأ فيها مصحف عثمان في بعض آياته وكلماته وهي كما يلي : —

١ — عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى في سورة الانبياء : « ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرى » بزيادة الواو في « وضياء » إذ لم يعلم وجه العطف فيه بعد وضوح كون اللفظ بلا واو حالا عن الفرقان . قال الفخر الرازي في ﴿ التفسير الكبير ج ٦ ص ١٠٩ ﴾ : فروى عكرمة عن ابن عباس أنه قرأ : «ضياء» بغير واو وهو حال من الفرقان . إنتهي . وفي ﴿ الاتقان ج ١ ص ٣١٦ ﴾ و

﴿ الدر المنثور ﴾ للسيوطي : أنه أخرج سعيد بن منصور وابن المنذر عن ابن عباس أنه كان يقرأ : « ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياء وذكرى » ويقول : خذوا هذا الواو واجعلوها هاهنا في « الذين يحملون العرش ومن حوله » . انتهى .

٢ — ف ﴿ تفسير الرازي ج ٦ ص ٢١٣ ﴾ ايضا أن قوله تعالى : « مثل نوره ... » (١) يرجع الضمير الى المؤمن وهو قول أبي بن كعب ، وكان يقرأها : « مَثل نور المؤمن . » وهو قول سعيد بن جبير والضحاك . إنتهى . وفي ﴿ الاتقان ج ١ ص ٣١٦ ﴾ : أخرج ابن اشتة وابن أبي حاتم من طريق عطا عن ابن عباس في في قوله تعالى : « مثل نوره كمشكاة » قال : هي خطأ من الكاتب . هو اعظم من أن يكون نوره مثل نور المشكاة ، وإنما هي : « مثل نور المؤمن كمشكاة » انتهى . وفى ﴿ الدر المنثور ﴾ : أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى : « مَثل نوره .. » قال : هي خطأ من الكاتب . هو أعظم من أن يكون نوره مثل نور المشكاة . قال : « مثل نور المؤمن كمشكاة » . إنتهى .

٣ — وفي ﴿ الدر المنثور ﴾ فى تفسير سورة الاسراء : أخرج الفريابي وسعيد ابن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن الانباري في ﴿ المصاحف ﴾ من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله : « وقضى ربك الا تعبدوا إلا اياه » (٢) قال : اُلزقت الواو بالصاد وانتم تقرؤونها : « وقضى ربك » . واخرج ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس مثله ، وأخرج أبو عبيد وابن منيع وابن المنذر وابن مردويه من طريق ميمون بن مهران عن ابن عباس قال : انزل الله هذا الحرف على لسان نبيكم : « ووصى ربك ألا تعبدوا إلا اياه » فلصقت احدى الواوين بالصاد فقرأ الناس : « وقضى ربك » . ولو نزلت على القضاء ما اشرك به أحد . انتهى .

(١) النور : ٣٥ . (٢) الاسراء : ٢٣ .

وقال السيوطي في ﴿ الاتقان ج ١ ص ٣١٦ ﴾ : أخرج سعيد بن منصور عن طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يقول في قوله : « وقضى ربك » : إنما هي : « ووصى ربك » . التزقت الواو بالصاد . وأخرجه ابن أشته بلفظ : استمد الكاتب مداداً كثيرة فالتزقت الواو بالصاد . واخرج هو من طريق الضحاك عن ابن عباس أنه كان يقرأ : ووصى ربك . وأخرج من طريق آخر من الضحاك أنه قال : كيف تقرأ هذه الحروف ؟ قال : « وقضى ربك » . قال : ليس كذلك نقرؤها نحن ، ولا ابن عباس . إنما هي : « ووصى ربك » كذلك كانت تُقرأ وتكتب . ثم قرأ : « ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب » ولو كانت قضاء من الرب لم يستطع أحد رد قضاء الرب ولكنه وصية أوصى بها العباد . إنتهى .

وقال الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى : « وقضى ربك الا تعبدوا إلا اياه » من سورة الاسراء فى ﴿ ج ٥ ص ٣٨٦ ﴾ : روى ميمون بن مهران عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية : كان الأصل « ووصى ربك » فالتصقت إحدى الواوين بالصاد ، فقرىء : « وقضى ربك » ثم قال : ولو كان على القضاء ماعصى الله أحد قط لأن خلاف قضاء الله ممتنع . هكذا رواه عنه الضحاك وسعيد بن جبير وهي قراءة علي (ع) وعبدالله ، قال : واعلم أن هذا القول بعيد جداً لانه يفتح باب التحريف الى القرآن ولو جوزنا ذلك لارتفع الامان عن القرآن فيخرج عن كونه حجة . إنتهى .

٤ — وفي ﴿ الاتقان للسيوطي ج ١ ص ٣١٦ ﴾ عطفاً على ما سبق : وما أخرجه ابن الانباري من طريق عكرمة عن ابن عباس أنه قرأ : « أفلم يتبين الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً » فقيل له : انها في المصحف : « أفلم ييأس الذين آمنوا » (١) قال : أظن الكاتب كتبها وهو ناعس .

(١) الرعد : ٣٣ .

وفي ﴿ إزالة الخفا ﴾ للشاه ولي الله الدهلوي أنه قد وقع البحث من ابن عباس مع الاصحاب واشتد الانكار منه عليهم في ضبطهم « وقضى ربك » بدل « ووصى ربك » واستنساخهم « أفلم ييأس » عوض « أفلم يتبين » وبالآخرة قد شاعت النسخة العثمانية في الآفاق . انتهى .

وقال ابن حجر في ﴿ فتح الباري شرح البخاري ﴾ : إنه روى الطبري وعبد بن حميد باسناد صحيح كلهم من رجال البخاري عن ابن عباس انه كان يقرؤها : « أفلم يتبين » ويقول : كتبها الكاتب وهو ناعس . ثم قال : واسنده الطبري عن ابن عباس فقد اشتد إنكار جماعة ممن لاعلم له بالرجال صحته وبالغ الزمخشري في ذلك كعادته . قال : وهي فرية بلامرية وتبعه جماعة بعده والله المستعان . وقد جاء عن ابن عباس نحو ذلك في قوله تعالى : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا اياه » أخرجه سعيد بن منصور باسناد جيد عنه .

وهذه الاشياء وان كان غيرها المعتمد لكن تكذيب المنقول بعد صحته ليس من دأب أهل التحصيل فلينظر في تأويله بما يليق .. الخ .

٥ — وفى ﴿ الاتقان للسيوطي ج ١ ص ٣١٦ ﴾ قال — عطفا على سابقه — : وما أخرجه ابن جرير وسعيد بن منصور في ﴿ سننه ﴾ من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالي : « حتى تستأنسوا وتسلموا » قال : إنما هي خطأ من الكاتب : « حتى تستأذنوا وتسلموا » أخرجه ابن أبي حاتم بلفظ : هو فيما احسب مما أخطأ به الكاتب . إنتهى .

وروى الحاكم في ﴿ المستدرك ﴾ عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى : « لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا » (١) قال: أخطأ الكاتب « تستأذنوا » ثم قال : هذا حديث صحيح الاسناد على شرط الشيخين . إنتهى .

(١) النور : ٢٧ .

وقال السيوطي في ﴿الدر المنثور﴾: أخرج الفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الانباري في ﴿المصاحف﴾ وابن منده في ﴿ غرائب شعبه ﴾ والحاكم — وصححه — وابن مردويه والبيهقي في ﴿ شعب الايمان ﴾ والضياء المقدسي في ﴿ المختارة ﴾ من طرق عن ابن عباس « رض » في قوله تعالى: « حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » قال: أخطأ الكاتب إنما هي « حتى تستأذنوا ». إنتهى.

وفي ﴿ تفسير الفخر الرازي ج ٦ ص ٢٥٥ ﴾ في سورة النور عند قوله تعالى: « يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها » قال: يروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير إنما هو « حتى تستأذنوا » فأخطأ الكاتب. وفي قراءة أُبي « حتى تستأذنوا » ونحوه في ﴿ تفسير الكشاف الزمخشري ج ٢ ص ٣٠٧ ﴾. انتهى.

قلت: ولذلك شاهد من قوله تعالى: « لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم ». والقوم جعلوا القراءة المشهورة من باب الكناية وقالوا: حتى تستأنسوا يعني تستأنسوا بالأذن وذلك لأنهم اذا استأذنوا وسلموا آنسوا أهل البيت ولو دخلوا من غير استيذان لأوحشوهم. قاله الفخر الرازي والزمخشري.

وستأتيك انباء تصريح عثمان وعائشة وابن عباس بوقوع اللحن في القرآن. وهذه آية قوية على تساهل الاصحاب في ضبط القرآن. وقد اسمعناك فيما مر بعضاً من تلك الجمل من نقصان سورة براءة وسورة الأحزاب وفقد آية الرجم وآية الرضاع وغيرها من الآيات التي صح عندها الحديث في فقدهم أو تغيير ألفاظها.

عائشة وتغليطها القرآن

فى ﴿ الدر المنثور ج ٢ ص ٢٤٦ ﴾ وكتاب ﴿ الاتقان ج ١ ص ٣١٢ ﴾ للسيوطي قال : قال أبو عبيد في فضائل القرآن : أنبأنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : سألت عائشة عن لحن القرآن عن قوله تعالى : « ان هذان لساحران » (١) وعن قوله تعالى : « والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة » (٢) وعن لحن قوله تعالى : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى » (٣) فقالت : يا ابن أخي ! هذا عمل الكتّاب اختلفوا في الكتاب ، هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين . إنتهى .

وفى ﴿ تفسير الرازي ج ٦ ص ٤٧ ﴾ : القراءة المشهورة : « إن هذان لساحران » وقرأ أبو عمرو ، وعيسى بن عمر : « إن هذين لساحران » وقالوا : هي قراءة عثمان وعائشة وابن الزبير وسعيد بن جبير . واحتج ابو عمرو وعيسى على ذلك بما روى هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة : أنها سُئلت عن قوله : « إن هذان لساحران » وعن قوله : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى » فى المائدة وعن قوله : « لكن الراسخون في العلم منهم .. الى قوله : والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة » (٤) فقالت : يا ابن اخي ! هذا خطأ من الكاتب . وروى عن عثمان أنه نظر في المصحف فقال : أرى فيه لحناً وستقيمه العرب بألسنتها ، وعن أبي عمرو أنه قال : إني لأستحي أن أقرأ : « إن هذان لساحران » . إنتهى .

وقال ايضا في ﴿ التفسير الكبير ج ٣ ص ٣٤٣ ﴾ عند قوله تعالى في سورة

---

(١) طه : ٦٣ . (٢) النساء : ١٦١ .
(٣) المائدة : ٦٩ . (٤) النساء : ١٦١ .

النساء : أما قوله : « والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة » ففيه أقوال : الأول : روي عن عثمان وعائشة أنهما قالا : إن في المصحف لحناً وستقيمه العرب بألسنتها . إلى أن قال : الرابع : جاء في مصحف عبدالله بن مسعود « والمقيمون الصلاة » بالواو ، وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي . إنتهى .

عثمان وتلحينه القرآن

روى إبن قتيبة في كتاب « المشكل » عن عثمان أنه قال في قوله تعالى : « إن هذان لساحران » : إن في القرآن لحناً . فقال رجل : صحح ذلك الغلط . فقال : دعوه فانه لايحلل حراماً ولا يحرم حلالا . قال : وفي بعض الروايات قال عثمان : إن في المصحف لحنا وستقيمه العرب بألسنتهم . فقيل له : ألا تغيره ؟! فقال : دعوه فلا يحلل حراماً ولا يحرم حلالا . إنتهى .

قال ابو محمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء البغوي في تفسيره « معالم التنزيل » عند قوله : « لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة » قال : اختلفوا في وجه انتصابه فحكى عن عائشة وأبان بن عثمان أنه غلط من الكاتب ينبغي أن يصلح ويكتب : « والمقيمون الصلاة » وكذلك قوله في سورة المائدة : « إن هذان لساحران » قالوا : ذلك خطأ من الكتاب وقال عثمان : إن في المصحف لحناً وستقيمه العرب بألسنتها . فقيل له : ألا تغيره ! ؟ فقال : دعوه فانه لا يحل حراماً ولا يحرم حلالا . إنتهى .

وفي « الدر المنثور ج ٢ ص ٢٤٦ » : أخرج ابن أبي داود عن عبد الاعلى ابن عبدالله بن عامر القرشي قال : لما فرغ من المصحف أتي به إلى عثمان فنظر فيه

فقال : قد أحسنتم وأجملتم ، أرى شيئاً من لحن ستقيمه العرب بألسنتها . قال ابن أبي داود : وهذا عندي يعني بلغتها ، وإلا فلو كان فيه لحن لايجوز في كلام العرب جميعاً لما استجاز أن يبعث الى قوم يقرأونه . وأخرج ابن أبي داود عن عكرمة قال: لما أتي عثمان بالمصحف رأى فيه شيئاً من لحن فقال : لو كان المملي من هذيل والكاتب من ثقيف لم يوجد فيه هذا . وأخرج ابن ابي داود عن قتادة ان عثمان لما رفع اليه المصحف فقال : إن فيه لحناً وسيقيمه العرب بألسنتها . انتهى .

وفي كتاب ﴿ الاتقان ج ١ ص ٣١٢ ﴾ رواية عن أبي عبيد قال : حدثنا حجاج عن هارون بن موسى : أخبرني الزبير بن خريت عن عكرمة قال : لما كتبت المصاحف عُرضت على عثمان فوجد فيها حروفاً من اللحن فقال : لاتغيروها فان العرب ستغيرها أو قال : ستعربها بألسنتها . لو كان الكاتب من ثقيف والمملي من هذيل لم يوجد فيه هذه الحروف ، أخرجه من هذا الطريق ابن الانباري في كتاب ﴿ الرد على من خالف مصحف عثمان ﴾ وابن اشته في كتاب ﴿ المصاحف ﴾ . ثم أخرج ابن الانباري نحوه من طريق عبدالأعلى بن عبدالله بن عامر وابن أشته نحوه من طريق يحيي بن يعمر . إنتهى .

وفي ﴿ تفسير الفقيه لأبي الليث السمرقندي ﴾ عن أبي عبيد قال : وروي عن عثمان انه عرض عليه المصحف فوجد فيه حروفاً من اللحن فقال : لو كان الكاتب من ثقيف والمملي من هذيل لم يوجد فيه هذه الحروف . إنتهى .

أقول : إن اللحن الذي أقرّ به عثمان لايجوز أن يقع من الله سبحانه وتعالى . والقول به كفر وضلال فاللحن إذاً واقع من غير الله تعالى ، فكيف جاز لعثمان ترك القرآن ملحوناً مبدلا ، وذلك بالضرورة من المنكرات ، وقد جعل عثمان إماما للناس يقتدى به فلا يصح منه ترك القرآن على لحنه وإحالة تصحيحه على العرب وقد بقي — بزعمهم — على لحنه إلى يومنا هذا ، وبنى عليه علماء أهل السنة إقتفاء بفضائح عثمان

وموبقات أعماله . أفلم يمكنه تصحيح مصحف خال عن اللحن — كما زعم — وإرساله الى الاقطار وحرقه بقية المصاحف كما فعل ابتداءً ؟ ! فمثل قوله تعالى : « إن هذان لساحران » إن لم يكن من القرآن فلماذا لم يصححه ويكتب مكانه : « إن هذين لساحران » ؟! . وان كان من القرآن النازل من السماء فكيف يحكم عثمان بأن في القرآن لحناً ستقيمه العرب ؟ وهذه احدى طامات عثمان ! !

وأما ما أجاب به الفضل بن روزبهان في كتابه ﴿ ابطال الباطل ﴾ بأن عدم تصحيح عثمان لفظ القرآن لأنه كان يجب عليه متابعة صورة الخط ، وهكذا كان مكتوباً في المصاحف ولم يكن التغيير له جائزاً فتركه لانه لغة بعض العرب .

فنقول له : متى وجب اتباع صورة الخط اذا كان مغلوطا — كما يدعون — وقع الغلط على أيدي الكتّاب والأمناء ، وأي تحريم أو منع لتغييره وتصحيحه وثبته في المصاحف ، لو كان ملحوناً ؟ ! وأي لحن فيه اذا كان موافقا للغة العرب ؟ مع العلم بأن بعض ألفاظ القرآن واردة على لغة قريش و بعضها على لغة غيرهم من أصناف العرب .

قولهم بتأليف القرآن على غير ما نزل

١ — فمما ذهب اليه العامة من القول بتأليف القرآن على غير ما نزل ما في باب الناسخ والمنسوخ من قوله تعالى في سورة البقرة : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لازواجهم متاعاً الى الحول غير اخراج » (١) فكانت عدة الوفاة للزوجة في ابتداء الاسلام الى سنة كما في الآية ، ثم نسخ ذلك الحكم بالضرورة بقوله تعالى : « والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا » (٢)

---

(١) البقرة : ٢٤٠ . (٢) البقرة : ٢٣٤ .

غير أن هذه الآية الناسخة وقعت في الترتيب قبل الآية المنسوخة بآيات عديدة ، مع أن الناسخ متأخر عن المنسوخ في النزول فيكون متأخراً في التلاوة ، وخلافه يعدُّ من الجهل بالناسخ والمنسوخ ويجب أن يكون كتاب الله منزهاً عن ذلك . ولذلك روى محمد بن حزم في رسالته « الناسخ والمنسوخ » ان علياً (رض) مرَّ على قاض فقال له : أتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال : لا . قال : هلكت وأهلكت . ونحوه الحديث عن ابن عباس . إنتهى .

٢ — ومما زعموه كذباً من خلاف الترتيب في القرآن ما في « البخاري » وغيره من رواياتهم نزول قوله تعالى : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى بعد ما تبين لهم انهم أصحاب الجحيم » (١) في أبي طالب عليه السلام لما حضرته الوفاة ، حيث دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وابن أبي امية فقال : ياعم ، قل : لا إله إلا الله ، كلمة احاج لك بها عند الله . فقال أبو جهل : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فقال : على ملة عبد المطلب . الخ وهذا كذب محض لأن أبا طالب مات قبل الهجرة بمكة . والآية المذكورة في سورة براءة وهي مدنية . فلو قالوا : إن هذه الآية تقدم نزولها في مكة ، لزم منه خلاف الترتيب في نظم القرآن ، فينافيه دعواهم الاجماع على أن هذا الترتيب من النبي ﷺ أو انه ترتيب مرضيٌّ عند الاصحاب منذ الصدر الأول . فكيف يكون ترتيبا حسناً مرضياً عندهم مع ما فيه من التقديم والتأخير ؟ !

٣ — ومن ذلك ايضا ما في « رسالة الناسخ والمنسوخ » لابن حزم وغيره من التفاسير من أن قوله تعالى في سورة الاحزاب : « لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج .. الخ » (٢) منسوخ بآية قبلها في النظم والترتيب وهي قوله تعالى : « يا أيها النبي إنا احللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت

(١) التوبة : ١١٣ . (٢) الاحزاب : ٥٢ .

يمينك . الخ » (١) وعلى هذا فكيف يصح في التأليف أن يرتب الناسخ من المنسوخ فيعهد اليه بجمع القرآن ؟؟ .

٤ — ومن ذلك أيضا قوله تعالى في سورة النساء : « فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن » (٢) الظاهرة في حلية متعة النساء . فان أهل السنة ذهبوا الى أنها منسوخه بقوله تعالى : « والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أوما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين » (٣) مع ان الآية الناسخة — بزعمهم — مكية من سورة المؤمنون ، والآية المنسوخة — بزعمهم — مدنية فكيف يتقدم زمان الناسخ على زمان المنسوخ ؟ فما هو إلا ان يكون خلاف الترتيب والنظم فيما يختلف حكمه . فلو قالوا : إن الآية الناسخة مدنية ايضا ، قلنا : إن ذكرها في سورة مكية من خلاف النظم والترتيب ايضا . والشيعة في متسع من هذا الاشكال واشباهه لأن آية المتعة عندهم محكمة غير منسوخة وهم يعملون بها اتباعاً للأئمة الراسخين فى العلم من العترة الطاهرة (ع) وان المنكوحة الى مدة زوجة شرعية ، أو أن آية الاستمتاع الواردة في المدينة ناسخة أو مخصصه لقوله تعالى : « إلا على ازواجهم أو ماملكت ايمانهم » فمفاد مجموع الآية حلية الزوجة الدائمة والمنقطعة وملك اليمين .

٥ — ومن خلاف الترتيب فى القرآن — عندهم — قوله تعالى فى سورة المائدة: « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس . . » (٤) حيث قالت الجماعة : انها مكية ، قال الرازي في (تفسيره الكبير ج ٣ ص ٤٣٠) : روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه كان أيام إقامته بمكة يجاهر ببعض القرآن ويخفي بعضه إشفاقاً على نفسه من تسرع المشركين اليه وإلى أصحابه ، فلما أعز الله الاسلام وأيده بالمؤمنين قال له : « يا أيها الرسول بلغ

(١) الاحزاب : ٥٠ . (٢) النساء : ٢٣ .
(٣) النور : ٥ و ٦ . (٤) المائدة : ٦٧ .

ما أُنزل اليك من ربك » . فعلى هذا يتوجه الاعتراض على ذكر الآية في سورة المائدة التي نزلت آخر ما أنزلت على رسول الله ﷺ في المدينة . وفيها قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي » (١) وإنها نزلت يوم عرفة في حجة الوداع — في رواياتهم — كما في كتاب التفسير من « صحيح البخاري » رواه عن عمر بن الخطاب .

٦ — ومن ذلك قوله تعالى في أواخر سورة الأنعام : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) (٢) قالوا : انها منسوخة ، وناسخها الآية التي في سورة المائدة قبل سورة الانعام وهي قوله تعالى : (اليوم أُحِلَّ لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حِلٌّ لكم وطعامكم حِلٌّ لهم) (٣) ، مع ان الناسخ يلزم أن يكون متأخراً . ومذهب الامامية على ان المراد من الطعام المذكور في الآية هو الحبوب والفواكه غير الذبائح بقرينة قوله : (وطعامكم حِلٌّ لهم) كما في نصوص أهل البيت (ع) فيبقى قوله تعالى : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) سليما عن المزاحم . ولو أُريد من لفظ الطعام مايتناول الذبائح فلا محالة تكون الآية مخصصة أو منسوخة بقوله تعالى : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) الصريح في وجوب التسمية بالله تعالى لا الأقانيم .

٧ — ومن ذلك أيضا قوله تعالى في سورة الاسراء — وهي مكية — لأن الاسراء والمعراج كان بمكة ، وفي السورة قوله تعالى : (والشجرة الملعونة في القرآن) (٤) حيث فُسرت الشجرة الملعونة ببني امية . ففي « تفسير الفخر الرازي » و « تفسير الخازن » و « القرطبي » و « الطبري » و « الدر المنثور » و « روح المعاني » للآلوسي بأسانيد عديدة أن النبي ﷺ رأى في منامه أن بني

(١) المائدة : ٠٣ .
(٢) الانعام : ١٢١ .
(٣) المائدة : ٥ .
(٤) الاسراء : ٦٠ .

أمية ينزون على منبره نزو القردة ، فساءه ذلك فما استجمع ضاحكا حتى مات ، فانزل الله : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة .. الخ » ومعلوم أن الرؤيا ونزول هذه الآية كانت بالمدينة .

٨ — ومن مخالفة النظم والترتيب — عندهم — ماذكروه في قوله تعالى : « يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » (١) من أنها نزلت بمكة عند اسلام عمر بن الخطاب . فنقول : لو كانت الآية مكية — كما يقولون — فكيف ذكرت في سورة الأنفال وهي مدنية ؟ ! . ما اننا ننكر أن تكون الآية المذكورة مكية لأنها بسياقها وربطها بما قبلها من قوله تعالى : « هو الذي أيدك بنصره بالمؤمنين » (٢) وبما بعدها من قوله : « يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال » (٣) تدل على انها مدنية كسائر آيات الجهاد وآيات السيف . قال الرازي في ﴿ تفسيره ج ٤ ص ٣٨٤ ﴾ : إن آية « حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال . والمراد بالمؤمنين هم الانصار . إنتهى .

٩ — ومن ذلك مافي سورة الممتحنة فان صدرها أعني قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة » (٤) نزل فى حاطب بن بلتعة كما في صحاح أهل السنة وما فعله في فتح مكة من إرسال زوجته مع كتاب الى مشركي قريش يخبرهم أن النبي ﷺ يقصدهم فى جيش عظيم . وذلك سنة ثمان من الهجرة عام الفتح ، ونزل فى ذيل هذه السورة من قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ، الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار . . . » (٥) عام واقعة الحديبية لما تم الصلح بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش على أن تردَّ اليهم الذين اسلموا منهم وهاجروا

(١) الانفال : ٦٤ . (٢) الانفال : ٦٣ . (٣) الانفال : ٦٥ .
(٤) الممتحنة : ١ . (٥) الممتحنة : ١٠ .

الى المدينة ويسلماً الى مواليهم دون المؤمنات من نسائهم ، ومعلوم أن عام الحديبية كان سنة ست من الهجرة فالتي نزلت في سنة ست جُعلت فى آخر السورة والتي نزلت في سنة ثمان جُعلت في أول السورة ، فهذه حجة قوية على أن جمع المصحف وتأليفه وقع عن عدم العلم بكيفية النزول .

١٠ — ومن ذلك قوله تعالى فى آخر سورة الرعد : « قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب » (١) قال الفخر الرازي في تفسيره : إن المراد شهادة أهل الكتاب من الذين آمنوا برسول الله ﷺ في المدينة ، وهم عبدالله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري ، مع أن السورة مكية ونزول الآية فى هؤلاء يقتضي أن يكون بالمدينة لأنهم آمنوا بالنبي ﷺ فيها . فيلزم منه خلاف الترتيب في القرآن .

١١ — ثم انه لامحالة أن تكون فاتحة الكتاب مكية ، إذ لاصلاة إلا بفاتحة الكتاب وكان النبي ﷺ يصلي هو ومن آمن به بمكة ، ولكن الجماعة ذكروا آية الوضوء في سورة المائدة وهي آخر سورة نزلت في المدينة ، ومن الضرورة وجوب الطهارة في الصلاة ، ففرّقوا بين الصلاة والطهارة نزولا . قال السيوطي في كتابه « لباب النقول فى أسباب النزول » المطبوع على هامش « تفسير الجلالين ج ١ ص ١٠١ » عند ذكر آية الوضوء من سورة المائدة : إن الوضوء كان واجباً عليهم قبل نزول الآية . قال ابن عبد البر : معلوم عند جميع أهل المغازي أنه صلى الله عليه وسلم لم يصلّ منذ فرضت عليه الصلاة إلا بوضوء ، ولا يدفع ذلك إلا جاهل أو معاند ، قال : والحكمة في نزول آية الوضوء مع تقدم العمل به ليكون فرضه متلواً بالتنزيل . وقال غيره : يحتمل أن يكون أول الآية نزل مقدّماً مع فرض الوضوء ثم نزل بقيتها ، وهو ذكر التيمم في هذه القصة (أي قصة الافك وفقد عائشة العقد) .

---

(١) الرعد : ٤٣ .

قلت : الأول اصوب فان فرض الوضوء كان مع فرض الصلاة بمكة والآية مدنية. إنتهى .

ثم إن من المعلوم أن سورة « إقرأ » كانت أول ما نزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمكة كما في صحيح الحديث ، وان ما بأيدينا من المصاحف لم يرتبوا فيه السور حسب ترتيب نزولها . وقد ثبت في الأخبار أن عليا — عليه السلام — رتب مصحفه على ما أُنزل

قال السيوطي في ﴿الاتقان﴾: كان أول مصحف علي (رض) «إقرأ» ثم « المدثر» ثم « ن » ثم « المزمل » ثم « تبت » . . . وهكذا الى آخر المكي والمدني . إنتهى . وحيث أن هذا الجمع والترتيب في غاية الضبط لربط المعاني وما يراد من الكلام الالهي والعلم بالناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمجمل والمبين وإنضمام القرائن لمعرفة المنزل والمأول قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : علي مع القرآن والقرآن مع علي ، لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ، فيما رواه ابن حجر في ﴿ الصواعق ص ٧٧ ﴾ والحاكم في ﴿ المستدرك ج ٣ ص ١٢٤ ﴾ والذهبي في ﴿ التلخيص ﴾ والكنجي الشافعي في ﴿ كفاية الطالب ص ٢٥٤ ﴾ قائلا : وأخرجه الطبراني في ﴿ معجمه الصغير ﴾ وهذه حجة واضحة على أن عليا (ع) لا يأتيه الباطل وأن عنده علم القرآن . « ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين » (١) .

تذييل : إلحاقا بفصل (الزيادة في ألفاظ القرآن) نستدرك هنا ذكر الخبر الآتي الدال على أن أبا حنيفة يذهب الى أن البسملة في سورة الفاتحة ليست من القرآن ومقتضى ذلك أنها من الألفاظ التي زيدت في القرآن ـ عند أهل السنة ـ قال الفخر الرازي في ﴿ تفسيره الكبير ج ١ ص ١٥٤ ﴾ : وأما أبو حنيفة رحمه الله تعالى فانه قال : بسم الله ، ليس بآية منها . وقال في ﴿ ص ١٥٨ منه ﴾ : وقال أبو حنيفة : ليست

(١) الانعام : ٥٩ .

آية من الفاتحة . (١)

(١) ومن الجدير بالذكر أن نختم هذا الموضوع بذكر كلام بعض أعلامنا حول صيانة القرآن الكريم وسلامته من التحريف والزيادة والنقصان اتماماً للفائدة . قال العلامة المبرور المجاهد السيد عبد الحسين شرف الدين (تغمده الله برحمته) في كتابه (اجوبة مسائل جار الله ص ٣٤): نسب الى الشيعة القول بتحريف القرآن باسقاط كلمات وآيات .. الخ . فأقول : نعوذ بالله من هذا القول ، ونبرأ الى الله تعالى من هذا الجهل ، وكل من نسب هذا الرأي جاهل بمذهبنا أومفتر علينا ، فان القرآن العظيم والذكر الحكيم متواتر من طرقنا بجميع آياته وكلماته ، وسائر حروفه وحركاته وسكناته ، تواتراً قطعيا عن أئمة الهدى من أهل البيت (ع) لا يرتاب في ذلك الامعتوه وأئمة أهل البيت كلهم أجمعون رفعوه الى جدهم رسول الله (ص) عن الله تعالى وهذا أيضا مما لاريب فيه وظواهر القرآن الحكيم - فضلا عن نصوصه - ابلغ حجج الله تعالى وأقوى أدلة اهل الحق بحكم الضرورة الاولية من مذهب الامامية وصحاحهم في ذلك متواترة من طريق العترة الطاهرة ولذلك تراهم يضربون بظواهر الصحاح المخالفة للقرآن عرض الجدار ولا يأبهون بها عملا بأوامر أئمتهم عليهم السلام .

وكان القرآن مجموعا أيام النبي (ص) على ماهوعليه الآن من الترتيب والتنسيق في آياته وسوره وسائر كلماته وحروفه بلا زيادة ولا نقصان ولا تقديم ولا تأخير ولا تبديل ولا تغيير ، وصلاة الامامية بمجردها دليل على ذلك لانهم يوجبون بعد فاتحة الكتاب في كل من الركعـــة الاولى والركعة الثانية من الفرائض الخمس سورة واحدة تامة غير الفاتحة ولا يجوز عندهم التبعيض فيها ، وفقههم صريح بذلك ، فلولا أن سور القرآن بأجمعها كانت زمن النبي (ص) على ماهي الآن عليه من الكيفية والكمية ماتسنى لهم هذا القول ولا امكن أن يقوم له عليه دليل ... الى آخر كلامــه (رحمه الله) بطوله وتفصيله فراجعه هناك.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقصد الثاني

في الامامة

وهي الخلافة والقيام مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم في شرعه . وفيها مباحث : —

المبحث الاول : في حقيقتها

فنقول : الإمام ، كقيام وصيام ، مصدر لـ(أمَّ يؤُمُّ) إذا قصد واتبع . والمراد به المعنى الاسمي كإزار لما يتزر به ، وقوام للذي يقوم به الأمر ، أو يكون المصدر بمعنى المفعول كالخلق بمعنى المخلوق ، فيكون الامام هو المتبوع والمقصود . ومن هذا الباب إطلاقه على إمام الجماعة لكونه المتبع في الافعال في الصلاة، وكذا إطلاقه على الدين والشريعة والكتب السماوية في قوله تعالى : « وكل شيء أحصيناه في إمام مبين » (١) ، وقوله : « ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة » (٢) ومن ذلك يعلم أن اطلاق الامام على الزعيم الديني من أجل أنه المقتدى به لقومه كما في قوله : « واجعلنا للمتقين إماماً » (٣) وقوله تعالي : « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا » (٤) في ابراهيم واسحاق ويعقوب — عليهم السلام — وقوله تعالى في ابراهيم : « إني جاعلك للناس إماماً » (٥) أي متبعاً ومؤتماً به .

---

(١) يس : ١٢. (٢) هود : ١٧ . (٣) الفرقان : ٧٤ .

(٤) الانبياء : ٧٢ . (٥) البقرة : ١٢٤ .

ثم إن اطلاق الامام على أئمة الضلال إنما هو لكونهم متبوعين عند متابعيهم ومنه قوله تعالى : « وجعلناهم أئمة يدعون الى النار (١) وقوله تعالى : « قاتلوا أئمة الكفر » فلا يكون لفظ الامام مشتركا لفظياً بين موارد استعماله حتى استعماله في الوصي والخليفة . وذلك لأن الزعيم الديني العام من نبي أو وصي نبي هو أحد مصاديق مفهوم (الامام) . قال في ﴿ تاج العروس ﴾ : الامام — بالكسر — كل من إئتُمَّ به من رئيس أو غيره كانوا على الصراط المستقيم أو ضالين ،ومن ذلك قوله تعالى : « قاتلوا أئمة الكفر » ، والإمام قيم الأمر المصلح له ، والقرآن والنبي والخليفة ، لأنه إمام الرعية ورئيسهم ومن ذلك قولك : امام المسلمين وكذلك قائد الجند . انتهى .

ليست الامامة ملوكية

ليست الامامة ـ التي هي الخلافة الالهية على البرية ـ من نوع الملوكية والسلطنة الظاهرية ، ولا هي مستلزمة لها دائماً فلا يكون من شؤونها القهر والشوكة والغلبة ، وان قال بذلك أهل السنة ، وصرح به إبن تيمية في ﴿منهاج السنة﴾ والسيد محمود الآلوسي في ﴿ مختصر التحفة ﴾ إلا انها دعوى بلا حجة ، ولا يساعد عليها شيء من الأدلة السمعية ولا العقلية . نعم لما انتهت الخلافة — بمعناها المعروف لدى الجماعة — الى امثال معاوية ويزيد وابن الزبير وعبدالملك وأشباههم ، وتغلب هؤلاء على الممالك بالقتل والغارة ، انقلبت الخلافة الشرعية الى سلطة جبارة . فأين احداهما عن الاخرى حتى نتوسع في مفهوم الخلافة الالهية ؟؟ .

نعم ربما تجتمع الرئاسة الالهية مع الرئاسة الظاهرية الدنيوية والسلطة الفعالية كما في موسى ، ويوشع بن نون ، وداود ، وسليمان ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وعليهم أجمعين ـ

(١) القصص : ٤١

فيما بعد الهجرة . وقد تفترق احدى الرئاستين عن الأخرى ، فيكون الشخص ملكا عادلا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بسيفه ولا يكون نبياً ، نظير طالوت في بني اسرائيل كما في قوله تعالى : « قال لهم نبيهم ان الله قدبعث لكم طالوت ملكا »(١) فافترقت فيه الملوكية عن النبوة ، كما افترقت النبوة عن الملوكية في آدم ، ونوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وزكريا ، وشعيب ، ويحيي ، وعيسى صلوات الله عليهم أجمعين ، فقد كانوا خلفاء الله في أرضه ، ولم تحصل لهم الغلبة وشوكة الملوكية

ونظير هؤلاء ، الأئمة الهداة من العترة الطاهرة النبوية عليهم السلام ، فانهم جميعا خلفاء الله في الارض ، وولاة الأمر من بعد الرسول ﷺ ، وإن غلبتهم خصومهم من ولاة الجور . فقيام الأئمة من أهل البيت عليهم السلام بالأمر ونشرهم الاحكام أصولا وفروعاً ، وهم تحت الشدة والضغط ، كقيام يحيي (ع) وزكريا وعيسى في بني إسرائيل بل وهارون في قوم موسى (ع) .

ثم ان إمارة أبي بكر يوم السقيفة ليست من الامامة المعنيّ بها في قول النبي ﷺ متواتراً : الأئمة بعدي إثنا عشر ، عدد نقباء بني اسرائيل . أورده أحمد ابن حنبل في ﴿ مسنده ج ١ ص ٣٩٨ و ٤٠٦ ﴾ وأخرج السيوطي في ﴿ الجامع الصغير ج ١ ص ٧٥ ﴾ عن النبي ﷺ قال : ان عدة الخلفاء بعدي عدد نقباء بني اسرائيل ومن حديث ابن حجر في ﴿ الصواعق ص ١٢ ﴾ عن ابن مسعود : سألت النبي ﷺ كم عليك هذه الامة من خليفة ؟ قال : إثنا عشر كعدد نقباء بني اسرائيل . أراد النبي ﷺ الخلافة المعهودة من الله تعالى لامن الناس كما في قوله تعالى : « وجعلنا منهم إثنى عشر نقيباً » (٢) ولذلك اشترط فيها العصمة لقوله تعالى : « لاينال عهدي الظالمين » (٣) وكذلك العدد كما في ﴿ صحيح مسلم ج ٦ ص ٣ ﴾ من كتاب

(١) البقرة : ٢٤٧ . (٢) المائدة : ١٣ .
(٣) البقرة : ١٢٤ .

الامارة عن النبي ﷺ قال : لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة ويكون عليهم إثنا عشر خليفة .

وإن أهل السنة لايمكنهم الامتناع عن القول بامامة شخص معصوم ، لكنهم يعتبرون العصمة في النبي ﷺ وفي الخلفاء من بعده يكتفون بالعدالة ، فلا يشترطون العصمة لسبق الكفر في أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية غير أمير المؤمنين (ع) ولكننا نناشدهم : أين العدالة في خلفاء بني أميـة وبنى العباس ؟! وفي « تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦ » عن المسدد في « مسنده الـكبير » عن أبي الخلد قال : قال رسول الله ﷺ : لا تهلك هذه الأمة حتى يكون فيها إثنا عشر خليفة كلهم يعمل بالهدى ودين الحق . انتهى . فليت شعري !! أين العمل بالهدى ودين الحق في من جاء بعد الخلفاء الراشدين ؟!

والغريب من ابن تيميـة ونظرائه في « منهاج السنة » وغـيره ، حيث لم يشترطوا في الخليفة أكثر من الاسلام فقـط ، فأوجبوا طاعتهم في ما أطاعوا الله دون ما إذا عصوا الله . نظراً الى خلافة بني أمية وبني مروان وابن الزبير .

والأغرب من ذلك أنهم يعدون مثل هذه الخلافة رحمة . وقد نص النبي ﷺ في حديث سفينة كما في « مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٤٥ » و « الصواعق ص ١٥ » نص على انتهاء دور الخـلافة الى ثلاثين سنة ، وبعدها تكون ملكا عضوضا وشراً صرفاً ، ويعضد ماذكرناه أو يدل عليه حديث حذيفة في « صحيح البخاري » في كتاب الفتن قال : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت اسأله عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلت : يارسول الله ، انا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم . قلت : فهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم وفيه دخن . قلت : وما دخنه ؟ قال : قوم يهدون بغير هدى تعرف منهم وتنكر . قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم دعاة

على أبواب جهنم من أجابهم اليها قذفوه فيها . قال القسطلاني في ﴿ ارشاد الساري ج ١٢ ص ٨٣ ﴾ : قال القاضي عياض : المراد بالشر الأول : الفتن التى وقعت بعد عثمان ، وبالخير الذي بعده ماوقع فى خلافة عمر بن عبدالعزيز ، وبالذي تعرف وتنكر : الأمراء بعده . فكان فيهم من يتمسك بالسنة والعدل ، وفيهم من يدعو الى البدعة ويعمل بالجور .

أقول : هذا تطبيق وهمي ، إن أُريد بالخير والشر معرفة أيام خلفاء النبي ﷺ وإلقاء للقول على عواهنه وإلا فأين الهدى ودين الحق في من جاء بعد الخلفاء الراشدين كما فى حديث السيوطي السابق الذكر ؟ مضافاً الى ماذكره في ﴿ كنز العمال ج ٣ ص ١٥٨ ﴾ من قول عمر : إن هذا الأمر لايصلح للطلقاء ولا لأبناء الطلقاء . فبالنظر الى ذلك كله يلزمنا أحد الأمرين : إما الحكم بانقطاع الخلافة بعد ثلاثين سنة — كما في حديث سفينة — وأن من تصدى لها بعد ذلك كلهم حكام الظلم وأمراء الجور وملوك غاصبون ، لم تتوفر فيهم شروط الخلافة ، ولا العدد المذكور في حديث النبي ﷺ ، ولذلك نجدهم قد كثروا وتعددوا بتعدد ممالكهم وعواصمهم في زمن واحد . فالخليفة العباسي كان في بغداد والخليفة الفاطمي في مصر ، والأموي في الاندلس . وإما القول بخلافة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . حيث تتوفر فيهم الشروط المذكورة والعدد المعتبر (اثنا عشر) مع موافقة النصوص الصحيحة المعتبرة لدى كافة المسلمين .

المبحث الثاني

الامامة من أصول الدين

إن الامامة الكبرى والخلافة العظمى ولاية إلاهية عامة على جميع البرية . وقد كانت من وظائف الانبياء وواجباتهم الرئيسية ، وعنصراً أساسياً من النبوة في الامم

السالفة . قال الله تعالى في آدم (ع) : « إني جاعل في الأرض خليفة » (١) وقال في ابراهيم (ع) : « إني جاعلك للناس اماماً » (٢) ، وقال في داود (ع) : « انا جعلناك خليفة في الارض » (٣) ، وقال في شأن عباده المؤمنين : « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم » (٤) وقال تعالى : « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » (٥) .

وبما أن النبوة من أصول الدين بالضرورة واليقين ، فان الامامة والخلافة التي هي من عناصرها ووظائفها الرئيسية كذلك من اصول الدين ، فلما ختمت النبوة برسول الله ﷺ ، وحلت الامامة والخلافة محلها ، فقد انحازت هذه ، وبقيت على أصلها — أعني كونها من أصول الدين التي يجب الاعتقاد بها بعد التوحيد والنبوة — اذن فان معرفة الخليفة والامام الحق واجبة عقلا ، كما تجب معرفة الله تعالى ومعرفة النبي والاعتقاد برسالته .

ولقد تواتر عن النبي ﷺ من يدلك على أن الامامة من الاصول وليست من الفروع — كما يزعمه الجماعة — فان قوله ﷺ : «من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة الكفر » دليل صريح على وجوب معرفة الامام ،وأن الجاهل به أوالجاحد المعاند له يموت على الكفر ، وذلك نظير الجحد والانكار لأي واحد من أوصياء الانبياء (ع) كخلافة هارون (ع) في بني اسرائيل .

أحاديث «من مات ولم يعرف امام زمانه ...»

أخرج مسلم في ﴿ صحيحه ج ٦ ص ٢٢ ﴾ ، والامام أحمد في ﴿مسنده ج ٢ ص ٨٣ ﴾ خبر مجيء عبدالله بن عمر الى ابن مطيع وحديثه عن النبي ﷺ قال :

---

(١) البقرة : ٣٠ . (٢) البقرة : ١٢٤ . (٣) ص : ٢٦ .
(٤) النور : ٥٥ . (٥) القصص : ٥ .

« من خلع يداً من الطاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » ، وفي ﴿ صحيح مسلم أيضا ج ٦ ص ٢١ ﴾ عن النبي ﷺ « من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات ، مات ميتة جاهلية » وفي ﴿ المسند ج ٣ ص ٤٤٦ ﴾ قال رسول الله ﷺ : « من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية ومن نكث العهد فمات ناكثاً للعهد ، جاء يوم القيامة ولا حجة له » وفيه : « ومن مات وليست عليه طاعة مات ميتة جاهلية ، فان خلعها من بعد عقدها في عنقه لقي الله وليست له حجة » ، وفي ﴿ مستدرك الحاكم ﴾ و ﴿ تلخيص الذهبي ﴾ بالاسناد الى رسول الله ﷺ قال : « من فارق الجماعة شبراً دخل النار » وأخرج أحمد في ﴿ المسند ج ٤ ص ٩٦ ﴾ عن معاوية بن أبي سفيان قال : قال رسول الله ﷺ : « ومن مات بغير إمام مات ميتة جاهلية » ، وفي ﴿ حلية الأولياء لأبي نعيم ج ٣ ص ٢٢٤ ﴾ عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من مات بغير إمام فقد مات ميتة جاهلية » وأخرج الدولابي في ﴿ الكنى ج ٢ ص ٣ ﴾ : أن الشعبي قال : سمعت إبن عمر يقول : « من مات وليس عليه امام جامع فقد مات ميتة جاهلية ، ومن خرج عن الجماعة فقد خلع ربقة الاسلام عن عنقه » ، واخرج علي المتقي في ﴿ كنز العمال ﴾ في كتاب أحكام البيعة بلفظ « من مات ولا بيعة له ، مات ميتة جاهلية » وأخرج الحديث ايضا في ﴿ الكنز ج ٣ ص ٢٠٠ ﴾ بلفظ : « من مات بغير إمام ، مات ميتة جاهلية ، ومن مات مفارقاً للجماعة ، مات ميتة جاهلية ، ومن مات ناكثاً عهده ، جاء يوم القيامة ولا حجة له » . انتهى .

إذن فما يزعمه الجماعة من كون الامامة من الأحكام الفرعية ، وليست من الأصول الاعتقادية ، كي يلزم فيها الاذعان والمعرفة مردود بما عرفت من النصوص الصريحة على كفر من لايعرف إمامه . فلولا أن معرفة الامام واجبة ، لما كان تركها موجباً للكفر والموت على الجاهلية . والغريب مازعمه ابن تيمية في ﴿ منهاجه ج ١ ص

٢٧ ﴾ أن رواية ابن عمر متضمنة لبيان كفر من خرج عن الطاعة وقاتل السلطان بالسيف ، قال : وهذا ضد قول الرافضة .

أقول : إن الحديث يشتمل صدره وذيله على بيان أمرين يوجب كل منهما الكفر . أحدهما : الخروج على الامام ، وتؤيده أحاديث كفر المارقين الذين خرجوا على أمير المؤمنين (ع) ، فمرقوا عن الدين كما يمرق السهم من الرمية ، حسب ما أخبر به النبي ﷺ ، وحكم بكفرهم وإرتدادهم . وثانيهما : الموت بغير إمام يعتقد به ، وان لم يخرج عليه بالسيف . فان كلا منهما يوجب الكفر والخروج عن الدين . قال تعالى : «وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم ، لعلهم ينتهون » (١) إحتج بها أمير المؤمنين (ع) على كفر من خرج عليه يوم البصرة من المنكرين لامامته ، وكان — عليه السلام — يوم صفين يحض اصحابه على قتال القاسطين ويقول : « قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم » . وفي ﴿ منتخب كنز العمال ط هند ج ٥ ص ٤٣٥ ﴾ عن عبدالرحمن بن جبير في الخوارج ، قال (ع) : اضربوا مقاعد الشيطان منهم بالسيوف ، فو الله لأن أقتل رجلا منهم أحب إلي من أن أقتل سبعين من غيرهم ، وذلك بأن الله يقول : « فقاتلوا أئمة الكفر » . ابن أبي حاتم .

ومما يدل على أن الامامة من أصول الدين ، كلام أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام كما في ﴿ نهج البلاغة ﴾ (٢) قال : « إنما الأئمة قوام الله على خلقه ، وعرفاؤه على عباده ، لايدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ، ولا يدخل النار إلا من انكرهم وانكروه . . الخ » فانه ليس المقصود معرفة الأئمة باسمائهم وأشخاصهم وأنه ابن فلان مثلا ، فان المشركين كانوا يعرفون رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين (ع) كذلك كذلك . وانما المقصود معرفة امامتهم والاذعان بها والاعتراف بولايتهم والاقرار

(١) التوبة : ١٣ . (٢) ج ٢ ص ٥٤ طبع مصر .

بها ، كما ان المراد من معرفة الامام لهم ، أن يعرفهم أنهم من مواليه وشيعته وأتباعه فهذه المعرفة موجبة لدخول الجنة .

وفي «ينابيع المودة» (١) للشيخ سليمان الحنفي في تفسير قوله تعالى : « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » (٢) نقلا عن «مناقب الشافعي» أن علياً (ع) قال: أدنى مايكون العبد مؤمناً أن يعرفه الله نفسه ويعرفه نبيه ﷺ ويعرفه امامه ، وحجته في أرضه ، وشاهده على خلقه . انتهى . فهذا صريح في أن معرفة الامام مقرونة بمعرفة الله ومعرفة رسوله ﷺ ، وأن المرء لايكون مؤمنا الا بهذه المعرفة .

تأويل الجماعة معنى : الامام

ان الجماعة حيث جعلوا الامامة من فروع الدين عندهم ، وجردوها عن رتبتها الرفيعة ، وقد اطلعوا على الأدلة القاطعة الصريحة بكونها من اصول الدين ، وأحرجت هذه النصوص موقفهم ، اضطروا الى تأويل معنى (الامام الوارد في الاحاديث المزبورة) ، بضروب من التكلف والتجشم ، ففسروا (الامام) تارة بالقرآن ، وأخرى بالخلفاء الراشدين ، وتارة بأئمة المذاهب الأربعة ، وجميع ذلك باطل . لأن القرآن المنزل من الله تعالى امام الامة في جميع الأزمنة الى يوم القيامة ، لا انه امام زمان دون زمان . فلو أوّلوا (الامام) برسول الله ﷺ لكان أولى ، لوجوب الاعتراف به وبما جاء من عند ربه ومنه القرآن . فالاقرار به من ضمن الاقرار بالنبي ﷺ ، ولكن التدين به لكونه إمام الامة في جميع الازمنة . فالتعبير بكلمة : (إمام زمانه) يفهم منه أن المراد بالامام هو الشخص الديني المطاع الحافظ لحدود الله في زمانه . ولو أُريد من التديُّن بالقرآن معرفة أحكامه تفصيلا ، لزم أن يكون أكثر

(١) ص ٩٥ طبع بمبي ١٣١١ هـ .
(٢) النساء : ٥٨ .

المسلمين محكومين بالـكفر لجهلهم بتفاصيل معاني القرآن .

ويدلك على ماذكرنا — زيادة عما مضى — ما أورده السيوطي في (الدر المنثور) في تفسير قوله تعالى من سورة الاسراء : « يوم ندعو كل أُناس بامامهم » (١) قال : وأخرج ابن مردويه عن علي (رض) قال : قال رسول الله ﷺ : « يوم ندعو كل أُناس بامامهم ، يُدعى كل قوم بامام زمانهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم » وهـذا صريح باقتران القرآن بامام الزمان ، وأنه يكون لكل زمان إمام ، وأنهم يُدعون بامامهم .

وأما تأويل (الامام) بالخلفاء الراشدين ففيه نظر ، لأنه في غاية البعد عن سياق قوله : « من مات ولم يعرف إمام زمانه » لأنه يعم جميع الازمنة ، أي امام كل زمان الى نهاية أزمنة التكليف ، من غير اختصاص بالخلفاء الراشدين فى الصدر الاول من الزمان . (٢)

وأما تأويلهم لفظ (الامام) بأئمة المذاهب الأربعة ، فيرد عليه نفس الاعتراض والاشكال فان الامامة إذا كانت من الأصول الاعتقادية أو الفروع العملية ، لم يكن فرق بين سائر الرؤساء من أئمة المذاهب ، فلا فرق بين أبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمـد ، وبين غـيرهم من مراجع التقليد من التابعين وتابعي التابعين وهكذا ... !!

على أن أحاديث : « من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة الـكفر »

(١) الاسراء : ٧١ .

(٢) وحكي عن الشيخ المفيد (قدس سره) في (الفصول المختارة) أنه اعترض على هـذا التأويل (اي تأويل امام الزمان بالخلفاء الراشدين) بالنقض بامير المؤمنين (ع) حين امتناعه عن بيعة أبي بكر بعد وفاة الرسول (ص) حيث لم تكن في عنقه بيعة ولم يعرف حينئذ امام زمانه ، فيلزم احد الامرين : اما كفر علي (ع) وموته على الجاهلية ان كان ميتا حينذاك ، مع أن القرآن يشهد بطهارته ويثبت له اعلى درجات الايمان ، واما بطلان هذا التأويل والتفسير ، وهو المطلوب .

صادرة بطرق الصحابة عن النبي ﷺ فكيف يمكننا تفسير (إمام الزمان) بأئمة المذاهب الأربعة مع عدم وجودهم في زمن رسول الله ﷺ ولا في عهد الصحابة ، ومنهم من كان متأخراً عن زمن التابعين وعمن بعدهم . على أن هؤلاء الأربعة لم يكونوا أئمة في عهدهم بل كان شأنهم في حياتهم شأن سائر العلماء من غير مزية لهم على الآخرين وإنما جعلتهم السياسة الوقتية والسلطة الزمنية أئمة في القرن الرابع الهجري .

قال المقريزي في ﴿ خططه ج ٤ ص ١٦١ ﴾ : إن السلطان صلاح الدين حمل الكافة على عقيدة الشيخ أبي الحسن الاشعري تلميذ أبي علي الجبائي ، وشرط ذلك في أوقافه التي في ديار مصر والشام والحجاز واليمن وبلاد المغرب ، وصار هذا الاعتقاد في سائر البلاد بحيث من خالفه ضرب عنقه . قال : ولم يكن لمذهب أبي حنيفة كثير ذكر ، ولا لمذهب أحمد بن حنبل ، ثم اشتهر مذهب أبي حنيفة ومذهب أحمد بعد ذلك . فلما كانت سلطة الملك الظاهر ولّى بمصر والقاهرة أربع قضاة يفتون على مذهب الحنفي والمالكي والحنبلي والشافعي ، ومنع ما دون ذلك ، واستمر ذلك من سنة خمس وستين وستمائة حتى لم يبق في مجموع بلاد الاسلام سوى هذه المذاهب الأربع وعقيدة الاشعري ، وعُملت لأهلها المدارس والخانات والربط في بلاد الاسلام ، وعوقب من تمذهب بغيرها وأنكر عليه ولم يول قاض ، ولا قُبلت شهادة أحد ولا قدم للامامة والخطابة ، ولا للتدريس احد مالم يكن مقلداً لأحد هذه المذاهب ، وتحريم ماعداها . والعمل الى هذا اليوم . انتهى .

فاين كانت هذه المذاهب — مع شدة الخلاف في ما بينها ، وتكفير بعضهم لبعض — عن تفسير أحاديث النبي (ص) باصحابها ورؤسائها ؟

مع أن هذه التأويلات المزبورة بعيدة عن فهم معاني الألفاظ وعن متبادر العرف ، ولا تناسب مورد الحديث من مجيء ابن عمر لبيعة يزيد واستشهاده بما سمعه من النبي (ص) . فان ذلك نص على أن المقصود من الامام هو الخليفة .

ويدل على ذلك ايضا اشتمال بعض تلك الاحاديث على لفظ (الامير) و (السلطان) ولفظي (البيعة والعهد) ، ولفظ (خلع اليد عن الطاعة) ، وكل ذلك لا ينطبق إلا على ولي الامر . وفي « الصحيحين » عن النبي (ص) : « من كره من أمره شيئاً فليصبر عليه ، فان من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية » . واخرج الحاكم في « المستدرك » عن ابن عمر رفعه : « من خرج عن الجماعة قدر شبر فقد خلع ربقة الاسلام عن عنقه ، ومن مات وليس عليه امام جماعة فان موته ميتة جاهلية » انتهى .

ثم انه أي تأويل مما ذكر يأتي في قوله تعالى : « وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا » (١) وقوله تعالى : « إني جاعلك للناس إماما قال : ومن ذريتي . قال : لا ينال عهدي الظالمين » ؟(٢) فان هذه الآيات ، لاسيما الأخيرة وقعت بياناً لامامة أئمة العدل من ذرية ابراهيم الخليل (ع) ، وحرمة الامامة على الظالمين منهم . فاي تأويل يمكن فيها ؟ أم أي تأويل يجري في قول النبي ﷺ متواتراً : « الأئمة من بعدي اثنا عشر كلهم من قريش او من بني هاشم » ؟ وكذلك في حديث أبي بكر : الأئمة من قريش .

المبحث الثالث

لا تخلو الأرض من الامام

إن أحاديث « من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة الجاهلية » تدل على ان لكل زمان اماماً تجب على الامة معرفته والدخول في طاعته . قال أبو علي الجبائي شيخ المعتزلة عند قوله تعالى : « إنما انت منذر ولكل قوم هاد » (٣) أن الآية دالة على ان لا واحد من المكلفين إلا وقد بعث اليهم المنذر والهادي ، وأنه تعالى أقام به الحجة على جميع الأمم . إنتهى ، وذلك بمقتضى قوله تعالى : « ولقد وصلنا

(١) الانبياء : ٧٣ . (٢) البقرة : ١٢٤ . (٣) الرعد : ٨ .

لهم القول لعلهم يتذكرون » (١) وقوله تعالى: « وان من امة إلا خلا فيها نذير »(٢) وقوله تعالى: « كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير ».

فان قلتم: إن المقصود بالمنذر والنذير في الآيات المذكورة هم العلماء الذين يرجع اليهم في المبدأ والمعاد، وكفى بحكمهم شاهداً ومبشراً ونذيراً. قلنا: لولا اختلافهم في المذهب والاعتقاد وعملهم بالاستحسان والقياس واعتمادهم على الآراء والأهواء في تفسير القرآن ونشر الاحكام، « ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله » (٣) فكيف يكون أمثال هؤلاء أمناء الله. وهم السبب الباعث على التفرق والاختلاف في الاصول والفروع والتمذهب بمذاهب متضاربة كالمعتزلة، والاشعرية والقدرية، والمرجئة، والجهمية والجبرية، والمفوضة، والمعلاة، والمجسمة، والقائلين بالرؤية، والتشبيه، والمثبتين للجهة والاعضاء، والقائلين بالصفات الزائدة لله « سبحانه وتعالى عما يقولون ». وفي المسلمين من قال بعدم عصمة النبي ﷺ وانه لم يكن على دين ابراهيم الخليل (ع) وفي علمائهم من انكر ولاية علي (ع) وعثمان، بل وانكر وجوب نصب الامام والخليفه كالخوارج، بل اختلف جميع المذاهب في الفروع، وفي الحديث عن رسول الله (ص).. الى حد غير محصور من وجوه الاختلاف والافتراق. وكل ذلك نتيجة لاختلافهم فى الآراء والأنظار، حتى فسق بعضهم بعضاً في الفتيا والاجتهاد، حتى أن ابن الجوزي ذكر في كتابه ﴿ تلبيس ابليس ﴾ وجوهاً من تلبيساته على الفقهاء وعدَّ منها أموراً. فاذا كان هذا شأن العلماء — كما عرفت — فكيف يكون اللطف من الله تعالى فى إحالة الامور اليهم، من غير إمام يهديهم الى سواء السبيل « لئلا يكون للناس على الله حجة »؟!

ومن النصوص التي تدل على أن الأرض لاتخلو من الامام، ماسيأتيك من

(١) القصص: ٥١. (٢) فاطر: ٢٤ (٣) القصص: ٥٠.

كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لصاحبه كميل بن زياد النخعي ، كما يرويه الحافظ أبو نعيم (١) وعلي المتقي في ﴿ كنز العمال ﴾ ، والخطيب الخوارزمي في ﴿المناقب﴾ والذهبي في ﴿ تذكرة الحفاظ ﴾ ، وسبط ابن الجوزي في ﴿ تذكرة خواص الامة ﴾ والغزالي في ﴿ إحياء العلوم ﴾ والفخر الرازي في ﴿ تفسيره الكبير ﴾ .

ففي ﴿ حلية الاولياء لأبي نعيم ج ١ ص ٨٠ ﴾ بالاسناد الى أبي حمزة الثمالي عن كميل بن زياد قال : أخذ بيدي أمير المؤمنين (ع) فاخرجني الى ناحية الجبانة فلما أصحرنا جلس فتنفس الصعداء ثم قال : يا كميل . . الى أن قال فيما قال : اللهم بلى « لاتخلو الأرض من قائم لله بحجة لئلا تبطل حجج الله وبيناته . هم الاقلون عدداً ، والاعظمون عندالله قدراً ، بهم يدفع الله عن حججه حتى يردوها الى نظرائهم ويزرعوها في قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الامر . تلك أبدان أرواحها متعلقة بالمحل الأعلى . يا كميل أولئك خلفاء الله في بلاده ، والدعاة الى دينه . آه آه ! شوقاً إلى رؤيتهم . . الخ .

وفي ﴿ ينابيع المودة ﴾ للشيخ سليمان القندوزي الحنفي في الباب المائة ، وفي ﴿ إحياء العلوم للغزالي ج ١ ص ٥٤ ﴾ من الباب السادس في آفات العلم من كتاب العلم ، من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام لكميل : اللهم بلى لاتخلو الارض من قائم لله بحجة إماظاهراً مشهوراً ، وإما خائفاً مغموراً ، لئلا تبطل حجج الله وبيناته . . الخ

أقول : قوله : وإما خائفاً مغموراً ، يدل على مذهب الشيعة من جواز تستر الامام والحجة عند خوف الفتنة ، نظير ما كان بعد صلح الامام السبط الحسن (ع) مع معاوية ، وقعود أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء عليهما السلام عن حقهما . كما أن قوله (ع) : بلى لاتخلو الأرض . . الخ صريح في مذهب الشيعة ، وعدم انطباقه على مايذهب اليه الجماعة لانقطاع حجتهم الالهية بانقطاع خلافة بني امية وبني العباس — عندهم — وكذلك قوله عليه السلام كما في ﴿ نهج البلاغة ﴾ (٢) : « نحن

---

(١) في حلية الاولياء .

(٢) ج ١ ص ٢١٤ ط مصر .

شجرة النبوة ، ومحط الرسالة ، ومختلف الملائكة ، ومعادن العلم ، وينابيع الحكم » . وقوله عليه السلام في ﴿ النهج ﴾ ايضا : « إن الأئمة من قريش ، غرسوا في هذا البطن من هاشم لاتصلح على سواهم ، ولا تصلح الولاة من غيرهم ٠٠ الخ وكل هذه الكلمات دالة بالصراحة على ان الخلافة في أمير المؤمنين وذريته عليهم السلام أجمعين .

لايجوز للنبي اهمال الخلافة

إن مقتضى العقل والنقل عدم جواز اهمال رسول الله ﷺ أمر الخلافة من بعده ، ولا يمكن أن يرتحل الى لقاء الله تعالى قبل أن ينصب وصيه وخليفته ، وهو (ص) يعلم شدة الخلاف بين الامة ، بل وتلاعب المنافقين من اصحابه بالشريعة فى حياته ، فكيف بهم بعد وفاته . وكان ﷺ يعلم انه سوف يموت عن اناس لم يدخل الايمان في قلوبهم ، وعلم — بالضرورة من الوحي — شقاق بعض اصحابه ونفاقهم . وارتداد ثلة منهم ، وانقلابهم على ادبارهم . وأما ايكال الامر فى اختيار الخليفة الى اصحابه فانما هو تضييع للشريعة ، وإيقاع لها ولهم في المفسدة ، لأن الآراء مختلفة والرغبات متضاربة ، وقد أفصح عن ذلك خلاف الانصار والمهاجرين يوم السقيفة ، وتخلف أمير المؤمنين (ع) وبني هاشم ومتابعيهم عن الدخول في البيعة ، وما حدث يومئذ من النزاع والخصام . ومن هنا قال عمر بعد السقيفة : كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرها . وقال أمير المؤمنين (ع) لعمر لما قهره عمر على البيعة : إحلب حلباً لك شطره . وقد عرف عمر أن الاصحاب لا يتفقون فيما بينهم على رأي واحد كما في الستة الذين جعلهم من اصحاب الشورى بعده — مع قلة عددهم ، وثقة الأمة بهم — فحكم بالأخذ بجانب الاكثر منهم ، ومع التساوي فى عدد المختلفين ، جعل الترجيح فى الجانب الذي فيه عبدالرحمن بن عوف ، ومع الاختلاف أمر بضرب عنق المتخلف منهم . وطعن أمير المؤمنين (ع) في هذه الشورى ، بقوله : « فيا لله وللشورى ٠٠٠

فصغى رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره ٠٠ مع هن وهن ٠٠ » وأخيرا ناقشت الصحابة أعمال عثمان ، وانتقدوا تصرفاته ، فخلعوه وقتلوه بأنفسهم كما نصبوه بانفسهم ثم خرجوا على أمير المؤمنين عليه السلام و بغوا عليه باجتهادهم وآرائهم .

وخلاصة القول : أن امر الخلافة ما احيل الى الآراء والأهواء إلا وأوجب مفاسد عظيمة ، وفتناً كبيرة ، لاسيما اذا كانت تلك الآراء مقترنة باعمال القوة والارهاب ، مستمدة من السلطة والشوكة الزمنية . فمن يكون حينئذ حافظاً للدين عن التبديل والتغيير ؟ وعلى من تكون التبعة في التضييع والتفويت ؟ أعلى الله أم على رسوله ﷺ أم على الأمة ؟

فان قلت : على الله وعلى رسوله ﷺ ، فقد لزمك القول بأن تعيين الخليفة والامام عليهما لامحالة .

وان قلت : على الأمة ، فقد اعترفت بقصورها عن ادراك الحق ، ووقوعها في الضلالة ، وذلك يسلب الاعتماد عليها في إناطة اختيار الخليفة اليها . ولذا نجد الامة افترقت بعد النبي ﷺ الى ثلاث وسبعين فرقة كلهم هالكون وواحدة منها ناجية فقط .

المبحث الرابع

إن الامامة لطف من الله تعالى

الحق أن الامامة ونصب الامام والحجة لطف من الله تعالى ، كما أن بعث الأنبياء وارسال الرسل ايضاً من لطف الله جل شأنه ومن فعله وارادته دون سواه ، اذ قال تعالى : « ويوم نبعث في كل امة شهيداً عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء »(١) وقال تعالى : « ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالحق » (٢)

(١) النحل : ٨٩ . (٢) يونس : ٤٧ .

وقال : « إنما انت منذر ولكل قوم هاد » وقال : « ولو اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى » (١)

فاقتضت الحكمة الالهية تعيين المنذر والهادي من نبي أو وصي نبي تقويماً للنظام التام على الوجه العام . فلو خلت الارض في مختلف الأزمنة عمن يهدي الناس ويبعثهم الى الطاعة ، ويزجرهم عن المعصية والعادات القبيحة ، والأفعال الذميمة الموحشة ، لزالت العناية الالهية عن الخلق ، وانقطع الفيض منه تعالى ، وسادت الفوضى وانتشر الفساد وعم البلاد . اذ ليست النفوس البشرية بمقتضى جبلتها الأصلية مستغنية عن مصالحها النوعية ، وليس لها من الفطنة والذكاء ما يمنعها عن ارتكاب الرذائل والظلم والعدوان . نعم تعرف مصالحها أحياناً ، ولكن الاهواء النفسية والحرص على جلب المنفعة الشخصية ، والرغبات النفسانية يمنعها عن إتباع تلك المصالح . ولولا أن النبوة ختمت بنبينا محمد (ص) لاقتضت (قاعدة اللطف) ارسال رسول بعد هذا الرسول (ص) كما يقول تعالى : « ثم ارسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها » (٢) وبما أن اختتام النبوة من اركان هذا الدين ، فالرسالة مرتفعة والوحي منقطع . غير أن البواعث على تعيين من يقوم مقام النبي (ص) في أحكامه وسياساته وسائر ما كان يقوم به موجودة إذاً فالجهة في بعث النبي ونصب الامام واحدة ، ورعاية المصلحة العامة في كلا الموردين متحدة إلى أن يتم دور التكليف الى الابد .

ولا يخفى أن (العدلية من اصحابنا) ذهبوا إلى إيجاب الالطاف التي مقتضاها بعث الانبياء وتعيين الاوصياء والحجج ، وانزال الكتب السماوية ، وايجاب التكاليف وبيان الولايات العامة والخاصة . وأما (أهل السنة) فحيث انكروا الحسن والقبح العقليين (٣) الذين هما الاصل وعليهما المعتمد فيما ذكرناه من الامور ، فقد استراحوا

(١) طه : ١٣٤ . (٢) المؤمنون : ٤٤ .

(٣) والمراد : الاشعرية منهم دون المعتزلة .

من ذلك كله . فتراهم ينكرون أن نصب الامام على الله تعالى — والاولى بهم أن ينكروا الامامة من اصلها — لانها ليست عندهم من اللطف ، ولم يكن اللطف واجباً لديهم حتى في بعث الانبياء وارسال الرسل ، لتجويزهم العبث على الله تعالى . وإلا فكل من لايوافقهم في هذه العقيدة لا بد له من القول بأن تعيين الوصي للرسول واجب على الله تعالى لانه هو الخبير بالولي الصالح المصلح دون عباده ، اذ ربما وقع اختيارهم على المفسد بزعم انه مصلح ، بخلافه تعالى فانه العالم بالضمائر ، والمطلع على السرائر . وبتعيينه تتم مصالح الخلق ، من بعث نبي أوجعل وصي ، أو إنزال كتاب سماوي . فان جميع ذلك من باب واحد ، أعني إيجاب اللطف على الله تعالى .

قالت الجماعة : إن نصب الامام قد يؤدي الى المفسدة من قيام الأمة عليه ، فلا يتم وجوبه على الله .

قلت : على هذا لايجب نصب الامام لاعلى الله ولاعلى الامة فان فيه نفس المفسدة (كما تزعمون) (١) نعم ، على مذهب الاشاعرة الذين يجوزون العبث على الله تعالى ، لامانع لديهم عن القول بنصب الامام عليه تعالى ، وإن أدى ذلك الى المفسدة ، اذ لايرون لزوم اشتمال احكامه تعالى على المصلحة ، لانه تعالى يفعل مايشاء ويحكم ما يريد ، ويجوز له نسخ وجوب الايمان وحرمة الكفر . قال الفخر الرازي في « التفسير الكبير ج ٣ ص ٤٧٢ » آخر سورة المائدة عند قوله تعالى : «إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم » (٢) قال : مذهبنا أنه يجوز من الله أن يُدخل الكفار الجنة وأن يدخل الزهاد والعبّاد في النار ، لأن الملك ملكه ، والمالك يفعل في ملكه ماشاء لا اعتراض لأحد عليه ، - إلى أن قال أيضاً : وقوله : « إن الله لا يغفر أن يشرك به » (٣) فنقول : إن غفرانه جائز عندنا وعند جمهور البصريين من

(١) وعلى هذا لا يجب ارسال الرسل على الله ايضاً لأن ذلك قد يؤدي الى المفسدة ايضاً من قيام الأمم على الانبياء وقتلهم اياهم وطغيانهم عليهم .

(٢) المائدة : ١٢١ . (٣) النساء : ٤٧ .

المعتزلة . الخ فعلى هذا المسلك يجوز على الله تعالى تعيين الوصي المفسد ! والامر بطاعته أيضاً ، فضلا عما يذهب اليه الاشاعرة من أن نصب الامام من الله قد يؤول الى الفساد . وأما على مذهب العدلية ، فلما كان المفروض عندهم أن نصب الامام المصلح العام هو لطف من الله تعالى ، فليست هنالك مفسدة في فعله تعالى مطلقاً . ولو فرض قيام الامة عليه وعدم الرضا به وخروجهم عن طاعته ، فان ذلك كقيامهم على الرسل وقتلهم الانبياء . ومن المعلوم أن وجوب اللطف في ارسال الرسول ونصب الامام على حد سواء . مضافاً الى أن وجوب الطاعة من تكاليف الأمة وليس براجع الى الله والذي على الله ، هو تدبير أمر الخلق وتقويم الحق ، وقد فعل ولا يعقل اشتمال خلفاء الله في أرضه على شيء من المفاسد — بعد فرض عصمتهم كما سيأتي بيان ذلك — وأما ماحصل من المفاسد والفتن في عهود الانبياء والأئمة فسببه أهواء الأمة ، وأغراضهم النفسانية ، وليس ذلك من نتائج فعله تعالى . ولا يجب على الله تعالى دفع المفسدة تكوينياً من هذه الجهة ، وإنما عليه البيان واقامة الحجـة ، وهذا يقتضي دوام الاستخلاف مادامت هذه النشأة باقية ، وعناصر العباد غير فانية فلا محالة يشملهم لطف الله في قربهم الى الطاعة وبعدهم عن المعصية .

المبحث الخامس

نصب الوصي والخليفة من السنن الجارية

إن نصب الوصي وتعيين الخليفة كان في الأمم الماضية من السنن الجارية المتبعة ومضت عليها كافة الانبياء ، فلا يموت نبي أو يغيب عن الاعين إلا وينصب من يقوم مقامه ويحفظ شريعته . ألا ترى أن موسى (ع) استخلف هارون في حياته خوفاً من مفسدي بني اسرائيل أن يفسدوا عليه شرعه كما قال تعالى : « وأصلح ولا تتبع

سبيل المفسدين » (١) ثم انه (ع) أوصى عند وفاته الى يوشع بن نون ، ثم هو الى من بعده الى زمن عيسى (ع) ، وكان لهذا أوصياء متصلة أو منفصلة حتى بعثة رسول الله ﷺ . وكذلك كان لآدم (ع) أوصياء الى زمن نوح (ع) ومنه الى إبراهيم ومنه الى موسى (ع) وهكذا الى خاتم الانبياء (ص) فالوصاية سنة لله في عباده « ولن تجد لسنة الله تبديلا » ، فسنة النبي ﷺ كسنة النبيين (ع) من قبله ، فيلزمه نصب من يحفظ الدين من بعده ، ولا يجعل ذلك الى اختيار الأمة كي تنقلب الخلافة الى ملك عضوض .

ولقد كان النبي (ص) يستخلف في حياته اذا غاب عن المدينة ولو أياماً قلائل ، فكيف لا يستخلف أحداً بعد وفاته مع علمه (ص) باختلاف أمته وبغيهم وانقلابهم على الأعقاب لقوله تعالى: « أفان مات او قتل انقلبتم على أعقابكم » (٢) ويعلم أيضا أن أيادي المنافقين تتلاعب فيهم ، فتذهب فائدة البعثة لولا الوصاية والخلافة فمن المعلوم بالضرورة أن الشريعة الخالدة الأبدية هي أحوج الى الوصي والقيم الديني فأين الرسول الحكيم (ص) من فعل الانبياء ، بل ومن فعل العقلاء إن خالف دأبهم وسيرتهم ؟! أترى رسول الله (ص) يترك المصلحة العظمى للامة ويترك الناس سدى ؟ أو أنه (ص) — مع اتصاله بالمبدأ الأعلى — لا يعرف المصلحة في الوصاية وعلم بها أصحابه من بعده فتسرعوا الى السقيفة لنصب الخليفة ، وتركوا جثمانه (ص) ولم يحضروا جنازته ، اذ زعموا أن نصب الامام للرعية ألزم للحكمة من حضورهم تجهيز نبيهم (ص) ، وكذا كان اهتمام الخلفاء من بعد النبي (ص) بنصب من بعدهم أشد منه (ص) حيث عهد أبو بكر الى عمر ، وأن عمر لما طعن ولم يستخلف قالت له عائشة : لا تدع أمة محمد بلا راع فاني أخشى عليهم الفتنة . فعرفت هي الفتنة بترك الاستخلاف ولم يعرفها النبي (ص) الصادع بالحق ؟! كلا بل النبي اعرف وأحق بأن

(١) الاعراف: ١٤١ . (٢) آل عمران ١٤٤ .

لا تفوته هذه الامور العظيمة من نصب وصيه وخليفته .

واعلم ان ما ذكرناه إنما هو من باب الالزام أو الارشاد الى الهدى ، وإلا فالشيعة لاتشك أن نبي الحكمة (ص) عمل بما وافقه العقل والنقل ، وأوضح سبيل الرشد بارجاع الأمة الى علي (ع) باب مدينة علمه ، والى الأئمة من عترته الطاهرة (ع) وان أبت عنه النفوس ، وأعرضت عنه المتعصبون ، وتركوه كما ترك بنوا إسرائيل هارون ومثل ذلك لا يضر بالحق . قال تعالى : « وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » .

المبحث السادس

فيما تتم به قاعدة اللطف

قد أعلمنا أن الغرض من نصب الامام والخليفة أمر واحد وهو اللطف ، اعني المقرب الى الطاعة والمبعد عن المعصية ، وهذه المصلحة لا تتم على مجرى العادة إلا بثلاثة أمور هي قوامها : —

أحدها : — ماهو راجع الى الله تعالى ويكون من فعله جل وعلا ، أعني نصب الحجة فانه واجب عليه عقلا كما قرره من الوعد والوعيد ، والعتاب والتهديد ، وجعل الثواب والعقاب والجنة والنار . والمقصود من الوجوب العقلي هو ادراك العقل قبح التعذيب اذا كان بدون اللطف وبيان التكليف ، وقد صرح بذلك في قوله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » (١) وقوله تعالى : « ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون » (٢) وقوله تعالى : « وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون » (٣) وقوله تعالى : « لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها » (٤) أي علمها . . الى غير ذلك من الآيات الصريحة في أن الله تعالى

(١) اسرى : ١٥ . (٢) الانعام : ١٣٣ .
(٣) التوبة : ١٣٦ . (٤) البقرة : ٢٨٦ .

لايعذب عباده على شيء لا سبيل لهم الى معرفته وانه لو منعهم المعرفة كان ذلك على خلاف المصلحة ، ولقامت للناس على الله الحجة ، ويأبى الله إلا أن تكون الحجة البالغة .

وقد ظهر مما ذكرنا من التقريب في قاعدة اللطف بطلان ما ادعاه عبدالعزيز الدهلوي صاحب « التحفة الاثنا عشرية » من قوله : إنه لا ايجاب على الله من عباده ولا ولاية لأحد عليه تعالى بل هو الولي المطلق لقوله تعالى: «الله ولي الذين آمنوا» (١) وقوله : « إنما وليكم الله ورسوله » (٢) انتهى. وقدغفل الرجل عن أن معنى الوجوب العقلي هو إدراك حسن شيء وقبح شيء آخر . كادراك الحسن في رد الوديعة ودفع الظلم ، وحسن الاحسان و كادراك العقل وجوب المعرفة والنظر في المعجزة كيلا يلزم إفحام الأنبياء ، فلا محالة يدرك العقل حسن شيء من الله تعالى كالوفاء بوعده أوقبح شيء عليه كخلف الوعد أو تعذيب من لايستحق العذاب ، ولا نعني بوجوب شيء عليه تعالى حكم غيره ، بل وجوب صدوره منه نظراً الى حكمته من بعث الرسل وإنزال الكتب وفرض الأحكام ، وهذا نظير قوله تعالى : « كتب ربكم على نفسه الرحمة » (٣) وقوله : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة » (٤) وقوله تعالى : « وما انا بظلام العبيد » (٥) وقوله تعالى : « وماظلمناهم ولكن أنفسهم يظلمون »(٦) فنزه تعالى شأنه نفسه المقدسة عن الظلم القبيح عند العقل والعقلاء ، وانه تعالى لايظلم الناس وإنما يؤاخذهم بذنوبهم. وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ : قال الله: ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وقال الله تعالى : « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » (٧) أوجب نصر المؤمنين على نفسه تعالى ، طبقا لادراك العقول لزومه ، ووفاءاً للوعد

(١) البقرة : ٢٥٧ . (٢) المائدة : ٥٨ . (٣) الانعام : ٥٤ .
(٤) الانبياء : ٤٨ . (٥) آل عمران : ١٨٢ . (٦) آل عمران: ١١٧ .
(٧) الروم : ٤٧ .

في قوله تعالى : « إن تنصروا الله ينصركم » (١)

ثانيها : — مايجب على الامام من القيام بالأمر ، وتقويم المصالح الشاملة والنظام العام ، وهذا يتوقف على وجود القدرة ، ولا يتحقق مع الضعف والعجز أو خوف الفتنة كما حدث لرسول الله ﷺ في صلح الحديبية ، فحينئذ يسقط هذا التكليف عن الامام مع بقائه في منصب الخلافة والامامة . قال تعالى : « وان تولوا فانما عليك البلاغ » (٢) وقوله تعالى : « فذكر إن نفعت الذكرى » (٣) وفي ﴿ صحيحي البخاري ومسلم ﴾ عن النبي ﷺ قال : « لا تزال طائفة من امتي على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة » . وبهذا يجاب عن صلح الامام السبط الحسن (ع) مع معاوية .

فالواجب على الامام والحجة الالاهية من نبي أو وصي بمقتضى قوله تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » (٤) هو التبشير والانذار والوعد والوعيد « ليهلك من هلك عن بينة » فمن مكنه من الأمة عن نفسه ، وأفرج له واهتدى بهداه ، وسعه اللطف . « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى » (٥) ، وأما من منعه عن التصرف بالأمر والنهي ، فقد لزمته الحجة التي هي العلة في إقامة الحجة ، ولا يجب على الله تعالى تمكينه من التصرف بأكثر من المعتاد في الدعوة ، من التخويف بأمور سماوية أو غيرها . قال تعالى : « وما أنت عليهم بجبار » (٦) وقال : « لست عليهم بمسيطر » (٧) وقال : « فمن شاء فليؤمن » (٨) وقال تعالى : « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » (٩).

وثالثها : — مايجب على الأمة والرعية من الانقياد والطاعة وتمكين الامام

---

(١) محمد : ٧ . (٢) آل عمران : ٢٠ . (٣) الاعلى : ٩ .
(٤) النحل : ١٢٥ . (٥) البقرة : ٢٥٦ . (٦) ق : ٤٥ .
(٧) الغاشية : ٢٢ . (٨) الكهف : ٢٩ . (٩) البقرة : ٢٥٦ .

والخليفة من القيام بوظائفه نحوهم فاذا عصوه أو خوفوه أو نكثوا بيعته أو منعوه من تصرفاته ، سقطت عنه وظيفته ، ومع هذا لم يسقط عن الله تعالى البعث والنصب وقد فعل ، لبقاء التكليف ولقدرة المكلفين على الطاعة والامتثال ، ولذلك كان جل شأنه يبعث الرسل وينصب الحجج مع علمه بامتناع الخلق عن الايمان ، ومخالفتهم لتلك الرسل ، وكان الانبياء (ع) يتحملون الرسالة والأداء والتبليغ ، وان امتنعت الأمة عن القبول ، عصياناً من عند انفسهم لاعن الله ولا عن الرسل والحجج .

المبحث السابع

دفع الشبهات حول قاعدة اللطف

يدور البحث والنزاع بيننا وبين من يخالفنا فى الاعتقاد في قاعدة اللطف في نصب الامام حول الوجوه التالية : —

الوجه الأول : — قولهم : ان الدين قد كمل في عهد النبي ﷺ لقوله تعالى: « اليوم أكملت لكم دينكم » (١) فلا لطف حينئذ إلا في بعث النبي ، وهو امام معصوم وطاعته واجبة إلى يوم القيامة ، وقد ختمت به النبوة فلا وحي بعده ، وأما التبشير والانذار فعلى الصحابة والتابعين إلى آخر الدهر فيما استنبطوه من محكم القرآن والسنة . وأما تنظيم أمور الأمة فعلى الرؤساء والخلفاء . فهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله . قال الله تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » . (٢)

أقول : إذا كان الدين قد كمل في عهد النبي ﷺ فلماذا كان أبو بكر يبني حكمه على رأيه عندما كانت تعوزه النصوص ؟ ! ففي (الدر المنثور للسيوطي) فى تفسير الكلالة ، أنه سئل أبو بكر عنها فقال : إني أقول فيها برأيي ، فان كان صواباً

(١) المائدة : ٤ .
(٢) النساء : ٥٩ .

فمن الله وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان . وفى « كـنز العمال » في باب خلافـة أبي بكر من كتاب الامارة ، وفى « تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦١ » : أن أبا بكر إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله فان وجد فيه مايقضي به وإلا رجع الى السنة فان أعياه خرج يسأل المسلمين فان علموه وأخبروه قضى بذلك ، فان أعياه جمع رؤس الناس وخيارهم فان اجتمع رأيهم على أمر قضى به . إنتهى . وهذا يكشف عن نقصان الدين عندهم حيث قضوا فيه بالرأي . وكما عمل عمر ايضا برأيه في كثير من المسائل مثل اسقاطه « حي على خير العمل » وتحريمه متعة النساء ومتعة الحج فكل ذلك تدل على فقد النصوص ونقصانها عند القوم .

ومما اتفقت الجماعة على فقـد النص فيه — خلافاً للشيعة — هي مسألة الامامة والخلافة ، مع انها من أعظم المسائل المهمة ، وأهم الامور الخطيرة . فكيف لم يرد في وجوبها عموماً وخصوصاً نص من الشارع الكريم ؟ كما ورد فى وجوب الصلاة والزكاة أليس ذلك دليلا على أن الدين — عندهم — كان ناقصاً على عهد الرسول ﷺ ؟

أما الشيعة فهم في متسع من هذه المشاكل . فهم مجمعون على ان الدين كمل في عهد رسول الله ﷺ بنصبه علي (ع) يوم الغدير خليفة وإماما بعده . وقد نص على نزول آية : « اليوم اكملت لكم دينكم .. الخ » في علي (ع) يوم كثير من الحفاظ والمفسرين وأرباب المسانيد ، منهم : السيوطي في « الدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٩ » قال : أخرج ابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري قال : لما نصب رسول الله ﷺ عليا يوم غدير خم فنادى له بالولاية ، هبط جبرئيل عليه بهذه الآية « اليوم اكملت لكم دينكم » إنتهى (١) والحديث ايضا أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد ج ٨ ص ٢٩٠ » والخطيب الخوارزمي في « المناقب ص ٨٠ و ٩٤ » وابن كثير الدمشقي في « تفسيره ج ٢ ص ١٤ » وفي تاريخه « البداية والنهاية ج ٧

(١) رواه ايضا في الاتقان ج ١ ص ٣١ ط ١٣٦٠ .

ص ٣٤٩ ﴾ وسبط ابن الجوزي في ﴿ تذكرة خواص الأمة ص ١٨ ﴾ وأبو نعيم الاصفهاني فى كتابه ﴿ نزول القرآن في علي ﴾ والشيخ شهاب الدين أحمد فى ﴿ توضيح الدلائل ﴾ ، والحموينى فى ﴿ فرائد السمطين ﴾ الباب الثاني عشر ، مصرحين جميعهم بنزول الآية في علي (ع) عندما نصبه النبي ﷺ وليا فى الناس يوم غـدير خم .

فعلى هذا قد بلـغ ﷺ لأمته جميع مايحتاجون اليه في مبدئهم ومعادهم ، ومنها نصبه الخلفاء من بعده على ما سيأتي بيانه ، وبذلك قد كمل الدين وتمت النعمة وحصل اللطف . فكيف يزعم المدعي أن لالطف بعد إكمال الدين أصلا وفرعاً غافلا عن أن نصب علي (ع) خليفة على المسلمين أوجب اكمال الدين وتمام النعمة ؟!

ثم إن الدين — وإن كمل على عهد رسول الله ﷺ — قد بقي حفظه عن التغيير والتبـديل ، وإقامة حدوده وذلك منوط بالوصي ، للعلم الضروري بوجوب وجوده ، فان الشريعة الخالدة الباقية تفتقر إلى من يحفظها ويرعاها فالنبي ﷺ هو الأصل الذي صدرت منه الشريعة ، والوصي هو الركن الذي تعتمد عليه في بقائها وصيانتها وحفظها فلو كـان الدين على كماله محفوظاً لما أوجب القرآن طاعة أُولي الأمر مقرونة بطاعة الله وطاعة رسوله ، فاتضح أن وجوب طاعة أولي الامر لطف أيضاً .

ومن هنا صرح (ص) : « من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة الـكفر » ولولا احتياج الناس الى الامام والوصي لمـا أكـد النبي (ص) على نصب الخليفة من بعده وأصرّ عليه حتى اشتد به المرض وقال : « ائتوني بدواة وقرطاس لأكتب لـكم كتاباً لن تضلوا بعـدي أبدا » ، وسيأتي البحث الذي نثبت فيه أن المقصود من الـكتابة كان العهد لعلي (ع) بالخلافة . وذهبت البكرية الى أن غاية الـكتابة كانت لأبي بكر وعلى أي حال فالفريقان متفقان على ان الكتابة كانت لتعيين الخليفة، وأن النبي ﷺ لم يرض أن يفارق أمته ولم يكن بعده من يقوم مقامه ، علماً منه (ص) بأن بقاء الدين وخلوده منوط بوجود من يحفظه قرناً بعد قرن وجيلا بعد جيل . فالامام

هو الحافظ للدين عن الاندراس والناس يحتاجون اليه فى كل زمان .

على اننا لو نظرنا إلى الشرائع السالفة لوجدنا أنها مع كمالها وإتمامها على عهد أربابها ورسلها ولكنها كانت بحاجة إلى نصب من يحفظها ويصون تلك الكتب السماوية المنزلة من التحريف والزيادة والنقصان ، إذ جعلت أممهم « يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا » وذلك عندضعف الأنبياء وقلة نفوذهم ومقاومتهم للمعاندين والجبابرة ، ولدسائس المنافقين . فهذا موسى (ع) مع ما كان له من القوة والبطش ، وكان له في قومه اثنا عشر نقيبا فغاب عنهم وجعل أخاه خليفة عليهم فضلوا وأضلوا كثيراً بعبادة العجل وغير ذلك ، وكان لبني اسرائيل مع وجود نبيهم (ع) مخالفات عظيمة كقولهم لموسى (ع) : « أرنا الله جهرة » (١) وقولهم : « فاذهب أنت وربك فقاتلا .. » (٢) وقولهم: « إجعل لنا إلاهاً كما لهم آلهة »(٣) وكتحريفهم التوراة بعد نبيهم (ع) . وكذلك عيسى (ع) مع قومه « فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الى الله » (٤) وأمثال هؤلاء كثيرون فى أصحاب رسول الله (ص) أيضا وقد أخبر النبي بذلك فى قوله — كما في الصحيحين وغيرهما — : « ولتتبعن سنن من كان قبلكم » وقوله (ص) لأصحابه : « أنتم أشبه الأمم ببني اسرائيل غير أني ما أدري أتعبدون العجل أم لا » ، وفى ﴿ صحيح مسلم ج ٨ ص ٥٧﴾ عن الخدري قال: قال النبي ﷺ : « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعا بذراع حتى دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم . قلنا : يارسول الله ! اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟! » إنتهى . فمع هذا كيف يجوز للنبي (ص) أن يهمل أمر أمته ولا ينصب فيهم من يقوم اعوجاجهم ، وهو يعلم انهم سوف يتبعون بني اسرائيل في ضلالهم ؟!

---

(١) النساء : ١٥٢ . (٢) المائدة : ٢٧ .
(٣) الاعراف : ١٣٧ . (٤) آل عمران : ٥٢ .

الوجه الثاني : — من التشكيك في قاعدة اللطف ماقاله ابن تيمية في ﴿ منهاج السنه ج ٣ ص ٢٧٠ ﴾ عند قول العلامة الحلي (أعلا الله مقامه) : « إن الامام يجب أن يكون حافظاً للشرع لانقطاع الوحي بموت النبي ﷺ وعدم وفاء القرآن بجميع الاحكام وتفاصيلها .. الخ » قال مامحصله : « لايجب أن يكون الامام حافظاً للشرع بل الأمة حافظة ، وحفظ الشرع بمجموعهم أولى من الحفظ بنقل واحد منهم ، فالصحابة الذين حفظوا القرآن والحديث وبلغوه هم الذين حصل بهم حفظ الشرع وتبليغه . فالحفظ والبلاغ ثابت لكل طائفة بحسب ماحملته من الشرع فالقراء معصومون فى حفظ القرآن وتبليغه ، والمحدثون معصومون في حفظ الحديث وتبليغه ، والفقهاء معصومون في فهم الأدلة والاستدلال بها في الاحكام » وقال في ﴿ ص ١٧٢ ﴾ « لا نسلم أن الحاجة داعية إلى نصب امام معصوم ، لأن عصمة الأمة مغنية عن عصمته فلا يمكن أحد أن يبدل شيئاً من الدين » . انتهى .

أقول : إن الرجل أسرف في ادعائه الباطل وإلقائه القول على عواهنه فى زعمه أن الأمة معصومة عن الخطأ مع تظافر الأدلة على خلاف ذلك . ألم يبلغه الحديث المتواتر عن قوله ﷺ : « ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة » فهل جاءت الفرقة والهلكة إلا من هؤلاء الحفظة والمحدثين الذين زعم الرجل انهم معصومون ؟ أولم يبلغه قوله ﷺ : « لقد كثرت عليَّ الكذابة » ؟ فمن هؤلاء الكذابة غير المحدثين الذين ألصق الرجل بهم العصمة ؟ ألم يعلم بأن في الصحابة من هو المنافق والجاهل والفاسق والمرتدو الطاغي والباغي والكاذب والمخطيء ، كل ذلك بنص القرآن الكريم وصريح كلام النبي ﷺ . فكيف يتصف بالعصمة من كان هكذا ؟ ففي ﴿ الصحيحين ﴾ وغيرهما من السنن والمسانيد عن النبي (ص) قال : « أنا فرطكم على الحوض ، وليرفعن إليَّ رجال منكم حتى إذا هويت لأناولهم اختلجوا دوني فأقول : أي رب أصحابي ، فيقال : إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك »

وفي ﴿ كـنز العمال ﴾ في باب فتن الاصحاب من كتاب الفتن عن النبي (ص) قال : « تكون بين أصحابي فتنـــة إن افتدى بهم قوم كبهم الله في نار جهنم » فالآيات والاحاديث في انقلاب الاصحاب كثيرة ، وسيأتى ان شاء الله في كتابنا باب أفردنا لهذا الغرض ، فدعوى ابن تيمية وأتباعه عصمة الصحابة دعوى باطلة كدعواه عصمة العلماء في آرائهم ففي ﴿ صحيح مسلم ج ٧ ص ٦٠ ﴾ عن النبي ﷺ يقول : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولـكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالماً إتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا .. » الحديث . وفي ﴿ الدر المنثور ج ٣ ص ١٥٥ ﴾ عند قوله تعالى : « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا » (١) قال : أخرج الحـكيم الترمذي عن عمر بن الخطاب قال: أتاني رسول الله (ص) — وأنا اعرف الحزن في وجهه ـ فأخذ بلحيتي فقال : إنا لله وإنا اليه راجعون ، أتاني جبرئيل آنفاً وقال : إنا لله واليه راجعون ، قلت أجل إنا لله وانا اليه راجعون فمم ذاك ياجبرئيل ؟ فقال : إن امتك مفتتنة بعدك بقليل من الدهر غير كثير . قلت : فتنة كفر أوفتنة ضلال ؟ قال : كل ذلك سيكون . قلت ومن أين ذاك وانا تارك فيهم كتاب الله ؟ قال : بكتاب الله يضلون وأول ذلك من قبل قرائهم وامرائهم . يمنع الأمراء الناس حقوقهم فلا يعطونها ، ويتبع القراء أهواء الامراء فيمدونهم في الغي ثم لا يقصرون .

أقول : ولقد كان لعمر نفسه سهم كبير في اضلال الأمة وبث التفرقة بينهم وايقاع الحيرة فيهم . وذلك بنسبته قول الهجر الى النبي ﷺ ساعة وفاته حين اشتد به المرض (ص) فقال : « إيتوني بدواة وقرطاس لأكتب لـكم كتاباً لن تضـلوا أبداً » فقال عمر : ماله أهجر ؟ صرح بذلك ابن تيمية في ﴿ منهاجه ج ٣ ص ٢١٢ ﴾ و ﴿ البخاري ﴾ في باب كتابة العلم وباب كراهية الخلاف ، وباب قول المريض : قوموا

(١) الاعراف: ٢٠٠ .

عني ، من قول عمر : إن النبي قد غلب عليه الوجع . ومن حديث «البخاري» في باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد : فتنازعوا — ولا ينبغي عندني تنازع — فقالوا: هجر رسول الله ومن حديثه فى باب اخراج اليهود من جزيرة العرب من قولهم : ماله أهجر ؟ إستفهموه ، ونحوه حديث مسلم في «صحيحه ج ٥ ص ٧٥» ، واحمد بن حنبل في «المسند ج ١ ص٢٢٢» ومن حديث مسلم ايضا في «كتاب الوصية ج ٥ ص ٧٦» ، وأحمد في «المسند ج ١ص٣٥٥» ،قالوا:إن رسول الله يهجر . وبالجملة فان عمر وأتباعه يومئذ حالوا بين رسول الله (ص) وبين كتابه ذاك الرافع للضلال عن الامة الى الأبد . فأوقعوا الامة فى هذه الفتن العمياء الى يوم القيامة .

ولعل مقصود النبي ﷺ من كلامه هذا مع عمر كان لاتمام الحجة عليه لعلمه بما سوف يعمله هو وأصحابه في المستقبل .

على أن النبي ﷺ لم يدع باباً للفتنة إلا سدها ، ولم يقصر فى هداية أمته وارشادهم الى مايمنعهم من الضلالة والفتنة ، وذلك بأمره إياهم بالتمسك بالكتاب والعترة فقال : «علي مع القرآن والقرآن مع علي» رواه الحاكم في «المستدرك ج ٣ ص ١٢٤» وفى «الصواعق المحرقة لابن حجر ص ٧٧» في ذيل الحديث الاربعين من أحاديث فضائل أمير المؤمنين (ع) قائلا : وفي رواية أنه ﷺ قال في مرض موته: «ايها الناس يوشك أن أقبض سريعاً فينطلق بي ، وقد قدمت اليكم معذرة اليكم ، ألا إني مخلف فيكم كتاب ربي عز وجل — وعترتي أهل بيتي» ثم أخذ بيد علي فرفعها فقال : «هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لايفترقان حتى يردا علي الحوض فأسألها ماخلفت فيهما» انتهى مضافا الى أن حديث الثقلين وهو قوله (ص) «إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» رواه أحمد بن حنبل في «المسند ج ٥ ص ١٨٢ و ١٨٩ وفي ج٣ ص ١٤ و ٢٦ و ٥٩» من طرق متعددة ، والحاكم في «المستدرك ج ٣ ص ١٠٩

و ٥٣٣ ﴾ وأبو نعيم في ﴿ حلية الاولياء ج ١ ص ٣٥٥ ﴾ وابن حجر في ﴿ صواعقه ص ٩١ و ٩٢ ﴾ والسيوطي في ﴿ الجامع الصغير ﴾ حرف الألف بعده النون ، وفي ﴿ الدر المنثور ج ٢ ص ٦٠ ﴾ .

قول عمر : حسبنا كتاب الله

من الوجوه التي تستدل بها الجماعة لمذهبهم — وهو عدم احتياج الناس الى نصب الامام — هو قول عمر : حسبنا كتاب الله ! وذلك عندما اراد النبي صلى الله عليه وآله ان يكتب في مرض وفاته الكتاب الذى لايضلون بعده أبدا ، كما مر عليك حديثه قبل قليل .

فنقول : إن الاكتفاء بكتاب الله تعالى إنما يكون بدلالة السنة من كلام النبي صلى الله عليه وآله أو المعصومين من أوصيائه (ع) ، وإلا فعمر هو القائل : « ثلاث يهدمن الدين : زلة العالم ، وجدال المنافق بالقرآن ، وأئمة مضلون » إنتهى فالجدال بالقرآن مما يهدم الدين إن لم يقترن بمعرفة تأويله عن الله وعن الراسخين في العلم . ومن هنا كان الذين في قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابهت من الآيات ، ويقولون : نؤمن ببعض ونكفر ببعض ثم تراهم يحتجون على باطلهم بآيات ظاهرها التجسيم في الله والتشبيه والرؤية واثبات الجهة والقول بالتركيب .. الخ ويحتج كل من الجبرية والمفوضة والمعتزلة والأشاعرة على خصومهم بالقرآن انتصاراً لمذاهبهم مع مافيها من الاختلاف والمناقضة فيما بينها . فعن عبدالله بن عمر ان الحرورية شرار خلق الله وانهم يركنون الى آيات القرآن نزلت في الكفار فحملوها على المؤمنين فكانت الخوارج أعظم فتنة على الأمة الاسلامية لأنهم جادلوا علياً (ع) بالقرآن وحكموا على العاصي بالكفر والخلود في النار بالقرآن . واحتجت القدرية ايضا بالقرآن ، وكذلك سائر طوائف المسلمين ممن قال بقدم القرآن أو قال بحدوثه . حتى أن معاوية رأس الفئة الباغية طلب من

أمير المؤمنين (ع) التحاكم الى القرآن ، وهو الذي حرف الحديث المتواتر عن النبي ﷺ : « ياعمار تقتلك الفئة الباغية » بتأويله أن عليا (ع) قاتل عمار إذ جاء به الى الحرب ، ويقول الله تعالى : « مايجادل في آيات الله إلا الذين كفروا » (١) وفي ﴿ الميزان للشعراني ج ١ ص ٦٢ ﴾ عن عمر قال : سيأتي قوم يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله . فاتضح من هذا أن القرآن لايستغني عن علم النبي (ص) وإلا اتخذه المبطلون سبيلا الى أباطيلهم ، وأن كتاب الله يجب أن يقترن بسنة رسوله ﷺ اتباعاً لقوله (ص) : « إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي » الذي مر عليك . ففي الحديث عن أبي عبيد عن إبراهيم التيمي قال : خلا عمر بن الخطاب ذات يوم فجعل يحدث نفسه : كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة ؟ . فقال ابن عباس : ياأمير المؤمنين إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه وعلمنا فيم نزل ، وإنه سيكون بعد أقوام ، يقرؤن القرآن ولا يدرون فيم نزل فيكون لهم رأي فيه اختلفوا ، فاذا اختلفوا اقتتلوا . ولما عرف عمر قول ابن عباس اعجبه ورآه أنه صحيح .

فقول الجماعة : إن النبي (ص) هو الامام المعصوم وإنما الناس محتاجون اليه فهو الحجة والشاهد على الامة ، والعلماء ينوبون عنه في حفظ دينه ونشر شريعته . هذا القول فيه نظر لأن الأمة تحتاج الى النبي مادام على قيد الحياة ، فاذا توفي (ص) كان احتياج الناس الى شخص مثله ممن يقوم مقامه في التبليغ والاداء من الأمن عن الخطأ . فالناس في جميع ادوار التكليف يحتاجون الى قيم ديني من نبي أو وصي نبي معصوم عن الخطأ يحث الخلق الى طاعة الله من غير إلجاء ولا اضطرار . فوجوده لطف ومن هنا وجب القول بالامامة في هذه الامة بعد انقطاع الوحي ، إذ الامام هو المترجم للقرآن والمبين لحلاله وحرامه . فلا يكفي القرآن وحده لولا المترجم . فظهر بذلك

(١) غافر : ٤ .

بطلان قول القائل : حسبنا كتاب الله !

حصرهم اللطف في الامام الحاضر القاهر

قال ابن تيمية في مواضع من كتابه « منهاج السنة » : إن مقتضى وجوب نصب الخليفة هو عدم جواز غيبته وانقطاع فيضه ، فلا لطف مع استتاره وعدم امكان الوصول اليه على أن اللازم من مذهب الشيعة عدم الخلاف بينهم لوجود أئمتهم واتصال سلسلتهم مع أن عليا وهو أول الخلفاء عندهم ، ومنصوب من الله لديهم ، قد وقع الخلاف بين المسلمين فيه فمنهم من خرجوا عليه وقامت حروب وجرت فتن عظيمة ، فأين اللطف في نصبه ونصب الأئمة من ذريته ؟

وقال في « المنهاج ج ١ ص ٣٢ » : قول الشيعي : « ان الله خلق أولياء معصومين أمكنهم وأعطاهم .. الخ » إن أراد أن الله نصبهم ومكنهم وأعطاهم القدرة على سياسة الناس حتى ينتفع الناس بسياستهم فهذا كذب ، وهم لا يقولون ذلك بل يقولون : إن الأئمـة مقهورون ليس لهم سلطان ويعلمون أن الله لم يمكنهم ولم يؤتهم ملـكا كما أتى المؤمنين بل ولا كما أتى الـكفار والفجار ، فلم يحصل بنصبهم لطف في العالم ولا مصلحة ولا رحمة وإنما حصل تـكذيب الناس لهم .

وقال في « ص ٢٥٠ من ج ٣ من منهاجه » ، قولـكم : لا بد من نصب امام معصوم يصدهم عن الظلم والتعدي ويمنعهم عن التغالب والقهر . أتريدون أنه لا بد أن يخلق الله ويقيم من يكون متصفاً بهـذه الصفات ، أم يجب على الناس أن يبايعوا من يكون كـذلك ؟ فان اردتم الأول فالله لم يخلق احداً متصفاً بهذه الصفات . فان غاية ماعندكم أن تقولوا إن علياً كان معصوماً لـكن الله لم يؤيده لا بنفسه ولا بجند خلقهم له حتى يفعل ما ذكرتموه بل انتم تقولون : انه كان عاجزاً مقهوراً مظلوماً في زمن الثلاثة ولما صار له جند قام جند آخر قاتلوه حتى لم يتمكن ان يفعل ما فعل الذين كان قبـله

الذين هم عندكم ظلمة ، فيكون الله قد ايد الذين كانوا قبله حتى تمكنوا من فعل مافعلوه من المصالح ، ولم يؤيده حتى يفعل ذلك وحينئذ فما خلق الله هذا المعصوم المؤيد الذي اقترحتموه على الله .. الى ان قال : وإن قلتم : ان الناس يجب عليهم ان يبايعوه ويعينوه ، قلنا ايضا : فالناس لم يفعلوا ذلك سواء كانوا مطيعين او عاصين ، وعلى كل تقدير فما حصل من المعصومين عندكم تأييد لامن الله ولا من الناس .. الى أن قال: إن الصد عن الظلم وايصال الحق الى المظلوم فرع على منع الظلم عن نفسه واستيفاء حقه فاذا كان عاجزاً مقهوراً لايمكنه دفع الظلم عن نفسه ولا استيفاء حقه من ولاية او مال ولاحق امرأته من ميراثها فأي ظلم يدفع وأي حق يوصل ؟ ثم قال : فمن اين يعلم انه يجب على الله ان يخلق اماما معصوماً . وهو انما يخلقه ليحصل به مصالح عباده وقد خلقه عاجزاً لايقدر على تلك المصالح بل حصل بوجوده الفساد ، فلو لم يخلق لم يكن يجرى في الدنيا من الشر اكثر مما جرى .. الى آخر ما تخرص به .

فأقول : ان ماذكره بطوله وتكرير عباراته كان اقصى مابذله من التحامل على امير المؤمنين والأئمة الطاهرين من ذريته عليهم السلام بما لامزيد عليه ، وسنجيب عن ذلك كله بنحوين من الاجمال والتفصيل : —

اما مجمل الجواب لمن يعرف معنى اللطف في بعث الانبياء والرسل ، وسن الشرائع وإنزال الكتب فهو ان المسلمين قد اجمعوا على ان بعث الانبياء لطف ورحمة ومشتمل على الحكمة . فهل يصح ان يقال : ليس في بعث نوح (ع) مصلحة غير تمرد قومه وهلاكهم بدعائه : « رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا » ؟ وكذلك ليس في ارسال هود (ع) وصالح (ع) الى عاد وثمود غير اهلاكهم بالصاعقة والريح؟ ونحوهم قوم لوط (ع) واصحاب مدين ونظراؤهم ممن عصوا وخالفوا انبياءهم فأهلكوا عن آخرهم . مع ان البعث انما هو لغرض الهداية لا لأجل الاهلاك والتعذيب ، وهذا موسى (ع) استخلف اخاه من الله في قومه فلم يحصل من استخلافه فيهم إلا شدة

الفساد وعبادتهم العجل ولم يحصل لهارون الغرض من نصبه وتعيينه ، وكذا في سائر الانبياء الذين بعثهم الله الى الامم الماضية اذ لم يقع في العالم من الشر اكثر مما وقع في هؤلاء الامم . وهل تمكن يحيي وعيسى (ع) وغيرهما من قتل من الانبياء أن يدفعوا الشر عن انفسهم حتى يمكنهم ايصال الحق الى أهله ودفع الظلم عن المظلومين ، كما اشترطه ابن تيمية ؟ وكل ذلك لم يقع . فهل يتوهم أحد ، أن ذلك من نقض الغرض للحكيم سبحانه ؟

ومن ضرورة الأديان أن الغرض من بعث الرسل هو هداية الخلق ، وجلبهم الى الطاعة ، ومع ذلك نرى تمردهم بالكفر والعصيان ، ولم يزعم احد أن ذلك نقض لغرض الحكيم . فكيف يتحامل ابن تيمية على امير المؤمنين (ع) استجابة لبغضه وعداوته له (ع) — بأنه لم يقع في خلافته الا الشر ؟ وما هو الا الخير ليميز الله به الخبيث عن الطيب . وقد اخبره النبي ﷺ بقوله : « ياعلي انك تقاتل الناس على التأويل كما كنت اقاتلهم على التنزيل » وقال (ص) : « ياعلي انت مني بمنزلة هارون من موسى » فلايضر عليا (ع) عصيان الأمة له كما لم يضر هارون تخلف بني اسرائيل وذلك لأن الله تعالى لايكلف عباده الا بما يقدرون عليه ويستطيعون وبعد أن يقيم عليهم الحجة ويمكنهم من معرفة رسله وانبيائه ، وهذا من البيان القاطع للعذر ، فلو تمرد العبد كان ذلك من هوى نفسه ، ولا يكون عند العقلاء من نقض الغرض او قصور في التبليغ . وانما يكون ذلك ماذا كلف عباده وسد عليهم ابواب الطاعة ، وهذا لايكون أبدا .

ثم ان وجوب نصب الخليفة على الله لطفاً لايختلف عن وجوبه على الناس شرعاً واختلاف الامة في اختيار الاصلح للخلافة وعدم تمكينهم من احد بعينه . فهل لابن تيمية واتباعه ان يقولوا بانقطاع دور الخلافة وسقوط وجوب النصب عن الأمة لاختلافهم او يقولون : ان الخلاف منهم ، وهم قادرون على أن ينفقوا على واحد ذي رأي اتم

به مصالحهم ؟ نعم انهم يأخذون القول الثاني فلا فرق — اذن — في وجوب اطاعة الامام والانقياد له بين أن يكون معصوماً أو غير معصوم .

وبيان أوضح : ان الله تعالى اتخذ التدابير اللازمة الموافقة للعقل في بعث رسله لغرض هداية الخلق ، غير انه تعالى لم يجبرهم على الطاعة ، وان كان حثهم بالوعد والوعيد على ذلك . فأما من ساقته الأهواء النفسية الى ارتكاب المعاصي ، فليس من الحكمة الالهية سلب قدرته على المعصية بالقهر والقوة .

وأما تفصيل الجواب عما تخرص به ابن تيمية — على طوله وتفصيله — فهو أن نقول : إن قوله : ان اراد الشيعي — أي العلامة الحلي قدس سره — بقوله : « ان الله نصب اولياء .. » الى آخر أباطيله في رد العلامة طاب ثراه .

فنقول : ان ما افترضه في جوابه يناقض معنى اللطف الذي يقول به الجميع من الشيعة والسنة في بعث الانبياء ونصب اوصيائهم ، وذلك لأن الجميع مطبقون على أن البعث والنصب انما هو بالنظر الى الحكمة والمصلحة العامة أعني هداية الخلق على غير جهة الاكراه والأخبار. وقد اجمع العلماء مع جميع المذاهب على اللطف في بعث النبي ﷺ وعدم القدح في نبوته بل في نبوة كل نبي بمخالفة العصاة لهم ، فكذلك امامة الامام — سواء أكانت من الله ام من الناس — لا يضرها عصيان أهل البغي وتمرد المخالفين فأهل السنة لا يقولون ببطلان خلافة أبي بكر او عثمان بخروج من خرج عليهما لاسيما عثمان حيث خالفه المسلمون وخلعوه فقتلوه ، مع أن خلافتهما كانت من الناس لا من الله . فكيف اذا كان الامام منصوباً من الله تعالى لا يدخل فيه الاختيار والانظار ، فهل يعقل أن تبطل حينئذ الامامة الجامعة للشرائط ؟ ولا اختيار لمخلوق بعد اختيار الخالق . وخلافة أمير المؤمنين (ع) — بعدما ثبت انها بالنص — لا يضرها انحراف من بغي عليه كما لم يضر خلافة عثمان — عندهم — بخروج المسلمين عليه وخلعهم اياه . على ان عليا عليه السلام اقوى حجة من عثمان ، لان عثمان خلعه الناس بعدما شاهدوا منه من

الامور مابعثهم على ذلك . وأما علي (ع) فقد نكثوا بيعته من غير أن يروا منه شيئاً فهم لأجل ذلك باغون عليه كما سماهم النبي ﷺ بالفئة الباغية . فلا يكون ابتلاؤه (ع) بالفئة الباغية نقصاً في إمامته ، ولا مناقضاً للطف فى نصبه ، وإنما يرجع الى تقصير المسلمين فى عدم رعايتهم حقوقه . ولم يحارب امير المؤمنين (ع) الفرق الناكثة والقاسطة والمارقة إلا بامر من رسول الله ﷺ ودعوة منه في قوله (ص) : « وإن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما كنت اقاتلهم على تنزيله . فقال أبو بكر : أناهو يارسول الله ؟ قال : لا . وقال عمر : أنا هو يارسول الله ؟ قال : لا ولكن خاصف النعل في الحجرة » — وقد أعطى علياً نعله يخصفها — رواه الحاكم في ﴿ مستدركه ﴾ وصححه هو والذهبي فى ﴿ تلخيص المستدرك ج ٣ ص ١٢٢ ﴾ وأحمد في ﴿ المسند ج ٣ ص ٣٣ و ٨٢ ﴾ وعلي المتقي فى ﴿ كنز العمال ج ٦ ص ١٥٥ ﴾ وابن كثير الدمشقي في ﴿ البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٦٠ ﴾ وابن الأثير في ﴿ أسد الغابة ﴾ في ترجمة علي (ع) ج ٤ ص ٢٦ و ٣٢ و ٣٣ .

ثم ان ابن تيمية لم يتحرج عن الكذب فيما تقول به ، ونسب الفتن الواقعة في خلافة اميرالمؤمنين (ع) اليه (ع) وقال : انه لم يتمكن من بسط العدل ودفع الظلم حتى عن زوجته فاطمة (ع) في ميراث أبيها وعجز عن سياسة الخلق .

أقول : ان السياسة التي ذكرها الرجل هي المداهنة في دين الله ، وإن عليا (ع) لم يعجز عنها — كما زعم — ولكنه نفذ وصية النبي ﷺ وعهده اليه في قتال الناكثين والقاسطين والمارقين ، وقد قال ﷺ : « إن عليا كباب حطة في بني اسرائيل من دخله كان مؤمناً ومن خرج عنه كان كافراً » وقوله ﷺ : « علي إمام البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره ، مخذول من خذله » رواهما ابن حجر في ﴿ الصواعق ص ٧٧ ﴾ في فضائل علي (ع) ، إذاً فلاسياسة لعلي (ع) مع من خرج عليه إلا بالسيف كما انه لاسياسة لرسول الله (ص) مع الكفار بعد قوله تعالى : « فاقتلوا المشركين كافة

كما يقاتلونكم كافة » (١) وهل كانت تنتج سياسته (ع) مع طلحة والزبير ومعاوية إلا تسليط الفساق على بلاد المسلمين كما صنعه عثمان ، اذ سلط بني أبيه وأقاربه ومن فسّقه القرآن ، على أموال الأمة وبلادهم .

وإن عجز علي (ع) عن نشر الدعوة ، وعن بسط العدل ، فليس أعظم من رسول الله ﷺ اذ لم يتمكن من ذلك ، بعد طول بلائه وشدة محنته وعظيم جهاده مع المشركين لم يدخل في طاعته إلا القليل من الناس وهم مع قلتهم بين منافق وذي شقاق وفاسق وكذاب ، وعامل يرتشي وقائد يخون « إن أكثرهم للحق كارهون » ومع ذلك فجملة ممن آمن به ﷺ في حياته ، إنقلب على عقبيه بعد وفاته . دلت عليه آية الانقلاب ، وآية الارتداد ، وأحاديث الحوض . وقوله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى » (٢) فكما أن انقلابهم هذا وارتدادهم واتباعهم غير سبيل المؤمنين لم يضر الله ولا رسوله شيئاً ، كذلك عصيان من عصى أمير المؤمنين (ع) فانه لايضره في دينه وعدله ومروءته وامامته . وهو كنوح عليه السلام اذ قال : « رب إني مغلوب فانتصر» (٣) ومثل لوط (ع) إذ قال : « لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد » (٤) ومثل هارون (ع) في بني إسرائيل اذ انقلبوا عليه وعكفوا على عجل السامري .

وأما ماطعن به ابن تيمية في أمير المؤمنين عليه السلام من انه عليه السلام يتمكن من احقاق حق زوجته فاطمة الزهراء عليها السلام واستنقاذ إرثها من أبيها رسول الله ﷺ فان ذلك — في الحقيقة — ذم في من آذى فاطمة (ع) واغتصبها حقها المشروع ونازعها إرثها حتى ماتت وهي واجدة عليه . وقد قال رسول الله ﷺ : « فاطمة بضعة مني ، من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله » .

---

(١) التوبة : ٦ . (٢) النساء : ١١٤ .
(٣) القمر : ١٠ . (٤) هود : ٨٠ .

وأخرج الحاكم في ﴿ المستدرك ج ٣ ص ١٥٤ ﴾ عن النبي (ص) إن الله « يرضى لرضى فاطمة ويغضب لغضبها » .

وإن في موقف أمير المؤمنين (ع) ممن ظلم زوجته الزهراء (ع) أسوة برسول الله (ص) في موقفـه ممن تقول من المنافقين بالافك على زوجتـه عائشة حتى نزلت الآية في براءتها من الافك .

ولقد استنصر النبي ﷺ أصحابه على المنافق الذي افتعل الافك على عائشة فلم ينصروه بل عارضوه ففي ﴿ صحيح مسلم ج ٨ ص ١١٥ ﴾ من حـديث عائشة فى قصة الافك قالت : قام رسول الله (ص) على المنبر فاستعذر من عبدالله بن أُبي بن سلول فقال : من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه فى أهل بيتي ، فوالله ماعلمت من أهلي إلا خيراً . فقام سعد بن معاذ الانصاري فقال : اعذرك منه يارسول الله إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان اخواننا الخزرج أمرتنا فتبعنا أمرك قالت : فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج — وكان رجلا صالحاً ولـكن اجتهلته الحمية — فقال لسعد بن معاذ : كـذبت لعمر الله لاتقتله ولا تقدر على قتله . فقام أسيد بن حضير — وهو ابن عم سعد بن معاذ — فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن أن يقتتلوا ، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر فلم يزل رسول الله يعظهم حتى سكتوا وسكت (ص) .

فانظر لحالة هؤلاء إساءتهم صحبة رسول الله (ص) وجدالهم عن منافق آذى أهله ، إلى غير ذلك من مخالفاتهم الصريحة لأوامره في يوم احد وبدر والحديبيـة وكتخلفهم عن جيش أسامة وكغيرها من وجوه عصيانهم وتمردهم . ومنه تعلم أن أصحاب أمير المؤمنين (ع) كانوا أوفى له وأ كثر انقياداً من هؤلاء .

على أن مخالفة من خالف من أصحاب أمير المؤمنين (ع) وعصيان من عصى

منهم ، لاتضره (ع) شيئاً بل تضرهم أنفسهم وقد قال النبي ﷺ : « اللهم انصر من نصر عليا ، وأخذل من خذله » . نعم إن ثلة من الصحابة الأخيار ممن امتحن الله قلوبهم للتقوى نصروا عليا واستقاموا في نصره واتباعه والذب عنه ومضى بعضهم شهداء بين يديه وهم كثيرون ، فلولا أن سياسة أمير المؤمنين (ع) كانت صالحة مرضية لما ساعدوه وآزروه كما لم يساعدوا عثمان في طول حصاره لتخطئتهم سياسة عثمان وحاشيته ، بل ولم يساعده أي صحابي حتى معاوية وعمرو بن العاص .

فهل كانت سياسة أفضل من سياسة أمير المؤمنين (ع) يومئذ في حفظ الدين وحماية المسلمين والدفاع عن أعراضهم وأموالهم ؟ اللهم سياسة معاوية الغدار الجبار التي بناها على الظلم والبغي والعدوان . وما قصده ابن تيمية من السياسة التي زعم أن عليا « ع » عجز عنها إن أراد بها سياسة العدل والايمان فقد تجلت في أمير المؤمنين (ع) بأجلى مظاهرها ، وإن أراد بها سياسة معاوية فما أبعد عليا (ع) عنها ! وهو « ع » القائل : « إن معاوية يغدر ويفجر ولولا كراهة الغدر لكنت من أدهى الناس ولكن كل غدرة فجرة ولكل فجرة كفرة » .

المبحث الثامن

في من يقوم به اللطف

ونذكر في هذا المبحث الشبهات التي أوردها الخصوم (١) مثل محمود الآلوسي وعبدالعزيز الدهلوي ونصر الله الكابلي ، وابن تيمية ، فيقع البحث في مواضع من كلمات هؤلاء فيما يأتي : —

١ — نقض مقالة لآلوسي : — حيث قال في كتابه ﴿ مختصر التحفة ﴾ : ان الامامة لاتكون مطلقا لطفاً ، وانما يكون لطفاً بشرط أن يكون الامام متصرفاً

(١) ويجدر بنا أن نعلم ـ قبل ذكر الشبهات ـ أن اللطف يقوم بشخص الامام الجامع لشرائط الامامة المنصوب من الله المتوفرة فيه العصمة والاعلمية والافضلية .. الخ

بالامر والنهي واما مع الخوف والتستر فلا لطف ولا امام بل يكون حينئذ نصبه وأمره بالتستر سفهاً وعبثاً . ويشبه ذلك ما اذا قلد أحداً أمر القضاوة ثم أمره بالاختفاء عن الناس وعدم اظهار قضائه . وأيضا اذا كان الامام مأموراً من الله تعالى بالتأني وترك الدعوة ، يلزم اما سقوط التكليف واما جواز الرجوع الى الغير فيكون المكلف معذوراً في المخالفة اذ لا يكلف الله نفساً الا وسعها .. الخ

أقول : قوله : « انما يكون لطفاً بشرط أن يكون الامام متصرفا . . » فيه نظر لأن ذلك شرط الملوكية والسلطنة وليس شرطا للامامة ولا جزءاً من مفهومها ، وقد قلنا سابقاً ان الامامة ليست ملوكيـة وانما تجتمع معها حيناً وتفارقها حيناً آخر . نعم ، التصرف بالأمر والنهي من وظائف الامام ، وليس من مقومات الامامة . وما ذكره من اللطف في الامام المتصرف الحاضر انما هو قول من لا يعرف معنى اللطف فانكر على من قال به في نصب الامام ولم يدر أن اللطف في النصب كاللطف في البعث وأن الواجب من الله تعالى نصب الخلفاء في الأرض ، وأما التصرف بالأمر والنهي فيتوقف على اطاعة الامة لهم وايضاعهم لأوامرهم . فلو لم ينقادوا اليهم كانت تبعة فوات المصلحة ومنع اللطف على الأمة أنفسهم ، فليست اجابة الحجة من شرائط كون اللطف لطفاً والامام اماماً ، فلا يضيع لطف وجوده ولطف تصرفه من أجل حصول الموانع من ظهوره. فاذا عرف الله الناس بامامهم وأمرهم بطاعته بقوله : « اطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم » فقد تمت المصلحة من ناحيته تعالى ، وبقى على الناس ماهو المفترض عليهم من الدخول في طاعته وامتثال أوامره . نعم لو لم يقم الله تعالى الحجة على الخلق كان هو المفوت للمصلحة ، فكان يقبح منه التكليف ، اذ يقبح التكليف بما لا طريق للمكلف الى العلم به . فما قاله الآلوسي من سقوط التكليف أو جواز الرجوع الى غير الامام فيكون وجوده كعدمه ، انما يكون فيما اذا لم تنصب الحجة الالهية . أو لم ينصب الطريق اليه . أما في فرض نصب الحجة والامام واقامة

الدليل على معرفته ، وعصيان الناس وانحرافهم عنه ، وتركهم له بسوء الاختيار وإلجائهم اياه الى الفرار عنهم أو الى رفع اليد عن التصرف ، فهذا لا يلزم سقوط التكليف ، لان الله أقام الحجة عليهم ، والأمة متمكنة عن ازاحة العلة ورفع الموانع وهو من فعلهم وليس من فعل الله تعالى .

والآلوسي يعلم من قواعد الشرع أن التكليف لطف من الله تعالى لانه يزجر عن المعاصي ويبعث على الطاعات ، ولا يخرجه عن اللطف خروج المكلفين عن الطاعة بالكفر أو المعصية وترك العمل بواجبهم السمعي ، ومثله نصب الخليفة والامام .

٢ — نقض كلام الدهلوي والكابلي : — قال عبدالعزيز الدهلوي في « التحفة » ونصر الله الكابلي في كتابه « الصواقع » فى المطلب الأول من المقصد السابع مستهزءاً بالشيعة ، قال : الاولى القول بأن الله تعالى أمر صاحب الزمان في الكتاب المختوم بخواتيم الذهب أن يختفي اكثر من ثمان مائة فحرم الناس عن اللطف الواجب .

أقول : إنه خلط بين المقتضي لوجود الامام وتصرفه وبين المقتضي لتستره المانع عن ظهوره . والحق ان الاول من فعل الله ، وقد فعل وصح به التكليف كما صح ببعثه انبياءه عليهم السلام . وان الثاني من فعل الناس ، اذ حرموا انفسهم الفيض الصادر عن الامام المنصوب من الله تعالى ، كما فعل من قبلهم من الامم السالفة . وهم من إزاحة العلة ليظهر ويتحقق ماهو اللطف ، وإلا فيؤخر ظهوره أو تصرفه الى زمان آخر يطمئن بسلامته فيه . كما حصل ذلك للامامين محمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق عليهما السلام ، اذ لم يقدرا على التصرف والظهور الى الناس إلا الفترة الواقعة بين بني أمية وبني العباس واشتغال كل منهما بالفتن ، فجعلا ينشر ان ماهو المفروض عليهما حتى امتلأ العالم من آثارهما .

فالمقياس في ظهور الامام وتصرفه إنما هو الأمن على نفسه ، والسبب لتستره

هو الخوف وعجز المؤمنين عن حفظه وحفظ أنفسهم لضعف فيهم ، ولذلك لما شاهد النبي ﷺ تطاول أهل مكة عليه وعلى المسلمين أذن لاصحابه بالهجرة ، واستتر هو ﷺ في دار الأرقم بن الأرقم ، ولما اشتد عليه هاجر الى المدينة فراراً عن أهل مكة كما خرج موسى (ع) من مصر « خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين » وكما صعد عيسى (ع) الى السماء لما ارادوا أن يقتلوه غاب عن اعدائه ولا تزال غيبته مستمرة الى يومنا هذا لم ينزل الى الارض . فهل اراد الله تعالى برفع عيسى الى السماء نقض الغرض عن بعثه وتفويت المصلحة عن قومه كما ربما يقوله المنكرون لبعث الانبياء أو أراد إنقاذه من القتل ؟ فالحال — اذاً — في بعث النبي ونصب الوصي سواء لايختلفان . قال تعالى : « ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى » فالآية صريحة في قاعدة اللطف التي هي المرجع في البعث والنصب .

على أن لكل من المهدي المنتظر وعيسى بن مريم عليهما السلام وكلاء في الارض بعد غيابهما ، ولكنهم ليسوا سواء ، فوكلاء عيسى (ع) وهم الحواريون اشركوا بالله بعد صعود نبيهم ، وذكروا انه ابن الله ، ونسبوا اليه أنه اوصى بالاقانيم ، وافتروا على الصديقة مريم بانها سقت الخمر للرجال الأجانب ، واسقطوا عن الانجيل اسم أحمد ﷺ وغيروا وبدلوا في دين عيسى (ع) وحرفوا الكلم عن مواضعه في كتبهم السماوية ومع هذا لم يقل أحد بأن غيبة عيسى (ع) وصعوده الى السماء نقض للغرض عن بعثه ، ومنع للناس عن اللطف . وأما وكلاء المهدي (ع) الذين جعلهم نظراء على الامة فانهم لم يخونوا ولم يغيروا شيئاً من دينه ودين جده (ص) ولم يبدلوا طريقته ، بل لايزالون يبذلون جهودهم في نشر طريقته (ع) وازاحة شبهات المخالفين عنها .

والعجب من هذا المعترض وامثاله ممن يعلمون شأن الانبياء المقهورين في زمانهم

وما نالهم من القتل والتعذيب ، ومع هذا ينكرون إمامة الأئمة من اهل البيت (ع) لأجل كونهم مقهورين .

المقام الثاني

مقهورية الأئمة (ع) لانضر بامامتهم

قالت الجماعة : إن أمر الامامة في أيام الشيعة كان في الانحطاط فما منهم إلا مقهور أو خائف مستور ، لايمكنه ان يدعو الى نفسه بل كان الدين محفوظاً منتشراً بواسطة الصحابة فهم امناء الأمة وحفاظ الشريعة .

قلت : كيف تكون الصحابة حفاظ الشريعة ، وهل نشأ هذا الاختلاف بين الأمة إلا منهم ؟ حتى أن كل مذهب باطل او بدعة وضلالة تستند الى واحد او اكثر من الصحابة في رواية يروبها او حديث ينقله . فهم في اختلافهم في آرائهم وفي فهم أحاديثهم عن النبي ﷺ أحوج الى امام معصوم يرفع حيرتهم ويزيح عنهم أخطاءهم التي وقعوا فيها باعراضهم عن باب علم النبي (ص) في قوله : « أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب » .

وأما كون الأئمة الطاهرين (ع) مقهورين فذلك بسبب انحراف الامة عنهم بعد اتمام الحجة عليها . فما منهم إلا مقتول او مسموم أو مشرد كما أخبر به الصادق المصدق « ص » من حديث الحاكم في ﴿ المستدرك ﴾ قال النبي «ص» : « إن أهل بيتي سيلقون بعدي من امتي قتلاوتشريداً،وإن اشد قومنا لنا بغضاً بنو امية وبنو المغيرة وبنو مخزوم » . رواه ابن حجر في ﴿ الصواعق ص ١٤٦ ﴾ قال : وصححه الحاكم .

كما أن أئمة المذاهب الأربعة ـ وهم مالك وابو حنيفة والشافعي واحمد ـ كانوا كذلك مقهورين اذ كانوا تحت سلطة الجبارين من ملوك بني امية وبني العباس ففي كتاب ﴿الملل والنحل﴾ في ترجمة الجارودية : أن ابا حنيفة رفع امره الى المنصور الدوانيقي فحبسه حبس الأبد

حتى مات في الحبس . وفي ﴿ المعارف لابن قتيبة ص ٢١٨ ﴾ أن مالك بن أنس اعتزل الناس ، وانه سعي به الى جعفر بن سليمان فضربه بالسياط . وفي ﴿ الصواعق المحرقة ص ١١٠ ﴾ أن جعفر بن سليمان والي المدينة ضرب مالكاً «رض» ونال منه ، وحمل مغشياً عليه . وفى ﴿ تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٢٢ ﴾ عد كثيراً من العلماء منهم أحمد بن حنبل ، الذين ابتلوا بالقول بخلق القرآن خوفاً من المأمون العباسي . وفي ﴿ حلية الأولياء ﴾ لأبي نعيم : أن الامام الشافعي أُتي به من اليمن أسيرا مكبلا بالحديد حتى دخل على الرشيد وسلم عليه بالامرة ودرأ عن نفسه القتل .

ويعلم من هذا كله أن مقهورية الأئمة من العترة النبوية لا تضر بامامتهم ، وإن ضرر ذلك عائد على الذين قهروهم واعتدوا عليهم .

المقام الثالث

قولهم : إن اللطف في من قبلته الأمة

صرح عبدالعزيز الدهلوي فى ﴿ التحفة الاثنا عشرية ص ١٧٤ ﴾ والآلوسي فى ﴿ مختصر التحفة ﴾ : « ان اللطف في من قبلته الأمة وانه الاصلح بحالهم دون من ضيعه الناس ولم يقبلوا خلافته لان ذلك موجب لسفك الدماء ووقوع الهرج » وزاد عبدالعزيز قائلا : « إنا اذا تأملنا علمنا أن نصب الامام من الله يتضمن مفاسد كثيرة لأن الآراء مختلفة فمتى تعين رجل لتمام أهل العالم أوجب ذلك تهييج الفتن فينجر أمر الامامة الى التعطيل ودوام الخوف وسلب الأمن ووقوع الامام في الهلكة بواسطة غلبة المتغلبين الى يوم الدين » .

قلت : قد أعلمنا في ماسبق أن اللطف فى نصب الامام كاللطف في بعث الرسول فكما يجوز من الله تعالى بعث النبي لجميع أهل العالم في جميع أدوار التكليف من غير أن يؤدي ذلك الى تعطيل نبوته ، كذلك يجوز منه تعالى نصب الامام لأهل العالم

وفقاً للمصلحة وطبقاً لقانون الاصلح بحكم العقل والنقل . فاذا كان الله هو المعيّن في الأرض الخليفة بمقتضى اللطف ، فلا ريب أنه يعين من فيه صلاح الامة ، ووقوع الفتنة إنما يكون اذا كانت الامامة منوطة باختيار الناس ، لأن ذلك يؤدى كثيراً الى الفساد الموجب لاختلال النظام لعدم معرفتهم بالأصلح ، أو لكون الناس الى أشباههم أميل ، فلا يميل المبطل الى المحق في غرضه كما يعرف ذلك من مراجعة التاريخ والنظر في حوادث السقيفة وما كان هناك من جدال عنيف ، وحوادث عثمان ووقائع الجمل وصفين والنهروان ، وأحداث ابن الزبير ومروان وعبدالملك وغيرهم كل ذلك من موبقات جعل الخلافة تبعاً لرغبات الأمة وآرائهم ، خلافة لجعلها من الله تعالى فانه حينئذ حيث لا اختيار للناس ، لم يبق لأحد حق التشاح ولا العدول عمن اختاره الله لقوله تعالى : « وربك يخلق مايشاء ويختار » (١) وقوله : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » (٢) وقوله تعالى : « ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون » (٣) وعلى هذا فان اللطف في من اختاره الله ونصبه إما للنبوة او للامامة « إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين » (٤) وليس اللطف إلا فعل الله الذي يقرب لاجله العبد الى الطاعة ويبعد عن المعصية . فهل تجد اختلافاً بين حسن بعث النبي وبين حسن نصب الامام في ماذكرناه ؟ وكذلك بين قبح ترك البعث وقبح ترك النصب . ولا يضر في خلافة المنصوب من الله إعراض الأمة . فان الاعراض حينئذ كفر ، وإرتداد كاعراضهم عن المبعوث للرسالة .

ومن الواضح أن اختيار الأمة لا بد أن يؤدي الى التجاذب والتناحر ، وكل أحد يقدم منفعة نفسه في ترشيح الرئيس ، فتقوم الفتنة بين الامة وبين الأئمة أنفسهم

---

(١) القصص : ٦٨ . (٢) الاحزاب : ٣٦ .
(٣) المائدة : ٤٤ . (٤) الانعام : ٥٧ .

فالفساد الذي شاع فى المسلمين من يوم السقيفة وما بعده سببه الاعراض عن النص الصريح والاكتفاء بالاختيار والتوسع في الامامة . ثم من اين علم الدهلوى والآلوسي أن النص على شخص معين يكون خلاف اللطف وفي القرآن أن موسى (ع) نص بالخلافة على أخيه هارون (ع) وأن الله تعالى جعل لبني اسرائيل طالوت ملكاً فهل كان ذلك خلاف اللطف والمصلحة ؟ وإن أبا بكر نص على عمر بالخلافة واستخلفه على عامة المسلمين ، وأن عمر ـ بعد ماطعن ـ قالوا له استخلف فاعتذر بأن النبي ﷺ لم يستخلف ولم يقل : إن الاستخلاف يؤول الى الفساد . ودخل عليه ابنه عبدالله وقال له : زعموا أنك غير مستخلف ، وأنه لو كان لك راعي غنم أو راعي ابل ثم جاءك وتركها لرأيته أنه قد ضيع فرعاية الناس أشد .. الخ وهذا احتجاج معقول احتج به ابن عمر على أبيه يشهد بأن التنصيص أقرب الى المصلحة ، وأوفق للعقل وسيرة العقلاء كافة .

ومعلوم أن رسول الله ﷺ لم يكن يعمل إلا بما فيه المصلحة العامة فلو فرضنا أنه ﷺ توفي ولم يستخلف ـ كما تزعمه الجماعة ـ فلا محالة يكون تركه الاستخلاف لأجل مضار في نصب الخليفة . وعليه فكيف جاز لأبي بكر مخالفة رسول الله ﷺ واستخلافه لعمر ؟ أم كيف صح لعمر قوله : « لو كان سالم مولى حذيفة حياً لاستخلفته » ؟ فخالف النبي ﷺ من وجهين : استخلافه من بعده ، واخراجه الخلافة من قريش .

ويجدر بنا أن نتذكرها هنا أن عامة بني اسرائيل كرهت امارة طالوت عليهم وتخلفت عنه ولم تخرج الى قتال جالوت عدا قليل منهم ، حتى قال قائلهم : « لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده » ومع هذا فهل كانت المصلحة في من اختاره الله وعيّنه للامارة أم في من رضيت به الامة الاسرائيلية ؟؟ !

المقام الرابع

قولهم : إن اللطف فى الامام الغالب

قال ابن تيمية في « المنهاج ج ١ ص ١٤١ » والدهلوي في « التحفة » :

« أن الامامة تثبت بموافقة أهل الشوكة ولا يصير الرجل اماماً حتى يوافقه أهل الشوكة الذين يحصل بطاعتهم له مقصود الامامة فاذا بويع بيعة حصلت بها القدرة والسلطان ، صار إماماً ومن أولي الامر الذين أمر الله تعالى بطاعتهم فالامام ملك والملك لا يصير ملكا بموافقة واحد ولا اثنين . وأبو بكر صار اماما بموافقة اهل القدرة وكذلك عمر وان علياً (رض) لما بويع وصارت معه شوكة صار اماما .. قال: فالدين الحق لا بد فيه من الكتاب الهادي والسيف الناصر كما قال تعالى : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب » (١) فالكتاب يبين ما امر الله به ومانهى عنه والسيف ينصر ذلك ويؤيده ، وابو بكر ثبت بالكتاب والسنة ان الله امر بمبايعته ، والذين بايعوه كانوا اهل السيف المطيعين لله في ذلك فانعقدت خلافة النبوة في حقه بالكتاب والحديد . واما عمر فان ابا بكر عهد اليه وبايعه المسلمون بعد موت ابي بكر فصار إماماً لما حصلت له القدرة والسلطان بمبايعتهم » إنتهى .

قلت : مقتضى صريح عبارته بطولها إناطة الخلافة باختيار الأمة واتباع ذوي القوة وعدم كفاية النص عن النبي ﷺ أو عن أحد خلفائه مالم يحصل للشخص المعهود له الملك والسلطنة وهذا رأي مخالف للاجماع والضرورة من مذاهب المسلمين كافة ، من كفاية نص النبي ﷺ فقط في انعقاد الخلافة . كما صرح بذلك ابن تيمية في

(١) الحديد : ٢٥

جملة عباراته من نفس الصفحة من ﴿ المنهاج ﴾ اذ قال : « والمسلمون إنما اختاره ـ يعني أبا بكر ـ للنص الدال على رضى الله ورسوله بخلافته » . انتهى وهو ايضا مذهب ابن حزم وزملائه من الطائفة البكرية كما أن اجماعهم قائم على ان خلافة عمر كانت بنص من أبي بكر ، وكانت البيعة معه بعد النص من فروض طاعة المنصوص عليه . وقد بلغ مبلغ التواتر أن أبا بكر عهده من بعده الى عمر وأنه دعا عثمان وقال اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ماعهد أبو بكر بن أبي قحافة فى آخر عهده من الدنيا وأول عهده بالآخرة اني استخلف عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوه . الخ نص عليه ابن حجر في ﴿ الصواعق ص ٥٥ ﴾ وأحمد بن حنبل في ﴿ المسند ج ١ ص ٣٧ ﴾ وابن قتيبة فى ﴿ الامامة والسياسة ص ١٩ ﴾ والطبري في ﴿ تاريخه ج ٣ ص ٥١ ﴾ .

ثم ان مخالفينا ذهبوا الى أن النبي ﷺ توفي ولم يستخلف ، وأن النص على علي عليه السلام غير وافي الدلالة لا لأن النص لايجوز عليه . فالنص عند الجماعة احد اسباب الخلافة ، وعند الشيعة هو السبب الوحيد ، وليس اختيار الامة بمعتبر عندهم ولا يشترط وجود القوة والسطوة فى الامام المنصوب لان الامامة هي النيابة العامة عن النبي ﷺ ولا يعتبر فى المنوب عنه القدرة والسلطة فكيف يعتبر في ولاية النائب ؟ !

قالت الجماعة : فما فائدة الامامة مع عدم القوة ؟

وقالت الشيعة : الفائدة هي : القيومية الالاهية واعلاء كلمة الحق من التمكن كما انها هي الفائدة التي تترتب على بعث الانبياء المقهورين المستضعفين مثل لوط (ع) اذ قال لقومه : «لوأن لي بكم قوة أو آوى الى ركن شديد » (١) ومثل ابراهيم (ع) اذ ألقوه في النار ، وكموسى (ع) اذ اراد فرعون قتله فهرب منه الى مدين شعيب ومثل هارون خليفة موسى عليهما السلام اذ قال لأخيه : « قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني » (٢) وكغيرهم من الانبياء كعيسى ويحيي وزكريا . فلم

(١) هود : ٨٠ . (٢) الاعراف : ١٤٩ .

تبطل امامـــة هؤلاء ، ولم يبطل اللطف فى نبوتهم بل دام اللطف الواجب في بعثهم وارسالهم .

على أن النبوة والامامة لاتتلازمان القدرة والقوة ، ويظهر ذلك من سنن النبيين فان الدعوة الى الله التي هي مبنى الرسالة والامامة ليس من قوامها إلا البلاغ والأداء والتبشير والانذار لقوله تعالى : « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة »(١) وقوله : « اتبع ما اوحي اليك من ربك » (٢) وقوله : « فهل على الرسل إلا البلاغ المبين » (٣) وقوله : « وما ارسلناك إلا مبشراً ونذيراً » (٤) وقوله : « يا أيها الرسول انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً » (٥) ويظهر من جميع ذلك أن النبوة غير الملك والسلطنة ، ولا تلازم بينهما . ولو أمعنا النظر في أحوال الأنبياء والقوانين بأمر الله من أوصيائهم واوليائهم نرى أن الله لم يجمع لهم بين النبوة أو الولاية وبين الملك والسلطنة إلا في النادر منهم مثل داود وسليمان عليهما السلام .

فما زعمه ابن تيمية في ﴿ منهاجه ج ١ ص ١٤٢ ﴾ من أن الخلافة تتوقف على القدرة والسلطان ، خلط فيه بين الخلافة الانتخابية المتقومة باجماع الآراء على رجل واحـد بالاختيار أو الخوف والاضطرار وبين الخلافة الالاهيـة التي يرشد اليها قوله تعالى : « إني جاعل في الأرض خليفة » (٦) وقوله تعالى : « إني جاعلك للناس إماما » (٧) وهذه الخلافة روحها الدعوة الالهية القدسية ، وليست مبتنية على الجبروت والطغيان والارهاب والعدوان كما كانت سيرة خلفاء بني امية وبنى العباس . نعم إن وظائف الخلافة الدعوة الى الجهاد ومحاربة أهـل الشقاق والعناد ، ومعاقبـة المبطلين و

---

(١) النحل : ١٢٥ . (٢) الانعام : ١٠٦ . (٣) النحل : ٣٥ .
(٤) الاسراء . ١٠٥ . (٥) الاحزاب : ٤٦ . (٦) البقرة : ٣٠ .
(٧) البقرة : ١٢٤ .

دعاة الفساد . وذلك بعد تمكين الامة وإتمام الحجة واقتضاء المصلحة العامة المنوطة بنظر صاحب الشريعة ، وبعد وجود الأعوان وحصول المساعدة لا كما قالت بنو اسرائيل لموسى (ع) : « فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون » (١) وهذا غير إناطة الخلافة الالهية بالقهر والملك والسلطنة . وفي ﴿ سنن ابن ماجة ج ١ ص ٤ ﴾ عن النبي (ص) قال : « لاتزال طائفة من أمتي قوامة على أمر الله لا يضرها من خالفها » ، وعنه ﷺ ايضا قال : « لا تزال طائفة من امتي منصورين لا يضرهم من خذلهم . . الحديث ، وقال أبو الشكور في كتاب ﴿ التمهيد بيان التوحيد ﴾ قال : بعض الناس : إذا لم يكن الامام مطاعاً لا يكون إماماً . قلنا : ليس كذلك لأن طاعة الامام فرض علي الناس فان لم يكن القهر فذلك من تمرد الناس وهو لا يعزله عن الامامة فلو لم يطع الامام فالعصيان منهم وعصيانهم لايضر بالامامة ، ألا ترى ان النبي ﷺ ما كان مطاعاً في أول الاسلام وما كان له القهر على أعدائه من طريق العادة . والكفرة قد تمردوا عن امره ودينه وقد كان هذا لايضره ولا يعزله عن النبوة ، وكذا الامام لان الامام خليفة النبي ﷺ لا محالة وكذلك علي (ع) ما كان جميعاً من جميع المسلمين ومع ذلك ما كان معزولا ، فصح ماقلنا ولو أن الناس كلهم ارتدوا عن الاسلام - والعياذ بالله - فان الامام لاينعزل عن الامامة فكذلك في العصيان . انتهى .

المبحث التاسع

في عقد الامامة ، وانها لا تكون إلا بالنص

إن النص هو السبب الوحيد في تعيين الامام ، وذلك لأن الامامة خلافة من الله تعالى على البرية ، وقواعد العقل والنقل تقضي بأن تعيين الخليفة راجع الى

(١) المائدة : ٢٧ .

المستخلف ومنوط بنظره ، وان الله تعالى لم يزل يعين خلفاءه في الأرض على نحو العموم أو الخصوص في جميع ادوار التكليف من بدء زمن النبوة الى انتهائها ، إذقال تعالى في آدم : « إني جاعل في الأرض خليفة » وقال في ابراهيم : « إني جاعلك للناس اماماً قال : ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين » .

ليس المقصود بالامامة فى هذه الآية النبوة ، بل المقصود : الرياسة الدينية على العامة مطلقا كما فهم ابراهيم (ع) فطلب من الله تعالى أن يجعل تلك الرياسة في ذرية الى يوم القيامة . ويشهد لما ذكرناه ماذهب اليه الفخر الرازي في تفسيره هذه الآية اذ جعل قوله تعالى : « لاينال عهدي الظالمين » حجة على اشتراط العدالة فى الامام والخليفة . ولولا أن لفظ الامام يشمل كل داع للخلق الى الحق لما احتج الرازي بالآية على شرطية العدالة فى الأئمة والدعاة الى الله تعالى . فالآية صريحة في أن الله هو جاعل الامام للناس يدعوهم اليه وينشر فيهم أحكامه . وقال تعالى في ذرية ابراهيم (ع) « فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما » (١) والمراد من الملك الرياسة الالهية والزعامة الدينية التي بيد الله نصبها ، وعند اختياره تعيينها

وقال تعالى في داود : « انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق (٢) فأسند ـ سبحانه ـ جعل الخليفة الى نفسه المقدسة ، وقال في هارون : « وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين » (٣) فاصبح هارون خليفة موسى في بني اسرائيل بتعيين منه (ع) لا بانتخاب الأمة واختيارها . وقال من شأن المؤمنين : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم » (٤) قالت الشيعة : إن هذه الآية تشمل امامة العترة الطاهرة . وقال ابن حجر

(١) النساء : ٥٤ . (٢) ص : ٢٦ .
(٣) الاعراف : ١٤١ . (٤) النور : ٥٥ .

في ﴿ الصواعق ص ١٦ ﴾ والسيوطي في ﴿ تاريخ الخلفاء ص ٢٥ ﴾ قال ابن كثير : إن الآية منطبقة على خلافة الصديق .

وعلى كل تقدير ، فالقرآن مصرح بان جعل الخليفة واختياره بيدالله تعالى لقوله : « ولقد اخترناهم على علم على العالمين » (١) وقوله : « وربك يخلق مايشاء ويختار ما كان لهم الخيرة » ، ففي ﴿ تفسير الرازي ج ٦ ص ٤٥٤ ﴾ و ﴿ الكشاف للزمخشري ﴾ : أن الآية نزلت في المشركين إذ قالوا بعدم أهلية النبي ﷺ للرسالة من الله « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » (٢) فرد الله عليهم بهذه الآية وأراد أن الله لا يبعث الرسول باختيار المرسل اليهم، وإنما الاختيار له تعالى ، وانه أعلم حيث يجعل رسالته . وقال تعالى : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (٣) وقال: « هو الذي بعث في الأميين رسولا » (٤)

وإن نصب الامام وجعل الخليفة لايختلف مطلقاً عن جعل الرسول وبعثه ، فان النبي ﷺ لما نزلت عليه آية « وأنذر عشيرتك الأقربين » (٥) في بدء الرسالة لم يتعد عن توحيد الله ورسالته ﷺ إلا قرن بذلك الولاية والخلافة لمن يؤازره على أمره . فلم يجبه الى ذلك أحد من رهطه وعشيرته الاقربين إلا علي عليه السلام فقال : « أنا يانبي الله أكون وزيرك » فأخذ رسول الله (ص) برقبة علي (ع) وقال : « إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوه » انتهى وللحديث مصادر معتبرة يأتي ذكرها في محلها باذن الله .

والخلاصة أن بعث النبي ﷺ وتعيين الوصي لاينفكان أحدهما عن الآخر

---

(١) الدخان : ٣٢ .
(٢) الزخرف : ٣١ .
(٣) الفتح : ٢٨ .
(٤) الجمعة : ٢ .
(٥) الشعراء : ٢١٤ .

في الشريعة الاسلاميـة ، وأن الخلافة مقترنة بالنبوة وكلا الامرين بيـد الله تعالى وباختياره ، لا بيد الأمة ولا باختيارهم . وبما أن النبي ﷺ - مع اتصاله بوحي الله - نصب عليا (ع) للخلافة وولاية العهد بعده علمنا أن الخلافة تتوقف على تعيينه ﷺ دون انتخاب الامة الذي يؤول أخيراً الى القهر والخروج بالسيف ونشوب الفتن بين الامة نفسها ولقد تواتر الخبر عن النبي (ص): « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » كما شاهـدنا من حوادث التاريخ الدامية كيف سبب الخلافة الاختيارية الوقوع في الضلالة وقيام الحروب والمنازعات وسفك الدماء وهتك الحرمات وانتهاء دور الامامة الى الطلقاء وابناء الطلقاء والى بني مروان الشجرة الملعونة فى القرآن .

ومما يصرح بأن الخلافة ليست الى الناس وإنما هي بيد الله مافي « تفسير الثعلبي » عند قوله تعالى : « له معقبات من بين يديه يحفظونه من امر الله » (١) أن عامر بن الطفيل جاء الى رسول الله (ص) فقال : مالي إن اسلمت ؟ قال النبي (ص) لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم . قال : تجعل لى الأمر من بعدك ؟ فقال رسول الله ﷺ : ذلك ليس لي إنما ذلك الى الله يجعله حيث يشاء . (٢)

لاحجية للشورى في الخلافة

لاريب أن الشورى في الخلافة باطلة فلا يصح مافعله عمر من حصر الخلافة في ستة ، أو قياس الخلافة الالهية بالملوكية والاعتماد في تعيينها على القوة أو بحـد السيف اذ لا دليل على ذلك كله لا من الـكتاب ولا من السنة . قال ابن حزم في « الفصل

---

(١) الرعد : ١٢ .

(٢) وفي (سيرة ابن هشام ج٢ ص ٦٦) انه (ص) اتى بنى عامر بن صعصعة فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه فقال له رجل منهم : أرأيت ان نحن بايعناك على امرك ثم اظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الامر من بعدك ؟ قال : الامر الى الله يضعه حيث يشاء .

ج ٤ ص ١٣٠ ﴾ عند الكلام في العقد الامامة وفي بطلان هذا القسم قال : إن أهل الشام كانوا قد ادعوا ذلك لانفسهم حتى حملهم ذلك على بيعة مروان وابنه عبدالملك واستحلوا بذلك دماء أهل الإسلام . قال أبو محمد (يعني نفسه) : وهو قول فاسد لاحجة لأهله ، وكل قول فى الدين عرى عن ذلك من القرآن أوسنة رسول الله (ص) أومن اجماع الأمة المتيقن فهو باطل بيقين . قال الله تعالى : « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » فصح أن من لا برهان له على صحة قوله فليس صادقاً فيه فسقط هذا القول .. الخ

ثم تصدى ابن حزم فى نفس الصفحة لابطال ماجعله عمر من الشورى قائلا : إن فعل عمر (رض) لايلزم الأمـــة حتى يوافق نص قرآن أو سنة ، وعمر كسائر الصحابة (رض) لايجوز أن نخصه بوجوب اتباعه دون غيره من الصحابة (رض) . انتهى .

أقول : لاسيما بعد قول عمر : « إن مال ثلاثة منهم الى واحد وثلاثة الى واحد فاتبعوا الثلاثة الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف» فانه أناط أمر الامامة الى رأي شخص واحـد وهو ابن عوف ، ولاشك أن هذا لاحجة فيه لانعقاد الاجماع على أن الامامة لاتنعقد بواحد ليس بامام .

فان قيل : إن هذا يرجع الى اختيار عمر لمن اختاره عبدالرحمن ،قلنا:ان المصحح عند المسلمين من عمـل الامام هو أن يعقد الامر قبل موته لشخص معين لا أن يجعل اختياره تبعاً لاختيار غيره ممن ليس بامام . قال ابن حزم في ﴿ الفصل ﴾ بعد ذكر هذا الوجه من وجوه عقد الخلافة : فبطل هذا القول بيقين لا اشكال فيه ، والحمد لله رب العالمين . انتهى ثم قال : إن الأصح أن يعهد الامام الميت الى انسان يختاره إماماً بعد موته ، وسواء فعل ذلك في صحته أوفي مرضه وعند موته كما فعل رسول الله بأبي بكر وكما فعل أبو بكر بعمر وكما فعل سليمان بن عبدالملك بعمر بن عبدالعزيز ،

وهذا هو الوجه الذي نختاره ونكره غيره لما في هذا الوجه من اتصال الامامة وانتظام أمر الاسلام وأهله ورفع ما يتخوف من الاختلاف والشغب مما يتوقع في غيره من بقاء الامة فوضى ومن انتشار الأمر وارتفاع النفوس وحدوث الأطماع . انتهى .

أقول : قوله : وحدوث الاطماع . هذا تعريض منه على القول في عقد الامامة باختيار الامة واتفاق فضلائهم في اقطار البلاد . قال في ﴿ ص١٢٩ ج ٤ من الفصل ﴾ إنه باطل لانه تكليف مالا يطاق وماليس في الوسع وما هو أعظم الحرج ، والله تعالى لايكلف نفساً وقال تعالى : « وما جعل عليكم في الدين من حرج » (١) ثم قال : اذ لاسبيل الى اجتماع أهل الأرض على ذلك أبداً لتباعد أقطارهم ولتخلف من تخلف عن ذلك لعذر أو على وجه المعصية فلا يكون قياماً بالقسط المأمور به في قوله تعالى : « كونوا قوامين بالقسط » (٢) » وهذا خروج عن الاسلام ، فسقط القول المذكور وبالله تعالى التوفيق . انتهى

أقول : إذن تمت حجة الشيعة على بطلان اختيار الامة في تعيين الخليفة ، وذلك لما عرفت من النصوص الكافلة لكون البعث ونصب الخليفة كليهما باختيار من الله سبحانه . فمن ادعى خلاف ذلك واكتفى بتعيين الامة فعليه اقامة الحجة ، وما لم تقم الحجة فالدعوى باطلة . ولم نر ممن استند على صحة الانتخاب من حجة غير ما حصل من بعض الصحابة في بيعة أبي بكر في السقيفة . ولكننا نناقش المدعين في مشروعية مثل هذا الانتخاب مع ما كان فيه من الاحداث الجسام . فعليهم أولا أن يصححوا هذا الاختيار بدليل شرعي ، ويقيموا الحجة على انه أحد اسباب اثبات الامامة وتعيين شخص الامام ، ثم يبنون عليه صحة إمامة أبي بكر ويثبتوه ثانياً ، لا أنهم يصححون امامته بالاختيار ويصححون الاختيار باختيار أبي بكر في السقيفة .

(١) الحج : ٧٨ . (٢) النساء : ١٣٥ .

وهي مغالطة واضحة تسقط بها الحجة عن الاعتبار .

أما احتجاجهم لوجوب نصب الامام على الرعية بحديث « لاتجتمع امتي على ضلال » وجعله برهاناً على صحة امامة أبي بكر فباطل . اذ ليس الكلام هاهنا في صحة خلافة أبي بكر بعد فرض الاجماع عليه ، وإنما الكلام في أنه هل يجب للامة أن تجتمع على خلافة من فقد النص عليه أم لا ، والحديث لا يدل على وجوب ذلك ولا على جوازه بعدما عرفت أن نصب الخليفة ليس من واجب الامة بل يجب على الله لطفاً .

وأما الاحتجاج بقوله : « ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى . . الخ » (١) فلا ريب في وجوب اتباع سبيل المؤمنين على من ظهر له الحق وتبين له الهدى من الله أو من رسوله ﷺ . ولكن اين هذا ممن تبين له ذلك ، ولم يعلم أن من دين النبي ﷺ تفويض أمر الامامة الى اختيار الأمة ، بل علم خلاف ذلك بعد النظر واستفراغ الوسع في الكتاب والسنة وعدم العثور فيهما على ما يدل على حجية انتخاب يوم السقيفة أو غير السقيفة خصوصاً مع ترك النبي ﷺ الوصاية اللازمة لأحد من الصحابة — كما يزعمون — فلو كانت الوصية بالاستخلاف واجبة للزم عليه ﷺ بيان ذلك ، أو تعيين أبي بكر بالذات للخلافة .

وأما الاحتجاج بقوله تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولى الأمر منكم » فاقصى ما تدل عليه الآية وجوب اطاعة ولي الأمر ممن تحقق نصبه وتعيينه للولاية بالطرق الصحيحة التي ذكرناها ، دون من لم يتحقق ولم ينصب فأين الآية من الدلالة على ايجاب التولية قبل ايجاب الاطاعة ؟ !

وقد احتجوا لوجوب نصب الامام على الرعية بأن الامامة تجب لأنها مقدمة

(١) النساء : ١١٤ .

الواجبات كترويج الأحكام واقامة الجهاد ودفع الفساد .. الخ نظير وجوب الطهارة وستر العورة مقدمة لوجوب الصلاة فكما أن الطهارة لا تكون إلا بذمة من عليه الفريضة كذلك فرض نصب الامام فانه واجب على العباد .

أقول : وهذه الحجة غير تامة ايضا لأن الواجبات المذكورة من اقامة الحدود وسد الثغور وتجهيز الجيوش والجهاد .. كلها من فروع طاعة الامام وامتثال أوامره فتكون واجبة بأمره ، وليست من موجبات تعيينه على الأمة فما هو بذمة الرعية امتثال أمر الامام والالتزام بطاعته كالالتزام بطاعة النبي ﷺ فيكون واجباً عقلا وسمعا ، ووجوبه لا يسبب وجوب نصب الامام على الرعية كما ان وجوب طاعة النبي لا يسبب وجوب نصبه على الامة . ألا ترى أن ايجاب الزكاة على الناس لا يستدعي وجوب تحصيل المال حتى يزكي ؟ مضافاً الى أن وجوب الامور المذكورة ـ بعد فرض كونها من الواجب المطلق ـ لا يقتضي ايجاب نصب الامام ، لان نشر الاحكام من واجب العلماء وكذلك اقامة الحدود وغيرها فهي من وظيفتهم ووظيفة كل رئيس مطاع . وأما الجهاد فيحصل بكل أمير مطاع في نفسه أو باختيار المسلمين له موقتاً كاختيارهم لخالد بن الوليد في غزوة مؤته بعد مقتل جعفر بن أبي طالب وصاحبيه ، ولا يخاف من الفوضى لان الامة ـ على أصل الجماعة ـ مأمونة وهي المؤدية والحافظة للشريعة والنبي (ص) لحق بالرفيق الاعلى بعد أن أكمل دينه وأتم النعمة ولم يتعرض لشيء من أمر الامارة بعده فأية حاجة حينئذ الى نصب الخليفة ؟ نعم تحتاج الامة إلى الامام ـ على أصل الشيعة ـ وذلك لان الامان غير جار بين الانام ، وأيدي أهل البدع والشقاق لاعبة ، والشريعة غير مصونة ، والعصمة غير ثابتة ، والامة محتاجة الى الارشاد والهداية ، وقاعدة اللطف تقضي بنصب الخليفة من قبل صاحب الشريعة ، واعطاؤه إياه ما كان لنفسه من ولاية الله على الخلق فتجتمع فيه زعامة روحية دينية هي حقيقة قوله تعالى : « إني جاعل في الارض خليفة » وزعامة دنيوية وحكومة

غالبة تدير بها شؤون الرعية تثبيتاً لامر الله تعالى واتماماً لدعوة المقدسة حتى يكون كله لله . ومن هنا لم تنفك الامامة التي هي الولاية العامة عن الزعامتين .

ولاية الوصي مقتبسة من ولاية النبي (ص)

إن من يقوم مقام النبي ﷺ وينوب عنه في شؤونه يكون خليفة الله في أرضه ومن يريد الله أن يحق به الحق ويقطع به دابر الكافرين فيجب بالعقل والنقل أن يكون حائزاً لدرجة سامية تتلو درجة النبوة . فكما أن رسالة رسول الله ﷺ عنحه أقصى مراتب الكمال في انبياء الله وخيرته من خلقه لقوله تعالى : « وكان فضل الله عليك عظيما » فكذلك الولاية التي يتقلدها من يخلف رسول الله ﷺ ويحمل أعباء الخلافة والامامة بعده لامناص من أن تكون أعلا مراتب الولاية على المؤمنين .

وهذه صفة عظمى للوصي والامام لاتحيط بها معرفة الأوحدي من الناس فضلا عن عامتهم وسوادهم ، لاسيما بعدما صارت الآراء مدسوسة ، والأنظار مشوبة والاغراض غير مأمونة عن الخطأ . فالفطرة السليمة تقطع بأن التعيين من الله سبحانه ورسوله ﷺ هو الطريق الى معرفة الامام والخليفة من دون تدخل الرعية .

أما أولا : فلعدم إحاطة الامة بمن تقوم به الحجة لله على خلقه ، من مرشد عليم مأمون في رأيه ودينه يبين للناس ما اختلفوا فيه من أحكامهم ويحسن سياستهم ويدلهم على سبيل النجاة ويزيح عنهم الشبهات ويحفظهم عن التنازع والاختلاف ، وذلك بكامل عقله وسلامة ذهنه ، ووفور ذكائه وشدة عزيمته ، وهو مع ذلك يكون قوياً في حماية الناموس الاعظم والدين الاقوم ، داعياً الى الطاعة زاجراً عن المعصية . ومن البديهي عند العقلاء أن معرفة مثل هذا الشخص تختص بمن وسع علمه كل شيء ويحيط بحقائق الامور ولا يخفى عليه شيء .

وأما ثانياً : فلوقوع الخطأ من الناس في الاختيار ، فلا يؤمن وقوع اختيارهم

على الفاسق والمنافق والجاهل . فلقد صحت الرواية أن عبدالرحمن بن عوف الذي عهد اليه الاختيار في اصحاب الشورى قد اعترف بالخطأ في اختياره عثمان بن عفان للخلافة فقال : ما كنت أظن به الانحراف ولـكن لله عليّ أن لا أكلمه أبداً . فمات عبدالرحمن وهو مهاجر لعثمان . ودخل عليه عثمان عائداً فتحول عنـه الى الحائط ولم يكلمه كما في (العقد الفريد) لابن عبد ربه في قصة الشورى ، وفي (تاريخ أبي الفـداء ج ١ ص ١٦٦) .

وأما ثالثا : فلان الناس كثـيراً مايقـع الخلاف والنزاع بينهم فى من هو الأولى والأرجح للامامة وذلك لاختلاف آرائهم ، وتفاوت أنظارهم ولا سيما من اتبع منهم الأهواء والشهوات والرغبات النفسية ، فيختار جمع شخصاً ويختار آخرون غيره وحينئذ يقع التشاح وتقوم الخصومات وتنشب الفتن الدامية والمعارك الهائلة ، وذلك ينافى الحـكمة وينقض الغرض الأصلي من نصب الحجة . أما اذا انقادت الأمة جميعا الى رئيس مطاع أمين منصوب من الله تعالى فانه يجمعهم على الهـدى والحق ، ومن هنا لما مضت ثلاثون سنة على الخلافة انقلبت الى ملوكية محضـة لا يتم تعيـين الخليفة إلا بقوة السيف مثل ملك كسرى وقيصر ، وليس ذلك إلا لتدخل الأمة في نصب امامهم مع ماهم عليه من اتباع اغراضهم دنيئة وشهوات نفسانية .

احتجاج الامامية على أصحاب الاختيار

جاء فى كتاب (الكافي) للكليني طاب ثراه في الحديث : أن سائلا سأل الامام الحسن العسكري عليـه السلام : ما المانع من أن يختار القوم إماماً لأنفسهم ؟ فأحال (ع) جوابه على ولده الامام المهدي عليه السلام فأجاب (ع) قائلا : أمصلح أم مفسد ؟ قيل : مصلح . قال (ع) : هل يجوز أن تقع خيرتهم على المفسد بعـد أن لايعلم أحد مايخطر ببال غيره من صلاح أو فساد ؟ قيل : بلى ! قال فهي العلة . يعني

ان أصحاب الاختيار إن جوزوا الخطأ في اختيار الامة لامامهم ، كان ذلك هو السبب في عدم صحة الاعتماد على الاختيار لجواز التخلف عمن فيه الصلاح بوقوعه على الفاسق والمنافق الذي يسعى في هدم الدين .. ثم قال (ع) : فهذا موسى (ع) كليم الله مع وفور عقله ونزول الوحي اليه اختار من أعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربه سبعين رجلا ممن لا يشك في ايمانهم واخلاصهم لله ، فوقعت خيرته على المنافقين على ما حكى الله تعالى .. ثم قال (ع) فلما وجدنا اختيار من اصطفاه الله للنبوة واقعاً على الافسد دون الاصلح - وهو يظن انه الاصلح - علمنا انه لا اختيار لمن لا يعلم ماتخفى الصدور .

أقول : لا ريب أن الامام يجب أن يكون صالحاً في نفسه مصلحاً لامر رعيته ، وهذه صفة تخفى على المنتخبين غالباً ، ويؤيد ذلك أحاديث افتراق الامة الى ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة وواحدة ناجية كما في رواية الحاكم في ﴿ المستدرك ج ٦ ص ٢٨ ﴾ و ﴿ مسند احمد ج ٣ ص ١٤٥ ﴾ فهي تناقض صحة انتخاب المنتخبين لكثرة الضالين . نعم إن أحاديث ايجاب التمسك بالثقلين الكتاب والعترة والاحاديث المصرحة بانهم كباب حطة ، وسفينة نوح وجميعها متواترة من طرق العامة تكشف لنا عن أن الفرقة الناجية هم الذين دانوا باتباع العترة الطاهرة النبوية ، وأن اختيار الله هؤلاء للامامة حجة على الخلق .

دفع الشبهات حول الامامة

أورد الخصم شبهات حول اختيار الخليفة من قِبَل الأمـة نتصدى لدفعها وهي : -

أولا : ان امامة الأئمة الاثني عشر - عند الشيعة - تمت بالاختيار في من عدا علي (ع) وذلك لأن إمامتهم كانت بتعيين الامام السابق للامام اللاحق واختياره اياه وهؤلاء الأئمة لانقطاع الوحي عنهم لايختلف اختيارهم عن اختيار سائر الرعية مع

أن الشيعة قائلون ببطلان الاختيار في الامام .

وجوابها : أن هذه الشبهة انما ترد على مذهب أهل السنة حيث لا يشترطون في الخليفة العلم والعصمة . أما الشيعة فتنتهي سلسلة الامامة والخلافة عندهم الى الله والى رسوله ﷺ فالنبي لايختار إلا من اختاره الله بالعلم والوصية والأمن من الخطأ والزلل وإن كل واحد من الأئمة الاثني عشر عليهم السلام منصوص عليهم من الله ورسوله وأن الله أوحى بذلك الى رسوله (ص) والنبي كذلك أوصى الى أمير المؤمنين (ع) وهو الى من بعده وهكذا الى آخرهم ، فالوحي وإن كان منقطعاً عن الأئمة (ع) ولكنهم يعملون بالوحي السابق المنزل على جدهم ﷺ المعهود منه اليهم فى تعيين خلفائهم واحداً بعد واحد . فالامام لايختار للخلافة بعده إلا من عهد اليه ووجد فيه شروط الامامة والصلاحية التامة ، إذهم جميعا من أهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

الشبهة الثانية: قالت الجماعة : أليس الاجماع عندكم حجة ؟ ألم يقم الاجماع على خلافة المشايخ الثلاثة ؟ أليس علي (ع) بايع أبا بكر وعمر بمحضر الصحابة ؟ أليس فعله حجة قاطعة عند الجميع ؟

قلنا : ان فعل علي (ع) حجة عندنا إذا كان صادراً عن اختياره ورضاه ولم يكن صدوره عن اكراه أو تقية أو وجوه أخرى ، وأما بيعته (ع) مع من كان قبله فستأتيك أنباء مافيها ، وأنها كانت نتيجة القهر والغلبة . وأما الاجماع فلا حجية لمافيه ولا نقول به إلا أن يوافقه دليل معتبر يكشف عن رضى المعصوم ، وإلا فليس من المعقول والمنقول حجية قول أحد اوفعله على أحد ، اذ الامة ليست بمشرعة . فلو أن أحداً أوجب شيئاً او حرمه سئل عن دليله ومدركه في ذلك الحكم من الكتاب أو السنة فان أتى على ذلك ببرهان ، وإلا فقوله مردود عليه ، وهذا مما أجمع عليه المسلمون اذ لم يوجد أحد يعتبر الحكم بغير ماأنزل الله إلا أن يعلم أن القائل به مأمون

عن الكذب او الوقوع فى خلاف ما حكم به الله سهواً او نسياناً ، فلا عبرة بقول الواحد ، أو الاكثر وإنما المعتبر بعد القرآن قول رسول الله ﷺ او قول من صح عنه ﷺ الحديث ، وإلا لدخل في من قال عن الله بغير علم ، فظهر ايضا بما ذكرنا بطلان الاختيار وفساد حكمهم بوجوب اتباع من اختاروه في الدين أو الدنيا .

الشبهة الثالثة : قالت الجماعة : ما السبب في اختلاف الشيعة مع اتصال الامامة عندهم من امير المؤمنين «ع» فنجد منهم من افترقوا الى طوائف مبتدعة حتى أن جماعة منهم كانت تنازع الامام الصادق «ع» وابنه الكاظم والرضا عليهما السلام في الامامة ؟

قلت : سبب اختلافهم هو عين السبب في اختلاف الامم الماضية في أنبيائهم مع ما كان لهم من البراهين الجلية ، وكما اختلفت بنوا اسرائيل وتخلفوا عن هارون (ع) مع ما كان في وجوده وتصرفه من اللطف وانه كان الاصلح للامامة وفيه الرحمة والمغفرة ، ومع هذا عكفوا على عبادة العجل . وفي هذا كفاية في الجواب عما ناقش به ابن تيمية في امامة أمير المؤمنين مع اعترافه بالنص عليه (ع) اذ قال في ﴿ منهاج ج ١ ص ١٤٧ ﴾ : إذا افضت النوبة الى المنصوص حصل من سفك دماء الامة مالم يحصل بغير المنصوص ، ولم يحصل من مقاصد الولاية ماحصل بغير المنصوص ، كان الواجب العدول عن المنصوص . انتهى ، وأنت ترى ان هذا القول يرجع الى الاعتراض على الله وعلى موسى (ع) اذ نصا على علي وهارون «ع» ! فهل يصح ممن ينصب نفسه لنشر الدين أن يخطيء المنصوص عليه بالنص الإلاهي ويقول : بان الاصلح غيره فان قالوا أليس نصب علي «ع» للخلافة مع كونه مغلوباً نقضاً للغرض ؟ فجوابهم هو كل مايجاب عن نصب هارون (ع) للخلافة مع كونه مغلوباً وكذلك في هود وصالح ويحيى وزكريا عليهم السلام .

ويجاب ايضا عن اختلاف الشيعة بما يجاب عن اختلاف الصحابة على رسول الله (ص)

في حياة نبيهم (ص) وافترائهم على عائشة بالافك ، وارادتهم قتله (ص) ليلة العقبة ، وبنائهم مسجد ضرار ، وتخلفهم عن جيش اسامة ، وكراهتهم تأميره عليهم مع نصه ﷺ عليه بالامارة كل ذلك فى حياته ﷺ وعن انقلابهم وارتدادهم بعد وفاته . وعن خروجهم على عثمان وقتلهم اياه بحضور الصحابة ، وعن تخلفهم عن امير المؤمنين عليه السلام ونكثهم بيعته بعد قيام الاجماع عليه ، وخروج طلحة والزبير وعائشة عليه (ع) فى البصرة ... الخ

وأما أمير المؤمنين (ع) فلم يلحقه بذلك نقص في امامته ، فانه الامام بالحق ومن خرج عليه كافر لامحالة لقوله (ص) : «من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات فقد مات ميتة الجاهلية ، ومن مات وليس فيعنقه بيعة مات ميتة جاهلية ، ومن مات وليس عليه امام مات ميتة جاهلية» .

أجل ، إن ابن تيمية دعاه الحسد لأمير المؤمنين (ع) على أن يقول فيه : «إن العدول عن الامام المنصوص عليه واجب» ولكن لا يقول هذا في أبي بكر اذ حارب المسلمين الذين كانوا يشهدون الشهادتين ويقيمون الصلاة كما اورده الشيخان في «الصحيحين» ولا يقوله ايضا فيمعاوية ورئيس الفئة الباغية مع تصديقه بالخبر المعروف المتواتر عنه ﷺ : «ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار» اذ يصرح فيه بأن معاوية وأصحابه هم أهل النار ، ودعواهم دعوى الفجار ، قد عرّفهم بصفة البغي والعناد ، ومثلهم أهل الجمل اذ يقول (ص) : «علي امام البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره ، مخذول من خذله» . ويقول ﷺ «إن عليا وليكم بعدي» . أفهل يجوز مع هذا التصريح لأمير المؤمنين (ع) أن يترك جهادهم !؟

قالت الجماعة: ما السبب فى اختلافكم مع أن عليا (ع) أعلم الامة ـ عندكم ـ بعد الرسول (ص) بالشريعة ، وهو (ع) أول الائمة الذين جاؤوا بعده من بنيه ، فلِمَ لم

برفع الخلاف والخصومة عن الشيعة ؟! وجوابهم : أن النبي (ص) توفي وقد بلغ الأمة احكامهم كافة الى يوم القيامة ، قال تعالى : « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم » (١) ومع هذا وقع الخلاف الشديد بين الأمة وتفرقت كلمتهم اصولا وفروعاً حتى ذهب بعضهم بكفر بعضاً ، وسفكت من الدماء وهتكت حتى الحرمات مالا يعلم عددها إلا الله فالنبي (ص) وأمير المؤمنين من هذه الجهة سواء ، فكما أن النبي ﷺ مأمور بالتبليغ والهداية فكذلك خليفته من بعده ، وكما ان سبب الخلاف في جميع الادوار هو التغاب والعناد والعصبية حتى زمن الانبياء ، كذلك الخلاف الحاصل من غلبة أهل الباطل في زمن الأئمة الاوصياء (ع) .

وتوضيح المقال فى حل هذا الاشكال : هو أن رسول الله ﷺ إمام معصوم متصل بوحي الله تعالى ، وإن الله تعالى أكمل دينه به (ص) وبأمنائه ووعده أن يظهر دينه على الدين كله ، ومع هذا فقد اختلف المسلمون من بعده أشد الخلاف في الاصول والفروع وكثرت الآراء والانظار الى غير حد النهاية . فلو كان الاختلاف دليلا على فساد المذهب لزم من ذلك أن يكون دين الاسلام باطلا ، لوقوع الاختلاف بين المسلمين وافتراقهم فى الدين كلياً وجزئياً الى ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة إلا فرقة واحدة هي الناجية .

فكل مايقال عن اختلاف مذاهب الشيعة يقال ايضا عن مذاهب السنة والجماعة لاختلاف هؤلاء في اصول العقائد الى المعتزلة ، والاشعرية ، والجبرية ، والمعطلة ، والقدرية ، والجهمية ، والمجسمة ، والمشبهة ، والقائلين برؤية الله تعالى ، وبخلق القرآن ، ولاختلاف فى الفروع الى المذاهب الأربعة المعروفة ، فلو كان الاختلاف سبباً لبطلان المختلف فيه جميعاً ، لزم المصير الى فساد تلك المذاهب ايضاً لاختلاف أصحاب الحديث مع اصحاب الرأي وهم اصحاب أبي حنيفة ، بل ويلزم

(١) النحل : ٤٤ .

بطلان الصحاح الستة لاجل مافيها من التضارب والتناقض ، بل وبطلان احاديث الصحيح الواحد منها كالبخاري مثلا لاشتماله على أحاديث متنافية .

وخلاصة الجواب : أن نصب الامام كبعث النبي (ص) مشتمل على المصلحة العامة لكن ذلك لايكون بحيث يوجب الاكراه والاضطرار الى حسم مادة الفساد ، فليس النصب والبعث ما نعين عن نفاق المنافقين وضغن الكافرين وتمرد المتمردين وإضلال المضلين . كما يحدثنا القرآن الكريم بقوله تعالى : « قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله » (١) وقوله : « يحرفون الكلم عن مواضعه » (٢) وقوله : « وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » (٣) فيكون حال الشيعة المتمردين عن العترة الطاهرة حال من اخبر الله عنهم في هذه الآيات . فليست الكيسانية ، والفطحية ، والزيدية ، والباطنية والاسماعيلية بأشنع مذهباً واشد انحرافاً عن الحق عن المارقة والمجسمة وممن أثبتوا لله تعالى الاعضاء والجوارح ، وممن جوزوا القبيح على الله تعالى ... الخ وليس العجب ممن تخلف من بعض فرق الشيعة عن الامام بالحق ، وإنما العجب كل العجب ممن كانوا معاصرين أو قريبي العهد من رسول الله ﷺ ومع ذلك أظهروا المنكر والفحشاء وتابعوا أهل الخنا في قتالهم آل محمد صلوات الله عليهم وانحرافهم عمن نص القرآن على وجوب مودتهم وفي قتلهم ذرية رسول الله (ص) تحت كل حجر ومدر ، وهدمهم الكعبة واعمالهم القبيحة من واقعة الحرة وغيرها ! !

أما الشيعة الامامية فلا اختلاف بينهم في عقائدهم لاتباعهم أئمة الهدى من أهل البيت الطاهرين « ع » واخذهم منهم « ع » المذهب الصحيح المتصل اسناده

(١) التوبة : ٣١ .

(٢) النساء : ٤٥ .

(٣) البقرة ٧٥ .

بالنبي (ص) فأما إذا اختلفوا بعض الاحيان فانما ذلك في فروع المسائل الفقهية فقط وهذا الخلاف لزمته المصلحة العامة من التزامهم بالتقية الواجبة الحافظة لنفوسهم المبقية لنظامهم اتباعاً لقوله تعالى : « إلا أن تتقوا منهم تقاة » (١)

تم بعون الله الجزء الأول من كتاب ﴿ الامامة الـكبرى والخلافة العظمى ﴾

ويتلوه الجزء الثاني باذن الله تعالى ويبدأ بالمقصد الثالث :

في شرائط الامام

---

(١) آل عمران : ٢٨ .

محتويات الكتاب

ص	س	الخطاء	الصواب
٢٦	١٦	هم	هو
٢٩	١٩	جحود	وجحود
٨٠	١٢	لهم ان اولا تستغفر لهم	او لا تستغفر لهم ان
١٠٨	٥	الظالة	الضالة
١٦٨	١٨	النقول باب	لباب النقول
١٧٠	١٨	ينالوا	ينالوا منه
٢٢٥	١٠	تاخ	تاريخ
٢٢٥	١٠	الفدك	فدك
٢٢٥	٢٠	لأعلى	لا على
٣٢٨	٢٠	عندها	عندهم
٣٢٨	٢٠	فقدهم	فقدها
٣٧٥	٤	من	ممن

وهناك اخطاء مطبعية كسقوط بعض الحروف والنقاط . وهي لا تغير المعنى . كما لا تفوت القارىء النبيه

« محرم ١٣٧٨ هـ »

بين يديك

هذا الكتاب القيم .

دراسة واسعة للتاريخ الاسلامي ، وموسوعة قيمة يبحث فيها مؤلفها بحثا وافيا عن أهم الحوادث التاريخية على ضوء الكتاب والسنة والمنطق السليم ، بأسلوب رصين ممعنا فيها بالنقد والتحليل .

وقد اودع المؤلف العظيم في هذا السفر الجليل ثمرات جهوده المتواصلة ، وسعيه الحثيث حوالي نصف قرن من الزمان ، بحثاً عن الحقائق وتمحيصاً لها من خلال مئات المصادر الموثوقة لدى الجمهور من المسلمين ، فجاء هـذا الكتاب نتيجة ذلك المجهود الضخم العتيد .

وحسب الكتاب شهرة ، انه انحدر من يراع علم من أعلام الأمة وبطل من أبطال العلم ، وعبقري من أساطين الفقهاء والمتبحرين قد سجل له الزمن مواقف مشهورة في ميادين العلم والدين .

وسوف يصدر فى (٨) اجزاء على التوالي باذن الله . ونحن ندعو بهذا روّاد العلم وهواة التاريخ والباحثين عن الحقائق ، الى اقتناء نسخهم من هذا الكتاب قبل النفاد .

انتظروا الجزء الثانى قريباً

